AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

Make list of Bishops & Types & sites

تقدمة لسيادة مولاي الحبر الجليل المفضال المطران ملاتيوس قطيني الجزيل الطهر والاحترام الذ
كان قد تبرع بجائزة مالية كبرى لمن يضع احسن تاريخ للكرسي الانطاكي الارثوذكسي المقدس
عن بيروت ٦/٢٩ تموز ١٩٢٨ من ولده وتلميذه
الارشمندريت

282
B29tA
V.1
C.1

تاريخ

طائفة الروم الملكية

والرهبانية المخلصية

القسم الاول

سيرة الطيب الذكر

المطران افثيميوس الصيفي

رئيس اساقفة صور وصيدا

يشتمل على تاريخ الروم الكاثوليك وغير الكاثوليك والرهبانية المخلصية
وتشييد دير المخلص

بقلم

الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

69233

مطبعة دير المخلص
صيدا لبنان

١٩٣٨

Cat. July 1950

المقدمة

لايخفى على كثيرين من القرّاء الكرام اننا بدأنا بنشر هذا التاريخ على صفحات رسالتنا المخلصيّة من اول ظهورها بأمر ابينا العام السابق سيادة الارشمندريت اغابيوس نعوم الذي يجمّل اليوم مطرانية صور الكلي الشرف والوقار . واذ لم يكن لنا سبيل الى مخالفته بهذا الامر مع ما لنا من شديد الرغبة بنشر تاريخ رهبانيتنا المخلصية وهو القسم المهمّ من تاريخ طائفتنا العزيزة منذ نشأتها فيها اضطرنا الامر ان نكتب فصوله تباعاً في اوقات نشرها . فلم يكن لنا اذاً متسع من الوقت لتنسيق فصوله وجعلها متناسبة متساوية بقدر واحد . ولذلك لم يكن يخلو في بعض المواضع من تساهل وتسامح في عبارته ومن اغلاط سهو وطبع فاتنا اصلاحها وقت مرضنا . ولم نكن قد أعددنا له الا مواده في كتب شتى مطبوعة ومخطوطة في دفاتر واضابير متفرقة تعدُّ بالمئات بدأنا بجمعها من نحو اربعين سنة اذ يقتضي وقت طويل لدرسها كلها درساً شافياً لاستيعاب ما فيها ومقابلة بعضه ببعض مما تتفق الروايات التاريخية فيه او تتخالف لنتحقّق الصحيح من غير الصحيح منها والراجح من المرجوح ولتأليف ذلك بسياق محكم الوضع بتناسق فصوله وصحة عبارته اذ ليس كل ما يُكتب يكون صحيحاً ومليحاً .

فكتابنا هذا اذاً ليس هو مصنَّفاً من عدة كتب سبقنا الى نشرها علماء التاريخ في هذا الموضوع . بل هو بتمامه من وضعنا الخاص لم يسبقنا اليه احد . وجلُّ اعتمادنا في كتابته على اصول تاريخية قديمة عزيزة لم يُنشر منها سابقاً شيء بالطبع الا ما قل . وهذا ما يجعله ذا قيمة نادرة جليلة في ذاته وفي نظر العلماء المحققين . فهو من هذا القبيل صادق وشائق بما تضمَّن من الحقائق التاريخية ببيِّناتها التي لا سبيل الى الشك بها وبصدق اصحابها .

وهذه الاصول او الوثائق التاريخية هي اولاً المراسلات التي كان يكتبها المطران افثيميوس ومعاصروه من البطاركة والمطارنة وكبار الاكليروس ويرسلونها الى الحبر الاعظم ومجمع انتشار الايمان ليخبروهم فيها عن احوالهم واحوال ابرشياتهم مما نقلناه عن اصله المحفوظ الى اليوم في سجلات مجمع انتشار الايمان باذن نيافة الكردينال رئيس المجمع المشار اليه الذي لا يسمح بذلك عادة الا الى بعض الخاصة من الكتّاب الثقات

ثانياً نص الصكوك الرسمية الاصلية باختام اصحابها من الاعلام المشهورين في عصرهم في لبنان وكل بلاد الشام . وهذه الاصول لم تزل محفوظة عندنا في خزانة صكوك دير المخلص بحرص جزيل حرص كل انسان عاقل على ما يملك من مثل هذه الكنوز الثمينة القديمة التي هي خير ميراث عن الآباء

ثالثاً الصكوك والمراسلات القديمة النادرة التي وجدناها في

اسفارنا عند اصحابها وقد اشتريناها منهم او نسخناها او استنسخناها عن اصلها او اتحفونا بها هدية نذكرها لهم هنا بالشكر والثنآء.

ولحرصنا على كل ما تضمّنت هذه الاصول احببنا نشرها كاملة بنصها القديم بعبارتها والفاظها التي كانت دارجة لذلك العهد على اقلام الكتّاب وألسنتهم وألسنة العامة. ولم نحب ان نحذف منها شيئاً الا العنوان او الترجمة المعتاد وضعها في صدر كل رسالة باسم المرسل اليه وألقابه اكتفاء بما ذكرناه سابقاً من البعض منها. وربما اضطرنا الحال مراعاة لايضاح المعنى المقصود الى زيادة حرف واحد على الكلمة او حذف حرف منها او ابدال حرف علة بآخر او ابدال التآء بالثآء مثلاً او عكس ذلك. وهو يسير نادر جداً

وعدا ذلك عدنا الى مطالعة ومراجعة كل ما تصل اليه يدنا من كتب التاريخ الشرقي من مطبوعة ومخطوطة في لغتنا العربية وغيرها في مكتبة دير المخلص (خلا مكتبتنا الخاصة بالتاريخ) ومكتبة باريس الكبرى ومكاتب رومية العظمى والمكتبة الشرقية الخاصة بالاباء اليسوعيين في بيروت ومكتبة الجامعة الاميركانية وغيرها مما اشرنا اليه في الفصل العاشر ولاسيما ما نُشر حديثاً من الاصول التاريخية في الكتب والمجلات العلمية.

ولا يخفى ان هذا العمل قد كلّفنا كثيراً من الوقت والعناء لا يعلمه غير الله ومن حاول البحث عن الاصول التاريخية القديمة. فان نوب الايام ودول الظلم والجهل التي توالت على هذه البلاد

عدة اجيال لم تدع الا الخراب والدمار والذهاب بكل اثر مفيد . ونحن لانأسف على ما صرفنا في سبيل ذلك لشدة رغبتنا بان نخدم طائفتنا العزيزة خدمة صادقة راهنة تتناول ماضيها لحاضرها ومستقبلها ايضاً بنشر تاريخها الصادق الذي هو تاريخ كنيسة الروم الكاثوليكية في هذه البلاد الشرقية من حينما نشأ فيها هذا الرجل العظيم القدر الطيب الذكر المطران افثيميوس الصيفي الذي حباً لها شيّد دير المخلص ليعمر الى ما شاء الله تعالى بابنائها الرهبان ذوي الغيرة الدينية على نشر ايمان كنيسة المسيح الكاثوليكية بين امة الروم الشريفة بقداسة وعلوم رجالها الاولين قبل ان بلاها بعض اولادها بشر البدع والشقاق الذي هو آفة كل اتحاد .

واذ كان حبنا لطائفتنا خالصاً لوجه الله تعالى ولدينه الحق لا نريد ان يشوب عملنا في كتابة هذا التاريخ عيب او نقص باتباعنا الميل مع الهوى والغرض دون الحق. اذ نعلم ان الايام قد تذهب بكل الاهواء والاميال والاغراض . ولا يثبت في آخر الامر في سجل التاريخ بفضل العقل والعلم الا الصدق والحق .

وباختيارنا موضوعاً لتاريخنا سيرة المطران افثيميوس الصيفي بعد ما مضى على موته نحو مئتي عام ونيّف دليل على اخلاص قصدنا الذي نتوخى به احياء آثار رجل عظيم باعماله وايمانه ليكون قدوة صالحة ومثالاً لامعاً في كنيسة الروم الكاثوليكية ونموذجاً كاملاً للرعاة الصالحين ولرهبان دير المخلص الذين ينتسبون اليه

والى ديره الذي أنشاه لصلاح ولخير كل من اراد العيشة الرهبانية فيه من ابناء ملة الروم لتكون كنيسة الروم الانطاكية كلها كاثوليكية محضة بان يشترك كل بطاركتها ومطارنتها واكليروسها وشعبها بالايمان والاعمال المسيحية بوحدة دينية مع الكنيسة الكاثوليكية المنتشرة في العالم كله من اقصى المسكونة الى اقصاها كما يقول لنا عنها القديس باسيليوس الكبير في قداسه . لا ان تخضع الى بطاركة القسطنطينية اليونان بحجة الاستقلال والحرية او حباً للطقس اليوناني القديم مهما كان جليلاً وجميلاً او تبعاً لتقاليد قديمة بتعصب لا صواب فيه ولا حكمة . بل هو يفسد الوحدة الجوهرية في كنيسة المسيح الكاثوليكية .

فتاريخنا هذا اذاً هو تاريخ مفصّل لكنيسة الروم في عصر اصلاحها واتحادها بكنيسة رومية وعودتها الى وحدتها الاولى بالخضوع لرأسها العام الاعظم الحبر الروماني بكل اخلاص . فهذا ما كان يقصده المطران افثيميوس ولاجله جاهد هذا الجهاد النفيس الذي قضى حياته في سبيله ليكون لله من الروم شعب مقدس .

فكتاب سيرته يبسط لنا اعماله في ملة الروم لاتحاد كنيستهم مع كنيسة رومية ام جميع الكنائس ونقطة دائرة وحدتها كما كانت قديماً في ابان عزها ومجدها في عهد قياصرة الروم المسيحيين وعهد قديسيها العظام لان كنيسة الروم و كنيسة رومية واحدة بالاصل والحقيقة ولم تكن تختلف الواحدة عن اختها الا ببعض

الظواهر التي لا يُعتدُّ بها كثيراً لانهـا اذ نشأت اصلاً في عهد ملوك الروم وانتشرت شرقاً وغرباً ضمن مملكتهم الواسعة دعيت في الشرق كنيسة الروم وفي الغرب كنيسة رومية . فالفرق اذاً في الاصل يسير وبالظاهر فقط . لكن مع الايام اتسعت شقة هذا الخلاف او الشقاق بين الفريقين . ومن ثم كانت غاية المطران افثيميوس اصلاح ملة الروم التي هي ملته العزيزة وازالة الشقاق الذي قسم وفرّق مـا جمعه الله في كنيسته الواحدة . فهو اذاً رسول الاتحاد ومصلح الشقاق ومجدّد كنيسة الروم الكاثوليكية في هذه البلاد الى ما شاء الله تعالى .

فاذا وجدت في كتابنا ايها القاري، الكريم عيباً او خللاً فسُدَّه بكرم سجيتك وسدّده بسديد صوابك وكفانا عذراً في هذا حسن قصدنا في عملنا على ما ذكرناه لك من أمر الرؤساء الذين يحق لهم الامر علينا بمثل هذا . بل انهم راموا ان يتفضّلوا علينا بحسن رضاهم عن ذلك شفاهاً وخطاً باستحسانهم العالي لما كنا ننشره منه تباعاً في رسالتنا المخلصية . وحسبنا شرفاً لنا ولكتابنا نص مشرّفة رئيس احبارنا غبطة بطريركنـا الكلي الطوبى بهذا الشأن وما جادبه سيادة الاحبار الاجلاء خلفاء المطران افثيميوس في كرسي صور وصيدا مع ابينا العام وقد احببنا ان نزين برسائلهم صدر كتابنا شاكرين لهم عطفهم الابوي وداعين لهم جميعاً بطول العمر .

بطريركية
انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق
للروم الكاثوليك

القاهرة في ٢ فبراير سنة ١٩٣٨

حضرة الاديب العزيز الخوري فسطنطين بانا المخلصي المحترم

تحية ابوية ودعاء وبركة رسولية

طالعنا « سيرة الطيب الذكر المطران افثيميوس الصيفي رئيس اساقفة صور وصيدا » . إنّ كتابكم هذا والحق يقال هو تحفة حقّقتم بها أمنيّة غالية شاملة لانكم أزحتم ستاراً تجلّى عنه ماضٍ بعيد كادت الايام تخفي امجاده ، وحقائق أقل ما نقول فيها انها سلسلة حيوية تصل حاضر الطائفة بذلك الماضي المجيد . على أنّ ذلك الرجل الرسولي المطران افثيميوس الصيفي الذي كانت حياته كنزاً دفيناً في تاريخ الطائفة لم يقتصر في عمله ، على ان يكون مؤسّساً للرهبانية المخلصية ، بل كان ايضاً رسولاً غيوراً في الكنيسة ، ومعترفاً حقيقياً بالايمان الكاثوليكي على مثال المعترفين الاولين . فسيرته هذه وتأسيسه الرهبانية المخلصية ، مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الطائفة جمعاء ، حتى ليصح أن نقول ان مُؤلفكم هذا هو القسم الاول والاساسي لذلك التاريخ الطائفي الشامل الذي ننتظره من علمكم الواسع . ولذلك اطلقنا

عليكم بكل صواب لقب « مؤرخ الطائفة ».

فيلذُّ لنا أن نعرب لكم أيها الابن العزيز عن سرورنا العظيم بعملكم، واجمل ما في هذا الاعراب دعاؤنا الابوي الحار بان يمتّعكم الله تعالى باطيب الصحة واضمن النشاط وان يمد بحياتكم الثمينة لتتمّوا هذا العمل فيتخلّد به اسمكم بالذكر الجميل امام الله والناس. وعلى هذا نكرّر لكم مع الدعآء التحية الابوية والبركة الرسولية.

كيرلس التاسع
بطريرك انطاكية والاسكندرية
وارشليم وسائر المشرق

مشرفة نظيرها من سيادة الحبر الجليل كيريوس نقولاوس مطران الابرشية الصيداوية العزيزة الكلي الشرف والوقار ننشرها مع جزيل الشكر الخالص لسيادته.

لحضرة الاب الجليل الخوري فسطنطين باشا بارم الجزيل الاحترام

سلام بالرب وبركة ودعآء.

تلقّينا بشكرٍ وسرورٍ هديّتكم الثمينة المتضمّنة القسم الاول من تاريخ الرهبانية المخلصية اعني حياة المثلث الرحمات سلفنا السعيد الذكر افثيميوس الصيفي رئيس اساقفة صور وصيدا ومؤسس الرهبانية المخلصيّة وقد جمعتموها بجدكم المعروف استناداً الى اوثق المصادر. فجاءت صفحة لامعة من حياة المترجم وسفراً

جليلاً من تاريخ كنيستنا الملكية الحديث جامعاً لشتى المعلومات عن تجديد الحياة الكاثوليكية في شرقنا على يد صاحب الترجمة الحبر الابر وعما قاساه في هذا السبيل من اتعاب واعذبة متنوعة مدافعاً عن الايمان بحرية رسولية بالقول والعمل الى ان توصّل بفضل جهوده وجهود رهبانه الذين انشأهم خصيصاً لهذه الغاية الى نشره وتثبيته في كافة ابرشيات الكرسي الانطاكي.

ولا بدع فالمطران افثيميوس الصيفي من الرجال العصاميين الافذاذ والاساقفة العظام الذين جمعوا في شخصيتهم الى مواهب طبيعية بارزة قداسة راهنة وعلماً واسعاً وقد دُعي بحق في زمانه «قفة العلم». فرجلٌ هذه صفاته امتاز من جهة مركزه الديني لكونه المتقدّم بين اساقفة الكرسي الانطاكي واضحى بغيرته على الدين قبلة انظار الشرق والغرب ومحط آمال رومة نفسها التي ناطت به تدبير شؤون الكراسي الاسقفية التي لم يكن لها رعاة كاثوليكيون. لا شك بان رجلاً كهذا يحتلّ في تاريخ طائفته المقام الاول بل قد اصبح بمنزلة القطب من الدائرة. وفي هذا ما فيه من الاهمية بالنظر الى الترجمة التي نحن في صددها اذ يخرج بها من حد ترجمة خصوصية الى نطاق اوسع يعمّ حقبة بكاملها تمتدّ من سيامة افثيميوس مطراناً على صور وصيدا نحو سنة ١٦٨٢ حتى وفاته التي حدثت سنة ١٧٢٣ اي مدة تنيف على الاربعين سنة.

فنهنئكم ايها الاب المفضال باخراجكم هذا الاثر النفيس،

ونشكر لكم هذه الباكورة الحلوة اللذيذة التي شئتم ان تتحفونا بها في مثل هذه الآونة لتذكرونا بالسلف المجيد صاحب الفضل العميم على الطائفة الكاثوليكة . فخبر هذه صفته هو مفخرة من مفاخر الشرق ودرة فريدة في تاريخ البطاركية الانطاكية كان من الواجب اخراجها من دفائن التاريخ وابرازها الى العيان اظهاراً للفضل واعترافاً بالجميل . وكما ان الفضل في تجديد الكثلكة في كنيستنا الملكية يعود الى صاحب الترجمة كما اشرنا كذلك يسرنا ان نعتبر ترجمته كحجر الزاوية لتاريخ الطائفة الذي اعتزمتم نشره راجين ان تتابعوا ابحاثكم الشائقة وتقدّموا لنا حيناً بعد حين صفحة جديدة من مفاخر آبائنا لنتذكر افضالهم وننشط للسير على آثارهم .

وهي فرصة ننتهزها لنجاهر بفضل الرهبانية المخلصية العزيزة على الطائفة في زمان المؤسس وبعده فقد احتضنتها منذ نشأتها ورافقتها في كل اطوارها من بدء القرن الثامن عشر حتى ايامنا متعهّدة اياها بسائر انواع التضحية الى ان وصلت الى ما هي عليه من نمو وازدهار ، داعين لهذه الرهبانية الجليلة باطراد النجاح سيراً على خطة مؤسسها الكريم وتحقيقاً لغايتها الشريفة السامية .

وعربوناً لشكرنا الحميم وصادق اعزازنا لكم وتقديراً لجهودكم ايها الاب العزيز نسأل المخلص ان يوالي عليكم نعمه الالهية وان

يأخذ بيدكم لتتمّوا ما بدأتم به لمجده تعالى ورفع شأن كنيسته المقدسة، مكررين لكم مع الدعاء البركة الرسولية ثانياً وثالثاً.

صيدا في ٤ شباط سنة ١٩٣٨

† تقولاوس
مطران صيدا ودير القمر
وما اليهما

مشرفة من سيادة الحبر الجليل متروبوليت صور الكلي الشرف والوقار

حضرة الاب الحبيب الخوري قسطنطين الباشا مؤرخ الرهبنة المخلصية

الجزيل الاحترام

نفيس وجليل مؤلفكم في حياة سالفنا المثلث الرحمات المطران افثيميوس الصيفي. ووافر المنافع وجمّ الفوائد كل ما نشرتموه هنالك من المباحث المنثورة والحقائق المأثورة. ولا نخالكم نسيتم ايها الاب المفضال ان غاية الرهبنة المخلصية يوم ابرزت مجلّتها «الرسالة المخلصية» في عهد رئاستنا العامة لم تكن لخدمة الدين والعلم فقط بل لتفسح لكم مجال العمل وتوفر لكم وسائل التأليف فتتمّمون ارادتنا الصريحة بوضع تاريخ سديد محكم للرهبنة الكريمة. لاننا نعلم حق العلم بمقدرتكم وسعة اطلاعكم في علم التاريخ ولاسيما الشرقي، وقد كنتم قضيتم السنين الطويلة في الدرس والتنقيب وكابدتم الاسفار الشاسعة وتجشّمتم النفقات الباهظة فجمعتم الادلة والوثائق ووعيتم من

الاخبار والمعارف ما جعلكم من اكابر مصنفي التاريخ كما شهدت بذلك كتاباتكم الكثيرة .

والآن ، وقد جاء كتابكم المذكور مصداقاً لتلك الاماني ، جامعاً لمآثر سالفنا الخالد الذكر ، وموضحاً لتاريخ نشأة الرهبنة المخلصية الكريمة ، ومستوعباً لأهمّ حوادث الطائفة العزيزة فليس لنا الا ان نقدّر اتعابكم حق قدرها ونقابل جميل صنعكم بجميل الثناء عليكم .

فنسأل المخلص ان يوليكم من فيض نعمه وغزير بركاته ما يجعلكم تتابعون بكل توفيق ونجاح اعمالكم المبرورة ومساعيكم الشريفة بمنه تعالى وجزيل احسانه وفضله .

† اغابيوس نعوم
متروبوليت صور

عن صور في ١٢ شباط سنة ١٩٣٨

مشرفة من سيادة الرئيس العام

لحضرة الاب الجليل الخوري فسطنطين الباشا ب م المحترم الاحترام

تحية ودعاء بالمخلص .

ما زلنا نعلّل الآمال ، ايها الاب الجليل ، بالنظر الى انجاز تاريخ رهبانيّتنا وما زالت ابصار ابناء الرهبانية المخلصية كلهم شاخصة اليكم ، وانتم مؤرّخها البحّاث الضليع . بل لا نخالنا نغالي اذا صرّحنا بان ابناء الطائفة العزيزة ، التي أسست الرهبانية لاجل حفظها وانمائها وازدهارها ، ما برحوا يظهرون الرغبة

ويعقدون الامل على ان يحصلوا على تاريخ التي يدعونها رهبانيَّتهم . وكم منهم من طلب الينا ان نحرّضكم على الاخذ بهذا العمل المجيد معتقدين ان تاريخ الرهبانية هو تاريخ الطائفة وان الواحد يمتزج بالآخر حتى لا يمكن فصلهما .

ويحقّ للجميع ان تضطرم فيهم هذه الرغبة المقدسة ، لانها تشفُّ عن عاطفة شريفة وتنمُّ عن آمال مجيدة . وهل اشرف للخلف من معرفة تاريخ السلف ؟ وهل امجد للابناء من تاريخ الاجداد والآباء ذوي الماضي الاثيل والاعمال الفاضلة ؟ فانما الابناء يحيون بتاريخ الاجداد وتنتعش له نفوسهم وتهشُّ له قلوبهم وحسبهم به مجداً وفخراً !

على انكم ما زلتم تسعون جدَّ السعي منذ اول عهد حياتكم الكهنوتية في جمع شتات المستندات والمصادر ليحوز بها ما تكتبون وتنشرون ملء الثقة ولتكونوا في مأمن من لوم الناقدين . ولا غروَ فان الرهبانية لمّا آنست فيكم الابن الغيور على مفاخر ابائها وألفت فيكم الاب الهمام لدرس هذه المفاخر الخفية في بطون التاريخ ، اوفدتكم الى صروح العلم وارسلتكم الى اواسط الابحاث لتطالعوا وتجمعوا وتلتقطوا ما يصل الى يدكم من معلومات ثابتة وكتابات نفيسة . فأتيتم على مهمتكم هذه بكدٍّ لا يعرف الملل وثباتٍ حريٍّ بكل ثناء واعتبار .

فأخذتم تحبّرون المقالات المنفردة في مختلف المواضيع

التاريخية ولا سيما فيما يخص شرقنا هذا ، الى ان تسنى لكم ان تأخذوا بطريقة رسمية متتابعة بنشر ما كان له جلّ مهمتكم واسمى امانيكم . عنينا به تاريخ امكم الرهبانية التي نعلم حق العلم كم تغارون عليها وها قد برز بعون المخلص الجزء الاول الذي خصصتموه لمؤسس الرهبانية الابر الهمام افثيميوس الصيفي الحبر الجليل والراعي الصالح الذي على مثال المخلص الذي انتمى اليه وأسس الجمعية باسمه ، قد وضع نفسه ، عن خرفانه حافظاً اياها من الذئاب الخاطفة وحارساً لها من البدع ، فقد ابنتم شخصيته البارزة واظهرتم نفسه العالية بين الاضطهادات لاجل حفظ وديعة الايمان . ولا شيء يصقل النفس ويظهر حبها للفادي الكريم مثل الاضطهاد .

فنثني على همتكم ونجلّ غيرتكم وجهدكم المتواصل في نشر تاريخ الأم الرهبانية . وليس لنا ان نحرّضكم على متابعة النشر بكد ونشاط حتى يتسنّى لنا ان نرى انجاز المجلّد الثاني وما بعده ، فلستم بحاجة الى مثل هذا التحريض .

نطلب الى المخلص الجوّاد ان يأخذ بيدكم في متابعة عملكم هذا المجيد وان يمنّ عليكم بالقوّة الكافية ويمد بحياتكم لتنجزوه على احسن حال لمجد اسمه ولخير الطائفة العزيزة والرهبانية المحبوبة .

اخوكم الارشمندريت

تقولا برشر

اب عام ب . م .

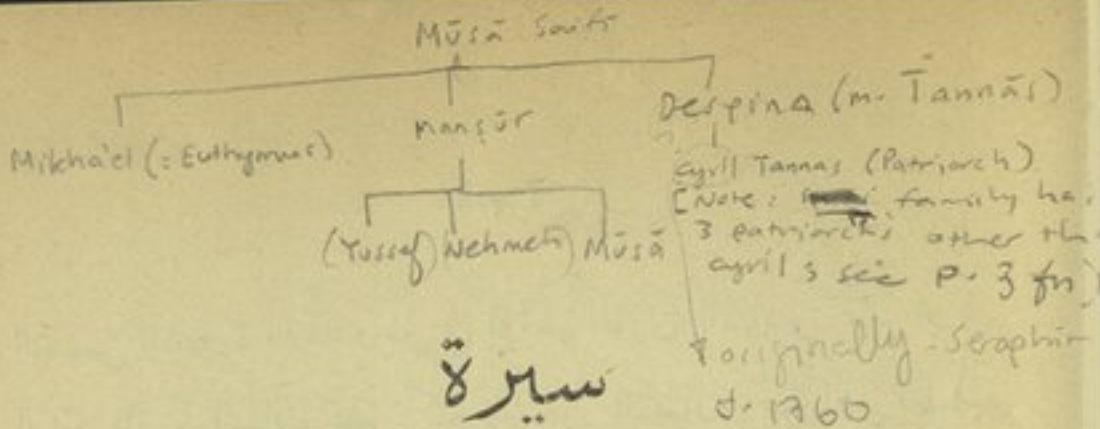

سيرة

المطران افثيميوس الصيفي

رئيس اساقفة صور وصيدا

﴿ الفصل الاول ﴾

اسرة الصيفي

اصلها وفروعها ومشاهير رجالها

من راقه طيب الورد يسأل عن اصله الطيب . ومن أعجب بنوابغ الرجال يشوقه ان يعرف اصلهم وأهلهم ليؤدي لهم ما يحق لهم من المديح وحسن الذكر بحق اولادهم الذين انجبوهم ونبغوا بفضل عنايتهم وحسن تربيتهم . ولا سبيل للعاقل ان ينكر فضل تربية الوالدين لنجابة اولادهم ونبوغهم. ولهذا ينبغي لنا ان نصدّر ترجمة هذا الحبر الجليل بفصلٍ خاصٍ عن اسرته وفروعها ومشاهير الرجال الذين نبغوا منها وانتموا اليها .

يظهر ان اصل هـذه الاسرة المباركة من بعلبك مدينة

الشمس الشهيرة . وقد رحل في اواخر القرن السادس عشر او في اوائل القرن السابع عشر كثيرون من النصارى من اهل بعلبك الى دمشق لظلم الامرآء بني الحرفوش حكام تلك البلاد المشهور امرهم . وكان في عداد هؤلاء المهاجرين موسى الصيفي وابوه واخوته وبعض اقاربه حتى صاروا هناك في اول القرن الثامن عشر اصحاب عزوة كبيرة من أعزّ الاسر النصرانية في دمشق .

ولم يكن موسى الصيفي المذكور فقيراً في حال دنياه ولم يكن من اهل الغنى الواسع في دمشق — اذ لم يكن سبيل للنصارى في ذلك العهد ان يسلم مالهم وتسلم نفوسهم اذا ظهرت عليهم نعمة او زاد مالهم عن حاجتهم — بل كان متوسط الحال يعيش مثل اكثر النصارى في دمشق من عمل يده بصناعة الخياطة والتجارة بما يلزم لها من نسيج الحرير والصوف والجوخ والقطن والقصب وامثال هذه . وقد تزوّج بكاترينا الدباس — كما نقل لنا هذا المرحوم الاب كيرلس حداد عن اوراق قديمة بخط يد المطران باسيليوس فينان احد تلاميذ المطران افثيميوس — وكانت فتاة حسنة الخَلق والخُلق مهذبة عاقلة تقية كشأن اكثر بنات الاسر القديمة المسيحية لذلك العهد بدليل ما انجبت من الاولاد الذين سيأتي ذكرهم .

3 Patriarchs from Dabbas family

وكانت اسرة بيت الدباس في ذلك العهد من أعز الاسر النصرانية في دمشق . وقد نبغ منها في القرن السابع عشر ثلاثة بطاركة انطاكيين [١] . لكن لا نعلم سبب اتصال نسب كاترينا المذكورة بهم او باحدهم . ولم يزل في دمشق الى اليوم بقية صالحة من هذا البيت الكريم القديم من طائفة الروم الكاثوليك وغير الكاثوليك ايضاً .

وفي اخر القرن السابع عشر رحل من دمشق الى القدس الشريف الخوري فضل الله الدباس واستوطن فيها . وهو والد البطريرك اثناسيوس الدباس الثاني . ومن هناك تفرّق اولاده واحفاده في اللد ويافا وعكا . ورجال الفرع اليافاوي اليوم من اعز اعيان طائفة الروم الارثوذكس في يافا بوجاهتهم وغناهم . والفرع العكاوي اضمحل اليوم ومنه القس اثناسيوس الدباس الذي أسس دار الوكالة المخلصية القديمة في رومية العظمى سنة ١٧٧٠ في شارع (Via Longar) واخوه القس جبرائيل الذي كان وكيل مطران عكا في عهد احمد باشا الجزار وارتسم مطراناً على صور

---

(١) الاول منهم اثناسيوس من سنة ١٦٨١ – سنة ١٦١١ . والثاني كيرلس اخوه من سنة ١٦١٩ – سنة ١٦٢٨ . والثالث اثناسيوس من سنة ١٦٨٦ – سنة ١٧٢٤

سنة ١٨١٠ باسم كيرلس الدباس[1] .

وعلى اثر حوادث سنة ١٨٦٠ رحل من دمشق البعض منهم واستوطنوا بيروت وكانوا في كلا البلدين من ذوي الوجاهة والفضل . ومن الفرع البيروتي الاستاذ شارل بك الدباس الرئيس الاول للجمهورية اللبنانية .

عودٌ — ونحو سنة ١٦٤٣ رزق الله موسى الصيفي المذكور من امرأته كاترينا الدباس ولداً دعاه يوم عماده مخائيل ودعي بعد ذلك افتيميوس وهو بكر اولادهما وسيأتي عليه الكلام مفصلاً ان شاء الله تعالى .

ثم رُزقا بعد ذلك ولداً آخر سمياه منصوراً[2] . وبعد ان تعلم مبادي القراءة والكتابة والحساب على عادة اهل اليسار في ذلك الزمان في المدرسة البطريركية ، تعلّم صناعة الخياطة على يد والده وبرع فيها حتى غلب عليه فيما بعد لقب « الاسطا منصور الخياط »

ولاستقامته في اعماله وبراعته بصناعته تقرّب الى وزراء دمشق ونال من عثمان باشا ابي طوق لقب « طرزي باشى » بالتركي

---

(١) يدعوه غلطاً مختصر تاريخ الطائفة المطبوع باسم كيرلس خباز

(٢) يظهر من احد المراسلات القديمة ان منصور المذكور هو ابن عم المطران افتيميوس بينما يذكر في كثير منها انه كان اخاه .

(٥)

اي شيخ الخياطين. وكان منصور المذكور من ذوي العقول الراجحة والتقوى الراسخة والغيرة الدينية النادرة في دمشق حتى كان يعتبر فيها عين اعيان النصارى وكان حسن السمعة في البلاد، فان لويس الرابع عشر ملك فرنسا منحه براءة شريفة جعله بها تحت حمايته مع لقب وكيل دير الرهبان الفرنسيسكان بدمشق[1]. وكذلك البابا اكليمنضوس الحادي عشر شرّفه سنة ١٧١٣ بلقب فارس من ذوي الركاب الذهبية[2]. وقد وجدنا له في دار سجلات مجمع انتشار الايمان في رومة مراسلات كثيرة مهمة بخط يده ارسلها الى ارباب المجمع المذكور والى الباباوات يستنهض بها همتهم لحماية ابناء طائفته ومساعدة اخيه المطران افثيميوس وابن اخته البطريرك كيرلس طاناس ومطارنته. وقد نقلنا كثيراً منها لاشتمالها على فوائد جمة ومهمة لتاريخ طائفتنا في ذلك العهد.

واذ كان منصور الصيفي يجاهد في سبيل الايمان الكاثوليكي

---

(١) كان لقب وكيل الديرة في فرنسا (Procureur) يمنح ببرآءة شريفة بامضآء الملك. وكان اصحابها في تركيا من ذوي البرآءات ولهم امتيازات مهمة كتراجمين السفارة والقناصل.

(٢) ويقال له بالايطالياني : Caveliere della Sperone d'oro

وبالافرنسية : Cavelier d'Eperon d'or

الجهاد الحسن كان عرضة لسهام اعدائه . ولذلك سعوا في حبسه ونفيه مراراً . فنفي وسجن اولاً سنة ١٧٢٣ في قلعة صيدا مع اخيه المطران افثيميوس بدعوى انه افرنجي وتابع البابا. وكان الاتراك يعتبرون في ذلك العهد بموجب شرع الاسلام البابا واتباعه اهل حرب واعداء لهم . لكن ما لبث ان خرج المطران مع اخيه وكل رفاقه مبرّرين من هذه التهمة بحكم قاضي صيدا كما سيأتي بيان ذلك في محله . ثم جدّد خصوم منصور تهمهم له حتى سُجن ثاني مرة سنة ١٧٢٦ في قلعة دمشق. وقد ذكر ذلك في بعض رسائله المشار اليها مفتخراً بهذا شأن المسيحي الصادق الذي يجعل افتخاره بصليب الرب والصبر على كل اضطهاد وشدة لاجل الله ولاجل الايمان به . ثم انه حُرم من بطاركة الاروام في المجمع الذي عقدوه في القسطنطينية سنة ١٧٢٣ و١٧٢٥ ضد الروم الكاثوليك .

وتزوّج منصور في دمشق ورُزق ثلاثة اولاد وهم يوسف ونعمة وموسى ، صار كل واحد منهم اصلاً لعدة فروع لا يسعنا ذكرها كلها ولا سبيل لنا الى ذلك

فقد وجدنا عريضة ارسلها الى رومية اعيان طائفة الروم الكاثوليك بدمشق في ١٦ كانون الاول سنة ١٧٢٣ بامضاوات يوسف ونعمة الصيفي . وكذلك وجدنا في لائحة انتخاب الخوري سيرافيم طاناس للبطريركية الانطاكية سنة ١٧٢٤ امضاوات

منصور ويوسف ونعمة وموسى وسمعان وخليل وكلهم من بيت الصيفي . وفي عريضة الشكوى التي قدمها البطريرك الدخيل سلفستروس القبرصي الى وزير الشام سنة ١٧٢٥ ضد اعيان الروم الكاثوليك من اهل دمشق طالباً نفيهم لكونهم افرنجاً وتابعين البابا اسم وجدنا منصور الصبي وولده يوسف بهذه الصيغة التركية « طرزي منصور واوغلي يوسف » .

ثم ولد لموسى ايضاً ابنة دعاها تسبينا وهو تحريف ذسبينا باليونانية[1] قد احسن تربيتها نظير اخوتها . ولما شبَّت اقترنت بنصر او نصر الله طاناس من دمشق . وتوفاها الله بعد رجلها عن ولدين أخذ اخوها المطران افثيميوس على نفسه تربية الصبي وتعليمه حتى شبَّ وترهب في دير المخلص ثم رسمه شماساً باسم سيرافيم وارسله الى مدرسة انتشار الايمان في رومة سنة ١٧٠٢ ليكمل علومه فيها . وبعد ان أتم دروسه هناك عاد الى الشرق سنة ١٧١٠ فرسمه خاله كاهناً وفوَّض اليه اعمال الرسالة في ابرشيته وسواها حتى نال من البطريرك كيرلس الحلبي لقب «واعظ البطريركية الانطاكية» وبعد موت خاله المطران افثيميوس سنة ١٧٢٣ انتخبه شعب الابرشية خليفة له . لكن البطريرك اثناسيوس الدباس حينئذٍ ابى ان يرسمه

---

(١) اسم يوناني (Δέσποινα) معناه السيدة . وهو من القاب مريم العذراء اعتاد المسيحيون تسمية بناتهم به تبركاً باسمها

خوفاً من غضب بطاركة اليونان . وما عتّم هذا البطريرك ان استأثرت به رحمة الله سنة ١٧٢٤ فانتخب اهل دمشق الخوري سيرافيم المذكور خلفاً له ورسمه مطارنة البطريركية الانطاكية الروم الكاثوليك في ٢٠ ايلول بالحساب الشرقي القديم من تلك السنة في الكنيسة البطريركية المشهورة الى اليوم بالكنيسة المريمية ودعي كيرلس . وتوفاه الله في اول سنة ١٧٦٠ .

واما البنت فقد تزوّجت برجل من دمشق لم يصل الينا اسمه كما لم يصل الينا اسمها وولدت منه ابنة تزوّجها جوهر العشي من دمشق وهي والدة البطريرك اغناطيوس جوهر الذي تنازل له خاله كيرلس عن البطريركية ورسمه بيده بمعاونة اكثر مطارنته في آخر سنة ١٧٥٩ .

ولا يزال في دمشق الى اليوم من هذا البيت فرع غلب عليه لقب بيت المكتّف ومن افراده المرحوم خليل بن انطون بن جرجس بن انطون المكتّف الذي توفاه الله في القدس الشريف سنة ١٩٢٠ بوظيفة كوميسير البوليس ، واخوه نخائيل المتوفى سنة ١٩٣٣ في مصر القاهرة ، وابن اخيهما الوجيه الخواجا انطون سليم المكتّف من كبار التجار واعيان الطائفة في دمشق ، وهو رجل برٍ وعضوٌ غيور في عدة جمعيات خيرية فيها .

ومن هذا الفرع الخوري عازار بن يوسف الصيفي المكتّف

ب م الذي نذر سنة ١٨٣٢ وارتسم كاهناً سنة ١٨٣٧ ومات قتلاً في دمشق في حوادث سنة ١٨٦٠ المشهورة . وابن اخيه الخوري اغابيوس الصيفي المكتف ب م الذي نذر سنة ١٨٤٨ وارتسم كاهناً سنة ١٨٥٣ وتوفاه الله بالرسالة في المحلة الكبرى من مصر سنة ١٨٨١ .

وفي دمشق فرع آخر لا يزال يسمَّى بالصيفي عرفت منه الاستاذ انطون فضلو بن انطون بن يوسف الصيفي وقد وقضى زهرة عمره بالتعليم في مدرسة طائفة الروم الارثوذكس التي انضم اليها جده لسبب دخول الحساب الغريغوري سنة ١٨٥٨ وله اخ نجار في دمشق اسمه سليم ، وآخر في امير كة . وكان لهم اخ في روسيا اسمه نعمان من كبار رجال الحكومة في عاصمتها .

ولسبب الاضطهاد الذي اثاره البطريرك سلفستروس القبرصي بقوة الحكومة العثمانية على الروم الكاثوليك وأخصهم بيت الصيفي هاجر فريق منهم الى مصر . وقد وجدنا في عريضة مرسلة من اعيان طائفة الروم الكاثوليك الذين في مصر الى رومية في ٣٠ كانون الاول سنة ١٧٣٠ امضاء موسى منصور الصيفي ، وفي عريضة ثانية نظيرها كتبت سنة ١٧٣٨ أمضاها اعيان الطائفة الذين في مصر فيها امضاوات نصر الله ومخائيل ومنصور وموسى الصيفي .

ونظن ان من الفرع المصري انطون الصيفي الذي مات في مدينة

لندرا ايام الحرب بدون عقب عن ثروة واسعة احرزها بالتجارة هناك ولم يتحقَّق للحكومة الانكليزية لمن تحقّ هذه التركة من بيت الصيفي . وربما كان المذكور ابناً لحنا يوسف الصيفي . وكان حنا المذكور يقيم في مصر القاهرة ويسكن في دار بدرب الجنينة نصفها وقف لدير المخلص . وفي جدول الاعياد التي ترتّب توزيعها على اعيان الطائفة بامر البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٣٨ أعطي له عيد ثاني العنصرة . وكان يقدّم ما يلزم للاحتفال بهذا العيد في الكنيسة البطريركية هناك الى سنة ١٨٤٨ .

وفي لندرا اليوم الاستاذ اسكندر الصيفي سافر اليها منذ خمسين سنة . وتعين استاذاً للغة العربية في احدى مدارسها الكبيرة وهو مؤلف كتاب المنارة التاريخية لمصر الوثنية والمسيحية المطبوع في مصر سنة ١٩٢٥ . وهو ابن يوسف ابن الخوري جبرائيل الصيفي . وجدّه الخوري جبرائيل المذكور اضطر ان يغادر دمشق فراراً من ظلم حكامها وأقام مدة في زحلة معتصماً بحماية الامير بشير شهاب ثم انضم الى ابرشية بيروت . وقد أوقف ابنه يوسف كتاب الانخولوجيون الذي كان يخصه بخط ولده يوحنا الى كنيسة دير مار سمعان بجوار كفرعقاب على يد المرحوم اغابيوس الرياشي مطران بيروت سنة ١٨٤٥ كما أفادنا حضرة صديقنا الاستاذ عيسى المعلوف . وقد وجدنا في صك

مشترى كنيس اليهود القرّائين في حارة زيتون في دمشق حيث قامت الكنيسة البطريركية ، بين اسماء اعيان الطائفة الذين اشتروه سنة ١٨٣٢ ، اسم نعمة قسطا منصور . ثم وجدنا في عريضة امضاها اعيان الطائفة في دمشق بتاريخ ١٥ تموز سنة ١٨٥٨ امضاء ولده يوسف نعمة منصور . وقد اوقف الياس بن فرنسيس بن الياس الاسطا داراً له في محلة القصبة المعروفة في دمشق على كنيسة الروم الكاثوليك بحجة شرعية بتاريخ سنة ١٢٨١ هجرية الموافقة لسنة ١٨٧٨ مسيحية ومات الياس المذكور سنة ١٨٧٨ بدون عقب فورثه نسيبه يوسف نعمة منصور بموجب حكم شرعي من قاضي دمشق مسند الى قرار من البطريركية . وقد عرفنا من هذا الفرع المرحوم خليل بن اليان بن نعمة منصور الذي توفاه الله في مصر بعد الحرب العامة . وامه مريم ابنة يوسف الصيدناوي شقيقة سمعان وسليم بك صيدناوي (ويوسف المذكور قبله هو عمه) . وله اخ اسمه نعمان من تجار مدينة منشستر من بلاد الانكليز . وابناء خليل المذكور وابناء اخوته يشتغلون بالتجارة في مصر وفي محلات صيدناوي الكبيرة المشهورة هناك .

وفي قرية جب جنين من البقاع الشرقي اسرة يقال لها بيت الصيني لا يعرف احد منهم اتصال نسبتهم باقاربهم في دمشق .

ونرجّح ان جدهم الاعلى الذي استوطن جب‌جنين اتى اليها من بعلبك مثل كثيرين من سكان البقاع الذين هاجروا من بعلبك بسبب ظلم الامرآء بني الحرفوش فيها او بعد خراب بعلبك بالزلازل التي وقعت سنة ١٧٥٩ كما هو مشهور . وكذلك في قرية بشمزين من كورة طرابلس في شمال لبنان اسرة يقال لها بيت الصيفي نظن ان جدهم الاعلى هاجر اليها من بعلبك في القرن الثامن عشر مع كثيرين الذين استوطنوا قرى شمال لبنان على اثر خراب بعلبك سنة ١٧٥٩ .

الفصل الثاني

في ميلاد صاحب الترجمة وتأنه

Euthymius b. c. 1643 [father: Saifi; mother: Dabbas]

نحو سنة ١٦٤٣ وُلد في دمشق لموسى الصيفي على ما هو اقرب للصواب ولدٌ نجيبٌ من امرأته كاترينا الدباس وهو بكر اولاده ففرح هو واهله وجيرانه بمولده . وما طال الزمان حتى فرحوا بتنصيره أيضاً . ودعوه مخائيل باسم رئيس الملائكة الذي تحتفل كنيستنا بعيده في ٨ تشرين الثاني . وربما كان ميلاده او عماده في هذا اليوم او في اوائل هذا الشهر فكان هذا داعياً لتسميته بهذا الاسم . وكيفما كان سبب ذلك فقد كان المذكور

مماثلاً لرئيس الملائكة سميه بالطهارة والغيرة لمجد الله في اعماله كل حياته كما سنرى .

فاسم ابيه « موسى » ذُكر في عدة صكوك شرعية قديمة باسمه مع اسم بلده « دمشق » ولا بد لنا من نشر بعض هذه الصكوك في محلها اللائق بها . ولا عبرة اذاً بقول من قال ان المطران افثيميوس من بعلبك . ولا صحة لقول من وهم ان والدته هي اخت البطريرك افثيميوس كرمة الحموي . ولا لقول من وهم انها اخت البطريرك افثيميوس الصاقزي . فان اهل البطريركين المذكورين ليسوا من دمشق ولم يسع الوقت ان يأتي بيت كرمة الى دمشق في مدة بطريركية نسيبهم البطريرك وهي وجيزة . غير ان ابن اخت البطريرك افثيميوس الصاقزي اتى به خاله من جزيرة صاقز او شيو من بلاد اليونان ليعنى بتربيته على يد الاباء اليسوعيين فيها . ولما كبر جعله من اكليروسه . وبعد ذلك رسمه البطريرك مكاريوس الحلبي مطراناً على حماة وجعله نائباً له في دمشق واتخذ حينئذٍ صاحب الترجمة تلميذاً له ورسمه شماساً . وبعد موت مكاريوس قام ينازع البطريرك كيرلس الحلبي على البطريركية كما سيأتي بيانه مفصّلاً ان شاء الله تعالى .

وما انحل عن الفتى مخائيل قماط المهد حتى ظهرت عليه سمات النجابة فاسلمه والده الى المعلم في مدرسة الطائفة التابعة لدار

البطريركية التي نظن ان البطريرك الجديد مكاريوس الحلبي (١٦٤٧ ــ ١٦٧٢) حسَّن احوالها بمساعدة ولده الارشيدياكون بولس واختار لهـا بعض المعلمين الممتازين في دمشق بعلمهم وتقواهم . على انه مهما كان حال انحطاط المدارس فلم تكن تخلو دار البطريركية في دمشق من مدرسة يتعلَّم فيها بعض الفتيان من اهل اليسار مبادي، القرآءة والكتابة والحساب على يد بعض الكهنة او الشمامسة او العلمانيين من الاتقيآء المهذبين . وعلى ما روى لنا منصور الصيفي في احدى رسائله انه كان في دمشق لذلك العهد كاهن فاضل عالم من ابناء طائفة الروم اسمه جرجس بربق . وكان جرجس المذكور قد سافر الى رومة حيث تلقى شيئاً من العلوم في مدارسها وتخمَّر فيها بالايمان الكاثوليكي المقدس فاخذ على نفسه تعليم الاولاد في المدرسة البطريركية وكان في عـداد تلاميذه الفتى مخائيل فوجد الكاهن المذكور في نفس مخائيل من النجابة والذكاء والرصانة ما حبَّبه اليه وزداه رغبة بتعليمه فبذل عناية خاصة في تهذيبه على أتم ما يكون حتى تشرَّب مخائيل منه مع مبادي القراءة والكتابة الايمان الكاثوليكي الحار صافياً بصفآء ذهنه وسريرته . ومما يدلنا على نباهة ونجابة الفتى مخائيل منذ صغره نادرة جرت منه قد ذكرها الخوري مخائيل بريك في كتابه تاريخ البطاركة الانطاكيين المخطوط وقد خلا منها كتابه

المذكور الذي طبعه الاستاذ سليم قبعين في مصر القاهرة سنة ١٩٠٣ نلخصها بما يأتي :

اذ كان البطريرك مكاريوس الحلبي يحتفل ذات يوم بصلاة الغروب في الكنيسة البطريركية في اول عهده فيها لاحظ بين الاولاد الفتى مخائيل يقرأ في الخورص امامه بعض الصلوات بشجاعة وفصاحة نادرة على صغر سنه . وبعد ان أتمّ ذلك قبّل يد البطريرك طالباً بركته بوقار ورزانة . فسأل البطريرك حينئذٍ من كان بقربه عن اسم الفتى واسم والده فعرّفوه بذلك وذكروا له شيئاً عن نجابة مخائيل ونباهته فقال لهم متنبئاً عنه : « متى كبر هذا الولد سيأتي بالبدع »

فاتخذ الخوري مخائيل بريك كلمة البدع بمعنى البدع الدينية ليوهم ان المذهب الكاثوليكي بدعة مع ان البطريرك قصد بالبدع الامر البديع العجيب الذي هو من لوازم ذكاء عقل الفتى مخائيل كما يظهر ذلك جلياً من قرائن الحال . ولذلك احبّه البطريرك وصار يقرّبه اليه حتى اذا شبّ جعله من اكليرسه الخاص

على ان بعض الكتّاب المتأخرين — وفيهم المرحوم الخوري كيرلس حداد — ذكروا ان صاحب الترجمة تلقى العلم في مدرسة الاباء اليسوعيين الذين اتى بهم الى دمشق لهذا الغرض البطريرك افثيميوس الصاقزي سنة ١٦٣٥ وتوهّموا ان مخائيل المذكور هو ابن اخت البطريرك المذكور الذي اشار اليه الاب بسون

اليسوعي (Besson) مع ان المراد به ناوفيطوس الصاقزي المذكور سابقاً[١]. واذا صح هذا التقدير يلزم عنه ان يكون مخائيل المذكور مولوداً قبل سنة ١٦٣٠ وان يكون عمره اكثر من ثلاث وخمسين سنة حينما ارتسم مطراناً سنة ١٦٨٣ مما يستبعد جداً فضلاً عن انه ليس له سند قديم يعوّل عليه. ثم لو صح انه كان تلميذ اليسوعيين لكان هو ذكر ذلك او اشار اليه في معرض كلامه عن اعمال المرسلين المذكورين في الشرق برسالته التي ارسلها الى وزير فرنسا (M. De Pontchartrain) على يد رئيس اليسوعيين في صيدا الاب Versseau في ٥ ايار سنة ١٧٠١[٢].

ويسوغ لنا ان نلخّص مضمون هذا الفصل بأن الفتى مخائيل وضعه والده في المدرسة البطريركية اولاً اذ كان صغيراً. ولما شبّ على التقوى وحب الدرس بفضل عناية والديه ومعلمه الخوري جرجس بربق اخذ يتردّد على دير الآباء الكبوشيين واليسوعيين الذين في دمشق وهم مشهورون في كل مصر وعصر بسعة علومهم ولطف مسعاهم بجذب الشبان الاذكياء الاتقياء اليهم وتعليمهم

---

(١) راجع كتاب الاب بسون اليسوعي P. Besson. La Syrie. p. 68 وسفرة البطريرك مكاريوس الحلبي صفحة ٤٢

(٢) نشر هذه الرسالة مع ترجمتها الفرنساوية المرحوم الاب انطون رباط في صفحة ٥٣٦ من المجلد الاول من مجموعته المعروفة Documents inédits pour servir à l'histoire du christianisme en Orient.

العلم الصحيح وتهذيبهم بالتقوى والايمان الكاثوليكي . ثم صار يتقرّب الى البطريرك مكاريوس حتى كان يدعوه معلمه . و كذلك صار يتقرّب الى نائبه المطران ناوفيطس الصاقزي المذكور الذي على يده اتقن اللغة اليونانية والبسلطيكا والطقوس وما يخص معرفة توزيع اسرار الكنيسة المقدسة حتى رسمه شماساً كما سيأتي ذلك في محله ان شآء الله مفصلاً .

الفصل الثالث

في المدارس وطريقة التعليم في القرن السابع عشر

يحسن بنا ان نصف في هذا الفصل المدارس وطريقة التعليم فيها لذلك العهد بياناً لنبوغ صاحب الترجمة وامثاله بعد ان تبدّلت وتغيّرت كثيراً احوال المدارس القديمة حتى صار امرها السابق مجهولاً واضحى الكلام عنها مستظرفاً مستطرفاً لا يخلو من لذة فكاهية وفائدة تاريخية كما سيرى القاريء ، ولا سيما اذ لم نجد احداً من كتّاب العصر او المؤرخين استطرق هذا الباب قبلنا .

ان اول ما كان يتعلّمه الولد من معلمه في مدرسته ، بعد حروف الهجآء ، قدوس الله وما يليها مع الصلاة الربية بخط يد معلمه . وهي اول الصلوات التي اعتاد المسيحيون ان يتلوها في الكنيسة وفي بيوتهم ويعلموها لاولادهم منذ صغرهم لايجازها

ولسمو معانيها ولامر الرب في الانجيل بحفظها . ولذلك هي اكثر شيوعاً من كل الصلوات وقلّ من يجهلها من المسيحيين .

ثم يعلمه بعدها عشية الاحد من كتاب المزامير وهي المزمورات الثمانية الاول منه اذ يكتبها له بخط يده في دفتر او كراس لوحدها. ولم يكن يعطيه كتاب المزامير الابعد ان يكون قد تعلم قرآءة عشية الاحد جيداً وصار قادراً ان يتلو منها شيئاً في الكنيسة امام الكاهن والشعب بدون تلعثم ولا وجل .

ومتى تعلم الولد من الكتاب المذكور سحر الاحد كان يأخذه رفاقه الى بيت اهله مكتّف اليدين بمنديل لا يحلونه منه حتى تستفكه امه او احد اهله بشيء من النقول تضعها في المنديل للاولاد وتضع في احد اطرافه قطعة من النقود للمعلم اجرة او حلواناً له . وقد تكون هذه الزفّة اهم عندما يتم الولد الكتاب كله . ومهما كانت هذه الزفّة مهمة في بعض النواحي فلم تكن تبلغ حفلة الحذاق في مدارس المسلمين عندما يحفظ الولد القرآن كما لا يزال هذا جارياً الى يومنا في بعض البلدان .

وبعد ان يتمّ الولد كتاب المزامير يعطى كتاب الاكتوئخوس وهو اصغر كتاب للصلوات في كنيستنا بعد كتاب المزامير وهو من انشآء القديس يوحنا الدمشقي اصلاً باليونانيّة بأنشآء شعري مرتّب على ثمانية الحان يشمل على ايضاح اخص اسرار الديانة

المسيحية بعبارات موجزة واضحة بقطعٍ صغيرة سهلة الفهم والحفظ للاولاد بعد مراجعتها مراراً بالدرس . ومن ثم كان هذا الكتاب في ذلك العهد بمقام كتاب التعليم المسيحي الذي درج وشاع استعماله عندنا اليوم بالسؤآل والجواب على طريقة مدارس الافرنج.

وبينما كان الولد يدرس هذا الكتاب يأخذ معلمه يمرّنه على الكتابة او الخط برسم احرف الهجآء وتأليفها مع بعضها . ومتى صار الولد قادراً على ان يرسمها رسماً صحيحاً كانوا يقولون انه « صار يعرف يعلق الاسم» . وكانوا يعتبرون انه قد أتمّ بذلك دروسه الاولية . ويباح له ان يترك المدرسة الا اذا كان اهله من ذوي اليسار ولا يحتاجون اليه ليساعدهم في صناعتهم او تجارتهم واعمال معيشتهم فيدعونه في مدرسته يدرس كتاب الرسائل المعروف ويتقن الخط والحساب .

واذا كان الولد نجيباً ذكي الفؤآد يخرج من المدرسة عندما ينجز درس كتاب المزامير او قبل ذلك مستغنياً عن المعلم ومعتمداً على رغبته وحدّة ذهنه او اذا كان اهله بحاجة اليه ليساعدهم في اشغالهم حالما يصير « قادراً ان يعلق الاسم او الحرف » .

واذا اراد الشاب ان يتعلم علم الصرف والنحو والانشآء

والحساب والطب فلم يكن له سبيل الى ذلك في مدرسة اصلاً . بل يقتضي ان يدرس ذلك على يد احد العلماء في العلم الذي يريده . ومن ثم يجب ان يكون ذكياً عاقلاً وله رغبة تامة بتحصيل العلم والانكباب عليه بالدرس . ولذلك كانوا يقولون « العلم بالدم . »

وكان علم الصرف والنحو والشعر محصوراً بعلماء الاسلام لا يبيحون للنصراني ان يأخذ منها شيئاً عنهم الا اذا كان اهل الطالب من ذوي المال والجاه . وكذلك لم يكن النصارى يحفلون كثيراً بها بل كانوا يعدّونها علوماً اسلامية محضة كالفقه . ولهذا لم تكن كتابة الكتّاب النصارى تخلو من الغلط واللحن فضلاً عن العامة منهم . ومع هذا كانوا ينصرفون الى اجادة الخط العربي والانشاء بالبيان الواضح والحساب والمنطق والطب والتاريخ ودرس الكتاب المقدس ومؤلفات الآباء القديسين ولو كانوا من العلمانيين .

وكانت كتب الدرس والصلوات على اختلافها كلها مخطوطة . ولم تكن تُعرف الكتب المطبوعة في اللغة العربية الا نادراً في القرن الثامن عشر بفضل مطبعة حلب ومطبعة دير مار يوحنا الصايغ بعناية الشماس عبدالله زاخر الحلبي المشهور . ولذلك كان تحصيل العلم فى تلك الايام شاقاً جداً . وقل من كان يحسن القراءة والكتابة حتى في المدن الكبيرة ذات الشأن كدمشق وحلب وغيرهما .

وكان الشاب الطالب العلم ينسخ عادة بخط يده الكتاب الذي يريد ان يتعلم العلم فيه . وينكبُّ على مطالعته ومراجعته بنفسه مراراً حتى يفهم معانيه ويحفظ مضمونه اذا لم يتوفَّق ان يجد معلماً صالحاً يستعين به على تفهم الكتاب بشرحه او تلخيصه . ومن هذا يفهم القاريء معنى قولهم : « قرأ فلان العلم على فلان » ويسهل عليه ان يتحقَّق صحة ذلك مما اشتهر عن العلامة الشيخ ناصيف اليازجي انه حصَّل ما حصَّل من المعارف اللغوية بالمطالعة والمراجعة بدون استاذ . ومن هذا يسهل علينا معرفة السبب الذي من اجله كان العلم محصوراً لذلك العهد في بيوت بعض الخاصة من اهل الوجاهة واليسار او النوابغ وبيوت الكهنة واديرة الرهبان الذين كانوا يعنون بذلك لابتغآء الثواب والاجر . واذ كانوا ينسخون الكتب اللازمة لذلك يتمُّون كتابتها بكلمة تدلُّ على ذلك مثل قولهم « تمَّ الكتاب بحول الله الوهاب وبرجآء الاجر والثواب »

ومتى أنجز الخطاط او الناسخ كتابة كتابه في عدة دفاتر ورسم كل دفتر منها برقم يدل على مقامه ورتبته من الكتاب جمعها الى بعضها وخاطها وقصَّ اوراقها حتى تصير متساوية متناسقة وجعلها بين دفَّتين من الخشب الصلب الذي لا يقوى عليه السوس . وربما اعتاض عن الخشب بالورق المقوَّى باخذ اوراق قديمة من كتاب لا فائدة له فيه ولصق هذه الاوراق بمادة لزجة حتى تصير قوية

نظير دفّة الخشب ثم غشّى ذلك بجلد اسود او احمر . وربما جعل لكتابه حلقتين من نحاس يقفله بهما حرصاً عليه . واذا كان غاوياً به زانه ببعض الصور او الرسوم

ولم يكن يشتغل بنساخة الكتب الا من كان بارعاً برسم الخط ومعتاداً عليه في الغالب . وقد يكتب ذلك لنفسه او لسواه من ذوي الشأن . ومتى كثرت هذه الكتب عند احدهم جعلها في خزانة من خشب تُقفل عليها لا تُعار ولا تُستعار الا نادراً كأفخر المتاع . واذا كان صاحبها لا يقدر ان يصنع لها خزانة جعلها في قفة او زنبيل كان يقوم مقام المكتبة . ولهذا أطلق على صاحب الترجمة اسم « قفة العلم » كما يقال في لغة الفرنساويين عن رجل العلم Bibliothèque vivante

ومما تقدّم يتضح للقارئ النجيب مشقة تحصيل العلم في تلك الايام وفضل الذين نبغوا فيها بسعة معارفهم وسعة مدار كهم لذكاء عقولهم واجتهادهم وان باتوا لنا اقل علماً من رجال عصرنا بعد انتشار المدارس العالية والكتب المطبوعة وانتشار اللغات العلمية الحديثة التي تحمل الينا ثمرة تمدن اوروبا كالفرنساوية والانكليزية والايطليانية والالمانية بقطع النظر عن اللغات القديمة التي لم يكن سبيل الى تحصيلها الا بشق النفس وبذل كل نفيس . ومن ثم يظهر فضل صاحب الترجمة بما حصّل من العلم بذكاء عقله

وانكبابه على الدرس والمطالعة في الكتب المخطوطة اذ لم تكن تصل يده الى المطبوعة الا ما ندر مما كان مطبوعاً باليونانية ولم يكن له سبيل ان يتخرج في مدرسة مرتبة عالية . وبالتالي انه بكل حق دعي وشاع عليه لقب « قفة العلم » رحمه الله واجزل ثوابه .

الفصل الرابع

هل كان صاحب الترجمة كاثوليكياً منذ صغره مع اهله

يتبادر هـذا السؤال الى ذهن القاري، ويرغب الجواب الواضح عليه فنقول في الجواب :

اولاً : ان الفتى مخائيل كان منذ صغره نظير اهله كاثوليكياً وارثوذكسياً معـاً في الوقت ذاته عـلى مقتضى معنى الوصفين المذكورين لذلك العهد قبل ان صار كل منهما يطلق عـلى فريق خاص من طائفة الروم دون الآخر في القرن الثامن عشر بعد قيام بطريركين للكرسي الانطاكي احدهما كاثوليكي بايمانه خاضع لكنيسة رومية ام جميع الكنائس وهو البطريرك كيرلس طاناس الدمشقي الاصل المنتخب انتخاباً قانونياً شرعيـاً والمرتسم على الكرسي الانطاكي الفارغ في كنيستها المريمية المعروفة . والثاني منهما هو سلفستروس القبرصي الاصل اليوناني الجنس التابع لشقاق بطاركة

القسطنطينية في قضايا الخلاف المعروفة المرتسم منهم بعد ذلك بدون انتخاب . فكانت طائفة الروم في البطريركية الانطاكية لعهد صاحب الترجمة واحدة غير منقسمة . ولها بطريرك واحد يخضع له وينتمي اليه كل المطارنة والاكليروس والشعب . وهو مكاريوس الحلبي المشهور ثالث البطاركة الانطاكيين المتأخرين الذين امضوا صورة اعترافهم بالايمان الكاثوليكي وارسلوها الى رومية . ولم تزل محفوظة هناك الى اليوم شهادة على اقراره وان كان البعض يتهمه بالرثاء .

ثانياً : لايضاح ما تقدّم ايضاحاً تاماً شافياً ينبغي ان نعلم ان طائفة الروم الملكيين الذين في البطريركية الانطاكية لم تكن تجاهر صريحاً باتباعها شقاق الروم . اذ لم يكتب احد من بطاركتها او من مطارنتها واكليروسها شيئاً ضد تعليم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بما يخصّ قضايا الخلاف المعروفة التي هي موضوع هذا الشقاق . لكن لم يكن بطاركة انطاكية واساقفتهم واكليروسهم ورعيتهم يتحرّمون من الاشتراك بالقدسيات مع بطاركة اليونان المشاقين واساقفتهم واكليروسهم جرياً على تقليد قديم من اول عهد النصرانية لاتحادهم معهم اصلاً بالجنسية واللغة والدين المسيحي والطقس اليوناني وغير ذلك . بل لم يكن لهم سبيل الى مخالفة ذلك .

ثالثاً : لم يكن ممنوعاً حتماً اشتراك الكاثوليك ولا سيما

الروم منهم مع الروم المشاقين . بل كان الاشتراك معهم مباحاً وجارياً بالفعل شرقاً وغرباً في القرن السابع عشر . فلم يكن المرسلون يتحرّمون من الدخول الى كنائس الروم وتقديم القداس فيها والصلاة معهم على ما هو معلوم ومشهور في بعض مدن ايطاليا وبلاد وجزائر اليونان التي كانت خاضعة لحكومة البندقية وبعض البلاد التركية .

رابعاً : ينبغي ان لا نذهل عن ان كنيسة الروم كاثوليكية باصلها وجوهر ايمانها وتعليم معلميها الذي هو نفس ايمان وتعليم الكنيسة الكاثوليكية في كل عصر ومصر . وهي كاثوليكية تماماً بصلواتها وطقوسها وأسرارها . ولا يستطيع أحد ان يصمها ببدعة في ذلك بقطع النظر عن البطاركة والمطارنة والشعوب الذين تابعوهم بشقاق فوتيوس المعروف . ومهما كان عددهم ومقامهم الاجتماعي وعلمهم ونفوذهم في قومهم لم يقدروا ان يفسدوا حقيقة تعليم كنيسة الروم القديم إلّا من باب التأويل لمعنى بعض الآيات على مرادهم .

خامساً : ان الاحبار الرومانيين لم يمنعوا الكاثوليك عن الاشتراك بالقدسيات مع الروم بحتم صريح الا في العقد الرابع من القرن الثامن عشر حرصاً على سلامة الايمان الكاثوليكي في نفوس الروم الكاثوليك من الغرور والخداع بمحبة طقوسهم اليونانية

وبالمحبة الجنسية او لغير ذلك من الاسباب الصوابية .

سادساً : لم يكن سبيل للروم الكاثوليك في ذلك العهد لان يجاهروا في تركيا ، باتباع الايمان الكاثوليكي واتباع الحبر الروماني بدون ان يتعرّضوا لعداوة بطاركة الروم المشاقين ومطارنتهم واكليروسهم وشعبهم المنتشرين في كل الممالك العثمانية . وكانوا اصحاب نفوذ عظيم فيها اذ كان السلاطين من آل عثمان لا يعرفون للروم رأساً الا بطاركة القسطنطينية الذين كانوا يفوّضون اليهم الامر بتدبير جميع الروم بموجب البرآءات السلطانية التي كانوا يمنحونها لهم . ومن ثم كان الروم الكاثوليك لمجرّد اقرارهم انهم تابعو البابا يخرجون شرعاً من ذمة الاسلام والمسلمين ويحلّ لهم منهم شرعاً ما يحلّ للاسلام من عدوهم . اي كان يباح شرعاً للاسلام دم ومال الكاثوليك لمجرّد اتباعهم البابا الروماني او لمجرّد كونهم باباويين او افرنجاً او لمجرّد اقرارهم انهم على دين البابا او على دين الافرنج . لانه بموجب أقوال أيمة شرع الاسلام ان الارض تقسم الى دارين دار الاسلام ، وماسواها دار الحرب اي بلاد العدو . والنصارى الذين في دار الاسلام هم في ذمة الاسلام لانهم يتعهّدون لهم بحفظ ارواحهم واموالهم بشروط لا محل لاستيفائها هنا . ومن أخلّ منهم بهذه الشروط او تجاوزها خرج من ذمة الاسلام والمسلمين ومنها اتباع البابا الذي كان يعد كبير ملوك الافرنج .

سابعاً: لسبب هذا الاتصال الظاهر ما بين بطاركة انطاكية الملكيين وأتباعهم وبين سائر بطاركة الروم المشاقين وأتباعهم، كان الاحبار الرومانيون يعدّون كل الروم في بلاد الشرق خارجين عن طاعتهم ومشاقين لانهم كانوا جميعاً يؤلفون كنيسة واحدة وملة وطائفة واحدة وان كان افراد كثيرون منهم تابعين بكل بساطة الروح لايمان وتعليم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وبهذا الاعتبار كان الاحبار الرومانيون يشترطون على من يريد ان يكون معتبراً رسمياً كاثوليكياً ان يمضي امام شهود ثقات صورة مطبوعة يعترف فيها بايمانه الكاثوليكي. ومن ثم قد كان منهم كثيرون كاثوليكيين حقيقيين عند الله والناس لم يتيسّر لهم ان يمضوا صورة اعترافهم بالايمان الكاثوليكي رسمياً. وكان البعض منهم يمضي صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي رثآء لاجل جر منفعة خاصة لهم من المرسلين او من قناصل الافرنج وتجارهم او لغير ذلك.

ثامناً: يتضح مما تقدّم بيانه في هذا الفصل ان الروم الملكيين من البطريركية الانطاكية لم يكونوا بالاجمال في ذلك العهد مشاقين صورياً كما يقول علمآء اللاهوت اي حقيقة عن معرفة وتعمّد وعناد في ذلك وان كانوا يُعتبرون كذلك مادياً وعرفاً لاجل اشتراكهم ظاهراً مع المشاقين بصلواتهم وسائر امورهم الدينية عن بساطة نفس وصفآء نية او عن جهل يعذرون عليه

لاسباب جمة ومهمة بل قاهرة ذكرنا اخصها في هذا الفصل وبذلك كفاية لتبريرهم من اثم الشقاق الصودي المحض .

قلنا هذا بالاجمال عنهم بياناً للحالة العامة واما الافراد منهم ولا سيما صاحب الترجمة واهله بيت الصيفي فان هذا التاريخ يتكفل بما يوضحه من سيرتهم وافعالهم بانهم كانوا من خيرة الروم الكاثوليك الذين لا غش فيهم على ما كان يقصد بهذه الكلمة في ذلك العهد . وينبغي ان نذكر هنا قسماً من رسالة منصور الصيفي التي اشرنا اليها في فصل سابق عن اخيه وقد امضاها معه عدة كهنة في ٣ ايلول سنة ١٧٣٢ قال :

انه كان قسيس (اسمه) جرجس بربق زار رومية . واخذ خميرة الايمان وصحة اعتقاد الروم الخالي من الغلط . واجا الى بلده الى دمشق وتلمذ كم نفس . ومن جملتهم مخائيل الذي اسمه افثيميوس وصار مطران صيدا . . . »

انتهى المقصود من الرسالة .

وكتب صاحب الترجمة عن نفسه في رسالة الى احد اصحابه من رهبان الموارنة في كسروان بتواضع جميل وجليل قال :

« وانا الفقير الداعي أقرُّ على نفسي باني كنت في كنيسة الروم المشاقين من اكبر المعاندين للحق . فرحمني يسوع واجتذبني الى حضن الكنيسة الكاثوليكية المقدسة . وها اني اشكر الآن نعمة الله وفضله عليَّ بذلك ولا أخجل . . . »

وبهذا كفاية للدلالة على ان عامة الشعب لبساطتهم او لجهلهم لم يكونوا يدرون ماهو الشقاق وحقيقة الخلاف . واما الاكليروس

المستنير بالعلم ومن كان نظيره من الشعب فكان البعض منهم يبحثون في حقيقة هذا الخلاف ويناظرون فيه اصحابهم متى دعاهم الحال الى ذلك إما لاجل مجرّد الجدال والتنافس فيه كعادة اكثر الناس عندنا في الشرق او تحزباً وتعصباً للروم اليونان وبطاركتهم ذوي الشأن الاول في الشرق بين النصارى لدى سلاطين الاسلام. وفريق آخر منهم ممن كانوا على اتصال مع قناصل الافرنج وتجارهم والرهبان المرسلين كانوا يميلون الى الافرنج ويفاخرون بهم وبعلومهم وادابهم وتقواهم واستقامة مبادئهم بأعمالهم واشغالهم مع الناس وشدة اعتصامهم بدينهم وممارستهم واجباتهم الدينية بتقوى وعبادة وكانوا ايضاً يفاخرون بملوكهم العظام وخضوعهم كلهم للبابا الروماني راسهم الاعظم . وفريق منهم كان يبحث ويناظر في ذلك كلما سنحت الفرصة لرغبته بالوقوف على الحقيقة في امر هذا الخلاف لاتباعها عن اقتناع ولاقناع اصحابه لاتباعها معه والمجاهرة بذلك بلا حياء ولا خوف مثل صاحب الترجمة كما سنرى ذلك مع بقاء الجميع بوحدة الطائفة بدون انقسام اذ كان اسم الروم يشمل الجميع . وكنيسة الروم كانت تضم جميع الاكليروس والشعب على اختلاف اميالهم واحزابهم واغراضهم .

الفصل الخامس

في ترشيح الاكليروس في ذلك العهد

كانت العادة الجارية في القرن السابع عشر وما يليه بشأن ترشيح الاكليروس ان المطران او البطريرك اذا لاحظ بذاته او بواسطة احد ثقاته ان احدالشبان النجباء المهذبين من ذوي الرصانة والتقوى يداوم ملازماً على حضور الصلوات الطقسية في الكنيسة ويشترك بها فعلًا بالقرآءة والترتيل قرّبه اليه ورغّبه بالكهنوت بذاته وبواسطة اقاربه واصحابه .

وبعد ان يكون البطريرك او المطران قد وثق من رغبته بالكهنوت يعنى بأمر تعليمه بذاته او بواسطة من يعتمد عليه في ذلك . ولا يطول الامر حتى يرسمه اناغنوسطاً ويلبسه الثوب الاكليريكي اي الصاية السوداء والقلوسة الصغيرة بياناً لمحبته له وتشريفاً له على اقرانه ليزيده رغبة في الكهنوت والترقي في درجاته . ولا يزال الشاب والحالة هذه حرًّا بترك هذا الثوب والعودة الى ثوبه العلماني . وربما ينتخبه ذووه بعد مدة كاهناً لهم فيرسمه البطريرك او المطران لاجل خدمة نفوسهم بعد ان يكون قد تزوّج زواجاً ناموسياً .

وكان الناس في ذلك العهد يرغبون في درجة الشماس

ويؤثرونها على سواها من درجات الكهنوت لخفة واجباتها الدينية عليهم ولهم فيها سعة لان يتزوّجوا بلا حرج ولا اثم مع ما فيها من شرف الكهنوت واكرام المسيحيين لصاحبها عملاً بقول بولس الرسول : « ان الذين يخدمون التشمسة حسناً يعملون اذ يجعلون لانفسهم درجة ودالة جزيلة في الايمان بيسوع المسيح [1] ». ولذلك لم يكن الوجيه من النصارى يرفض قبولها وهو يزيد بها وجاهة وكرامة عند قومه . وكذلك من كان متوسط الحال او معسراً لم يكن يأباها . بل يسعى اليها تقرباً الى الله بالخدمة له ولكنيسته ورغبة بما يناله من اجر وثواب واحسان من الله والناس .

ومن مشاهير الشمامسة الذين قضوا حياتهم في هذه الدرجة ولم يرتسموا كهنة في القرن السابع عشر الشماس بولس ابن البطريرك مكاريوس الحلبي وابنه الشماس حنانيا . وكان لقب الشماس لقب شرف يمنحه البطاركة والمطارنة الروم لاعيان الطائفة الاتقياء تشريفاً لهم ولاسيما الرهبان منهم والعُبّاد مثل الشماس عبدالله زاخر بدون رسامة . وكذلك كان بطاركة الموارنة يمنحون لقب الشدياق لاعيان طائفتهم قبل ان درج عندهم لقب الشيخ . ومعلوم ان الشدياق تعريب لفظة ارشيديا كون اليونانية اي رئيس الشمامسة .

وكان الشمامسة في ذلك الحين صنفين إما ان يكونوا ملازمين

---

(١) (١ تي ٣ : ١٣)

بيوتهم واعمالهم الخاصة بتجارتهم او صناعتهم ولا يأتون الى الكنيسة الا لكي يشتركوا بالصلوات والاحتفالات الطقسية . ولا مانع يمنعهم عن الزواج الناموسي قبل رسامتهم شمامسة انجيليين مع بقائهم في درجتهم وخدمتهم . واما ان يكونوا ملازمين قلاية البطريرك او المطران يعيشون فيها معه ويباشرون بعض الخدم اللائقة فيها علاوة على خدمة الكنيسة لابسين دائماً الثوب الاكليريكي حافظين العفاف كالرهبان . ولذلك كان يقال لهم رهبان القلاية ، ورهبان البطريرك ، او رهبان المطران ، كما يقال لهم ايضاً شمامسة القلاية ، وشمامسة البطريرك او المطران سواء كانوا شمامسة اناغنوسطيين او شمامسة انجيليين مما لا يزال هذا جارياً عند اخواننا الروم غير الكاثوليك الى اليوم .

ومن ثم كان الاكليروس الرهباني بهذا المعنى قليلاً جداً ولا وجود له الا في المدن التي فيها قلاية بطريركية او مطرانية . ولم يكن يتجاوز عددهم فيها الاثنين او الثلثة . واقل منهم عدداً وأحط شأناً رهبان الاديار كما سيأتي الكلام عليهم قريباً . ولذلك كانت هذه الحال تقضي ان يُنتخب الاساقفة من الخوارنة الارامل الذين لم يكونوا غالباً على ما ينبغي ان يكون احبار الكنيسة ممتازين بالعلم والفضيلة .

ولضيق حال النصارى في ذلك العهد لم يكن في الشرق كله مدرسة اكليريكية عالية للروم ولا لسواهم فكانت قلاية البطريركية

البطريرك حينئذٍ افضل مدرسة لرجال الكهنوت ودونها قلاية المطران .

ولم يكن في الابرشية الانطاكية دير عامر بالرهبان سوى دير سيدة البلمند في كورة طرابلس . وقد تجدّدت فيه الحياة الرهبانية في اول القرن السابع عشر بفضل غيرة أعيان طرابلس وحماية الحاج سليمان البتروني كاتب يوسف باشا ابن سيفا حاكم طرابلس المشهور . واما باقي الاديرة القديمة التي كانت قائمة لذلك العهد فكانت تعتبر قانونياً تحت ولاية البطريرك او المطران صاحب الابرشية الا انها كانت تُعتبر بالفعل هي وارزاقها واوقافها بمقام رزق مشاع لابناء الطائفة من اهل البلدة التي هي في خراجها . وقلّ من كان منهم يعنى بعمرانها وبأمر رهبانها الذين كانوا يضطرون غالباً ان يجولوا في طول البلاد وعرضها لجمع الحسنات من المؤمنين ليعيشوا بها في هذه الاديرة المتداعية الى الخراب . وجلّ ما كان عامراً فيها غرفة او غرفتان مع الكنيسة .

واما الكهنة خوارنة الرعية او خوارنة الطائفة فلم يكن البطريرك او المطران يرسم واحداً منهم الا اذا كان معه صك بانتخابه من قومه يشهدون له فيه بصلاح السيرة والتقوى والاستقامة بالايمان وحسن الاعمال مع الناس وبالعلم الكافي بامور الدين وطقوس الكنيسة واسرارها . ويتعهّدون له بالطاعة والاحترام الواجب لمقامه وبمعاشه اللائق به . ويذكرون فيه

اسم الكنيسة التي تخصّهم ليكون المنتخب خادماً لهم فيها .

وكان في الغالب يُنتخَب الخوري من اهم اسر الطائفة ومن خيرة رجال اسرته وجاهة وعقلاً واستقامة تشريفاً له ولاسرته بمقامه الكهنوتي الجليل . وقد جرت العادة ان يُختار لذلك ابن الخوري ايثاراً له على سواه لانه يكون عادة افضل واصلح لذلك من سواه بفضل عناية والده بتهذيبه وتعليمه ما يجب ان يعرفه في كل ما يخص خدمة الكنيسة وتدبير امور الطائفة اذ يكون قد تخرّج على يد والده في ذلك باتم ما يكون . لان بيت الخوري كان يُعتبر في المدينة والقرية بيت الطائفة ودار ندوتها وديوانها الذي فيه يجتمع شيوخها واعيانها بخوريهم الذي هو امامهم وصاحب الامر المطاع ويكون ابنه عادة كاتب يده وامين سره . ومن ثم يكون والحالة هذه اليق الناس بأن يخلف والده في مقامه بعد موته بل قد يسعى والده برسامته في حياته .

وبعد ان يرسمه المطران او البطريرك يدفع له صكًّا بامضائه يدعى اسطاتيكون يوضح فيه كيف تمّت رسامته بانتخاب من اختاره لذلك ويذكر فيه اسم الكنيسة التي ارتسم فيها والكنيسة التي ارتسم للخدمة فيها واسم المرتسم ايضاً ويوجب عليهم الطاعة والاحترام له . وهذا الاسطاتيكون يحفظه الخوري بعد تلاوته على الملا في الكنيسة التي ارتسم للخدمة فيها عند وصوله اليها بمقام سند وتعهد من قبل المطران وأعيان الطائفة ويحق له بموجبه

ان يطالبهم بكل ما فيه . ومن ثم لم يكن سبيل لهم ان يرفضوا الطاعة له وتقديم ما يقتضي لمعاشه ومعاش عيلته. ولم يكن يستطيع صاحب الابرشية ان ينقله الى مكان آخر بدون رضاه ورضى اعيان طائفته ولا ان يرسم كاهناً آخر مكانه في حياته بدون رضاه وكذلك لم يكن الخوري يستطيع ان يترك كنيسته المرتسم لخدمتها بدون رضى اعيانها وبدون رضى صاحب الابرشية . وقصارى الكلام ان خوري الطائفة الذي يكون منتخباً انتخاباً قانونياً ومرسوماً لخدمة كنيستها الخاصة بها كان غير قابل العزل الا لذنب باهظ بعد محاكمته عليه بموجب ناموس الله وقوانين الكنيسة .

الفصل السادس

اطراد للفصل السابق

في ترشيح الاكليروس للدرجات العالية

قلنا في الفصل السابق ان قلاية البطريرك كانت افضل مدرسة للاكليروس في تلك الايام . والشماس الذي يحظى بهذه المنزلة عند البطريرك ويُقبل فيها كان يُحسب سعيد الحظ لحسن مستقبله لامله بالترقي الى الدرجة الاسقفية اذا اسعده الحظ بالثبات والبقاء وازداد حظوة وقبولاً لدى البطريرك مولاه

ولكي ينال هذه الحظوة يقتضي ان يُحسن القرآءة والكتابة وان يكون ذكي الفؤآد عاقلاً نبيهاً يلاحظ ويراقب لكل ما يجري في الكنيسة من الطقوس والاحتفالات وما يجري في القلاية والابرشية من الامور والحوادث والعادات المختلفة ويحفظ ذلك في صدره للعمل به في المستقبل مراعاة للتقليد الذي هو سُنَّة لا تخالف

وينبغي ان يكون ذا صوت جميل يُحسن الترتيل باليونانية والعربية بجميع الحان الكنيسة اذ يُعتبر الصوت الجميل نعمة من الله يختص بها تعالى من اختاره واحب ان يسبّحه في كنيسته بذكر امجاده بين المؤمنين . ثم يجب ان يكون حسن الشكل سالماً من كل عاهة اسوة بكل الاكليروس خدام الله في بيته وكنيسته ولا سيما من يكون مرشحاً ليصير حبر الكنيسة وعروسها فيجب ان يكون بلا عيب

وينبغي ان يكون عارفاً بأصول اللغة اليونانية قرآءة وكتابة جرياً على تقليد قديم منذ كانت اللغة اليونانية شائعة في كل الشرق في مملكة الروم . ويقتضي ان يكون فصيح اللسان في كلامه وقرآءته لانه ترجمان البطريرك وحامل كلمته الى الشعب في اكثر الاحوال . ثم يجب ان يكون كاتباً بارعاً بالانشآء ورسم الخط لانه مكلف عادة بتحرير مراسلات مولاه وكل مناشيره الخاصة والعامة .

وكان من شأن الشمامسة ان يعنوا بتعليم الاولاد القرآءة والكتابة في مدرسة الطائفة التابعة للكنيسة ويمرنوهم على قرآءة الصلوات وترتيل ما يجب ترتيله في الخورص مع اهتمامهم بتدبير شؤون القلاية في ما يلزم لها من فرش وكسوة ومؤونة وقبول الضيوف وما شاكل هذا .

ومع هذا يجب على الشماس ان يجعل همه دائماً مواصلة الدرس والمطالعة بذاته على حدة وعلى يد مولاه الذي لسبب ذلك جرت العادة ان يدعوه معلمه او على يد من يتفق له من العلمآء الذين يتردّدون الى القلاية او يقيمون فيها .

ومتى وجده مولاه البطريرك كما ينبغي رسمه شماساً انجيلياً واتخذه جليساً له في داره وامیناً لسره ورفيقاً له في اسفاره وزيارته وعمدة له في تدبير امور البطريركية والابرشية حتى يفوّض اليه الوعظ في الكنيسة بحضرته ثم يرقيه الى رتبة ارشيدياكون فيكون والحالة هذه ارقى من خوارنة الطائفة منزلة كما يكون اوسع علماً واقرب مكاناً وانفذ كلمة لدى البطريرك وفي كل ابرشيته .

***

والكتب التي كانوا يدرسون فيها هي الاسفار المقدسة وتفسيرها في مؤلفات الآبآء القديسين المعرّبة عن اليونانية او ملخّصة بقلم

الشماس عبدالله ابن الفضل الانطاكي المشهور وغيره ولاسيما ميامر القديس يوحنا فم الذهب ومواعظه وميامر القديس باسيليوس وكتب المحاورات الجدلية الدينية مثل مقالات القديس يوحنا الدمشقي ومحاورات ابي قرة اسقف حران وبولس الانطاكي اسقف صيدا . وكتب التاريخ واخصها تاريخ سعيد ابن بطريق وتاريخ سعد ابن يحيى الانطاكي وسير القديسين المسهبة بذكر اعمالهم واقوالهم[1] او مجموعة بايجاز في كتاب السنكسار . وكانت هذه كلها تُعتبر عندهم من كتب اللاهوت لان موضوعها الله تعالى واسرار عنايته بتدبيره خلقه وكنيسته وفداء البشر وخلاصهم وسعادتهم . وانما كان افضل هذه الكتب عندهم واقربها تناولاً واسهلها فهماً وحفظاً واجلها ترتيباً واوجزها عبارة واجمعها مادة واجزلها فائدة واكثرها انتشاراً وشيوعاً كتاب القديس يوحنا الدمشقي المشهور في ما يخص ايضاح الايمان المستقيم[2] ويدعونه

---

(١) ينبغي ان نعلم ان سير القديسين واعمال الشهداء قبل ان جُمعت بايجاز واختصار في كتاب السنكسارات كتبها مؤلفوها بالاصل مسهبة كل واحدة منها في كتاب خاص . وما زال المؤمنون يتداولونها بالمطالعة والنساخة والنقل الى لغات شتى طبق الاصل او بايجاز مخطوطة ومطبوعة . وقد وصل الينا كثير من المسهبة معرباً في مخطوطات قديمة ولاسيما سير الآباء القديسين العظام من الشرقيين حيث يجد المطالع فيها من اعمالهم واقوالهم فوائد تاريخية وتقوية جمة لا يجدها في سيرهم المختصرة في السنكسارات المعروفة .

(٢) اسمه باليونانية Ἔκθεσις ἀκριβὴς τῆς ὀρθοδόξου Πίστεως

كتاب المئة مقالة لانه مئة مقالة وكل مقالة منه ذات موضوع خاص . وهو اول خلاصة لاهوتية في الكنيسة . ولذلك كثرت نسخه المخطوطة حتى انه يوجد منها مئات . وكانوا يدرسونه بعد درسهم كتاب المنطق للقديس المذكور وهو كتاب مشهور ايضاً بحسن ترتيبه وتقسيم ابوابه وفصوله وصحة ودقة حدوده ورسومه. وكان النصارى ولا سيما الاكليروس منهم يعنون بدرس علم المنطق لانه مفتاح العلوم وركن علم الجدل والفلسفة واللاهوت ولا يبالون بقول بعض الخوارج : من تمنطق فقد تزندق . وكذلك كانوا يعنون بدرس علم الطب ويمارسونه لخير الناس ولم يكن يتم علم عالم عندهم الا بعلم الطب .

وكان درسهم بحفظ الكتاب الذي في يدهم حفظاً تاماً بالقلب واللسان وهو المعتبر عندهم بالعلم التام المفيد بحيث كان يستطيع ان يتلو الواحد منهم كتابه غيباً كأنه مكتوب امامه . ولم يكن يتناول غيره الا بعد ان يكون قد حفظه وتفهّم كل ما فيه من المبادئ والمسائل على اختلافها . ومن هذا شاع القول المأثور عندهم : ما جادلت ذا كتابٍ الا غلبني . وما جادلت ذا كتبٍ الا غلبته .

وكان افضل طرق الدرس عندهم واتمها نجاحاً ان يعمد الدارس الى الكتاب الذي يريد ان يتعلمه فينقله بخطه بامعان واتقان قدر طاقته . وبذلك يسهل عليه تفهّم معانيه ومراجعة ما فيه من مسائله

وحده او بمساعدة معلمه لحل ما فيها من الاشكال والصعوبات او لتقرير مضمونها حسب الاقتضآء .

ويظهر مما تقدّم ان دائرة دروسهم كانت ضيقة نظراً الينا في هذه الايام بفضل مدارسنا الاكليريكية العالية وبفضل انتشار الكتب المطبوعة عندنا في كل لغة ولسان . ولكن كان جلّ اعتمادهم في هذا على علم معلمهم وخبرته وعلى ما كانوا يتناولونه منه بالسماع وما كانوا يلاحظونه من اعماله في الكنيسة وتصرفاته في الابرشية . وربما كان البعض منهم ذوي خبرة بامور الكنيسة والابرشية اكثر من بعض الاكليريكيين المتخرجين في هذه الايام في بعض المدارس العالية بلقب دكتور .

الفصل السابع

في ترشيح مخايل الصبي للكهنوت

ان عبد الله المختار ليكون راعياً صالحاً لخراف المسيح الناطقة قد جمله تعالى بفضائل ومواهب عظيمة وجزيلة لتكون عدة له في السبيل الذي دعاه ليسير فيه اذ منحه وزنات انجيلية راجحة تاجر بها افضل تجارة بامانة ونشاط اذ ربح له من النفوس الكريمة ما يعلم الله وحده عددها وقيمتها .

ولا يخفى ان أجلّ نعم الله على الانسان بعد العقل انما هو

الايمان الصحيح والرجاء الوطيد به تعالى والمحبة له . ومتى اجتمعت هذه الفضائل الثلاث في قلب الانسان تولدت فيه فضائل ادبية جمة اولها واجلها في رجال الدين فضيلة الشجاعة الادبية التي تجعل الانسان يُقدم على اعمال شاقة وعظيمة ابتغاء رضى الله والثواب منه عليها . والثانية التي هي اخت لها وملازمة لها الغيرة الدينية التي تحمل صاحبها على بذل نفسه في سبيل تعليم الناس دين الله الحق ورد الخطاة اليه بالتوبة وصالح الاعمال . وكلتاهما من سجايا النفس الخفية التي لا ترى . الا انها تظهر بالاعمال الصادرة عنها فتتجسَّم ظاهراً امام الناس .

وسنرى في الفصول التالية كيف تجسَّمت الشجاعة والغيرة الدينية في اعمال صاحب الترجمة منذ صباه الى آخر ايامه . وقد رأينا في فصل سابق كيف ظهرت شجاعته باول امره للبطريرك مكاريوس الحلبي اذ سمعه يصلي في الكنيسة امامه بشجاعة وفصاحة تفوق ما يُرَى عادة في الاولاد الصغار حتى تعجَّب منه وأحبَّه منذ ذلك الحين . ولما شب اخذ يقرّبه اليه بحديثه معه وحسن التفاته اليه في كل فرصة مناسبة حتى جعله من اكليروسه واتخذه تلميذاً له . فكانت صلاة هذا الفتى النجيب في الكنيسة بحضرة البطريرك المذكور اول حلقة من سلسلة دعوته الكهنوتية واول اسبابها .

واذ كان الفتى مخائيل على ما ذكرنا من النجابة والرصانة

والرغبة بالدرس والعلم منذ صغره لدى معلمه الخوري جرجس بربق فـلا غرابة ان يجد حظوة عند البطريرك مكاريوس وان يكون من انجب تلاميذه واذكاهم عقـلاً واكثرهم اجتهاداً واوسعهم علماً كما يظهر هذا باجلى بيان من اعماله وآثار قلمه ولقبه المشهور به الدال على ذلك وهو « قفة العلم »

وكان من رفاقه في القلاية البطريركية حينئذ الشماس قسطنطين ابن الارشيدياكون بولس الذي خلف جده مكاريوس المذكور في البطريركيـة سنة ١٦٧٢ باسم كيرلس كما سيأتي بيـانه في محـله . وكان الشماس قسطنطين بالطبع اقرب الى البطريرك لانه جده لابيه الارشيدياكون بولس . ومن ثم لم يكن سبيل للشماس مخائيل ان ينافس رفيقه الشماس قسطنطين بشيء الا بتعقله ورصانته وآدابه وانكبابه على الدرس والمطالعة والنشاط وتمام الطاعة لمولاه البطريرك خلواً من دلال او دلعة . ولعله كان يتقرّب برفيقه وزميله الشماس قسطنطين الى الارشيدياكون بولس والى والده البطريرك مكاريوس ويستفيد منهما علماً وادباً وخبرة بامور الكنيسة . لكن كان اكثر قرباً وملازمة الى المطران ناوفيطوس الصاقزي الرومي الذي رسمـه البطريرك مكاريوس مطراناً على حماة سنة ١٦٦١ وجعله نائباً عنه في القلاية البطريركية في دمشق سنة ١٦٦٤ عندما عول عـلى السفر الى روسيا المرة الثانية بطريق حلب وبلاد الكرج .

وكان ناوفيطوس المذكور افضل مطارنة الابرشية الانطاكية علماً وخبرة . وقد تربى في القلاية البطريركية في دمشق على عهد خاله البطريرك السابق ذكره افثيميوس الرومي الصاقزي على يد الاب (Queyrote) كيروت اليسوعي الذي احضره البطريرك المذكور الى دمشق . وجعله معه في القلاية البطريركية استاذاً ومعلماً لابن اخته ناوفيطوس المذكور . وكان هذا يحسن التكلم والكتابة بالعربية واليونانية لغة وطنه مع التركية والايطليانية والفرنسوية التي تعلمها منذ صغره في وطنه جزيرة صاقز [1] . ولذلك بعد موت مكاريوس انتخبه أكثر المطارنة ليكون خليفة له في البطريركية بمصادقة بطاركة الاروام مع مزاحمة كيرلس الحلبي له عليها كما سنرى ذلك في محله .

وعلى رواية المرحوم الاب كيرلس حداد ب . م قبل ان

---

(١) هي جزيرة شيو (Chio) المشهورة في تاريخ اليونان قديماً وحديثاً . وكانت في القرن السابع عشر آهلة بالايطليان وغيرهم من تجارا الافرنج والمرسلين اذ كانت خاضعة لحكومة اهل البندقية مع غيرها من الجزائر اليونانية قبل استيلاء الاتراك عليها . وكان اللاتينيون واليونان يعيشون فيها بكل الفة ومحبة وقد نبغ فيها لذلك العهد علماء مشهورون من اول طبقة اشهرهم من اليونان العلامة لاون ألاتيوس Leon Allatios ومن الفرنساويين الاب يعقوب غوار Jaques Goard

يبارح البطريرك مكاريوس مدينة حلب في سفرته الثانية الى روسيا كتب اليه المطران ناوفيطوس المذكور يستأذنه برسامة الشاب مخائيل صيفي شماساً انجيلياً فاجابه البطريرك الى ذلك بالايجاب فرسمه شماساً انجيلياً في دمشق بالكنيسة المريمية سنة ١٦٦٦ . وعلى يد المطران ناوفيطوس المذكور تخرّج الشماس مخائيل الصيفي بدرس اللغة اليونانية باتقان ونجاح تام كما يظهر من مطالعة كتابه المعروف بالدلالة اللامعة . وعلى يده ايضاً اتقن علم البصلتيكا اليونانية وطقوس الكنيسة وعلم اللاهوت كما تقدّم .

لم نجد احداً تعرّض لذكر رسامة افثيميوس شماساً وكاهناً من يد المطران ناوفيطوس غير الاب كيرلس حداد ب . م . ولعله وقف على سند قديم بهذا الشأن لم يصل الينا . او فقد من دير المخلص مع ما فقد منه بنكبات الزمان الكثيرة التي حلت به . ولا يخفى على احد ان الراسم يعطي المرتسم صكاً اي اسطاتيكون يوضح به رسامته له بتاريخ اليوم والسنة مع ذكر المذبح الذي ارتسم عليه والمذبح الذي ارتسم لخدمته

واذ تعرف الشماس بالآباء اليسوعيين والكبوشيين الذين كانوا يتردّدون على القلاية البطريركية في دمشق بلا مانع صار يتردّد الى اديرتهم بالمبادلة يباحثهم ويجادلهم بامور الدين في كل

فرصة مناسبة . وكان لا محالة يستفيد منهم علماً وادباً وتقوى وغيرة على تعليم الجهال وخلاص النفوس مما كانوا ممتازين به ويتفاضلون به على الرهبان الشرقيين وكهنتهم . ولهذا السبب نرى الاب اليسوعي كاتب مقدمة كتاب مرشد الخاطي في الطبعة الاولى في المطبعة اليسوعية يفاخر بكون افثيميوس الصيفي المذكور من تلاميذ الابآء اليسوعيين الاولين . وكذلك نرى الاب ايلاريون الكبوشي يفاخر به لكونه من تلاميذ الآباء الكبوشيين الاولين[1] .

Both Jesuits & Cappucins claim that Euthymus belongs to them

﴿ الفصل الثامن ﴾

في احوال النصرانية في لبنان بالقرن السابع عشر

اذ كان من المهم عندنا الاطلاع الشافي على اعمال صاحب الترجمة في سبيل الله وكنيسته يجب علينا اولاً بيان ما كانت عليه النصرانية في هذه البلاد باول القرن السابع عشر توطئة لما سنذكره من اعماله في هذا السبيل لنقدرها حق قدرها .

---

(١) راجع ما ذكره عنه في صفحة ١٥٢ من كتابه الفرنساوي :

La France catholique en Orient par F. Hilaire de Barenton F. M. C. Paris 1902 .

Not available in Jeff See if available in Biblio-Orientale

اذ ليس تاريخ حياته كما سنبسطه الا تاريخ الكنيسة الكاثوليكية في هذه البقعة العزيزة من بلادنا الشرقية . وهو كما لا يخفى القسم الاول والاهم من تاريخ رهبانيتنا المخلصية المباركة وتاريخ طائفتنا الملكية العزيزة في الكنيسة الكاثوليكية المقدسة التي نحن منها وفيها فنقول :

في سنة ١٥١٦ جرت موقعة حربية في مرج دابق شمال حلب بين السلطان قنصو الغوري ملك مصر الذي كانت حينئذٍ بيده بلاد الشام وفلسطين ولبنان وبين السلطان سليم العثماني فانحاز فيها نواب الغوري وامراء لبنان الى السلطان سليم وفتحوا له البلاد فأقرّهم على ما كانوا عليه واطلق لهم الحكم على الطريقة التي كانت جارية حينئذٍ في جميع الممالك العثمانية المعروفة اليوم بالاستقلال الاداري او اللامركزية (Décentralisation) وفوّض الامر في هذه البلاد الى وزير يقيم في الشام بلقب باشا يرجع اليه حكام المدن والامراء والمشايخ والمقدمين

وكان لبنان مقسوماً الى قسمين جنوبي وشمالي يمتاز الواحد عن الاخر بحكامه وسكانه وبهيئة لباسهم وعوائدهم

وكان الاول تابعاً لدمشق رأساً . ولما صارت صيدا ايالة صار تابعاً لها . ويقال له من باب التغليب بلاد الشوف اعتباراً لمركز الامير فيه . واذ كان اكثر سكانه من الدروز كانوا يدعونه جبل الدروز ويعدونه لبنان الصميم . وكان المتاولة محيطين بالشوف في

جبل عامل وجزين والبقاع وبلاد بعلبك . وكان السنيون يقيمون في صيدا واقليم الخرنوب . ولم يكن فيه من النصارى حينئذٍ الا القليل جداً لانهم بعد خراب عكا وكل مدن الساحل سنة ١٢٩٢ بنهاية حرب الصليبيين لم يبقَ في هذه البلاد بقية صالحة من النصارى .

وكان اهله يتألفون عشائر ويتبعون اصول حكم العشائر والحكم الاقطاعي معاً على الطريقة التي لم يزل يجري عليها في عهدنا العرب المتحضرون من مسلمين ونصارى في حوران وغيرها من البلاد الداخلية . فكان لكل قوم شيخ منهم كامل العقل شجاع مقدام كريم الاصل والفعل له الكلمة النافذة في قومه وبين احلافه يرث الامر عن ابيه وجده ولا يزال صاحب الامر في قومه ما دام حياً . وكذلك المقدَّم ذو القدم السابقة في الحسب والنسب وكثرة الاتباع والاقطاع

واما الامير فانه اعظم شاناً واقدم واجل نسباً واكثر أتباعاً واقطاعاً وهو رأس رؤساء العشائر المفوَّض اليه امر البلاد وصيانة العباد ويطلق عليه اسم الحاكم العام . ولذلك كانوا يكتبون له ويخاطبونه بقولهم سلطانم على طريقة التعظيم عند الاتراك

واشهر الامراء في ذلك العهد بنو معن وبنو علم الدين وبنو ارسلان في جبل الدروز وبنو شهاب في وادي التيم وبنو

الحرفوش في بلاد بعلبك . وكلهم لهم اتباع من المقدمين والمشايخ والسوقة والفلاحين والخدم يقال لهم عزوة وسمية . وكان هؤلاء الامرآء يراعون حرمة أتباعهم اذا كانوا على غير مذهبهم . فلا يعارضونهم في شيء من امر دينهم اذا لم يعيبوا الاسلام بامر . اذ لم يكونوا على شيء من التعصب الديني كأهل المدن وحكامهم الاتراك . وانما كانت تقوم عندهم الاحزاب القيسية واليمنية مقام العصبية . فكان يدخل في الحزب الواحد الدروز والمسلمون والنصارى معاً ولا يختلطون مع الحزب الثاني غالباً الا ليحاربوا اصحابه ويقاتلوهم

و كانوا يتخذون غالباً الكتّاب من النصارى ويفوّضون اليهم امر الخراج والمحاسبات لجباية الاموال الاميرية وصرفها في الوجه المعين لها كما جرت العادة من اول فتح العرب للشام . ويدعون هذا الكاتب « كاخية » وهي لفظة تركية بمعنى الوكيل والمدبر . وكان الامير يلتزم ضمان الجزية والخراج من الوزير بمال مقطوع على وجه ثابت لا يزيد ولا ينقص ولا يزال الى اليوم يقال لهذا المال الاميري . وكذلك كان المقدمون والمشايخ يلتزمون خراج اقطاعاتهم بمال مقطوع يدفعونه الى الامير

***

وكان القسم الشمالي تابعاً لسنجق طرابلس ومقسماً الى

مقاطعات . وكل مقاطعة تنسب الى مدينة كقولهم جبة طرابلس وكورة طرابلس وبلاد البترون وبلاد جبيل . وكانت كل طائفة من طوائف لبنان المعروفة تقيم في مقاطعة او في بعض القرى منها لا تختلط مع غيرها الا نادراً . فكان المسلمون يقيمون في المدن الساحلية وضواحيها وكان يقيم معهم بعض النصارى من طائفة الروم الملكيين في جهة منها منعزلة يقال لها حارة النصارى . واما الموارنة فلم يكونوا يحبون الاقامة في المدن حفظاً لحريتهم الدينية فكانوا يتحصنون في الجبال العالية في الجبة والزاوية وبلاد البترون وجبيل وجرود كسروان . بل لم يكونوا يقيمون في الكورة التي كان معظم سكانها من الروم وكان من هؤلاء قليل مع الموارنة في قرى الزاوية وبلاد البترون وجبيل و كسروان . وكان المتاولة يقيمون في بعض القرى من هذه المقاطعات ومنهم المشايخ بيت حمادي اصحاب الاقطاعات الواسعة والحكام في هذه المقاطعات . وكان في الكورة مشايخ بني العازار من الروم وبيت حبيش والخازن في كسروان من الموارنة .

والامير الحاكم اذا كان عادلاً غير ظالم الرعية كان ذلك مدعاة لكثرة اتباعه وعزوته وعمران بلاده بمن يفد عليه مستجيراً به من جور جاره وعداء قومه . ومتى قال له الوافد « انا دخيلك » صار في حماه لا يمسه احد باذى . وقد يصير هذا الوافد الدخيل على الامير مع قومه عوناً له على عدوه ان رام قتاله . فيرتفع بهذ شأنه وينفذ امره

في بلاده ويكثر احلافه ويخشى سطوته اعداؤه فهكذا ارتفع شأن بني معن في جبل الدروز على بني علم الدين وبني ارسلان وكذلك ارتفع شأن بني عساف في كسروان وامتد حكمهم في زمان الامير منصور من بيروت الى مدينة حماة حتى خاف رجال الدولة من سطوته فصدر المرسوم السلطاني ان يتولى سنجقية طرابلس احد اتباعه يوسف ابن سيفا مع لقب باشا لتنكسر به شوكته .

وكان يوسف باشا المذكور من مشايخ عكار ذا بأس ومكر وحسن تدبير اوقع ببني شعيب واستولى على املاكهم وتولى مكانهم على طرابلس . وما زال يعمل بدهائه حتى اوقع بالامير محمد اخر بني عساف في كمين دبره له قرب البترون واستولى على املاكه وتغلب على البلاد التي كانت في يده فعظم بذلك شأنه حتى غدا يهاب سطوته جيرانه فتألبوا عليه وتعاهدوا على خفض شأنه فقام حينئذٍ عليه الامير فخر الدين ابن معن وهو فتى معزّزاً باحلافه يطالبه بحكم بيروت وكسروان . واذ ابى عليه ذلك واقعه في معركة مشهورة في تاريخ لبنان سنة ١٥٩٥ قرب نهر الكلب فاز بها الامير الشاب على خصمه الكبير وابتدأت من ذلك الحين الحرب والمنافسة بين الاثنين ولم تنتهِ الا بموت يوسف باشا سنة ١٦٢٤ مما لا يسعنا هنا تفصيله وانما ينبغي ان نذكر ما

نتج من هذه المنافسة للنصرانية في لبنان وهو المقصود من هذا الفصل[1]

كان يوسف باشا المذكور شجاعاً قوي العزيمة لا يرجع عن امر يريده مهما وجد في سبيله من العقبات . وكان حاكماً عادلاً صارماً في حكمه تخشى الاشقياء سطوته وتهاب الاعداء صولته وكان مع هذا ذا رفق برعيته جواداً كريماً يهب الالوف لوزراء الدولة ورجالهم . واذ تحقق بجودة عقله وخبرته ، انه لا يمكن ان يدوم سعده وارتفاع شأنه الا باختيار عماله واتفاقهم معه على اجراء العدل بين الجميع على السواء اخذ يعامل النصارى من رعيته برفق وعدل لم يكونوا يهدونه من الحكام قبله . وصار يقرب اليه اعيانهم ويستخدم في ديوانه وسائر اعماله من يصلح منهم لذلك . فجعل الحاج سليمان البتروني الاصل الملكي المذهب كاتباً عنده ومستشاراً له ، وقد خدمه سليمان المذكور الى اخر حياته بامانة واخلاص ونشاط حتى لم يؤخذ بلوم على ذنب من مولاه ولا من حسّاده . وبفضل حماية يوسف باشا وغيرة كاتبه المذكور تجدد بناء دير سيدة البلمند الشهير بجوار طرابلس سنة ١٦٠٢ واخذ يقصده الشبان الاتقياء من الجهات القريبة والبعيدة ليترهبوا فيه . وارتفع

---

(١) اعتمدنا في هذا الفصل على تاريخ البطريرك اسطفان الدويهي وتاريخ الامير حيدر وتاريخ اعيان لبنان وغيرها من المطبوعة والمخطوطة وكتب الاسفار والتواريخ الفرنسية

بهم منار السيرة الرهبانية في لبنان بفضل غيرة رئيسهم الفاضل الخوري سمعان الذي لفضله انتدب ورسم مطراناً على صيدنايا

وسنة ١٦١٩ لاذ بحمى يوسف باشا البطريرك الانطاكي اثناسيوس الدباس هرباً من ظلم وزير الشام ولحقه اخوه كيرلس مطران حوران الذي بعد موت اخيه في دير كفتين قرب طرابلس انتدبه للبطريركية مطارنة المدن الخاضعة لحكم يوسف باشا اي مطارنة طرابلس وعكار وحمص وحماة بسعي الحاج سليمان المذكور. ومن ثم كانت طائفة الروم في عهد يوسف باشا وفي حكمه معتبرة جليلة باعيانها وعدد رجالها ومطارنتها وديورتها ورهبانها

ولم يكن الموارنة اقل حظاً. لانه وان كان في اول امره عزل مقدمي الجبة وقتل البعض من مشايخ بني حبيش ومقدمي جاج الموارنة فقد اعاد بعد ذلك مقدمي الجبة الى ولايتهم ونال منه البطريرك يوسف الرزي اوامر مفيدة لصالح ابناء طائفته كما روى ذلك مفصلاً البطريرك اسطفان الدويهي بانه اباح للبياضية الحرية بالعودة الى دين اجدادهم وهم قوم موارنة من بلاد جبيل كانوا يظهرون الاسلام ويتعممون بالبياض ويكتمون النصرانية ويمارسون فرائضها سراً على يد كهنة منهم وفيهم خوفاً من ظلم الحكام فاباح لهم الباشا المذكور سنة ١٦٠٨ ان يسلكوا بلا رياء ولا خوف بالمذهب الذي يريدونه وقصارى القول ان يوسف باشا كان يعامل النصارى بعدل ورفق لم يسبقه اليهما حاكم مسلم من قبل.

اما الامير فخر الدين الذي يسوغ ان يسمى فخر النصرانية في لبنان فانه اذ تربى وهو صغير على يد الحاج كيوان الماروني في بيت ابراهيم ابي صقر الخازن فلما قبض على زمام الامر قرب اولاده مع ذويهم اليه واتخذهم اعواناً له على يوسف باشا خصمه الكبير . وبسبب ذلك صار النصارى يفدون الى الشوف من شمال لبنان ومن كل صوب ثم اباح لهم ركوب الخيل المسرجة وحمل السلاح والاعتمام بالبياض وبناء الكنائس والاديار وضرب النواقيس واعلان شعائر الدين المسيحي في كل بلاده مما كان محظوراً على النصارى من قبل في لبنان وبقي كذلك محظوراً في جميع الممالك العثمانية الى زمان السلطان محمود الثاني . واستخدم افراد بيت الخازن في ديوانه وجنده واقطع لهم الاقطاعات الواسعة في كسروان وجعلهم مشايخ من اول رتبة بمقام بيت حبيش وبيت جنبلاط

وبسبب كثرة المظالم التي وقعت سنة ١٦٠٩ على دير قنوبين كرسي بطريرك الموارنة حضر الى الشوف البطريرك يوحنا مخلوف لائذاً بحمى الامير فانزله في قرية مجدل المعوش وسلمها للنصارى وبنى له فيها داراً وكنيسة

وكانت قرية بعقلين مقر الامراء بني معن من اول عهدهم الا ان الامير بعد عودته من ايطاليا رام ان يشيد له قصراً عظيماً نظير القصور التي شاهدها في ايطاليا فاستقدم لذلك المهندسين من

ايطاليا ، ورجال البنآء والنجارين من الشام وطرابلس وبعلبك وكلهم نصارى. فاقاموا لهم منازل صغيرة حول القصر لاقامتهم لاجل اتمام عملهم . وما كمل بناء قصر الامير حتى كان حوله منازل صغيرة لهؤلاء الصناع وخدام الامير ودور واسعة لعماله وكتابه النصارى . وهكذا قامت دير القمر عاصمة لبنان واكثر سكانها نصارى مقابل بعقلين حتى صارت تنافسها بتخت الامارة .

واذ نال سنجقية صيدا باسم ولده الامير علي رام ان يجعلها تخت الامارة . وقصد ان تسابق مدينة طرابلس بعمرانها وتقدم تجارتها وزراعتها وجمال بساتينها المشهورة (وكانت طرابلس حينئذ اعظم المدن الساحلية) فاصلح الامير اولاً مينا‌ها واخذت مراكب الطليان محالفيه تفد الى صيدا بتجارها وتجارتها واقام لهم فيها بناء واسعاً قرب المينا لاعمال التجارة او خاناً اوسع من الخان الذي لهم في مينا طرابلس

واذا كان النصارى اكثر استعداداً واشد ميلاً للتجارة والصناعة لقلة املاكهم العقارية اخذ يستقدمهم من طرابلس وعكار وشمال لبنان وبعلبك والشام الى صيدا فاقاموا في جهة منعزلة لوحدها دعيت لذلك حارة النصارى . والذين لهم معرفة باعمال الزراعة اقاموا في محل مرتفع في ضواحيها يكشف على المدينة وبساتينها والبحر ويضاهي تماماً قبة النصر المعروفة في طرابلس ولذلك دعيت الحارة الجديدة في صيدا القبة وحارة القبة .

لما كثر في صيدا والشوف عدد النصارى من الروم طلبوا الى الامير ان يتوسط لهم لدى بطريركهم يواكيم زيادة ليقيم لهم مطراناً اسوة بجماعتهم في طراباس . فوافقهم الامير واختار لذلك كاتبه ابن عطية فرسمه البطريرك المذكور مطراناً على صور وصيدا ليحق له التقدم على مطران طرابلس حسب الاصول القديمة ، وان كانت صور حينئذٍ خالية من النصارى ودعي المطران اغناطيوس وجل كرسيه في صيدا ولبث مقيماً فيها قرب الامير بعد ارتقائه الى كرسي البطريركية لانه بعد ان التجأ البطريرك اثناسيوس الدباس الى يوسف باشا انتدب اهل دمشق بالاتفاق مع بعض المطارنة للبطريركية اغناطيوس المذكور اكتساباً لرضى الامير وحمايته واذلالاً لابن الدباس وليوسف باشا وكاتبه كما سبقت الاشارة الى ذلك في محلها . وقد تقدم ان كيرلس الدباس خلف اخاه بالبطريركية باتفاق بعض المطارنة مع الحاج سليمان ونازع اغناطيوس على البطريركية حتى مات يوسف باشا فتصاغرت نفس كيرلس وتوسل الى الامير ان يرسم بعقد مجمع من رؤساء الكهنة ليقرروا فيه لمن تحق البطريركية له ام لاغناطيوس . فرسم الامير بانعقاد هذا المجمع في دير السيدة قرب راس بعلبك سنة ١٦٢٨ (وكانت دخلت في حكمه سنة ١٦٢٣) فقرّر هذا المجمع البطريركية لاغناطيوس وحرم كيرلس اذ رفض الاذعان والطاعة له . فنفاه الامير وحبسه في مغارة قرب الهرمل حيث مات ودفن . وبقي

1623 Baalbeck council excom of Cyril for law conforming

اغناطيوس وحده في البطريركية . وكان يؤثر الاقامة بقرب الامير حتى مات قتلاً بالغلط ليلاً في حرب الامير الاخيرة مع الاتراك قرب معلقة الدامور سنة ١٦٣٤

واخيراً نقول ان هذا الامير الجليل شابه في لبنان قسطنطين الكبير في المملكة الرومانية باعطاء الحرية الدينية للنصرانية . وكما انه فاز على يوسف باشا في جميع المواقع الحربية التي نازله فيها فاز عليه بالفضل على النصارى حتى انه في آخر ايامه قبل سر العماد المقدس بالخفاء . ولما اضطره الامر اخيراً جاهر بايمانه بالمسيح امام السلطان مراد الرابع الذي امر بقتله في ١٤ اذار سنة ١٦٣٥ وبفضل هذا الامير تمكنت قدم النصرانية من جديد في بلاد الشوف وجنوب لبنان . وهو الذي نهج السبيل لمن خلفه في الحكم من امراء لبنان المعنيين والشهابيين وسواهم ان يعاملوا النصارى بالرفق والعدل ويعتمدوا عليهم في تدبير اعمالهم . وكان المقدمون والمشايخ وعامة الدروز على شاكلتهم حتى كانوا يدعون القرية التي ينزل فيها معهم النصارى مشرفة تأدباً وتلطفاً ، كما هو شأنهم في مجاملاتهم بالكلام معهم . وما انقضى القرن الثامن عشر حتى صار عدد النصارى في هذه الجهات يؤازي عدد الدروز واكثر .

الفصل التاسع

في احوال البطريركية الانطاكية

في القرن السابع عشر

قبل الكلام على ارتقاء صاحب الترجمة الى كرسي مطرانية صور وصيدا ينبغي لنا ان نمهد لذلك اولاً بايضاح احوال البطريركية والبطاركة اصحابها لذلك العهد بكلام اجمالي ليكون كلامنا فيما بعد مفهوماً لا يحتاج الى شرح لايضاح ذلك في محله. لان البطريركية هي المقام السامي الاعلى في الكنيسة والامة والطائفة. واليها تتجه كل افرادها كأنها نقطة دائرتها في هذه البلاد. وصاحبها هو حامل علمها وامامها بامر الدين والدنيا. لان البطريرك اكبر رؤسائها في الدين والدنيا. بل هو رأسها الاعظم بعد الحبر الروماني رأس الكنيسة الاعظم كلها بدون استثناء ولا شرط. وهو الوارث الشرعي القانوني لمار بطرس في كرسيه الانطاكي حسب التقليد الكاثوليكي الصادق الذي لا شك فيه وبالتالي هو الوارث لقسم من سلطته الرسولية في هذه البلاد الشرقية. وبه يرتبط دينياً وقانونياً واجتماعياً كل افراد هذه الامة بواسطة رؤسائها واحبارها واعيانها ولا سيما الاول بين مطارنتها مطران صور القديمة العظيمة عاصمة بلاد فينيقية الاولى. وسنرى ان صاحب الترجمة لم يكن المطران الاول بمقامه الاول فقط. بل كان الاول

بعمله ونفوذ كلمته في البطريركية ومعظم الابرشيات التابعة لها . اذ كان المقدام الهام امام الجميع باعلان الاتحاد التام مع رأس الكنيسة العام والخضوع له كخضوع الاعضاء بالجسم الواحد لرأسها لاجل الله ولاجل كنيسته المقدسة .

وسنقصر كلامنا في هذا الفصل على احوال البطريركية بالاجمال فقط اذ لا يسعنا الاسهاب بذلك لئلا نخرج عن خطتنا التي وضعناها لنا في هذا الكتاب فنقول :

انه بعد خراب مدينة انطاكية الاخير سنة ١٢٦٨ على يد الملك الظاهر بيبروس البندقداري باخذه لها من يد الصليبيين خلت من النصارى . وبالتالي صارت لا تصلح ان تكون مقاماً للبطاركة . وبعد المعركة الحاسمة الاخيرة بين الفريقين على عكا سنة ١٢٩١ التي فاز بها الاسلام واصحابه على اصحاب الصليب وبعد خراب سائر مدن الساحل صارت النصرانية بقلة ومهانة بل باضمحلال وفناء في كل البلاد التي كانت سابقاً بحوزة الصليبيين ولاسيما السواحل اللبنانية من عكا الى اللاذقية حتى كادت تكون خالية من النصارى ولا يصح ان يطلق عليهم فيها اسم الملة او الطائفة . ومن سلم منهم بعد هذه المعارك العظيمة المهلكة نزح الى قبرص مع البقية الباقية من الصليبيين او لاذ بحصون لبنان وجباله العالية او هاجر الى بلاد الروم . ولذلك اضطر البطاركة الانطاكيون ان يجعلوا اقامتهم في قبرص قبل ان تقرر امر البطريركية في دمشق .

1268: Antioch destroyed by enemys of Crusade (King of البندقداري)

1291: fall of Acre

فقد وجدنا في آخر مخطوط قديم في دير مار يوحنا بجوار دوما (البترون) حاشية ننقل منها ما ياتي « لمّا كان بتاريخ ٢٩ ايلول سنة ٧٠٤٣ لادم (١٥٣٠ م) حضر مكاريوس خادم كرسي قارا وعكار قرى في هذا الكتاب وبارك على مالكه » والمطران المذكور خطاط مشهور له عدة مخطوطات بالعربي والسرياني بخط يده في مكاتب اروبا والشرق واذكر اني طالعت في بعضها يذكر انه « مطران قارا وعرقا وعكار وطرابلس وبيرت وصور وصيدا وعكا »

وفي مكتبة باريس كتاب برقم ٢٢١ من المخطوطات العربية فيه رسالة برفض قبول الحساب الغريغوري كتبها وامضاها في دمشق سنة ١٥٨٣ عن البطريرك الانطاكي انستاسيوس المرمنيتي مطران صور وصيدا وبيروت وطرابلس

ومعلوم ان لا سبب لامتداد سلطة المطرانين المذكورين هنا وسواهم الى عدة ابرشيات بعيدة عن بعضها هذا البعد الا قلة عدد النصارى الروم فيها لانه لم يكن بوسع ابناء الابرشية الواحدة ان يقوموا بشأن مطران الا بمعاونة ابناء الابرشية المجاورة او بمعاونة عدة ابرشيات .

ولا شك بان الصليبيين لم يستطيعوا الدخول الى دمشق والاستيلاء عليها ولا التوغل في حوران وجبل القلمون وغيرها من البلاد الداخلية شرقي دمشق . ولذلك سلم اهلها النصارى من

عاقبة هذه الحروب الصليبية التي كانت بلا مراء دينية محضة . وقد دخل فيها معهم الروم وكل الامم النصرانية التي كان يعيش أفرادها في هذه البلاد بحكم الضرورة الدينية لرفع شأن الصليب الكريم علم النصرانية الاوحد بدون فرق بذلك بين الافرنج وسواهم . من ثم كانت دمشق حينئذٍ افضل مدينة لتكون مقاماً لبطاركة انطاكية وتقررت ان تكون كذلك بحكم مجمع المطارنة الانطاكيين واتفاقهم على ذلك كالعادة في كل امر ذي شأن مثل هذا . وكان اكثرهم تابعين لدمشق ومجاورين لها حتى لم يكن سبيل ان تنازعها هذا الشرف مدينة تضارعها بعمرانها في ذلك العهد ولا فيما بعده . بل زاد كرور الاعوام والاجيال هذا الامر تثبيتاً وتقريراً . وقد كانت دمشق دائماً مركز اقامة نائب السلطان في عهد دولة المماليك سلاطين مصر وعهد دولة آل عثمان بعدهم . وليست اليوم اقل شأناً ولا اقل سكاناً بالروم الكاثوليك وغير الكاثوليك .

ولا يخفى انه بانتقال البطريركية من انطاكية الى دمشق انتقل الى اهل دمشق حق انتخاب البطريرك حكماً وفعلاً لانه صار بمقام مطرانها الخاص . وصارت ابرشيتها تخضع له رأساً كما كانت تخضع له كذلك ابرشية انطاكية سابقاً . غير انه لم يكن يجري هذا الانتخاب الا بمشاركة وموافقة المطارنة اصحاب الابرشيات التابعة للبطريركية الانطاكية وهم كانوا يتولون

تنصيب البطريرك الجديد في كرسيه وتسليمه صولجان البطريركية في الكنيسة المريمية اذا كان المنتخب مطراناً . ويتولون رسامته الاسقفية على الكاتدرا البطريركية اذا كان كاهناً او شماساً .

وان لم يكونوا حاضرين كلهم بالذات فلا بد من موافقتهم على الانتخاب مع حضور البعض منهم لمن تيسر لهم ذلك . والغالب ان يتولى الرسامة ورئاسة حفلة تنصيب البطريرك مطران صور وصيدا اول المطارنة المتقدم في كراسيهم او مطران حوران بغيابه (وكانت اقامتهما غالباً في دمشق) بحضور الاساقفة المجاورين الى دمشق اي صيدنايا والزبداني وبعلبك ومعلولا وقارا وبيرود

وان جرى ذلك على غير اتفاق بالانتخاب ولا موافقة اكثر المطارنة لايلبث الحزب المعارض اذا كان مهماً وقوياً ان يرسل مرشحه الى القسطنطينية مصحوباً بلائحة انتخابه ورسائل التوصية به من المطارنة والاعيان المشايعين له الى البطريرك القسطنطيني ومجمعه ويكلفونهم بجعله بطريركاً لانطاكية لعدم قانونية انتخاب الخصم او لعدم صلاحيته ويطلبون له بواسطتهم البراءة السلطانية بتفويض زمام البطريركية لامره دون سواه . وكانوا يصحبونه بالكتابات اللازمة من وزير الشام وقضاتها وشيوخ الاسلام الى الوزارة العظمى على مقتضى الاحوال

وعلى ما يتيسر لهم . واذا كان هناك بطريرك الاسكندرية واورشليم . وكانا يقيمان غالباً هناك ولا يكونان الا من اليونان كتبوا لهما ما يقتضي بهذا الشأن

ومعلوم ان هذه الامور تحتاج الى مبالغ وافرة من المال ليصلح المرشح بها حاله في دمشق والاستانة مع اصحاب الشان اعيان الشام ورجال الباب العالي وبطاركة ومطارنة اليونان ورجال الفنار اعيان اليونان اصحاب الكلمة النافذة لدى الباب العالي لذلك العهد بخلاف ما اذا كان الانتخاب يتم بالاتفاق فانه لا يكلف الا تقدمة مبلغ قدر ثلاثة الاف قرش الى خمسة الاف الى وزير الشام وحاشيته والقاضي يدعونها خدمة وعبودية . فينال البطريرك الجديد بيلورديًا بامضاء الوزير يفوض اليه زمام البطريركية سنداً على مراسلة القاضي حاكم الشرع الشريف وينعم عليه بخلعة يلبسها وهي جبة من جوخ ذات فروة من جلد سمور رمزاً الى السلطة التي فوضت اليه على رعيته من اهل الذمة كالعادة القديمة التي تعد سنة محكمة

ولا يظنن القاري اليجيب ان هذا النزاع كان نادراً في تلك الايام لتغلب البساطة على اهلها . لا . بل كان كثيراً وغالباً فيها لتغلب روح المنافسة والحسد على نفوس الزعماء والرؤساء وحبهم الاستئثار بمقام البطريركية وسلطانها السامي ولمراعاتهم المنفعة الذاتية وايثارها على الخير العام الذي يقضي على الرؤساء

بالتضحية بالذات والزهد بامور الدنيا . فاننا نجد من تسعة بطاركة اشغلوا كرسي البطريركية في القرن السابع عشر ثلاثة منهم فقط انتخبوا بالاتفاق بدون نزاع وستة منهم قضوا معظم حياتهم بالنزاع مع بعضهم على البطريركية . ولم يكن ينتهي هذا النزاع الا بموت احد البطريركين المتنازعين او بتنازل احدهما للاخر صلحاً او عن ضعف بشرط ان يكون له ابرشية مهمة من ابرشيات المطارنة الفارغة وان يوفي البطريرك كل الديون التي عليه من مال البطريركية . وربما اشترط حق الخلافة له على البطريركية بعد موته بدون انتخاب جديد مع حفظ لقب البطريرك .

ولم يكن للبطريرك القسطنطيني شيء من السلطة الكنائسية في البطريركية الانطاكية يخوله حق الحكم بفصل قضايا هذا النزاع ومنع كل خصام من هذا القبيل . وانما كان بنفوذه لدى رجال الباب العالي يعضد احد المتنازعين ضد الاخر ولا يلبث ان ينقلب عليه ويعضد خصمه ثم يعود الى مساعدته على مقتضى المصلحة الخاصة او المالية كما سنرى في الفصل التالي . وقصارى الكلام لم تكن احوال البطريركية وملة الروم التابعة لها في القرن السابع عشر على ما ينبغي ان تكون عليه باحبارها واكليروسها واعيانها وشعبها من حيث الاتفاق في الراي والكلمة والغيرة الدينية على خلاص النفوس والصالح العام وعلى تحصيل العلم ونشره بين الرعية والشعب مع ما كانوا فيه من القلة والذل .

ولا غرو اذا غلب على جميعهم الجهل والخمول والفوضى في الامر حتى كادت هذه الملة الشريفة بقديسيها وعلمائها القدماء العظام تخلو حينئذٍ من العلماء والمؤرخين والكتاب الذين تليق بهم هذه الاسماء او يستحقون ان يذكرهم التاريخ الصادق بامرهم الا القليل منهم الذين يعدون على اصابع اليد . وينبغي ان نقول ان الرعية لم تكن لذلك العهد افضل من رعاتها من هذا القبيل لانهم منها وهم دائماً نخبة رجالها .

ومع هذا يجب ان نقول ايضاً ان جميع الامم والطوائف المجاورة للملكيين في هذه البلاد لم تكن افضل منها بشيء من هذا القبيل في تلك الايام سوى السادة المسلمين اصحاب البلاد والسلطان ولم يكن لواحدة منها على التحقيق تاريخ مجيد تفتخر به على تاريخ الملكيين . فسبحان من يقدر لكل امة وكل انسان قدراً وشأناً .

﴿ الفصل العاشر ﴾

في بطاركة انطاكية بالفرد السابع عشر

1612 - Patr. Athanasius Dabbas

بعد كلامنا السابق في الفصل الاخير عن احوال البطركية يجب ان نقصر كلامنا في هذا الفصل على البطاركة الذين تولوا البطركية بعد دوروثاوس ابن الاحمر [1] اذ خلفه سنة ١٦١٢ اثناسيوس الدباس الدمشقي الاصل مطران حوران بعد ما تعهد بموجب حجة شرعية بدفع الباقي من مال الجوالي او الخراج على الطائفة في دمشق . وبعد مدة خرج يطوف الابرشيات ليجمع المال المطلوب . واذ عاد ولم ينجز وعده رفعوا امره الى الوالي فحبسه في القلعة حتى دفع له مبلغاً وخرج الى طرابلس لائذاً بحمى يوسف باشا ابن سيفا حاكمها وكاتبه الحاج سليمان البتروني اكبر اعيان الطائفة فيها حينئذٍ . ومات هناك سنة ١٦١٩

d. 1619

Cyrill Dabbas, his brother, succeeded him

وكان كيرلس اخوه مطران حوران قد تبعه الى طرابلس فسعى ان يكون خلفاً له في البطركية فكان له ذلك بمساعدة الحاج سليمان المذكور اذ اوعز الى مطارنة حمص وحماه والحصن الخاضعين لايالة طرابلس حينئذٍ فاقاموه بطريركاً لانطاكية في

---

١) راجع ما جاء عنه في كتابنا تاريخ آل فرعون صفحة ٤١ – ٤٤ وما ورد عنه في سفرة البطرك مكاريوس الحلبي الذي نشرناه صفحة ٣٥

كنيسة اميون من كورة طرابلس يوم احد السامرية سنة ١٦١٩

وكان اهل دمشق قد انتدبوا الى البطركية اغناطيوس عطية مطران صور وصيدا وارسلوه في جماعة من الكهنة والاعيان مع رسائل التوصية اللازمة الى تيموثاوس بطريرك القسطنطينية ومجمعه فاقامه هذا هناك بطريركاً لانطاكية في اليوم الذي صار فيه كيرلس بطريركاً في اميون . ورجع اغناطيوس الى دمشق واستولى على البطركية بموجب البراءة السلطانية التي نالها بواسطة بطريرك القسطنطينية المذكور وتعزز في دمشق بولاة الشام الذين كانوا موالين للامير فخر الدين وبالمطارنة اصحابه في بيروت وصيدا وبعلبك الذين في حكم الامير المشار اليه وسواهم

ثم تعزز كيرلس ببراءة سلطانية نالها بواسطة كيرلس لوكارس [1] بطريرك القسطنطينية خلف تيموثاوس ومزاحمه على البطركية وبيوسف باشا ابن سيفا وبولاة الشام اعداء الامير وباكثر المطارنة الانطاكيين المشايعين له وحضر الى دمشق فقام النزاع فيها بين البطريركين وامتد الى الطائفة حتى صارت فرقتين

---

١) ولد كيرلس لوكارس المذكور في اقريطش سنة ١٥٧٢ وتم دروسه الاولية في مدارس وطنه بنجاح ثم ارسل الى مدارس البندقية وجامعة بدوى Padoua من ايطاليا لدرس العلوم الفلسفية واللاهوتية وارتسم كاهناً سنة ١٥٩٤ والتزم خدمة بطريرك الاسكندرية وجعل اكثر اقامته في القسطنطينية حتى خلفه بعد موته سنة ١٦٠٢ وصار يطمح الى الكرسي القسطنطيني حتى ارتقى اليه سبع مرات بعد عزله ونفيه كذلك الى ان مات غرقاً سنة ١٦٣٨ وهو مشهور بدهائه وبمشايعته لبدعة كلوينوس واصحابها من الانكليز والهولانديين الذين كانوا يساعدونه باموالهم ونفوذ رجال سفارتهم في القسطنطينية

وكان ذلك سبباً لوقوع عدة فتن وخسارة اموال جزيلة من الفريقين حتى اضطر هذا الحال الفريقين الى الصلح والاتفاق على عدم قبول كلا البطريركين في دمشق . فكان اغناطيوس يقيم في حكم الامير بين بيروت وصيدا . وكان كيرلس يقيم في طرابلس وابرشيات الشمال والقسطنطينية . وبعد موت يوسف باشا سنة ١٦٢٤ وعزل كيرلس لوكارس ونفيه تصاغرت نفس كيرلس وطلب الى الامير انعقاد مجمع من المطارنة لينظروا ويقرروا لمن تحق البطركية له او لاغناطيوس وانه يخضع لقرارهم . فرسم الامير بانعقاد هذا المجمع من كل المطارنة في دير السيدة بقرب قرية رأس بعلبك سنة ١٦٢٨ اذ كان الامير حينئذٍ هناك وكان قد امتد حكمه الى كل بلاد بعلبك . لكن كيرلس ابى الحضور الى المجمع عند انعقاده ولم يحفل بتكرار دعوة المطارنة له ولا بامر الامير لانه احس بان قرارهم سيكون على غير ما يحب . ومن ثم امر الامير باحضاره من دمشق الى المجمع مكبلاً وحكم المجمع بعزله وحرمه لانه اخذ البطركية بدون انتخاب الرعية وقرر المجمع البطركية لاغناطيوس . ونفي كيرلس الى مغارة الراهب بقرب الهرمل من بلاد بعلبك بامر الامير وبعد قليل قتله لامرٍ جد له بشأنه .

و كذلك انتهت حياة اغناطيوس قتلاً سنة ١٦٣٤ بيد احد اصحابه بغير قصد اذ كان راكباً وحده ليلاً في الطريق بين الدامور والشويفات وكانت الحرب مستحرة يومئذٍ بين الامير

والاتراك فظنه انه ططري فرماه بالرصاص وهو لا يعرفه فكان موته عبرة قاسية جداً كانت سبباً لزوال هذا النزاع من الطائفة [1]

فانتخب المطارنة بالاتفاق مع اهل دمشق خليفة له ملاتيوس كرمة الحموي مطران حلب ودعي افثيميوس . وكان هذا ممتازاً بعلمه وصلاحه واهتمامه بتدبير رعيته وبعيداً عن المنازعات السابق ذكرها . وكان على اتصال ومحبة مع المرسلين الافرنج في حلب . وكان كذلك على اتصال واتحاد مع الاحبار الرومانيين . وله في سجلات رومية عدة رسائل تدل على هذا وقفنا عليها لا يسعنا نشرها هنا . وقد اعاد تعريب كتب الكنيسة وارسلها الى رومية لتطبع هناك باحسان البابا اوربانوس الثامن . وهي كتاب السواعي الكبير والقداسات الثلاث والاخولوجيون الكبير والسنكسار باخبار القديسين في مجلدين كبيرين والتبيكون الكبير المعروف بتبيكون دير مار سابا . لكن لم تطبع هذه الكتب اذ انتقل البطريرك في اول كانون الثاني سنة ١٦٣٥ بعد سبعة اشهر من بطريركيته . واذ شعر بدنو اجله اوصى رعيته بانتخاب خلف له القس ملاتيوس الصاقزي من رهبان دير مار سابا الذي كان قد احضره الى دمشق ليزين الكنيسة

---

(١) راجع ما ورد عن البطريركين المذكورين في كتاب نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي صفحة ٣٦ – ٣٩ وفي سيرة البطريرك افثيميوس كرمة بقلم تلميذه البطريرك مكاريوس التي نشرت في المشرة في سنتها الرابعة

بالايقونات من تصوير يده . فوافقوه على ذلك ورسمه بيده وهو مريض مع المطارنة المقيمين حينئذٍ في دمشق وجوارها واعطاه اسمه افثيميوس[1]

كان افثيميوس هذا اصله من جزيرة صاقز او شيو من اليونان ولذلك لقب بالصاقزي والرومي والمصور تمييزاً له عن سالفه افثيميوس كرمه الحموي الذي سار نظيره سيرة صالحة في رعيته حتى انه عندما شعر بدنو اجله اشار على رعيته بانتخاب خلف له ملاتيوس مطران حلب احد تلاميذ سالفه المذكور . وافثيميوس الصاقزي المذكور هو الذي اتى بالاباء اليسوعيين الى دمشق سنة ١٦٤٣ وجعل رئيسهم الاب ايرونيموس Père Jèrôme Queyrot في قلاية البطريركية كاتباً له ومعلماً لابن اخته الذي كان شماساً عنده وصار فيما بعد مطراناً على حماه وبطريركاً باسم ناوفيطوس كما سيأتي ذكره . ليس افثيميوس كرمة كما حكى هذا غلطاً بعض الكتاب المتأخرين الذين ربما ساقهم الى هذا تصحيف اسمه بالعربي فقرأه افتيشيوس[2] مع ان افثيميوس كرمه كان قد مات سنة ١٦٣٥ حسب رواية مكاريوس وغيره وذلك بشهادة غير واحد من

---

(١) راجع ما ذكره عنه الشماس بولس في كتابه سفرة البطريرك مكاريوس صفحة ٣٩ وترجمة حياته بقلم تلميذه البطريرك مكاريوس التي نشرت في المشرة بسنتها الرابعة

(٢) تصحف اسم افثيميوس الصاقزي على العلامة Lequien او على من نقل له هذا الاسم عن مخطوط بالعربي فقراه افتيشيوس لقرب الصورة بالخط بين افتيميوس وافتيشيوس وتبعه بهذا الغلط كثيرون نقلوا عنه دون تحقيق

اليسوعيين المعاصرين له او القريبين عهداً اليه[1]

وليس بصحيح ما رواه لوكيان ونقله عنه غيره بان مكاريوس ذهب الى القسطنطينية سنة ١٦٤٣ وسعى بعزل سالفه وجلس مكانه اذ من المحقق بشهادة مكاريوس نفسه مع غيره[2] ان افثيميوس الصاقزي مات وهو بطريرك في ١١ تشرين الاول سنة

---

١) كتب الاب بسون P . Besson في صفحة ٦٨ من كتابه الموسوم بسوريا (La Syrie Sainte) عن اصل رسالتهم الاولى في دمشق ما يلي

Cette mission est l'ouvrage du P . Jérôme Queyrot , qui fut mené D'Alep à Damas , sur le commencement de l'année 1643 , par le patriarche grec Euthymius , de l'ile de Chio , et du rit romain , pour l'instruction de la jeunesse, nommè ment son neveu, et pour la composition de ses lettres circulaires , et de ses patentes grecques et arabes .

وكتب الاب ناخي Nachi في صفحة ٢٢٦ عن اصل رسالتهم في دمشق في مولفهم المعرف (Lettres Edifiantes) ما يلي

Ce fut en cette ville que se fit notre second établissement. Nous en eûmes la principale obligation à un saint évêque grec nommé Eutimios , natif de Chio . . Il mena avec lui le père Jérôme Queyrot pour l'aider de ses conseils et pour prendre soin de l'éducation de son neveu qui avait embrassé l'état écclésiastique et pour être son missionnaire dans la ville

٢) بين المخطوطات العربية في مكتبة الدير المقدس في القدس الشريف كتاب الانجيل برقم ٢٧ بخط يد جبرائيل ابن يعقوب الحلبي كتبه في دمشق الشام في ايام افثيميوس البطريرك الانطاكي سنة ١٦٤٦ . . . وفي المكتبة المذكورة كتابان برقم ١٦ و ١٧ اوقفها الشماس بولس ابن السيد الكاثوليك ملاتيوس مطران حلب بحاشية كتبها بخط يده ثم اثبت المطران ملاتيوس ذاته هذه الوقفية بخط يده عن روح اخته كاترينا بنت الخوري بولس الحلبي في ٢٢ شباط سنة ١٦٤٧ وهي السنة التي صار فيها ملاتيوس بطركاً بعد تسعة اشهر من هذه الوقفية باسم مكاريوس

١٦٤٧ في نفس دمشق ودفن في مغارة البطاركة المعروفة هناك . وان مكاريوس جلس مكانه بعد موته بشهر في ١٢ تشرين الثاني وقد احتفل بارتقائه الى الكرسي البطريركي ستة مطارنة في نفس الكنيسة البطريركية المعروفة بالمريمية . ولعل هذا الغلط نشأ عن وجود تصديق البطريرك مكاريوس لكتاب اعتراف الايمان الارثوذكسي الذي فحصه وصدقه البطريرك القسطنطيني برثانيوس في مجمع من اكليروسه في ١١ اذار سنة ١٦٤٣ . والواقع ان مكاريوس صدق بامضائه لهذا الكتاب بعد هذا التاريخ اي بعد ان تنقحت ترجمة هذا الكتاب الى اليونانية برسم الطبع عندما ذهب الى القسطنطينية بطريقه الى روسيا بين سنة ١٦٥٢ و١٦٥٣ . ويفهم من المقدمة التي في صدر هذا الكتاب بقلم البطريرك الاورشليمي نكتاريوس ان هذا صدقه في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٦٢ التي طبع فيها الكتاب المذكور لاول طبعة باللاتيني واليوناني

فتولى اذاً ملاتيوس المذكور البطريركية سنة ١٦٤٧ ودعي مكاريوس . وقد امتاز بعلمه وانكبابه على الدرس والبحث والكتابة تاليفاً وتعريباً ونقلاً لكلما يخص تاريخ البطريركية الانطاكية وابرشياتها وطقوسها وقديسيها ولذلك زار كل ابرشياتها بمدنها وقراها واديرتها العامرة وخلف لنا تركة تاريخية ثمينة جمعها بمساعدة ولده الارشيدياكون بولس . لولاها ما كنا

نعرف من امور البطركية الا القليل . واكثر مؤلفاته لم يزل مخطوطاً [1] بهذا الشأن . وقد طبعنا منها نخبة من كتاب رحلته بقلم ولده الارشيدياكون بولس فيما يخص البطركية الانطاكية والبطاركة ولذلك نقف هنا بالكلام عنه ونحيل القاري الكريم على مطالعة تاريخ حياة هذا البطريرك في الكتاب المشار اليه . ومات في ١٢ حزيران سنة ١٦٧٢ في دمشق

وبعد موت مكاريوس سعى حفيده الشماس حنانيا الابن الاكبر للشماس بولس ان يكون بطريركاً اخوه الاصغر الشماس قسطنطين الذي كان يرشحه لذلك جده مكاريوس . وكان حنانيا بعد موت والده سنة ١٦٦٩ قد اضحى قهرمان القلاية البطركية والقيم على اموالها . وبفضل ما كان له من النفوذ والوجاهة بمقامه هذا وبفضل ما بذل في هذا السبيل من مال البطركية الى والي الشام والقاضي وذوي الشأن فيها وبفضل ما كان قد ترك مكاريوس من الاثر الحسن في البطركية تكلل سعيه بالنجاح وارتسم الشماس قسطنطين بطريركاً باسم كيرلس في ٢ تموز سنة ١٦٧٢ في كنيسة بيروت بوضع يد غريغوريوس مطران حوران بمعاونة لاوندیوس اسقف صيدنايا وجرمانوس اسقف معلولا وقارا

---

١) نشرت في القرن الماضي ترجمة رحلة البطريرك مكاريوس بالانكليزية ثم بالروسية بغير نصها العربي . وسنة ١٩٣٠ نشر اول جزء من نصها العربي مع ترجمة فرنساوية في باريس . وظهر الجزء الثاني سنة ١٩٣٣

ورومانوس اسقف الزبداني والفرزل وحضور بعض اعيان دمشق الذين اتوا منها بقائمة الانتخاب بايعاز الوالي . وعاد كيرلس الى دمشق واستولى على البطركية واستوى على عرشها ولم يكن عمره حينئذٍ اكثر من احدى وعشرين سنة على الارجح [١]

على ان فريقاً اخر من اهل دمشق اكثر عدداً واقوى نفوذاً كان يريد مع اكثر المطارنة بطريركاً ناوفيطوس الصاقزي السابق ذكره مطران حماه الذي كان قد تربى في القلاية البطركية من عهد خاله البطريرك افثيميوس ثم صار وكيلاً في دمشق للبطريرك مكاريوس عندما سافر الى روسيا سفرته الثانية سنة ١٦٦٦ . وكان افضل المطارنة علماً وخبرة بامور البطركية . واذ احسوا بهوى والي الشام وميله الى ابن البطريرك اجتمع المطارنة في بيروت مع فيلبوس مطرانها وارميا مطران صور وانطونيوس مطران بعلبك ليكونوا بعيدين عن والي الشام ورجاله وعن الشماس حنانيا واصحابه . لكن لما علم الوالي باجتماعهم في بيروت حضر اليها وتبعه الشماس قسطنطين ومشايعيه وصرح الوالي لحزب المعارضة بقوله لهم « اعلموا اني آمركم بانتخاب الشماس وجعله بطريرك . والا فشغلكم

١) ذكر اثناسيوس الدباس في تاريخه اليوناني لبطاركة انطاكية ان كيرلس كان عمره حينئذٍ ثماني عشر سنة وهو مطابق لقول اخصامه كما ورد في ملحق تاريخ البطاركة للخوري مخائيل بريك . لكن ذكر الشماس بولس انه تكلل سنة ١٦٤٤ وان قسطنطين ولد قبل سفره الى روسيا سنة ١٦٥٢

معي وانا خصمكم » فاقتضى الحال ان يغادروا بيروت حتى لايضطروا مكرهين الى الاشتراك برسامة الشماس المذكور بطريركاً

وكان دوسيتاوس بطريرك اورشليم قد اتم ترميم سقف كنيسة المهد في بيت لحم واتم مجمعه المشهور فيها لتحريم بدعة كلوينوس في ٢٠ اذار سنة ١٦٧٢ فقصد ان يطوف البلاد بطريقه الى القسطنطينية لجمع الاحسان لوفاء الديون التي تراكمت عليه مما صرفه على هذه الكنيسة وفي سبيل منازعاته مع الرهبان الفرنسيسكان على ملك بعض الاماكن المقدسة . واذ بلغ دمشق لم يجد فيها من الاكرام والمساعدة المالية ما كان يرجو من الشماس حنانيا واخيه فحفظها في قلبه وسار الى حماة فاستقبله فيها مطرانها ناوفيطوس احسن استقبال . ولا بد ان يكونا قد تشاكيا من كيرلس البطريرك الشاب وتفاوضا بامر حطه عن البطريركية واحالتها الى ناوفيطوس بواسطة البطريرك القسطنطيني ومجمعه . وكان دوسيتاوس المذكور نادرة عصره بعلمه وعقله ودهائه وغيرته الجنسية بين اليونان . وكان مع هذا صديقاً خاصاً لناوفيطوس منذ كان هذا وكيلاً للبطريرك مكاريوس . واذ بلغ دوسيتاوس القسطنطينية وقابل بطريركها ديونيسيوس الرابع صنيعة الوزير الاعظم قرا مصطفى باشا كلمه بما اوحاه اليه بغضه لكيرلس عن حداثة سنه وجهله وبلغه عن ناوفيطوس ما شاء حبه له عن سعة علمه وخبرته وعقله . . .

فعقد البطريرك ديونيسيوس المذكور مجمعاً من البطاركة والمطارنة المقيمين هناك وفيهم البطريرك دوسيتاوس المذكور في شهر تشرين الثاني من هذه السنة ١٦٧٢ وحكموا فيه بحط كيرلس من البطريركية وحرمه معتمدين بذلك على استدعاء اخصامه وتقرير البطريرك دوسيتاوس المشار اليه بغياب كيرلس وبدون مخابرته . ثم انتخب المجمع ذاته بطريركاً لانطاكية ناوفيطوس المذكور مكانه وسلموه بذلك صكاً من مجمعهم وقد عدوا عملهم هذا من باب الضرورة اقتضاها استدعاء مطارنة البطريركية الانطاكية ورعيتها صيانة للايمان الارثوذكسي ولشرف الكنيسة الانطاكية واولادها ثم نالوا له براءة سلطانية بتقليد امر البطريركية له . وعاد ناوفيطوس بذلك الى دمشق واستولى على البطريركية بموجب البراءة السلطانية بدون مانع وكان كيرلس غائباً حينئذٍ عن دمشق ولما عرف بذلك بادر بالعودة اليها سريعاً وقام النزاع بينه وبين ناوفيطوس ومشايعيهما واشتدت الفتن لسبب ذلك الى اشنع ما يكون. وقد صبغ اصحاب كيرلس حزبهم بحب الوطن والغيرة على حفظ حقوق الطائفة والبطركية الانطاكية وتقاليدها القديمة بانتخاب بطريركها منها وفيها بدون مداخلة الارواام الغرباء عنها . وكذلك اصحاب ناوفيطوس البسوا حزبهم ثوباً بصبغة الغيرة الدينية ومراعاة ناموس الكنيسة الشرقية العام وشرف البطريركية والامة الارثوذكسية بعدم صحة انتخاب

شماس شاب جاهل بطريركاً لم يبلغ السن القانوني ليكون كاهناً بامر الوالي المسلم بدون اختيار الرعية له ولا للمطارنة الذين هم اولى منه بالبطركية[1] وعابوه بوصمة السمونية بما دفعه من المال الى والي الشام واصحابه مع انهم دفعوا هم مبلغاً اعظم للسلطان

---

١) تولى ناوفيطوس البطريركية الانطاكية سنة ١٦٧٢ التي ارتسم فيها بطريركاً كيرلس قبله بقليل كما يصرح بذلك نص رسالة المجمع القسطنطيني وسجلاته وغيرها. ويظهر ان ناوفيطوس المذكور كان مستقلاً بامور البطريركية وحده دون مزاحم ولا معارض في ٣ ايار سنة ١٦٧٣ حينما قابله الاب مخائيل اليسوعي Michel Nau وطلب منه ان يمضي صورة اعترافه بايمان الكنيسة الشرقية بحقيقة الاستحالة الجوهرية في القربان المقدس دحضاً لاقوال اصحاب بدعة كالوينوس الذين كانوا يشيعون زوراً ان الكنيسة الشرقية لا تعتقد بالاستحالة وقد امضاها معه في دمشق غريغوريوس مطران حوران وانطونيوس مطران بعلبك ورومانوس اسقف الزبداني واربعة عشر كاهناً وستة شمامسة وعدد وافر من اعيان طائفة الروم فيها من رؤسا العيال الكبيرة وبين الكهنة يذكر اسم الخوري مخائيل ونظن انه الخوري مخائيل صيفي

وفي ١٥ من ايار نفسه امضاها له في صيدا مطرانها ارميا مصدقاً لصحة امضاء البطريرك ناوفيطوس لها وانها صورة اعترافه بايمان الكنيسة الشرقية وامضاها معه من كهنة صيدا الخوري حنا والخوري بولس والكاهن منصور في قنصلية فرنسا في صيدا. ثم كذلك صدق عليها مطران بيروت فيلبوس مع اثنين من كهنتها ساباوجاورجيوس على امضاء وختم البطريرك ناوفيطوس وان هذا ايمان الكنيسة الشرقية ويظهر ان المذكورين كانوا مشايعين لناوفيطوس المذكور كما يبان من مراجعة الكتاب المشهور بهذا الشأن Perpétuité de la foi de l'Eglise catholique sur l'Eucharistie, vol. II, p. 1255.

وللوزير الاعظم حتى نالوا البراءة السلطانية التي يذكر فيها المبلغ المدفوع لذلك عدا الخدمات والعبوديات او الهدايا المالية لذوي الشأن لاجل الحصول عليها .

وما لبث اصحاب كيرلس حتى ارسلوه الى القسطنطينية برسائل التوصية ليصلح حاله مع بطريركها ومجمعه ومع رجال الدولة . وكان قد انعزل البطريرك ديونيسيوس في ١٤ آب سنة ١٦٧٣ وتولى مكانه جراسيموس الثاني فبرر كيرلس نفسه لديه ولدى مجمعه بدون صعوبة ونال براءة سلطانية بتقرير البطريركية له وعاد الى دمشق واستولى بموجب هذه البراءة على البطريركية فاضطر ناوفيطوس ان يتركها ويخرج من دمشق واخذ يطوف ابرشيات المطارنة اصحابه . وبعد ان جمع المال اللازم ذهب الى القسطنطينية المرة الثانية واصلح حاله مع بطريركها برثانيوس الرابع الذي سعى بعزل جراسيموس وتولى البطريركية مكانه سنة ١٦٧٤ . وعاد ناوفيطوس الى دمشق وتولى البطريركية واضطر كيرلس ان يخرج من دمشق وجعل يطوف ابرشيات المطارنة اصحابه ولاسيما حلب وطنه التي كان فيها عدد النصارى الروم يوازي نصف سائر الابرشيات الانطاكية . وهم اكثر غنى بتجارتهم الواسعة شرقاً وغرباً وكان لبعض التجار منهم شأن في القسطنطينية لا يستهان به فلاذ بهم كيرلس واصلح حاله هناك وعاد الى دمشق واستولى على البطريركية بموجب البراءة السلطانية من جديد .

ولا نعلم بتحقيق كم تكرر هذا الامر الى سنة ١٦٨٢[1] اذ تراكمت الديون كثيراً على ناوفيطوس بما صرفه في سبيل البطريركية بدون ان يقر له قرار فيها وقد شاخ وضعف جسمه وعزمه وازعجه اصحاب الديون حتى اضطر ان يصالح كيرلس وتنازل له خطاً عن دعواه بالبطريركية بشرط ان يوفي عنه ما عليه من الديون وان تعطى له ابرشية اللاذقية المترملة من مطرانها حينئذٍ ويكون دخلها معاشاً له وان يحفظ له لقب البطريرك شرفاً فقط . واقام ناوفيطوس المذكور في اللاذقية نحو اربع سنوات الى ان مات وارتاح بال كيرلس بدون مزاحم الى ان قام اثناسيوس الدباس الدمشقي

---

١) يستفاد من ترجمة حياة السيد بيكيه Piquet (صفحة ٣٢٨ و ٣٤٢) مطران بغداد الفرنساوي اللاتيني الذي كان سابقاً قنصل فرنسا في حلب انه اذ كان في هذه المدينة سنة ١٦٨١ واول سنة ١٦٨٢ كان النزاع مستحراً فيها بين ناوفيطوس وكيرلس ومشايعيهما بقوة البراءة السلطانية التي كان كل منهما بيده واحدة . وان كيرلس ذهب الى بلاد الكرج لطلب الاعانة من اهلها قبل سفره الى القسطنطينية على خصمه وان ناوفيطوس اغتنم فرصة غياب كيرلس عن حلب وحضر اليها وكان له من اهلها حزب لا باس به وانه عاون والي حلب على تغريم حزب كيرلس مبلغ الف قرش من معاملة ذلك الزمان مما يساوي ثلاثة الف فرنك ذهب في ايامنا علاوة على ما طلب الوالي لتنفيذ البراءة السلطانية وما اقتضى في هذا السبيل لرجاله وما طلبه البطريرك ناوفيطوس لنفسه من الطائفة اذ كان لا يمالة اكثر من هذا المبلغ وكان منها في حلب حينئذٍ نحو عشرين الفاً

ينازعه على البطريركية كما سيأتي الكلام عليه في محله ان شاء الله[1]

١) وقفنا على حاشية مفيدة بهذا الشأن علقها ناوفيطوس المذكور بخط يده على كتاب مواعظ القديس يوحنا فم الذهب من مخطوطات دير سيدة البلمند هذا نصها: «ناوفيطوس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق. لما كان بتاريخ ٢٧ نيسان سنة ٧١٩٠ لادم (١٦٨٢ م) حضرنا الى الدير العامر المكنى بلمند واوقفنا هذه المواعظ . . . »

both claim to be Patriarchs in 1682 — but not simultaneously

وكذلك وقفنا على حاشية مفيدة بهذا الشأن علقها البطريرك كيرلس بخط يده على كتاب تفسير انجيل متى للقديس يوحنا فم الذهب من مخطوطات الدير المذكور بقسمين . القسم الاول هذا نصه « كيرلس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق . هذا الكتاب وقف مؤبد على كنيسة السيدة بحروسة دمشق سنة ٧١٩١ لادم (١٦٨٣ م) »

والقسم الثاني كتبه بعد ذلك وهذا نصه : « وقد اوقفناه على ديرنا المعروف بدير البلمند لاجل ان يتعزوا به الاخوة الرهبان . وذلك حين الاضطهاد على كنيسة دمشق من جماعة المارقين الملقبين ذواتهم بالكاثوليك حين تسلطوا على الكنيسة واستولوا عليها . . . »

فالحاصل من ذلك ان ناوفيطوس بموجب الحاشية الاولى كان مستقلًا بالبطريركية الى آخر نيسان سنة ١٦٨٢ . وبموجب الحاشية الثانية بقسمها الاول كان كيرلس مستقلًا وحده بالبطريركية سنة ١٦٨٣ . ثم نقل بعد ذلك هذه الوقفية من كنيسة المريمية البطريركية في دمشق الى كنيسة دير البلمند عند ما تغلب اثناسيوس الدباس واستولى على البطريركية وكنيستها باسم وبقوة الروم الكاثوليك في دمشق كما سياتي بيانه بالتفصيل في محله ان شاء الله . » ولا بد ان كيرلس اخذ معه حينئذ ما هو اكثر قيمة من هذا الكتاب واخف حملًا مما لم يصل الينا ذكره ومعرفته

maybe earliest usages of this word

نقف هنا في هذا الفصل من تاريخ حياة هذا البطريرك الطويلة المضطربة بكثرة الفتن والمنازعات على البطركية وقد طال بنا نفس الكلام فيه وسيأتي باقي الكلام عليه في الفصول التالية في محله كما يقتضي سياق التاريخ والله المستعان على اتمامه .

تنبيه : طالعنا وراجعنا لتحرير هذا الفصل والفصول التالية بعده معا قبله عدة كتب مطبوعة ومخطوطة تقدم ذكر بعضها في محله . ونرى انه يجب علينا هنا ذكر المهم منها مما هو في حوزتنا تتمة للفائدة التاريخية لتحقيق ما نقلناه اولخصناه منها في هذا الفصل بعد درس اصولها الدرس الشافي ومقابلتها مع ما نقله عنها من تصدى لكتابة تاريخ البطاركة

اولا موجز تاريخ بطاركة انطاكية تاليف البطريرك مكاريوس الحلبي

ثانياً مذكرات البطريرك المذكور الخاصة بتاريخ البطركية وبطاركة انطاكية ومطارنتها المتأخرين الى عهده بالقرن السادس عشر والسابع عشر .

ثالثاً سيرة حياة البطريرك افثيميوس كرمه مطولة بقلم تلميذه وخليفته البطريرك مكاريوس المذكور . نقلناها كلها مع غيرها عن نسخة مكتبة الواتيكان برقم ٦٧٩ من المخطوطات العربية كتبها وقابلها القس لاونديوس سالم الحلبي ١٧٥٧ . وقابلناها على نسخة من هذه المجموعة ذاتها في المكتبة ذاتها كانت سابقاً في مكتبة مجمع انتشار الايمان برقم ١١٧ . كتبت في سنة ١٧٥٧ يقول ناسخها انها النسخة الثالثة عن الاصل . وهي مرجعنا الاول والاخير وعليها جل اعتمادنا بذلك لان صاحبها البطريرك مكاريوس كان اوسع الناس علماً بامور البطركية وتاريخها لذلك ويصح ان يعوّل على كلامه اكثر من سواه

رابعاً سفرة البطرك مكاريوس المذكور بقلم ولده الارشيدياكون بولس الذي لا محالة كتبها باملاء والده المشار اليه وتحت نظره . وعندنا منها عدا النسخة التي طبعنا منها نخبة منذ عشرين سنة ونيف النسخة الكاملة التي تطبع في باريس

خامساً : تاريخ بطاركة انطاكية للخوري مخائيل بريك الدمشقي المتوفى باواخر القرن الثامن عشر . فانه نقل تاريخ البطريرك مكاريوس ولخصه في بعض المواضع واكمله بما يخص البطاركة الذين تولوا البطركية بعده الى سنة ١٧٦٧ . وعندي نسخة منه نقلتها في مصر سنة ١٨٩٩ عن نسخة بخط يد المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي منقحة بقلمه . وفي آخرها ملحق في تاريخ اساقفة بيروت دعاه صاحبه المجهول اسمه « تاريخ نشأة الطائفة المعروفة بالروم الكاثوليك » . وقد طبعه سليم قبعين في مصر سنة ١٩٠٢ مع زيادة في تاريخ البطاركة الى البطريرك ملاتيوس دوماني الذي قدم الكتاب المطبوع هدية له . ولكنه لم يذكر انه اعتمد على النسخة المنقحة بقلم الشيخ ابرهيم . وعندي نسخة من هذا التاريخ مع ملحقه تختلف عن المخطوطة والمطبوعة بكونها اوسع منهما نقلتها عن نسخة المكتبة الشرقية برقم ١٤ من مخطوطاتها . ويظهر ان صاحب الملحق لخصه على هواه من كتاب آخر عنوانه تاريخ اساقفة بيروت وضعه عبدالله مخائيل طراد البيروتي اذ كان في طرابلس ، بلغ به الى سنة ١٨٢٥ واكمله نجيب حنا طراد الى سنة ١٨٨٨ وربما لا يوجد نسخة منه الا نسخة المكتبة الشرقية برقم ١٥٦ .

وعلى اثر فوز الروم السوريين بانتخاب المرحوم ملاتيوس دوماني بطريركاً سنة ١٨٩٩ نشر في جريدة المنار غطاس قندلفت خريج مدرسة خالكي واستاذ اللاهوت في مدرسة البلمند تاريخاً مطولاً لبطاركة انطاكية المتأخرين في دمشق اعتمد فيه على التواريخ المطبوعة باليوناني وعلى تاريخ الخوري مخائيل بريك وعلى نفس النسخة التي طبعها سليم قبعين وكانت تخص مكتبة مطران طرابلس المرحوم غريغوريوس حداد وعلى تعاليق وجدها في مخطوطات مكتبة البلمند وقد

احرزنا مجموعة هذه الجريدة في عدة مجلدات ونقلنا بعض التعاليق المشار اليها فيها عن اصولها المخطوطة في زيارتنا لمكتبة هذا الدير سنة ١٩٠٤ و١٩٠٧ .

سادساً : كتاب التواريخ الملية او التختيكون الانطاكي للقس يوحنا العجيمي خريج مدرسة انتشار الايمان في رومية المتوفى سنة ١٧٨٤ . واكثره معرب عن تاليف العلامة لوكيان Lequien المعروف بالشرق المسيحي Oriens christianus نقلنا نسخة منه عن نسخة قديمة كانت تخص دير المخلص اشتراها المرحوم الاب لويس شيخو من احد اصحاب المكاتب . وقد علق على هذه النسخة الاب انطون بولاد ب م ملحقاً مهماً فيما يخص تاريخ البطاركة الى انتخاب البطريرك اكليمنضوس بحوث سنة ١٨٥٧ وملحقاً آخر مهماً نظيره فيما يخص تاريخ الرهبانية المخلصية الى سنة ١٨٦٠ واتمه آخر غيره بعده الى سنة ١٨٨٣ بانتخاب الخوري الياس حجار للرئاسة العامة .

وكان هذا الكتاب عمدة البطريرك مكسيموس مظلوم فيما كتبه عن بطاركة انطاكية في رسالته المعروفة بالنسيقة التاريخية المطبوعة عدة مرار في كتاب القائد الامين مع ما اضافه اليه مما عرفه عن البطاركة المتأخرين الى زمانه

وكذلك كان عمدة ما كتبه بهذا الشأن القس انطون بولاد ب م مما لم يزل مخطوطاً عندنا في عدة نسخ وزاد عليه فيما يخص تاريخ البطاركة المتأخرين معلومات جمة ومهمة وسندات نقلها عن اصلها حتى انه لم يأنف من نقل ما كتبه الخوري مخائيل بريك عن بطاركة الاروام .

وكذلك نقل عنه المرحوم غريغوريوس عطا مطران حمص وحماه مختصراً تاريخ بعض البطاركة الذي ادرجه في القسم الاول من الجدول الثاني من كتابه المعروف بحوض الجداول التاريخية الذي طبعه في بيروت المرحوم شاكر البتلوني سنة ١٨٨٤ بعنوان « مختصر تاريخ طائفة الروم الكاثوليكيين . » وعندي نسخة كاملة اوسع من المطبوعة بخط يد المؤلف وبيد كاتبه ووكيله العام الخوري فيلبوس حداد وغيرهما اهداها المؤلف بخط يده الى الايكونوموس المرحوم

مخائيل شريم سنة ١٨٩٨ ثم اتصلت الي منه سنة ١٩٠٠ .

وفي مكتبة دير المخلص مجموعة تاريخية برقم ١٥٢ من مخطوطاتها جمعها صاحبها تذكرة خاصة له من عدة كتب مخطوطة ومطبوعة وتاريخاً لحوادث وقعت في زمانه وقف عليها بنفسه الى سنة ١٨٥٠ . ولم يذكر لنا المؤلف اسمه لكن يظهر من كلامه انه دمشقي الاصل من ابناء طائفتنا الروم الكاثوليك . وفي هذه المجموعة فصل بتاريخ البطاركة المتاخرين من اغناطيوس عطية الى البطريرك مكسيموس مظلوم . ويظهر من كلامه ايضاً انه وقف على كتاب التختيكون السابق ذكره وعلى تاريخ البطاركة للبطريرك مكاريوس الحلبي . ومن هذه المجموعة نسخة كانت عند الارشمندريت بطرس خرياطي ونسخة دخلت مكتبة باريس سنة ١٩٠٥ .

نقف عند هذا الحد بذكر الاصول التاريخية التي عندنا على اختلاف مشرب اصحابها من كاثوليك وغير كاثوليك بدون ان نتعرض لنقدها بما فيها من غث وسمين او حق وباطل . وما قصدنا بذكر هذه الاصول الا لنزيد القراء ثقة بصدق وصحة ما نكتب بهذا الشأن باعتمادنا على اصول تاريخية قديمة يصح ان يعول عليها اكثر من سواها . ولذلك نعدل عن ذكر الكتب المخطوطة والمطبوعة بالعربي والفرنساوي المنقولة عن هذه الاصول مما نحرزه في مكتبتنا الخاصة ومكتبة دير المخلص ولاسيما المعجم التاريخي الجغرافي الشهير بالفرنساوي

Dictionnaire d'histoire et de geographie ecclésiastique sous la direction de Mgr. Baudillard , Letouzey, Paris

الفصل الحادي عشر

مطارنة صور وصيدا في القرن السابع عشر

من المقرر تاريخياً بموجب تقليد قديم مطابقاً لما جاء في انجيل متى (١٥ : ٢١) وانجيل مرقص (٧ : ٢٤) وانجيل لوقا (٦ : ١٧) واعمال الرسل (٢١ : ٣ و ٤) ان كرسي مطرانية صور كرسي رسولي بمعنى ان النصرانية قديمة في هذه المدينة العظيمة من عهد رسل المسيح وان اول اسقف لها كان واحداً منهم او من تلاميذهم . وكذلك مدينة صيدا وهي مجاورة لها وتابعة لها بالدين والدنيا من اول عهد التاريخ القديم والنصرانية او عهد الروم الى وقتنا الحاضر .

واذ كانت صور تعد عند الروم من اول عهد النصرانية حاضرة بلاد فينيقية وام مدنها Μητρόπολις كان اسقفها بالتبعية لذلك من رتبة المطارنة Μητροπολίτης بل كان يعد الاول فيهم وله التقدم عليهم بكل امر بعد البطريرك ولو كان اصغرهم سناً حسب التقليد القديم والعادة الجارية بالعمل الى عهد صاحب الترجمة وما بعده . ولذلك كان يدعى صاحب الكرسي الاول Πρωτοθρόνος اكراماً لهذه المدينة العظيمة في قدميتها ونصرانيتها حتى أعطي لقب بطريرك لبعض الاعلام من مطارنتها قبل ان تخصص هذا اللقب قانونياً باصحاب الكراسي الرسولية الاولى .

لا سبيل لنا ان نضع هنا سلسلة متصلة من مطارنتها من اول عهدها بالنصرانية الى القرن السابع عشر وقد انقطعت مراراً حلقات هذه السلسلة بنوب الايام التي تعاقبت على هذه المدينة والبلاد التابعة لها . ولذلك نكتفي بذكر المطارنة الذين تولوا هذا الكرسي في القرن السابع عشر معتمدين بذلك على ما كتبه بهذا الشأن البطريرك مكاريوس الحلبي الذي كان لا محالة واسطة عقد البطاركة في ذلك العهد وعلى ما اتصل اليه بحثنا بهذا الشأن من اقوال الكتاب المعاصرين الذين يصح ان يعوّل على شهادتهم بذلك اكثر من سواهم .

قد تقدمت الاشارة في الفصل الثامن ان مدن الساحل اضحت كلها خراباً بعد خراب عكا سنة ١٢٩١ في آخر المواقع الحربية بين الاسلام والصليبية الى ان تولى امر هذه البلاد الامير فخر الدين الكبير في اول القرن السابع عشر وخص بعنايته منها في اول الامر مدينة صيدا دون سواها لقربها من الشوف ولكونها في وسط البلاد التي تولى امرها من كسروان الى عكا وبلاد صفد . ومن ثم جعلها حاضرة بلاده وبندر تجارتها براً وبحراً مع الافرنج الموالين له . ولذلك شيد لهم قرب البحر مكاناً واسعاً خاصاً بهم يدعى الى اليوم خان الافرنج لا يضارعه باتساعه خان في كل سوريا . واقام هو ورؤساء جنده في قلعتها الى ان بدل بها بعد ذلك بيروت لاسباب معروفة في تاريخ الامير لا محل

لذكرها في كتابنا هذا.

ولمّا كثر عدد الروم في بلاده ولاسيما في صيدا ممن هاجروا اليها من شمال لبنان وطرابلس وعكار وغيرها واكثرهم رجال تجارة وصناعة وزراعة وفيهم اصحاب كلام التمسوا من الامير الاذن لاقامة مطران لهم في صيدا اسوة باهل طرابلس. وحببوا اليه ذلك واغروه بانتداب كاتب يده سابقاً الراهب اغناطيوس عطية[1] ليكون مطراناً على الرسم القديم لصور وصيدا معاً حتى ينال بذلك حق التقدم على مطران طرابلس. فكان ذلك غاية ما يحب الامير.

---

(١) بيت عطية اسرة قديمة في لبنان ومنتشرة فروعها في عدة قرى من الشوف. هاجر كثيرون من افرادها الى بيروت ومصر واميركا وغيرها وفيهم نوابغ من الرجال من الروم الكاثوليك وغير الكاثوليك واشهرهم بهذه الايام الدكتور اسعد عطية من بطمة احد اعضاء مجلس الاعيان في مصر وصهره شاهين بك جرجس من المختارة كاتم اسرار حاكم السودان سابقاً (غير شاهين عطية الكاتب المعروف) وناصيف بك عطية من سوق الغرب من كبار المحامين في بيروت. وعنده سلسلة مواليد اسرته بخط والده قال لي انه نقلها عن نسخة قديمة. وارى ان الفرع اللبناني انفصل عن الفرع الذي في بينو من عكار او من كفربهم من اعمال حماة التي كانت تابعة حكماً لطرابلس. ولم يزل هناك الى اليوم قوم لا يستهان بهم من هذه الاسرة. ولما هاجروا الى لبنان في اول عهد الامير كانوا عزوة له ذات شأن ولذلك اختار منهم كاتب يده وكاتم سره فاعتزوا به اكثر واخذوا يكثرون في لبنان ولاسيما بعد ما صار مطراناً ثم بطريركاً.

كان ابن عطية المذكور قبلاً كاتباً عند الامير وقد اختصه بذلك لأدبه ولباقته وحسن خطه وعقله . ثم هجر العالم ودخل الرهبانية وتدرج بالكهنوت حتى اتفق اعيان صيدا الروم مع الامير على انتخابه مطراناً لهم فرسمهُ كما ارادوا البطريرك الانطاكي يواكيم زيادة المتوفى سنة ١٦٠٤ مطراناً على صور وصيدا واقام في صيدا لسبب عمرانها بجوار الامير الى ان انتدبه اهل دمشق بطريركاً سنة ١٦١٩ ضداً لابن الدباس الذي لاذ بيوسف باشا ابن سيفا حاكم طرابلس كما تقدم الكلام .

فانعقدت حينئذٍ من جديد سلسلة متصلة الحلقات بالمطارنة على صور وصيدا معاً كان أغناطيوس المذكور الاول فيهم وأخذ خلفاؤه بعده يقيمون نظيره في صيدا الى النصف الاخير من القرن الثامن عشر اذ كانت صور خراباً لا يسكن فيها الا بعض المتاولة الفقراء الذين كانوا يعيشون من صيد السمك على شواطيها وفيهم قليل من النصارى الروم لم يستحقوا زيارة البطريرك مكاريوس الحلبي الذي زار مدينة صيدا مع اكثر قرى هذه الابرشية سنة ١٦٤٨ وقضى فيها نحو خمسة واربعين يوماً . بل لم يستحقوا ان يذكرهم ولده الشماس بولس في كتابه المعروف برحلة والده عند كلامه عن زيارته لهذه الابرشية في تلك السنة . ولكن عندما دخلت صور في حوزة رؤساء عشائر المتاولة بني علي الصغير اصحاب قلعة تبنين الذين كانوا موالين للشيخ ظاهر العمر الزيداني اخذت

تتدرج بالعمران من جديد بالنصارى الروم من كتّاب وعمال المشايخ المشار اليهم ومن التجـار بحاصلات بلادهم من الحرير والدخان والقطن والسمسم وغير ذلك . وفيهم بنو مشاقة ومنسى والفاخوري وايوب والحداد والنحاس وسواهم .

مطاربوس : خلف اغناطيوس . ذكره المرحوم غطاس قندلفت في تاريخ بطاركة انطاكية الذي نشره في جريدة المنار بكلامه عن المجمع الذي انعقد في دير السيدة بجوار راس بعلبك سنة ١٦٢٨ للبتّ في مسالة الخلاف على البطركية بين اغناطيوس و كيرلس انه كان بين المطارنة الذين كانوا في هذا المجمع وامضوا اعماله وقوانينه نقلاً عن نسخة وقف عليها في دمشق كتبت سنة ١٨٣٦ بخـط يد جبرائيل موسى الميداني . الا ان البطريرك مكاريوس الحلبي لا يذكر مكاريوس في مجموعته التاريخيـة التي وقفنا على ثلاث نسخ قديمة منها ولا ابنه الشماس بولس مع انهما وقفا على اعمال وقوانين هذا المجمع الاصلية التي كانت في دمشق[1] . ولعل اسم مرقص الاتي ذكره تصحف على الناسخ في النسخة القديمة الاصلية فقرأه مكاريوس

مرقص : على رواية البطريرك مكاريوس الحلبي بعد ارتقاء

---

(١) راجع صفحة ٣٨ من نخبتنا المطبوعة من كتاب رحلة البطريرك مكاريوس .

اغناطيوس عطية الى كرسي البطركية انتدب اهل صيدا مرقص المذكور ليكون مطراناً لهم وشرطنه البطريرك اغناطيوس نفسه كما يذكر مكاريوس الحلبي دون ان يذكر تاريخ سنة رسامته كعادته بذلك . ومات مرقص في صيدا سنة ١٦٣٤ حسب رواية مكاريوس وغيره وحضر لجنازته حينئذٍ البطريرك اغناطيوس من بيروت حيث كان يؤثر الاقامة بجوار الامير مولاه . واذ رام العودة الى بيروت بعد الجناز في تلك الليلة ركب فرسه وسار ليلاً بزي ططري اذ كان منذ صغره معتاداً على الفروسية وركوب الخيل وكانت الحرب قائمة في تلك الايام بين الامير فخر الدين وبين الاتراك في السواحل واطراف لبنان وكان قد شعر رجال الامير ان ططرياً قدم من اسلامبول الى صيدا حاملاً بريد السلطان الى الوزراء الذين كانوا في صيدا بحرب الامير فراموا ان يقطعوا عليه طريقه ويسلبوه ما كان معه فكمنوا له في مكان بطريقه بين صيدا والدامور (كان اسم المكان مشهوراً بنقار السعديات) فاتفق ان مرّ امامهم البطريرك اغناطيوس بزي ططري كما ذكرنا فظنوا انه الططري صاحب البريد السلطاني المقصود فأطلقوا عليه النار حتى وقع عن فرسه يختبط بدمه وتقدموا اليه ليسلبوه ما كان معه . وما كان اشد دهشتهم واسفهم عندما عرفوه انه البطريرك اغناطيوس . فحملوه ودفنوه في قرية الشويفات القريبة كما يليق بمقامه . وقيل ان القتلة كانوا من النصارى الروم من خاص

* Imagine: Patriarch moves without convoy & dressed like Tatars.

اصدقاء البطريرك وفيهم واحد كان البطريرك عراباً له او لابنه[1].

سابا : ارتسم المذكور مطراناً على صور وصيدا من يد البطريرك افثيميوس الصاقزي على رواية البطريرك مكاريوس دون ان يذكر سنة رسامته كعادته. والغالب انها كانت سنة ١٦٣٥[2] اول سنة من بطركيته. وقد روى مكاريوس ان سابا المذكور كان مريضاً مقعداً في بيت اهله بدمشق عندما تنصب مكاريوس بطريركاً في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٦٤٧. ويغلب الظن

---

(١) كل المؤرخين الذين كتبوا تاريخ بطاركة انطاكية المتأخرين الذين ذكرناهم في آخر الفصل السابق ذكروا خبر موت هذا البطريرك بشكله المفجع الغريب الا انهم اختلفوا في بيان بعض ظروفه اسهاباً وايجازاً وافضلهم او اكملهم بياناً مؤرخ دمشقي مجهول الاسم. فانه ذكر بايضاح اصل اغناطيوس منذ كان شاباً وكاتباً عند الامير الى ان صار مطراناً ثم بطريركاً واختلافه مع كيرلس الدباس الذي قتله الامير بسبب ذلك الى ان مات قتلاً بيد اصحابه او بيد الدروز في قول. ومن غريب الصدف والاتفاق ان البطريرك اغناطيوس صروف نميه الشهير مات قتلاً سنة ١٨١٢ اغتيالاً بيد قوم ممن غمرهم بفضله كما مات سابقاً قتلاً القديس الشهيد اغناطيوس المتوشح بالله اول البطاركة.

(٢) في دير القديس انطونيوس (القرقفة) في جوار كفرشيما الخاص باخوتنا الشويريين كتاب بخط يد المطران سابا كتب في آخره: «وكان النجاز من نساخة هذا الكتاب الاستيشاري المبارك نهار الجمعة في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٦٣٨ للتجسد. علقه بيده الفانية الحقير في رؤساء الكهنة سابا خادم كرسي صور وصيدا وما يليهما طالباً وضارعاً من محبة الاخوة المسيحيين الارثوذكسيين المتأملين في هذه الكتابة السقيمة...»

*IMP NEW Key to contact between East & West: common enemy is Protestants

بان سابا مات في اواخر هذه السنة او في اوائل سنة ١٦٤٨ التي زار فيها البطريرك مكاريوس صيدا مع اكثر قرى ابرشيتها كما وصف ذلك ولده الشماس بولس دون ان يأتي بذكر مطرانها وهي السنة التي رسم فيها المطران ارميا الآتي ذكره .

ارميا : رسمه مطراناً على صور وصيدا البطريرك مكاريوس الحلبي نفسه يوم الاحد الواقع في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٦٤٨ في دير السيدة بكفتين من كورة طرابلس خلفاً لسابا المذكور سابقاً . واصله من بلدة مرمريتا من بلاد الحصن التابعة لطرابلس . وكان اسمه سابقاً الياس . ولما ارتسم مطراناً دعي ارميا كما يخبر مكاريوس نفسه وابنه الارشيدياكون بولس في كتاب رحلة والده (ص ٦٠) . وسنة ١٦٥٩ ذهب ارميا الى دمشق للسلام على البطريرك مكاريوس بعد عودته من سفرته الاولى الى روسيا وحضر هناك المجمع الذي عقده البطريرك مكاريوس في تلك السنة لحط وحرم مطران حمص اثناسيوس ابن عفيش . وكان ارميا المذكور راعياً صالحاً غيوراً على مصالح رعيته مستقيماً بايمانه واعماله . فانه أمضى اولاً في ٥ كانون الاول سنة ١٦٧١ باقتراح وحضور قنصل فرنسا في صيدا M. De Bonnecorée صورة اعتراف ايمان الكنيسة الشرقية ضد تعليم بدعة الكلوينيين التي كتبها وامضاها البطريرك مكاريوس في دمشق في ٢٠ تشرين الاول سنة ١٦٧١ مقرراً انها بامضاء وختم مكاريوس البطريرك الانطاكي وان هذا ايمانه الخاص

(4). Saba (c.1635-c.1648) → PRO PATR. CYRIL: PRO CATH

(5) - Jeremiah ordained by P. Macarius 1648 [d. Paul p. 6..]

* ties w/ French; signed confession anti-Calvinism

→ Consul of Fr. in Sidon

وايمان الكنيسة الشرقية كلها وامضاها معه كهنته في صيدا كما انه امضى ثانياً في ١٥ ايار سنة ١٦٧٣ باقتراح وحضور الاب مخائيل نو اليسوعي Michel Nau صورة الاعتراف التي كتبها وامضاها بهذا الشأن البطريرك ناوفيطوس الصاقزي في دمشق في ٣ ايار سنة ١٦٧٣ كما تقدم ذكر هذا في الفصل السابق . ومن هذا يظهر ان ارميا المذكور كان من الموالين للبطريرك ناوفيطوس المذكور في مسألة الخلاف على البطركية بينه وبين البطريرك كيرلس الحلبي كما تقدم بيان هذا في الفصل السابق [١] .

فقد كتب عنه الاب بسون اليسوعي في كتابه المعروف بسورية المقدسة صفحة بديعة نادرة يحسن بنا نشرها هنا بلساننا العربي ولسانه الفرنساوي . قال بعد كلامه عن اعمال الآباء

---

(١) نشرت مجلة المشرق في عددين من سنتها السابعة رسالة البطريرك مكاريوس المشار اليها مع الملحق بها من البطريرك المذكور منقولة عن الاصل المحفوظ في مكتبة باريس الكبرى برقم ٢٢٤ من مخطوطاتها العربية وقد طالعنا هذا الاصل هناك . وقد خلا المطبوع من ذكر امضاوات المطارنة والكهنة الذين وافقوا على مضمونها وعلى امضاء البطريرك لها ممن كانوا خارج دمشق مثل ارميا مطران صور وصيدا وكهنته وفيلبوس مطران بيروت وكهنته وقد ذكر نص موافقتهم تماماً مع امضاواتهم جميعاً في ترجمتها الفرنساوية مع ترجمة صورة الاعتراف التي كتبها بهذا الشأن البطريرك ناوفيطوس الصاقزي في الفصل الثامن عشر من المجلد الثاني من التأليف المعروف

Perpétuité de la foi de l'Eglise Catholique sur l'Eucharistie, Vol. 2, p. 1234, Paris, 1841

اليسوعيين الرسولية في صيدا سنة ١٦٥٩[٢] وان لم يذكر اسمه :

« بالحقيقة يجب علينا كثيراً شكر جميل مطران الروم الذي يقر انه يبادلنا الجميل لانضمامه الى الكنيسة الرومانية بواسطة احد آبائنا . فان هذا الخبر الكاثوليكي يفتح لنا بكل رضاه كنيسته وقلبه ويجاهر علناً بان كنيسة الافرنج والموارنة كنيسة مقدسة وحقيقية . فان هذا الفتح فتح مبين بين قوم مشاقين لا يعرفون ما هو الشقاق ولا يمكن ان يهلكوا الا بسوء سلوك رعاتهم وباحكامهم الفاسدة المضلة التي يجاهرون بها . فان ربحت واحداً مثله فقد ربحتهم كلهم . ولو ربحتهم كلهم دونه لم تستفد شيئاً . فانت هنا لا تنصر ملوكاً غير معمدين . وانما عليك ان تكتسب الى دين الحق هامات مقدسة . فهذا الراعي الصالح يظهر فرط حبه لنا بهذا القدر حتى انه يسمح بقبول كل من نقدمه اليه للوعظ بمعنى ان حبه لنا كفيل ضامن لذلك .

فهل تريد ان تربح الروم فلا ينبغي ان تمتهن امة تحترم نفسها بحق وصواب فاظهر لهم الحب والصواب والاحترام والكتاب

---

(٢) عرّب بتصرف هذا النص المرحوم الاب لويس شيخو في المشرق (١٤ : ٦٥٠) وظن ان المراد بالمطران المذكور افثيميوس صيني لكن بمراجعة مقدمة الكتاب والرسائل الملحقة بطبعته الجديدة سنة ١٨٦٢ يتضح انه طبع لاول مرة سنة ١٦٦٠ وكان حينئذٍ مطراناً في صيدا ارميا ولم يرتسم افثيميوس الا بعد ذلك باكثر من عشرين سنة

المقدس واقوال معلميهم الآباء القديسين وافتح لهم يدك بقدر ما تفتح لهم فمك . اذ ينبغي ان تعزي شعباً مضطهداً لدينه السيف دائماً فوق رأسه . فاحفظ في صدرك اقوال آبائهم القدماء تبطل بهذا معتقدات اولادهم . فان علم اكتساب نفوس الناس لا يقوم بحكم العقل وحده دون اختيار ورضا منهم »

« Certainement nous devons beaucoup à l'évêque des grecs, qui d'ailleurs ayant été gagné à l'Eglise Romaine par un de nos Pères, s'estime notre obligé. Ce catholique prélat nous ouvre très-volontiers son Eglise et son cœur, et témoigne hautement à ses auditeurs que l'Eglise des Francs et des Maronites est toute sainte et la véritable Eglise. Ces conquêtes sont des coups d'État parmi un peuple qui est schismatique, sans connaitre presque le schisme, et ne peut guère périr que par la mauvaise conduite des pasteurs et par les pernicieuses maximes qu'ils peuvent débiter. Gagnez-en un, vous les gagnez tous: gagnez-les tous à la réserve d'un, vous n'avez rien fait. Vous ne baptiserez pas ici des rois, mais vous essaierez d'acquérir à la religion orthodoxe des têtes consacrées. Ce bon prélat nous témoigne bien tant d'affection qu'il reçoit, même dans sa chaire, ceux que nous lui amenons; comme si notre seule amitié était une juste approbation.

Voulez-vous gagner les Grecs ? Ne méprisez pas une nation qui s'estime avec quelque sujet : employez l'amour, les raisons, le respect, l'Écriture Sainte et le témoignage de leurs docteurs: n'ouvrez pas moins la main que la bouche : consolez un peuple toujours persécuté et qui a la tête sous le fer du cimetère ; possédez la doctrine de leurs anciens pères, et, vous abolirez les dogmes des enfants. L'art de gagner les hommes n'est pas tant une habitude de l'entendement que de la volonté. »

La Syrie Sainte Au XVIIe Siècle. Par P. Joseph Besson, p. 160 — 161. Paris, 1862.

وعاش المطران ارميا طويلاً في صيدا الى ان خلفه الطيب الذكر المطران افثيميوس صيفي كما يستفاد مما كتبه عنهما البطريرك كيرلس الحلبي كما سيأتي ذكره في محله قريباً. وفي مكتبة دير المخلص انجيل خط برقم ٢٢ علق عليه كاتبه «جريس المكنى ابن عطاالله ابن لبابة تلميذ كير فيليبوس مطران بيروت ادام الله بقاه وفرغ منه في ٢١ تشرين الثاني سنة ٧١٨٣ لآدم (١٦٧٤ م) برسم ارميا مطران صور وصيدا» لكن لا نعلم في اي سنة توفاه الله.

اغابيوس : ذكر المرحوم المطران غريغوريوس عطا في صفحة ٢١ من تاريخ الطائفة المطبوع ان اغابيوس مطران صور وصيدا كان مع المطارنة الذين اجتمعوا في طرابلس سنة ١٦٨٠ في سبيل حفظ وتأييد الايمان الكاثوليكي بامر البطريرك كيرلس الحلبي[1] لانه كان كاثوليكياً. ولم يحضر هو فيه خوفاً من اضرار البعض الذين اظهروا ذواتهم مضادين له.

على اننا نشك كثيراً بذلك اولاً لان وجود اغابيوس المذكور يخالف نص ما كتبه البطريرك كيرلس الحلبي بانه رسم افثيميوس بعد موت ارميا بدون فاصل. ثانياً لانه مقرر تاريخياً بان البطريرك

---

(١) وقد ورد في كتاب المطران عطا المخطوط «برضاه» بدل «بامره». ثم يقول في المخطوط انه وقف على نسخة من اعمال المجمع المذكور فقدت بحوادث سنة ١٨٦٠

كيرلس لم يكن كاثوليكياً سنة ١٦٨٠ . بل كان يضطهد المطارنة الذين كانوا يجاهرون بالايمان الكاثوليكي كما تقدمت الاشارة الى ذلك وسيأتي ايضاحه مفصلاً . ثالثاً لان سلفستروس الدهان الذي ذكر المطران عطا انه كان في مجمع طرابلس لم يرتسم مطراناً قبل سنة ١٦٨٦ . رابعاً لان اغابيوس المشار اليه لم يذكره لوكيان ولا القس يوحنا العجيمي ولا غيرهما في سلسلة مطارنة صور وصيدا مع اسلافه وخلفائه . ومن ثم نرى ان المطران غريغوريوس عطا لم يتثبت حسناً من قرآءة نسخة اعمال المجمع المذكور بتحقيق تاريخها وتحقيق اسماء المطارنة الذين امضوا اعمال هذا المجمع .

بواصف : الحلبي المصور . امضى فيما نعلم اعمال المجمع الذي عقده دوسيثاوس بطريرك اورشليم في كنيسة المهد في بيت لحم لشجب وتحريم تعليم بدعة الكلوينيين في ٢٠ آذار سنة ١٦٧٢ هكذا : « يواصف مطران عكا وصور » في الوقت الذي كان فيه مطراناً على صور وصيدا ارميا السابق ذكره بحياة البطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي صديق دوسيثاوس البطريرك الاورشليمي المذكور . فقد بحثنا كثيراً عن امر هذا المطران الدخيل على كرسي صور لنعلم كيف ارتسم مطراناً ومن رسمه فلم نصل الى مرادنا لقلة الاثار والمعلومات التاريخية اللازمة لذلك . وزبدة ما تحققناه عنه بعد بذل الجهد بتقصي اثار قلمه انه حلبي الاصل وخطاط مشهور بالعربي واليوناني ومصور بارع ومؤرخ كما يصف

(8) يواطف — LIVED IN JERUSALEM - NOT SIDON
↑ weakness of Antiochian church
Distance between Flock ~~& sheep~~ shepherd.

نفسه . وكان يحسن العربية واليونانية كما يظهر من معرباته التي لا بأس بها . وكان يقيم في القدس الشريف نظير سائر مطارنة بطريركية اورشليم لا في المدينة التي يحمل اسمها وينسب اليها. اي انه كان يلقب بمطران عكا وصور وقيسارية فلسطين ولا يقيم في واحدة منها لانها كانت كلها خراباً او ليس فيها من النصارى الروم اناس يقومون بشأن مطران لهم بوجه لائق بمقامه .

بالتالي انه كان مطران شرف فقط بدون رعية. والدليل على انه كان مطران شرف فقط هو ان قيسارية وعكا وصور كانت حينئذ خراباً كما قدمنا، فضلاً على اننا لم نجد في بحثنا عنه ما يشير الى انه كان يقيم في واحدة منها . ولا في صيدا التي كانت تابعة للبطريركية الانطاكية وكان لها مطارنة يقيمون فيها لذلك العهد بالتتابع من ارميا السابق ذكره الى افثيميوس الآتي ذكره كما يتحقق هذا من سياق التاريخ .

وقد وقفنا على عدة رسائل لافثيميوس لم يذكر بواحدة منها مزاحماً له على كرسيه الا في آخر حياته سنة ١٧٢٣ اذ كان قد مات يواصف المذكور .

ومعلوم ان عكا كانت حسب الرسم القديم تابعة للبطريركية الانطاكية. ولسبب خرابها وهبها البطريرك الانطاكي اغناطيوس

عطية في اول القرن السابع الى ثاوفاني بطريرك اورشليم ولم تزل كذلك الى اليوم عند الروم بعد تجديد عمرانها بعهد وفضل الشيخ ظاهر العمر الزيداني ومن خلفه .

واما قيسارية فلم تزل الى اليوم خراباً وقد أخذت حجارتها لبناء سور عكا في ايام احمد باشا الجزار وسليمان باشا خلفه

وكما اننا لم نستطع ان نعلم سنة رسامة يواصف لم نستطع ان نعلم سنة وفاته . وفي كل حال يجب ان تكون قبل سنة ١٧١٣ اذ نعلم بالتحقيق ان الخوري سيرافيم طاناس ترشح لان يكون مطراناً لعكا في تلك السنة بعد موت مطرانها كما سيأتي بيانه في محله . ولعلها كانت قبل ذلك بعدة سنين

ويظهر صريحاً ان يواصف[1] المذكور كان سنة ١٦٩٦ متنازلاً عن كرسي صور من كتاب السيف القاطع الذي وقفنا على نسخة منه في مكتبة الواتيكان برقم ٤٨٧ من مخطوطاتها العربية من تعريب يواصف المذكور بمعاونة خريستوذولوس مطران غزة وقد ذكر فيه اسمه ولقبه وكنيته هكذا : « يواصف المكنى بابن سويدان المصور مطران صور سابقاً في دار البطريركية العامرة في مدينة اورشليم سنة ١٦٩٦ . »

فمن قوله مطران صور سابقاً نتحقق انه لم يكن يدعي

---

(١) يجب ان نعلم ان اسم يواصف هو نفس اسم يوسف ايضاً فالصيغة الاولى منها منقولة عن اليونانية الحديثة والثانية عن العبرانية .

حينئذ حق الرئاسة على كرسي مطرانية صور .

ومن قوله المكنى بابن سويدان المصور نتحقق انه نفس الخوري يوسف ابن الحاج انطونيوس المكنى بابن سويدان الحلبي المصور تلميذ البطريرك افثيميوس كرمه كما يذكر عن نفسه ذلك فيما كتبه بخط يده في معرباته التي كتبها وهو كاهن

اولا : في نسخة من كتاب السواعي من تعريب معلمه البطريرك افثيميوس كرمه مرسومة برقم ٦١٨ بين المخطوطات العربية في مكتبة الواتيكان. كتب عليها «بخط يد الفقير الخوري يوسف ابن الحاج انطونيوس المكنى بسويدان الحلبي تلميذ البطريرك سنة ١٦٣٤ مسيحية الموافقة سنة ١٠٤٣ هجرية .»

ثانياً : في كتاب الدر المنظوم في اخبار ملوك الروم تاليف الكاهن متى جيغا عربه عن اليونانية الحديثة باقتراح البطريرك مكاريوس اذ كان مطراناً على حلب ونقل بقلمه كل الصور التي كانت مرسومة بالاصل اليوناني كما يظهر صريحاً من كلام البطريرك مكاريوس في مقدمة كتابه تاريخ الروم العجيب المجيد من عهد آدم الى ايام قسطنطين السعيد

ثالثاً : تعريب كتاب خلاص الخطاة المشهور تاليف الراهب اغابيوس القريطشي يذكر فيه اسم معربه « القس يوسف المصور ابن الحاج انطونيوس المكنى بابن سويدان الحلبي تلميذ افثيميوس البطريرك الانطاكي» وقد طبع الكتاب المذكور منقحاً في مطبعة

القبر المقدس في القدس الشريف

رابعاً : ترجمة عظة بائيسيوس الصاقزي مطران غزة التي القاها في كنيسة حلب في تفسير مثل الكرم «من الاب الفاضل الشائع ذكره والذائع فخره القس يوسف المصور تلميذ البطريرك افثيميوس الحموي »

خامساً : سيرة القديس باسيليوس الكبير عربها سنة ١٦٩٣ باقتراح او بامر البطريرك دوسيتاوس الاورشليمي كما افادنا عن ذلك حضرة صديقنا الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف .

سادساً : افادنا الاستاذ المذكور انه وقف على نسخة معربة من تفاسير القديس يوحنا فم الذهب بخط يد المذكور كتبها سنة ١٦٣٥ بدون لقب خوري مع انه يلقب نفسه تلميذ البطريرك افثيميوس .

سابعاً : افادنا المذكور انه نظر صورة العذراء المجيدة في كنيسة الروم غير الكاثوليك في حلب كتب تحتها « عمل يوسف المصور سنة ١٦٩٢ » وقد اهمل ذكر القابه للاختصار .

ثامناً : نظرنا في كنيسة مطرانخانة الروم الكاثوليك في صور نسخة من كتاب الليتورجيات بخط يده الجميل باليوناني مصوراً بقلمه وهو مطران .

تاسعاً : في مكتبة القبر المقدس في القدس الشريف كتاب البنديكوستاريون من خط يده برقم ٣٠١ من مخطوطاتها اليونانية

كتب سنة ١٤٩٣ باليوناني . وعليه حاشية في صفحة ٣٧٠ فيها : « سنة ١٦٩٧ هذا البنديكوستاريون يخص مع غيره من الكتب الحقير يواصف مطران بطولومايس » اي عكا . وفي صفحة ١٧٠ حاشية يونانية مفادها انه سنة ١٦٩٧ في ٢ شباط احتفل بالقداس على قبر الخلاص بحفلة عيد دخول المسيح الى الهيكل مطران صور الكلي القداسة كير يواصف الحلبي .

﴿ الفصل الثاني عشر ﴾

في رسامة افتيميوس مطراناً على صور وصيدا

How bishops were selected according to Macarius travels

يستفاد مما كتبه البطريرك مكاريوس وابنه الارشيدياكون بولس ومن قوانين دير السيدة السابق ذكره وغيره ان العادة الجاري العمل بها حينئذ في انتخاب المطارنة ان البطريرك يختار الكاهن المراد رسامته مطراناً او اسقفاً برضى واتفاق اعيان المدينة التي فيها كرسيه او بانتخابهم له على الرسم القديم . الا ان هذا الانتخاب لم يكن يجري حينئذ بالتدقيق التام ولم يكن سبيل لكل ابنآء الابرشية ان يشتركوا بانتخاب مطرانهم ولاسيما اهل الضيع الصغيرة والتي ليس فيها من النصارى عدد وافر . ولذلك كان البطريرك يكتفي برضى او بانتخاب اعيان المدينة التي فيها كرسي المطران وهم رؤساء العيال الكبيرة مع اكليرسهم . وقد يشترك معهم بذلك اعيان بعض القرى الكبيرة العامرة بالمسيحيين .

normally electing bishop from within diocese

ويغلب الامر بان ينتخبوا واحداً منهم اي من نفس الابرشية يعرفهم ويعرفونه مترهباً في قلاية المطران او قلاية البطريرك او في احد الاديرة العامرة في لبنان او في دير مار سابا المشهور في فلسطين . وقد يكون غريباً من جزيرة قبرص او صاقز بشرط ان يكون عارفاً ولو قليلاً اللغة العربية لغة اهل الابرشية . على ان رهبان القلاية البطريركية كان لهم التقدم والافضلية على سواهم لانهم بالغالب اكثر خبرة وارقى ثقافة . ولكون البطريرك له دائماً الكلمة الاولى والاخيرة بترشيح المطارنة وانتخابهم ورسامتهم ممن كانوا في رضاه ولا سبيل لان يرتسموا بدون وضع يده بمعاونة بعض المطارنة كما تقتضي رسوم الشرطونية المقدسة .

Rule for some bishops know very little Arabic [Cyprus]

ولا بأس اذا كان المنتخب للاسقفية كاهناً متزوجاً زيجة ناموسية بامرأة قد صار حراً بموتها ان كان ذا سيرة صالحة مشهوراً بالعلم والعفاف والتقوى لسبب قلة الرهبان الصالحين لرئاسة الكهنوت وقلة الاديرة العامرة بالرهبان الصالحين لذلك .

واذ كان روح الدين والتقوى قد انتعش في قلوب المسيحيين الروم من اهل صيدا بفضل غيرة المطران ارميا السابق ذكره بوعظه ومثله الصالح ومساعدة الرهبان المرسلين اتفق اعيانهم على انتخاب واختيار الخوري ميخائيل صيفي الدمشقي مطراناً لهم خلفاً لارميا . وكان للخوري المذكور سمعة

الخوري ميخائيل الصيفي مطراناً خلفاً لارميا

حسنة بتقواه وغيرته الدينية وشجاعته الادبية وسعة معارفه وحسن وعظه ولياقته لرئاسة الكهنوت ليجمل كرسي مطرانية صور وصيدا . ولا بد ان قد اتصل اليهم اسمه بواسطة التجار من اهل دمشق وصيدا الذين كانوا يترددون كثيراً باسفارهم الى البلدين. على انه وان لم يكن جرى ترشيحه وانتخابه للمطرانية من قبل البطريرك كيرلس الحلبي عن رغبة واخلاص محبة فقد رضي بذلك ورسمه بيده كما شهد كيرلس نفسه فيما كتبه بخط يده تعليقاً على ما كتبه جده البطريرك مكاريوس في سلسلة مطارنة صور وصيدا من مجموعته التاريخية التي تقدم ذكرها مراراً . وهذا نصه : يقول كيرلس البطريرك الانطاكي كاتب الاحرف باني بعد ارميا شرطنت مخائيل الدمشقي مطراناً على صيدا وتلك النواحي ودعينا (كذا) اسمه افثيميوس[1]

لم يذكر لنا البطريرك كيرلس سنة رسامة افثيميوس مطراناً وقد بذلنا الجهد بالبحث عن ذلك فلم نتوفق . الا ان سجل دير المخلص يذكر بوجه اجمالي ان هذه الرسامة تمت سنة ١٦٨٢ . بدون ذكر اليوم والشهر الذي فيه قد تمت . وكيفما كان ذلك فليس هذا التاريخ بعيداً عن الصواب لان المطران قد ارسل بعد

---

(١) نقل لنا هذا النص صديقنا الاستاذ عيسى المعلوف عن النسخة الاصليه بخط يد البطريرك مكاريوس او كاتبه وقد انتقلت بالارث الى البطريرك كيرلس . وقد اشتراها الاستاذ المشار اليه الى المرحوم البطريرك غريغوريوس حداد الذي قدمها هدية الى قيصر روسيا سنة ١٩١٣ وهي لم تزل في روسيا

رسامته صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي محررة في ٢٠ كانون الاول سنة ١٦٨٣ . فلا بد ان تكون رسامته قد تمت في اواخر سنة ١٦٨٢ نفسها وهو الارجح او في اوائل سنة ١٦٨٣ وهذا بعيد فيما نظن [1] كما سنرى في كلام المطران نفسه الذي سنذكره قريباً .

واول عمل هم به هذا الاسقف الكاثوليكي الغيور بعد رسامته وجلوسه على كرسيه انه اسرع بان ارسل الى البابا اينوشنسيوس الحادي عشر المالك في ذلك العهد صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي صحبة احد الآباء الكبوشيين الذي كان معلم اعترافه سابقاً في دمشق واسمه الاب اكورسيو (Accursio) وهي الصورة التي اوجب البابا اوربانوس الثامن على جميع الشرقيين الاقرار بها وامضاءها امام شهود ثقاة اذا ارادوا ان يكونوا معروفين رسمياً بانهم كاثوليك . ولهذا السبب هي تنسب الى البابا المذكور . وهي نظير صورة الاعتراف بالايمان التي يلتزم ان يبرزها كل مطران قبل رسامته امام البطريرك والمطارنة الذين

---

(١) نرى انه لم يباشر الرهبان بكتابة هذا السجل الا بعد موت المطران اقليميوس وبعد موت تلاميذه الذين شاركوه في تشييد دير المخلص . ولهذا السبب لم نجد فيه الكلام وافياً عن المطران ولا عن تلاميذه . بل لا يخلو كلامه عنهم من الوهم . ومن هذا انه ذكر المطران باسيليوس فينان قبل رسامته مطراناً وهو كاهن باسم الخوري مخائيل . والصواب انه كان يدعى غفرائيل . وكان يدعى وهو علماني وشماس باسم ابرهيم كما تحققنا هذا من عدة رسائل له ولمعلمه المطران اقليميوس وقفنا عليها في رومية بعد ما نشرنا اللمحة التاريخية التي طبعناها سنة ١٩٠٩ حيث ذكرنا في صفحة ٢٧ منها اسمه مخائيل نقلاً عن هذا السجل .

يتولون رسامته كما هي مذكورة في كتاب الانفولوجيون في الفصل الذي يختص برسامة المطارنة ويزيد عليها في آخرها الاقرار بقضايا الخلاف المعروفة التي يجحدها الروم غير الكاثوليك . فان المطران الكاثوليكي يجاهر بالاعتقاد بها بلسانه . ويعد بقسم انه يحافظ عليها وينشرها بين رعيته . فقد ختمها المطران افثيميوس بل كتبها كلها بخط يده ومهرها بختمه الاسقفي . وصدرها بمقدمة خاصة يوضح بها شأنه واحواله السابقة نظراً لمعتقده بصحة الايمان الكاثوليكي وبسلطة الحبر الروماني السامية العامة . راينا ان نعربها عن ترجمتها الايطليانيه التي وقفنا عليها في سجلات مجمع انتشار الايمان في رومية . اذ لم يتيسر لنا الوقوف على اصلها العربي الذي نرجح انه محفوظ في سجلات مجمع ديوان التفتيش الذين من شانه فحص قضايا الايمان مما يتعذر علينا الوصول الى هذه السجلات

« الى حضرة قدس الاب الطوباني سيدي الحبر الاعظم البابا اينوشنسيوس الحادي عشر اب الآباء . ورئيس الرؤساء . وراعي الرعاة وخليفة هامة الرسل القديس بطرس ونائب السيد المسيح على الارض وبطريرك مدينة رومية العظمى المحروسة وسائر المسكونة حفظه تعالى ورحمنا ببركة دعاه آمين .

من الحقير في رؤساء الكهنة افثيميوس مطران صور وصيدا وما يليها . . . اذ كنت منذ سنين اشتهي كثيراً ان اتشرف بمكاتبتكم لاجل تقديم الطاعة لكرسيكم الرسولي المقدس لكوني من زمان اني معترف بالايمان الكاثوليكي الروماني . وقد رفضت ضلال الروم وشقاقهم من الكنيسة الرومانية . وهذا

قد فعلته بين ايادي الرهبان المرسلين من حضرتكم في دمشق الشام . ولم يكن يمنعني عن ذلك الا مهابة نوركم الساطع في كل المسكونة . واما الآن فاذ قد صرت بنعمة الله مطراناً على كرسي صور وصيدا فيجب علي تقديم الطاعة الواجبة لحضرتكم والالتجاء الى كرسيكم المقدس اقتداء بالآباء القديسين نظير اثناسيوس الكبير ويوحنا فم الذهب وسائر الاباء القديسين الذين قد قبلتهم الكنيسة الرومانية وقت جهادهم واضطهادهم الذي قاسوه بشدة الظلم لان كرسيكم هو دائماً ملجأ كل المضطهدين من اجل الحق . ولا ينبغي ان اذكر لكم ما قد احتملته من النفي والحبس والاهانة وخسارة الاموال والتعدي علي من الإسلام بسعاية البعض من الروم واكليروسهم ولا سيما بطريركهم المدعو كيرلس . وذلك لاجل اعترافي بالايمان الكاثوليكي . ولم يكن لي شيء يقويني وينعش فؤادي غير الرجاء بقدسكم وبالطوبى الانجيلية المعطاة للمضطهدين من اجل البر مع الامل ان تمنوا على عبدكم بالتثبيت والبركة لان الذين رعيتي مخالفون لايمان الكنيسة المقدسة وتابعين لشقاق فوتيوس . فالآن ارجو من قدسكم ان تمنوا بالتثبيت والبركة على عبدكم ورعيتي لان الله تعالى يمنح في السماء ما انتم تمنحونه على الارض

هذا ايماني واعتقادي مبهوراً بامضائي وختمي اقدمه لقدسكم صحبة وكيلي ومعلم اعترافي الراهب الكابوشي الاب اكورسيو الذي يوضحه شفاهاً لكم مع كلما في قلبي ونيتي مع تقبيل اقدامكم بالوكالة عن حقارتي . . »

يلزم من نص هذه المقدمة الشائقة اولاً ان المطران افثيميوس كان يجاهر وهو كاهن في دمشق بالايمان الكاثوليكي قبل انتخابه ورسامته مطراناً على صور وصيدا . ثانياً انه قاسى حينئذ اضطهادات جمة في سبيل هذا الايمان من قبل الروم واكليروسهم بايعاز البطريرك كيرلس نفسه الذي رسمه مطراناً . ثالثاً

ان البطريرك كيراس المذكور كان تابعاً حينئذ لشقاق فوتيوس ويضطهد كل من يجاهر بالايمان الكاثوليكي . رابعاً ان رسامة افثيميوس مطراناً لم تكن برضاه التام عن محبة خالصة له وبنية صافية . وقد كتب منصور صيني في احدى رسائله عن اخيه المطران ان اخصامه سعوا برسامته مطراناً على صور وصيدا . ليبعدوه عن دمشق والبطركية ويخلصوا من توبيخه.

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

في ابرشية صور وصيدا

كانت ابرشية صور الخاصة بموجب التختيكونات القديمة او بموجب النظام القديم تشتمل ما عدا المدينة على بلاد بشارة ويحدها من جهة ابرشية عكا الزيب ومن جهة صيدا نهر القاسمية. واذ كانت ام مدن فينيقية كان يتبعها كل ابرشيات هذه البلاد من عكا جنوباً الى طرطوس شمالاً . ولما كانت مدينة صور خراباً في القرن السابع عشر كما قدمنا صارت هي وابرشيتها تابعة لصيدا العامرة حينئذ بجوارها . وصارت هذه محل اقامة المطران الحامل لاسم صور وصيدا معاً . ومن ثم كانت سلطة المطران المشار اليه تمتد الى ابرشيات صور وصيدا وبانياس وغيرها من الابرشيات الاسقفية التي كانت تابعة لصور وقد خربت مدنها وزالت رسومها وخفي امرها . واذ لم يكن عامراً من هذه المدن

سوى صيدا كان على مطرانها الاهتمام ورعاية النصارى الروم المشتتين في قرى جبل عامل وبلاد بشارة واقليم الشومر ومرج عيون واقليم الريحان والتفاح ووادي التيم والبقاع واقليم جزين والشوف المعني مع اقليم الخروب مما لا يسعنا ذكر قراها ولا عدها .

وفي سنة ١٦٤٨ زار البطريرك مكاريوس صحبة ابنه الارشيدياكون بولس مدينة صيدا واقاما فيها اثني عشر يوماً ثم زارا بعض قرى هذه الابرشية من البقاع واقليم التفاح والشوف في مدة ٤٥ يوماً . وقد ذكر بولس المشار اليه في كتاب رحلة والده (صفحة ٥٩) اسماء القرى التي زارها صحبة والده . وزيارته لها هكذا تحملنا على الحكم بانها كانت عامرة وآهلة بالنصارى الروم فننقلها بالجدول الآتي :

عيتا الفخار	البقاع
القرعون	
مشغرة	
كفرملكة	اقليم التفاح
عبرا	
برتي	
وادي الليمون	
كفربيت	
كفرحتا	

DIOCESE OF MELKITE ~~ROC~~ SIDON

بسري
عنبـال
بعقلين مقام الامير حاكم الشوف
غريفة
مزرعة الشوف
عين قنية
عماطور
باتر
نيحا
بعذران
الخريبة
المعاصر
بتلون
الفريديس
عين زحلته
بصين
بريح
عين وزين
دير القمر
السمقانية

الشوف

هذه القرى لم تزل الى اليوم آهلة بالروم الكاثوليك وتابعة لابرشية صيدا . ولعل عددهم قل اليوم في البعض منها كما انه يوجد اليوم قرى كبيرة بجوارها عامرة كانت آهلة بالروم (حسب رواية اهاليها) لم يذرها البطريرك مكاريوس ولا ذكرها ابنه الشماس بولس اما لعدم اهتمامه بهم لقلة شأنهم او لقلة عددهم فيها بخلاف ما هي عليه اليوم مثل جزين وقيتولة وروم ومغدوشة والصالحية والمختارة وبطمة وجون وغيرها كثيرة لا يسعنا ذكرها. ولعلهم كثروا فيها باواخر القرن السابع عشر او في اوائل القرن الثامن عشر

واما عدد سكان الابرشية في مدينة صيدا وقراها فليس عندنا عن ذلك معلومات واضحة في سندات راهنة يصح الاعتماد عليها بهذا الشأن . وجل ما وقفنا عليه من هذا القبيل في رسالة من المطران افثيميوس في تاريخ ٢٦ ايار سنة ١٧١٤ الى البابا اكلمنضوس الحادي عشر في سجلات مجمع انتشار الايمان في رومية[1] ننقل منها ما له شأن بهذا الصدد وان كانت متأخرة عن الوقت الذي كلامنا فيه الان معما فيها من الغموض والاشكال قال طيب الله روحه :

---

1) Scritture Originale Riferiti in Congre . 26 Mars 1715 .

« انا يا سيدي من حينما فقت على حالي وانا اعرف الايمان الكاثوليكي الذي طول زماني وانا مجاهد لاجل اقامته وهدم رأي المشاقين . ومن حين دخلت درجة المطرانية للان مدة ثلاث وثلاثين سنة [1] ما اعطيت حساب وكالتي لاني كنت اخاف لفظ (كلام) الافتخار . لكن لما اخبرني ابن اختي الخوري سار وفيم (طاناس) بان قداستكم طلبتم منه ان اعطي حساب وكالتي عن الانفس التي قبلت كرزي وتعليمي في الايمان الكاثوليكي من كل الطوائف الشرقية اخبر ابوتكم من الروم والملكية والارمن والسريان والقبط والحبش واحد . ومن المسلمين ومن اليهود جملة نفوس ينيف عن خمسة وعشرين الف نفساً لان بلدنا اسكلة بلاد الروم والعرب وهي طريق دمشق ومصر وطريق مكة والقدس . وهذا الخبر كنت اشتهي ان يموت معي ولكن طاعة لامركم اخبرتكم بذلك . . . »

ولا يخفى ان العبارة المذكورة مشوشة كما نقلت لنا ولم نقف على اصلها . فلا يفهم منها المراد هل كان الخمسة وعشرون الفاً هم سكان صيدا الذين كانوا يسمعون وعظ المطران وكلامه على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم وملهم ام هم رعيته الخاصة وابناء ابرشيته دون سواهم . ونحن نظن ان المراد الوجه الاول بدليل قوله التالي تعليلاً لذلك لان بلدنا اسكلة بلاد الروم (وفيهم الاتراك سكان بلاد الروم) والعرب وهي طريق دمشق ومصر وطريق (الحاج الى) مكة والقدس . .

وكان رئيس مجمع انتشار الايمان قد ارسل الى محافظ الارض

---

(١) من هنا يظهر واضحاً ان رسامة افثيميوس مطرانًا كانت سنة ١٦٨٢ اذ تكون سنة ١٧١٤ السنة الثالثة والثلاثون من مطرانيته كما تقدم في هذا الفصل

المقدسة رئيس رهبان دير مار فرنسيس في القدس الشريف رسالة في تاريخ ٢٥ ايلول سنة ١٧١٣ يسأله فيها عن عدة امور فيما يخص ابرشية صيدا وغيرها . فاجابه على ذلك بان الابرشية صغيرة وليس لها خارج مدينة صيدا سوى عشر قرى يسكن فيها الروم مع غيرهم من الامم الشرقية ويبلغون نحو الفين نفساً . وان الخوارنة فيها لا يزيد عددهم على عشرة وهم يكفون لخدمة النفوس فيها .

ولا يخفى على القارئ النبيه ان كلام المحافظ المذكور صادر عن وهم او عن جهل منه باحوال ابرشية صيدا وهو بعيد عنها في اورشليم . ولا قيمة لكلامه عنها توازي قيمة كلام الارشيديا كون بولس الحلبي السابق ذكره الذي زار هذه الابرشية واكثر قراها صحبة والده البطريرك مكاريوس زيارة قانونية وذكر الاماكن التي زارها منها باسمائها . وبالتالي ان كلامه ينقض ويكذب ما كتبه المحافظ المذكور عن هذه الابرشية . وسيتحقق ذلك باكثر ايضاح فيما سيأتي في سياق كلامنا عن هذه الابرشية العزيزة .

﴿ الفصل الرابع عشر ﴾

في مباشرة المطران باعماله في الابرشية

لم تدع لنا الايام كثيراً من الآثار التي توضح لنا اعمال المطران افثيميوس في ابرشيته باول عهده بقدر ما وقع لنا منها فيما يخص اعماله باخر حياته [1] غير اننا نستدل بما بلغ الينا منها انه من اول عهده قصد الخير لرعيته وابناء ابرشيته الذين صاروا يعدون نفوسهم كما كان يعدهم هو ايضاً اولاده بالمسيح . واقتضى الحال ان يزورهم في بيوتهم في صيدا وفي قرى شتى متباعدة من الابرشية ومتفرقين او مشتتين فيها قد يكون في القرية الواحدة بيت او بيتان او ثلاثة . فليس المراد اذاً بقولنا في الفصل السابق عن هذه القرى بانها كانت اهلة بالنصارى انها كانت عامرة بعدد جزيل منهم . بل المراد انه كان فيها اناس منهم .

نعم ان الابرشية كانت واسعة كثيراً بطولها وعرضها . الا انها كانت غير عامرة . بل كانت اقرب الى الخراب مما هي الآن

---

(١) ليس هذا الفصل منقولا من كتاب واحد او من عدة كتب معينة نستطيع ان نذكر الكتاب الذي نقلنا كلامنا عنه او اعتمدنا عليه . وانما هو خلاصة مطالعات جمة لعدة كتب مطبوعة ومخطوطة واضابير اوراق قديمة شتى اشرنا سابقاً الى بعضها سيقف القاري النجيب على نص بعض هذه الاوراق التي سننشرها تباعاً في محلها المناسب لها

No defined source, but scattered manuscripts are source of this chapter.

عليه من العمران بسكانها . وكان النصارى فيها — واكثرهم من الروم — اقل عدداً واقل شأناً اذ كان اكثر سكان مدينة صيدا من المسلمين نظير ما هم اليوم . واكثر سكان بلاد بشارة وجبل عامل من المتاولة اهل الشيعة العلوية ولذلك كان يقال لها بلاد المتاولة . وكذلك كان أكثر سكان جبل لبنان ووادي التيم من الدروز ولذلك كان يعرف بجبل الدروز .

ومهما كان عدد رعيته في هذه البلاد قليلاً ومهما كان شأنهم حقيراً كان يرجو ان يكثر عددهم وتتحسَّن احوالهم بنعمة الله وتعود هذه البلاد الى عمرانها السابق بالنصرانية بعودة سكانها الى ايمان المسيح الصحيح بكنيسة واحدة كاثوليكية . وهو الامر الذي جعله غاية له باعماله . وكذلك كانوا هم يرجون من الله بهمة مطرانهم الجديد وغيرته عليهم وبركته لهم في زيارته لهم في بيوتهم تحل نعمة الله عليهم .

ولا مانع من صحة تقدير زيارة المطران الجديد لهم في قراهم واماكنهم على ما عُرف به من الغيرة الرسولية الوقادة نحو ابناء ابرشيته وكل ابناء طائفته ومعما كان عليه من تمام الصحة وقوة الجسم على تجشم الاتعاب واحتمال مشقة الاسفار . وسنرى فيما بعد انه كان رجل اسفار ورجل اعمال اكثر مما كان رجل علم .

ولا بد ان يكون قد تعرَّف حينئذ باسياد البلاد واصحاب المناصب في صيدا والبلاد التابعة لها وزارهم في منازلهم وعقد

معهم عهد صداقة وموالاة . وسنرى فيما بعد ما كان لهذه الصداقة من الاثر الجميل لنجاح اعمال المطران في ابرشيته وكل ايالة صيدا .

ولم تكن حينئذٍ ايالة صيدا ذات شأن عظيم نظير ايالة الشام وغيرها بسعتها وبجندها ورجالها ودخلها . وكان الباشا او الوزير صاحب الايالة يقيم هو واكابر رجال دولته وجنده في القلعة المعروفة في صيدا وقد صارت اليوم قريبة الى الخراب . ولم يكن لديه من الجند المعروف لذلك العهد في دمشق وغيرها من الانكشارية والقبيقول والسكبان او السكمان واليمق سوى المغاربة (من بلاد المغرب من افريقيا) وبعض الارناووط من الاتراك ويطلق عليهم اسم فداويين . وكلهم مأجورون من الوزير نائب السلطان . ولم تكن ولايته تتجاوز فعلاً وحقيقة ساحل البحر جنوباً الى حيفا اذ كانت البلاد الموازية للساحل من كسروان الى بلاد صفد تعد تابعة لايالة صيدا حكماً فقط . لان اهلها كانوا لذلك العهد على طريقة العشائر المعروفة . فكان لكل عشيرة او طائفة من عدة عيال مقاطعة خاصة من هذه البلاد . وكان لهم منهم وفيهم زعيم له الامر المطاع في قومه ومقاطعته بلقب شيخ او امير او شيخ مشايخ البلاد على ما يكون له ذلك عن ابيه وجده .

وكان حينئذ الامير احمد المعني اخر آل معن يتولى على عدة مقاطعات ويقيم في دير القمر من المناصف في القصر الذي شيده

فيها الامير فخر الدين الكبير اخو جده لابيه

وكان في كل مقاطعة منها شيخ يتولى الامر فيها بالارث عن ابيه وجده ويقيم في القرية التي تكون كلها او اكثرها من املاكه وقد يكون له غيرها عدة ضيع .

وكان شيخ مشايخ الدروز المقدم فيهم بعد الامير الكبير الشيخ قبلان قاضي من سلالة الشيخ بدر الدين العنداري يقيم في المختارة من الشوف . واذ انقرضت سلالته بموته بعد موت ولده الوحيد ورثه بارزاقه ومقامه صهره زوج ابنته الشيخ علي جنبلاط الكبير كما سيأتي ذكره مفصلاً

وكان الحاكم في وادي التيم الامير موسى شهاب صهر الامير احمد السابق ذكره زوج ابنته وهو والد الامير حيدر شهاب الذي تولى الحكم في لبنان بحق الارث لجده الامير احمد المذكور اخر بني معن .

وكان حينئذ شيخ مشايخ بلاد بشارة الشيخ مشرف ابن علي الصغير زعيم عشائر المتاولة وكان يقيم في قلعة تبنين واليه تُنسب مزرعة المشرفة المعروفة في تلك البلاد [1]

وقد تعرّف بهم المطران وتقرّب اليهم اولاً بواسطة اولاده الروحيين ابناء ابرشيته الذين كان لهم مع اكثر اصحاب المناصب

(١) راجع تاريخ الامير حيدر شهاب صفحة ٧٣٠ من طبعة مصر وما بعدها عن الامير احمد والامير بشير شهاب الاول واصحاب المناصب في لبنان وبلاد بشارة لذلك العهد وتاريخ الاعيان للشيخ طنوس الشدياق صفحة ٣٤٠ و ٣٥٨ وما بعدها

علاقات شتى من تجارية وصناعية وغيرها اذ كانت التجارة والصناعة الشرقية او البلدية في يد النصارى الروم في صيدا والبلاد التابعة لها حتى تكاد تكون خاصة بهم . ولم يكن يزاحمهم عليها ولا يصلح لها سواهم ولم يكن يهتم بها المسلمون ولا المتاولة ولا الدروز الا نادراً فكان من النصارى الروم الكاتب والقيم على الاشغال وعلى حاصلات المواسم وتصريفها واستيراد ما يحتاج اليه دار الشيخ والامير والوزير ومنهم كان التاجر والسمسار والصائغ والحداد والنحاس والقرداحي عامل السلاح والمعمار والنجار والحياك والحلاق والفلاح والبستاني وغيرهم من اصحاب المهن الرفيعة والوضيعة .

وقد ازداد المطران قرباً اليهم بلطف حديثه ورصانته وادبه مع سعة معارفه ولا سيما علم الطب الذي كان فيه نعم الدارس ونعم الممارس . وما كان اقل الاطباء في هذه البلاد في تلك الايام وما اكثر حاجة الاكابر والحكام فيها الى الطب والاطباء ولا سيما اذا كان الطبيب لا يبتغي اجرة لعمله . بل يقصد بذلك الخير للناس والاجر من الله .

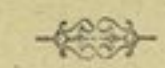

﴿ الفصل الخامس عشر ﴾

تمام اتفاقه مع اعيان صيدا

قلنا في الفصل السابق بان المطران افثيميوس زار الوزير وتعرّف اليه كما زار القاضي نائب الشرع الحنفي ومفتي الاسلام في صيدا . وبعد مدة دبّر الامر معهم بعد ان اتفق مع اعيان الطائفة من اهل صيدا على ان يكتب المطران الى من اراد من النصارى خارج صيدا ليدعوهم للاقامة فيها واستكتب القاضي الشرعي بحضورهم ورضاهم سنداً او صكاً ليكون بيد المطران حجة شرعية يستطيع ان يدفع كل من رام ان يعارضه بامر من هذا القبيل . وهذه صورة الصك المذكور منقولة على الزنك عن الاصل المحفوظ عندنا من نحو مئتين وخمسين سنة

ويستفاد من هذا الصك الشرعي(١) النادر بنوعه وقدمه ان

---

(١) من الغريب انه لم يبق اليوم في صيدا احد من بقايا هولاء الاعلام المذكورين في هذه الوثيقة الرسمية . فمنهم من انقرضوا منها تماماً ومنهم من نزحوا عنها الى جهات شتى . فان سلالة بيت الخياط انتقلت الى دير القمر وسلالة بيت السكاف انتقلت الى جزين ومنها حضرة اخينا المتوري يوحنا السكاف وكذلك بيت الموشي وصاروا هناك موارنة مع بيت ناصيف . وسلالة بيت الحداد انتقلت الى دير القمر وبيروت . واخر من نعرف من بيت عجرم المرحومة والدة اخينا الاب غريغوريوس حوراني رئيس دير مار جاورجيوس في المزيرعة . وتاريخ هذا الصك الهجري يوافق ١٢ حزيران سنة ١٦٨٦ مسيحية على الحساب الشرقي القديم

الاذكار ومد
رضاء الله الفتح لمد صيدا
عفى عنه

بمجلس الشريعة العز بمدينة صيدا المحمية حيث كان بها مجلس القضا والحكام الحاكم الشرعي
بعد ان حضر الى المجلس كشرعي وقرر واعترف بصريح اللفظ وصحيح كل من المعلم سابا
لحداد وحنا موسى وجرجس نقاش ومرزي الصايغ وبركات العرفي
وميخائيل الاسكاف وبجرم وابنه ودمانوي الوكيل كشرعي عن والده وحنا
حنا الخياط وسليمان وحنا ابني علام وجبرائيل الاسكاف وعبد الله اس
شرابيه وغيره من بقايا انصاري سكن المدينة المرقومه اقرارا صحيحا شرعيا وعيانا وعرفا
فصيحا مرعيا بطوع منهم واختيار والموجب الباعث لتحرير هذا الصك الشرعي
انهم ناس قليلون وعليهم جملة مال سلطان محاطهم في غاية الاضمحلال من تقول
الحمل وقلت الرجال وقد اذنوا واجازوا معلمانهم المذكور معلمان افتتح مدرسة كاهن
مدينة صيدا وما يليها ان يرسل بمكاتيب من عنده بكاتب لنواحي البلاد العجيبة
نصاري لغراب ونواح من اصل اعمالي صيدا وكل من جا بقوله ومكتوبه بكل امر
يقتضيه رايه فيه من المعاملة معه من ناتج وغريب ومظلوم فاطن فقير فهم
له موافقون ولا قوله وافعاله مطيعون غير عاصين لمرة لان هذا التواني يصدر
من الجانبين لاجل انتظام حال انصاري صيدا والغالب لاجل السعي منهم وتحصيل
مال صرة الباشا الكبير حفظه الله تعالى ولجلب النفع لسعادته ادام الله وجودها بعد
ان اشترط كل منهم فرد فرد على نفسه وهم في غاية الرضى مع معلمانهم بان كل من خرج على الشرط
المذكور يوضع بعد ذي الكلام على المعلمان بقلتا دب او بحرى بقلتا حيا او سقتة
لا يهضم بين الوالم يكون عنده على طريق التذكير كشرعي الواجب الاداء ثلاثة وثلاثين
عرشا وثلث عرش من هذا المبلغ المذكور النصف الجامع مدرسة صيدا المعروف بالحيري
والنصف الثاني على فقرا كنيسة الروم بمدينة صيدا وان خالفوا الوكيل منهم عنده
التذكرة وكتب هذا ليكون شاهدا على الجانبين محررا بالطلب والسول تحريرا
في اوايل جمادي الاخر سنة سبع وتسعين والف من الهجرة النبوية

اشهد علي الحاكم الشرعي
بما نسب اليه من
الشرف كتبه الفقير احمد
المفتي بصيدا عفى عنه

اشهد عليه الحاكم الشرعي بتحريره
بسؤاله وما نسب اليه
كتبه الفقير

شهد عليه الحاكم الشرعي بما نسب اليه من الشرف كتبه الفقير حسين الحرار

المطران قصد به اولاً من جهة ان يستوثق به من موافقة اعيان الطائفة له فيما كان عازماً على عمله باستدعاء من اراد من الناس للاقامة في صيدا حتى لا يعارضه بشأنهم معارض من اهل صيدا .

ثانياً ان يستوثق به من موافقة الوزير ومن يخلفه في الايالة ومن موافقة رجال الشرع الاسلامي له بذلك لان هذا الصك وثيقة شرعية وحجة ناطقة على حسن قصد المطران مع جماعته نحو الوزير والاسلام بهذه الاتفاقية سواء كانوا قد نفذوها فعلاً او خالفوها او خالفها احدهم لان القصاص المرتب على من يخالفها عائد نفعه الى جامع الاسلام .

ثالثاً قصد المطران ان يتخذ هذه الوثيقة بمقام البراءة السلطانية التي بيد البطريرك ليستطيع بها ان يستغني عنه في معاملاته مع رجال الحكومة اذا اقتضى الحال ولا سيما لانه كان يعرفه تابعاً لشقاق بطاركة الروم وكان يضطهده بواسطة رجال الحكومة لكونه على اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية ومخالفاً له مثل اهل الشقاق بهذا الشأن .

رابعاً لانه شاع في تلك السنة امر قيام اثناسيوس الدباس بطريركاً ضد كيرلس المذكور بسعي الحلبيين ابناء وطنه بمعاونة رهبان مار فرنسيس وقنصل فرنسا في حلب وسفير ملك فرنسا في القسطنطينية بحجة انه كان على الايمان الكاثوليكي كما سيأتي . فاقتضت حكمة المطران افثيميوس ان يتدارك بهذه الاتفاقية

وقوع فتنة في ابرشيته بانقسام الطائفة فيها الى حزبين متخاصمين ينتمي كل حزب الى بطريرك من المذكورين .

خامساً قصد المطران ان يخوّل له الوزير بموافقة رجال الشرع الاسلامي حق الحماية للذين يدعوهم للاقامة في صيدا بصك شرعي صريح لا يرد لان جل قصده ان يكثر في ابرشيته عدد اولاده الروم الكاثوليك وان يكونوا فيها محميين من تعدي اخصامهم ومن رجال الحكومة . فهذا غاية ما كان يتوخى باستكتاب هذا الصك الشرعي الذي ترى صورته هنا .

ونعلم انه بموجب هذا الصك وبدعوة المطران افثيميوس قدم الى صيدا للاقامة فيها من جهات شتى عدد من رؤساء العيال .[1]

---

(١) مما نعلم بتحقيق انه قدم من طرابلس وكورتها الى صيدا وأقام فيها المعلم جرجس مشاقة جد آل مشاقة وكانت داره قرب قلاية المطران قبل ان انتقل الى صور واتى معه من هناك زوج خالته يوسف جد بيت الفاخوري والد المطران اندراوس والمطران مكاريوس الفاخوري والمعلم منسى بن موسى منسى وابن عمه حبيب يوسف منسى وقد اوقفا على كنيسة مار نقولا في صيدا سنة ١٧٠٨ ايقونة السيدة التي انتقلت الى الكنيسة الجديدة . ومنهم والد الخوري حنا الاميوني (نسبة الى اميون قاعدة بلاد الكورة) الذي ارسله المطران افثيميوس الى رومية يتعلم في مدرسة انتشار الايمان سنة ١٧١٣ بدل ابن اخته الخوري سيرافيم طاناس بعد خروجه منها ومن سلالته بيت القرواني . ومنهم ايضاً جد بيت الكركجي . وفي صيدا بضعة عيال دمشقية وهم بيت دبانة وصامي وتقاش وخلاط وزكار .

﴿ الفصل السادس عشر ﴾

تجديد بناء كنيسة صيدا

كانت كنيسة صيدا الكاتدرائية التي فيها كرسي المطران صغيرة وفقيرة لا تليق ان تكون بيتاً لله . بل كانت متداعية الى الخراب فيما نظن لقدم عهدها. ولم يكن في صيدا كنيسة سواها الا كنيسة الافرنج ضمن الخان المعروف لهم . وربما كان المطران اغناطيوس عطية رممها او جدد بنيانها في اول القرن السابع عشر باذن الامير فخر الدين الكبير . والغالب انها قامت مكان كنيسة قديمة كانت هناك على اسم القديس نقولاوس العجائبي رئيس اساقفة ميرا شفيع البحريين . ومن ثم عزم المطران افثيميوس ان يجدد بنيان هذه الكنيسة وان يبذل كل همته وجهده في سبيل ذلك حتى تكون صالحة ولائقة بعبادة الله بالروح والحق قبل ان يصلح قلايته الخاصة .

ومعلوم ان النصارى الذين كانوا يعيشون في الممالك العثمانية في ذمة الاسلام لم يكن يحق لهم ان يبنوا كنيسة ولا صومعة ولا ديراً في بلاد الاسلام . الا انهم يسوغ لهم ان يرمموا ما كان منها قائماً من قبلُ بشرط ان لا يزيدوا فيها شيئاً على ما كانت عليه من قبل . والا فقد خرجوا من ذمة الاسلام والمسلمين وحق

للمسلمين منهم ما يحق لهم من عدوهم اي قتالهم وقتلهم . ثم لا يسوغ لهم هذا الا بحكم القاضي نائب الشرع الاسلامي بعد الفحص والمعاينة لذلك المكان قبل الترميم وبعده ليحكم القاضي بان الترميم لم يكن فيه شيء من الزيادة لا بالطول ولا بالعرض ولا بالارتفاع او العلو

ومع هذا كان الحصول على موافقة القاضي وعلى اخذ حجة منه بذلك للمباشرة بعمل الترميم اولا ثم حجة ثانية بان الترميم جرى على مبدا بقاء القديم على قدمه امراً صعباً جداً بقدر الصعوبة التي كنا نجدها للحصول على فرمان سلطاني لبناء كنيسة في ايام السلطان عبد الحميد العثماني [1]

ومهما كان هذا الامر صعباً فقد ازال المطران كل صعوبة من امامه في هذا السبيل ووفقه الله بان نال رضى الوزير وموافقة القاضي وسائر ائمة الشرع في صيدا باجازة تجديد بنيان الكنيسة المذكورة اذ اخذ من القاضي حجة شرعية بامضائه وختمه مصدقاً على صحتها من مفتي الاسلام وبعض الائمة في صيدا . والحجة ناطقة باجازة هذا التجديد اذ يذكر فيها طول الكنيسة وعرضها وعلوها والسبب الداعي لترميمها . وبعد ذلك باشر المطران بالعمل او باشر ابناء الطائفة العمل في تجديد بنيان الكنيسة بمناظرته ومشارفته

---

(١) في اواخر ايام السلطان محمود الثاني اضطر هذا السلطان ان يبيح للنصارى بنيان الكنائس في كل السلطنة العثمانية . لكن بشرط ان يكون ذلك بموجب فرمان

ورفر كلمة والشاهد ما بكويه تمم العصر الرسم على هذا
بنعمة الله المولى بمدينة صيدا الحمى خلافة
على عبده

الحمد لله وحسبي ونعم الوكيل

اعلاه

بمجلس الشريعة العامر بمدينة صيدا المحمية المحل المشار اليه اخر نصف الاشهر الشرعية لدى مولانا الامام العالم العلامة الحاكم الشرعي الحنفي حضرة مجلس الحكم والقضا محل الفصل والوصل والامضا افتخار الملة المسيحية مختار الطايفة الروميه الارثوذكسيه افتيموس كاهن مدينة صيدا والمتكلم على الكنيسة هناك واخذ من يده دفتر مفردات يحتوي ويحاوي على شراء دار وعمارات وتوأميم وثمن احجار وكلس ومعلمين نجارين ومعلمين معمار وفعول والواح وخشب وجسور وطعاميات وغير وذكر فيه كلامه وفرح مرامه بانه يلتمس من مولانا الحاكم الحامي كبير اعلاه بانه يرسل معه من يعتمد عليه لاجل الكشف والاطلاع والمحاطة الشرعية على ما ذكر اعلاه من التعمير والترميم والخلف فاجابه بانه يحتاج الى حضار المعلمين من النجارين المسلمين والمعمار النصاري فعند حضر المعلمين المذكورين اخرج وفي اخر الدفتر واخبره الحاكم الشرعي بان جميع ما حوى داخل هذا الدفتر امر فيه المطران افتيموس المذكور من ماله وصلب حاله وقدره وكيسه بالغ ثمانية وثمانون غرش فضه اسديه نصفها حفظا لاصلها اربعة وتسعون غرشا وانه لم يعاونه في المبلغ المذكور معاون ولا مساعد وقاصد بذلك سلوك طريق الخيرات واعادة النفع على الكنيسه وغيرها شهادة صحيحة شرعية مقبولة منهم فردا فردا انتخب قبول الشهادة اجرى على الدفتر قلم القبول واقتضاه وحكم بمقتضاه حكما شرعيا فيكون الماية وثمانية وثمانون غرش المذكوره مرصدة في الملتزم على الكنيسة المذكوره وما هو الواقع سطر ليعلم حرر في اوسط شعبان سنة لصدر وما يليه والحال

المعلم صالح النجار | المعلم مصطفى النجار | المعلم عطا الله المعمار | المعلم ابراهيم المعمار | المعلم بلبوس المعمار

الشماس يونس بن وهبه | الجوهري خليل بن دوبة | المعلم سابا الخاكش | المعلم الحداد | دمتري ابن عبد الله بجرم | الفاوقي خليل

وبعد اتمام العمل التمس المطران من القاضي حجة ناطقة باتمام هذا الترميم بدون زيادة عما كانت عليه الكنيسة سابقاً . وقدّم له حساب النفقة على هذا الترميم بجميع مفرداته وانه قام بذلك بماله الخاص دون ان يشاركه بالنفقة عليه احد . فاعطاه القاضي حسب طلبه الحجة التي لم تزل محفوظة عندنا من نحو ٢٥٠ سنة وترى صورتها امامك منقولة عن الاصل . وفيها امضاوات الذين قاموا بالكشف على ترميم الكنيسة من رجال العمل نصارى ومسلمين . ومن النظر في اسماء النصارى المرسومة فيها وهم عشرة من المعلمين المعماريين والحدادين والنجارين والنحاسين وغيرهم يتحقق ما قدمنا من ان الصناعة كانت لذلك العهد خاصة بالنصارى دون سواهم . ونظن ان ذكر المعلم مصطفى النجار حُشر حشراً بين المعلمين النصارى المذكورين في هذه الوثيقة لمجرد تزكية الشهود المذكورين لانه لم تكن تصح في شرع الاسلام شهادة النصارى بدون ان يزكيها شاهد مسلم .

وتاريخ هذه الوثيقة يوافق ١١ نيسان سنة ١٦٩٠ مسيحية على الحساب الشرقي المعروف بالقديم . وبالتالي يعلم من هذا ان نجاز ترميم الكنيسة تم في تلك السنة قبل عيد الفصح

والمراد بالكنيسة المذكورة هنا الكنيسة القديمة المعروفة وهي لم تزل الى اليوم قائمة في محلها . وكان فيها ثلاثة مذابح او هياكل : الكبير الذي في الوسط على اسم القديس نقولاوس صاحب

الكنيسة والمذبح الثاني لجهة اليمين على اسم القديس مخائيل والثالث لجهة الشمال ربما كان على اسم السيدة واليوم على اسم القديس نقولاوس .

وبعد مدة اشترى المطران ارضاً قرب الكنيسة خارج السور وجعلها جنينة واحاطها بسور وجلب لها الماء الكافي لسقايتها وانشأ هناك سبيلاً للعامة وابناء السبيل واوقف الجنينة وريعها على الكنيسة وخدامها بموجب حجة في نصف ذي القعدة سنة ١١٠٨ هجرية ١٦٩٧ مسيحية كما ترى صورتها . وفي مكان الجنينة تقوم اليوم البنايات الجميلة بسوق المطران لجهة الغرب .

ولا بأس ان نلمّ هنا بملخص تاريخ هذه الكنيسة وما جرى بشأنها بعد ذلك وان كان هذا مسبقاً او سابقاً لاوانه . وهي من الكنائس القديمة التي لم يستطع ان يتولى عليها البطريرك سلفستروس وخلفاؤه بطاركة الروم اذ لم يكن في ابرشية صيدا احد من الروم غير كاثوليك بفضل غيرة المطران افثيميوس وتلاميذه.

في اواخر القرن الثامن عشر في ايام ولاية احمد باشا الجزار سعى معه بطرس ومخائيل السكروج من كبار كتابه من طائفة الروم من عكا ان يعطى لهم السماح بان يصلوا في الكنيسة المذكورة مع كاهنهم الذي كانوا يستدعونه لذلك من خارج . فلم يكن سبيل لمخالفته . ومن ثم جرت العادة ان يقدس كاهن الروم في الكنيسة المذكورة على المذبح الشمالي الصغير بدون فاصل في

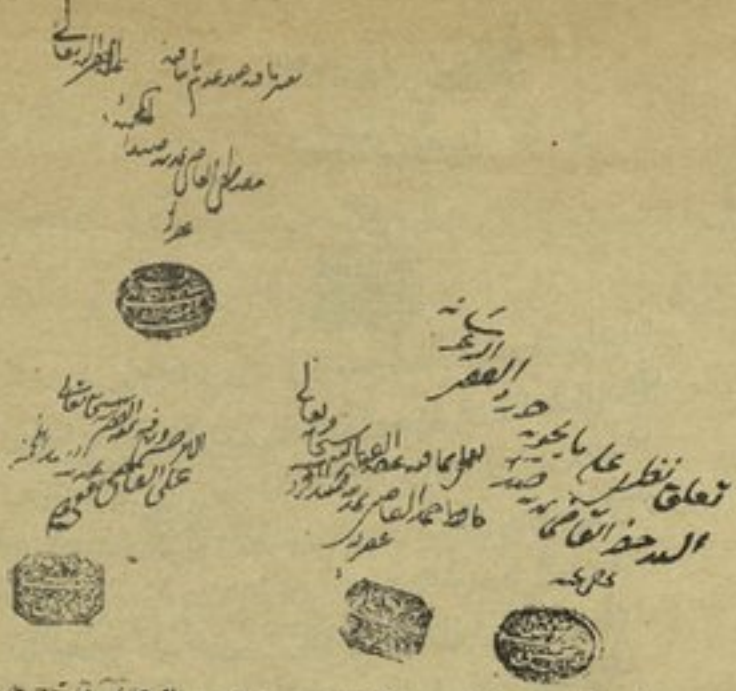

بمحكمة الزبيدية العامرية صدر الخميس ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩ هجرية
ولاية الانام الحاكم الحسنى الموقع مخطه الكريم اعلاه بعد ان ورد من جناب
أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام حضرة قبلان باشا بكر بكي لواء صيدا
وصنيد حالا وام اقباله بمورد الدي شريف واجب القبول والتشريف خطابا
الى الحاكم المومى اليه ومن نحواه المسمى اميلي بان مطران بصادا صيدا قد رفع
الى الحاكم المومى اليه ومن نحواه المسمى اميلي بان مطران بصادا صيدا قد رفع
الى سعادته عرض حال يخبره بانه من ايام مضطفى باشا الوزير اجرى الى جنينه
الى سعادته عرض حال يخبره بانه من ايام مضطفى باشا الوزير اجرى الى جنينه
الغابرين مجاري السيل المقلل للقصبة ومراده بانه ياخذ من الماء الداخل الجنينه
المزبورة ويعطي بالها سبيل لكي يشرب منه المتاريين والواردين من خليقة الله اجمعين
المزبورة ويعطي بالها سبيل لكي يشرب منه المتاريين والواردين من خليقة الله اجمعين
انتفى الوجه اللازم واذ الحاكم الشرعي ينبغي عن هذا الامر ويكتب له اذن بذلك
انتفى الوجه اللازم واذ الحاكم الشرعي ينبغي عن هذا الامر ويكتب له اذن بذلك
فارسل من جانبه اي يخبر نقوله نايب الحكمة وتابعه مضطفى بلسي وعلاي دين يخطر باني
فارسل من جانبه اي يخبر نقوله نايب الحكمة وتابعه مضطفى بلسي وعلاي دين يخطر باني
ومصطفى بلبوس ليكشفوا وحدوا المكان مضطر الى ذلك من حيث انه الطريق السالك
ومصطفى بلبوس ليكشفوا وحدوا المكان مضطر الى ذلك من حيث انه الطريق السالك
للمدينة ومواجه ثبتت الاسلام بعد ذلك كتب له هذا الصك الشرعي شاهدا
للمدينة ومواجه ثبتت الاسلام بعد ذلك كتب له هذا الصك الشرعي شاهدا
بيده وما عدا الواقع بسطر رابع عشر عفر
بيده وما عدا الواقع بسطر رابع عشر عفر

الرئيس عبد الرحمن العلم وجيه الخباز حسن مخطر باشي نايب الحكمة

الكنيسة . فكان هذا سبباً لقلاقل وفتن بين رجال الطائفتين .

وقد حاول البطريرك اليوناني سيرافيم بواسطة وكيله زخريا مطران عكا بايام ولاية سليمان باشا سنة ١٨١٩ بقوة الفرمان السلطاني ان يستولي على هذه الكنيسة بمساعدة المعلم حييم فارحي صراف ايالة صيدا . لكن الكتّاب الذين كانوا في عكا من ابناء الطائفة بمساعدة الاب سابا كاتب وعبد الله باشا كاخية سليمان باشا حينئذ اتفقوا على ان يعطى المذبح الشمالي من الكنيسة للروم . والباقي يكون للروم الكاثوليك بتدبير حيلة فقهية او يهودية وهي ان الكنيسة كانت قديماً مشتركة بين الروم والسريان وانه اذ انقرض السريان من صيدا مع الزمان صدر الامر بان تعطى حصتهم في الكنيسة للروم الكاثوليك وان تعطى للروم حصتهم وحقهم فيها . وخرجت بذلك مراسلة شرعية من قاضي عكا الاكبر الحاج محمد ابي الهدى التاجي بامضائه وختمه بتاريخ غرة صفر سنة ١٢٣٤ هجرية التي توافق سنة ١٨١٩

وسنة ١٨٥٠ انقسمت هذه الكنيسة بين الفريقين في ايام المطران ثاوضوسيوس قيومجي وبعهد ولاية وامق باشا واخذ الروم مع حصتهم من الكنيسة قلاية المطران القديمة وقام حينئذ حائط في وسط الكنيسة يفصل كل حصة منها عن صاحبتها .[1]

---

(١) لخصنا كلامنا هذا في بحث تاريخ هذه الكنيسة من عدة اوراق ودفاتر قديمة وصلت الينا سننشرها كلها قريباً ان شاء الله في مقالة خاصة من رسالتنا المخلصية

﴿ الفصل السابع عشر ﴾

البطريرك اثناسيوس الدباس

يجدر بنا ان ننقل هنا ما كتبه عنه صديقه جرمانوس فرحات مطران حلب الماروني في تأليفه الموسوم بديوان البدع فانه اكثر معرفة به وباعماله وسائر احواله اذ كان جليسه وعشيره في حلب. ولا نظن انه يبخسه حقه في شيء بما كتب عنه فكلامه اذاً اوثق ما وصل الينا عنه قال :

« هذا كان من مدينة دمشق قد تربى منذ صغره في الايمان الروماني. وكان متلمذاً للرهبان اليسوعية واخذ عنهم معرفة الايمان المقدس فتمكن في حقائقه وقواعده. وكان في مهنته خياطاً اسمه بولس. ولانه كان جميل الصورة خاف على عرضه من الاناس الاردياء فرحل من مدينة دمشق الى القدس ليدبّر حاله هناك ويدخل احد ديورة الروم ويصير راهباً. وكان قد تعلم الرومية وابتدا بتعلمها عند اليسوعية كما اخبرني شفاهاً. ثم قال لي ايضاً انه وهو في اورشليم بعد نزاع عظيم وموانع كثيرة تصده عن الرهبانية صار له نصيب في ان ترهب في دير سيق سابا وسمي باثيسيوس (وقيل بركوبيوس) وهناك اتقن اللغة الرومية للغاية وتعلم نحوها وتصريفها ثم سيم قساً وبعد هذا اقيم رئيساً على دير الروم في بيت لحم فصار له هناك صداقة كبرى مع رهبان مار فرنسيس. ومن معاشرته اياهم ونظره الى امثالهم الصالحة وحسن سيرتهم المقدسة تجدد فيه الايمان الروماني وتمكن منه اكثر بعد تراخيه فيه من معاشرة المشاقين.

وكان البطريرك الانطاكي يومئذٍ كيرلس الحلبي . وكان مشاقاً سيمونياً فتحرك رهبان مار فرنسيس نحو الغيرة في نمو الايمان كعادتهم وارادوا ان يقيموا بائيسيوس المذكور بطريركاً على انطاكية لاجل تمكنه في الايمان الروماني المقدس عوض كيرلس الذي كان مشاقاً فسعوا له في ذلك واقاموه بطريركاً بامر السلطان . وارتسم من بعض اساقفة روم وسمي اثناسيوس . فوقع حينئذٍ النزاع والخصام بينه وبين كيرلس على البطريركية واخذ يعزل احدهما الآخر . وتكلف الروم الجرائم حتى ضجت النصارى فاصطلحا اخيراً في مدينة حلب على يد رجل يهودي اسمه سلمون كانت له اليد الطولى عند ولاة حلب فتراضيا حينئذٍ على ان اثناسيوس يضبط حلب فقط وكيرلس يضبط الابرشية الانطاكية كلها وافترقا هكذا .

فلما هدي بال اثناسيوس مستقراً في حلب رعيته اخذ يدبر رعاياه احسن تدبير فمنع عنها ما لا يجوز واثبت فيها ما يجب اثباته من قطع اسباب الشر واثبات اسباب الخير وصار له شأن عظيم عند ملل النصارى في حلب فأحبوه جداً ومالوا اليه كل الميل لانه كان ذا عقل وافر وحكيم . ولاجل حسن سلوكه اخذ يداري وقته ويجتذب قلوب الناس اليه . وفي زمانه عرفت روم حلب الايمان الروماني وتمسك به الكثيرون . وكان اثناسيوس يرى دخول الايمان المقدس في رعيته وهو يتغاضى عن ذلك . ورسم كهنة كاثوليكيين كثيرين وبواسطة رسامتهم انتشر الايمان المقدس اكثر لانهم كانوا يعلمون الايمان سراً وجهراً وركنت الروم اليهم اكثر من ركونهم للغرباء لانهم من ملتهم . وكان اثناسيوس كثير المطالعة في الكتب والتواريخ . ولكن اكثر مطالعته كانت في كتب المشاقين حتى تشرب عقله من سمهم وزاد سماً في معاشرته الهراتقة وتردده الى القسطنطينية بندر الشقاق وذهابه الى بلاد الفلاخ . ولانه كان من طبعه يحب الكرامة والمدحة من الناس فكانت المراياة ديدنه ويريد ان يرضي الفريقين ليحوز الكرامة من الفريقين لكنه كان مذموماً من اكثرهما فلهذا اخذ يتراخى في

واجبات الايمان المقدس حتى ضل عنه بالكلية وطفق يتقزز من الكاثوليكيين ويهضم من كرامة الرومانيين ويذم المرسلين ويمنع شعبه عن انواع العبادات وشركة الاخويات وعن كثرة الاعترافات وعن كلما يؤيد خلاص النفس . واستخرج من الرومي الى العربي كتاب غبرائيل الفيلادلفي المشاق المشحون سماً وقذفاً في حق الايمان الروماني واضر به المؤمنين جداً واضحى اثناسيوس يجاهد في خراب الايمان الروماني مضمراً اكثر من اجتهاد غيره في خرابه ظاهراً . ولما مات كيرلس الانطاكي وقيل انه مات تائباً مستقيماً في ايمانه وجعل اثناسيوس وحده شاه الرقعة وبعد ان كان بيذقاً (١) صار فرزاً اي صار وحده بطريرك الابرشية الانطاكية وخلا الميدان للجبان شرع يبين ذاته مشاقاً علانية ويثير نار الشقاق في رعيته . ولكي يؤيد غلطه ويعضد انشقاقه ذهب الى القسطنطينية وهناك عمل مجمعاً لصوصياً مع اساقفتها ضد الايمان المقدس وألف اثناسيوس مع المجمع رسالة تضاد الايمان الروماني واخرجها اثناسيوس الى اللغة العربية وارسلها الى حلب واضر بها كثيرين . . .

وكتب ضد هذه القضايا السبع المعلم المشهور في عصره عبد الله زاخر الحلبي من روم حلب وكذبها وكذب ايضاً كتاب الفيلادلفي وفضح زيف الكفر المندس فيه . ونقل ايضاً اثناسيوس كتاباً آخر اسمه صخرة الشك مملوءاً قذفاً ضد الايمان المقدس وارسل فطبع هذا الكتاب في بلاد الانكليز وتكلف على طبعه من ماله . انظر الى مقدار فساد ايمان هذا الرجل الذي كان سابقاً ابن الايمان الحقيقي حتى انه طرد اسقف حلب جراسيموس الذي كان اختاره ورسمه على كرسي حلب واسقطه عن كرسيه بالمكر وابعده عن رعيته الى نواحي طرابلس الشام وكابد هناك مشقات كثيرة لاجل انه كان مستقيماً ولم يطعه في ان يفارق رعيته .

---

(١) قوله شاه الرقعة الخ . الفاظ فارسية خاصة بلعبة الشطرنج وهي مشهورة عند اهلها . فالشاه الملك والبيذق الجندي من المشاة والفرز الوزير وقد فسر ذلك بما ذكر بعده .

ورسالة المجمع تتضمن سبع قضايا (مخالفة للايمان الكاثوليكي الروماني)
اولًا ان راس الكنيسة هو المسيح لا غير . ومراده نفي رياسة مار بطرس وخلفائه على الكنيسة . ثانياً نفي انبثاق الروح القدس من الاب والابن معاً . ثالثاً يقول ان القربان لا يكمل بالكلام الجوهري . بل لا يتم الا بقول الكاهن اصنع هذا جسد مسيحك الخ . وبقول الكاهن لينتقلا الخ . رابعاً انه لا يجوز القداس بالفطير ابداً . خامساً ان القديسين لم يدخلوا السماء حتى الان . سادساً ان المطهر لا وجود له . سابعاً لا يقر الا بالمجامع السبعة المسكونية .

ولما عاد اثناسيوس من القسطنطينية الى حلب احدث شراً عظيماً بعد ان طرد اسقفها ففاجاه الموت عن قرب . ولما دنت منه ساعة موته اتاه من المرسلين اليسوعية كاهن صالح اسمه بطرس فروماج وطفق يفاتحه بسر الاعتراف لكي يعرفه ويخلص ذمته وبين له مقدار ما هو مديون لله والامور التي تورط في فعلها ضد الايمان الروماني . فابى ان يعترف عنده وقال له اني اعترفت عن قرب . وحقاً انه اعترف عن قرب عند كاهن قبرصي مشاق اسمه الخوري بطرس الاشقر كان ريس دير الحميرا . فقال له اليسوعي هذا الاعتراف لا يفيدك لانك ملتزم ان تعترف عند كاهن كاثوليكي وتكذب حالك امام الجمهور في كل شيء . قلنه وكتبته وعملته ضد الايمان المقدس . فابى وقد فتح له المرسل الغيور دروباً كثيرة للتوبة فلم يقبل . فمات اخيراً مشاقاً بغير توبة ولا اعتراف سنة ١٧٢٤

قلنا ان المطران جرمانوس كان جليس وعشير اثناسيوس وكلامه اوثق ما وصل الينا بشأنه لانه حلبي الاصل والاقامة وكان يتردد كثيراً لزيارة البطريرك المذكور الذي جعل اكثر اقامته في حلب كما سنتحقق ذلك في سياق هذا التاريخ . وكان فرحات يتقرب اليه بعلمه وادبه .

وبعد ما ترهب فرحات في ادیرة الجبة اتى اثناسيوس الى

طرابلس ليفتقد رعيته وابناء طائفته فيها والاديرة التي كانت بجوارها سنة ١٧١٢ . فخضر للسلام عليه وقدم له قصيدة عامرة من شعره يمدحه بها ويذكره بايام سلفت له معه في حلب . واولها :

تَنَبَّهَ دَهْرِي مِنْ عُهُودِ مُعاهِدِي ... فَأَسْعَدَنِي تَذْكارُ تِلْكَ ٱلْمَعاهِدِ

ومنها :

إِذا ما سَأَلْتَ ٱلْمَجْدَ أَيْنَ مَحَلُّهُ ... أَجابَ بِصِدْقٍ عَنْ يَمِينٍ وَشاهِدِ
أَثاناسِيُوسٌ فَخْرُ ٱلْأَيِمَّةِ فِي ٱلْوَرَى ... وَأَفْخَرُ مَنْ يُلْقَى لَهُ بِٱلْمَقالِدِ
خَلِيفَةُ رَأْسِ ٱلرُّسْلِ بُطْرُسَ إِنَّما ... إِلى مِثْلِهِ يُعْطَى ٱلْقَضا غَيْرَ فاسِدِ
لَقَدْ شُرِّفَتْ حَقًّا دِمَشْقُ بِأَصْلِهِ ... كَذا حَلَبٌ قَدْ شُرِّفَتْ لِلتَّعاضُدِ
وَأَشْرَفُ مِنْ هٰذِهِ وَتِلْكَ رِئاسَةٌ ... وَأَسْعَدُ أَنْطاكِيَّةٌ فِي ٱلْمَشاهِدِ
سَمِيُّكَ حامَى عَنْ حَقِيقَةِ بِيعَةٍ ... مُقَدَّسَةٍ فِي مِصْرَ فِعْلَ ٱلْمُجاهِدِ
وَأَنْتَ بِأَنْطاكِيَّةٍ كُنْتَ دافِعًا ... عَنِ ٱلدِّينِ قِبْلًا مِنْ عَدُوٍّ مُعانِدِ
وَأَنْتَ سَماءٌ فِيكَ أَشْرَقَ دِينُنا ... مَلِيًّا وَأَعْشَى عَيْنَ ضِدٍّ وَحاسِدِ
وَأَنْتَ إِمامٌ يا أَمِينًا مُجاهِدًا ... لَكَ ٱلْحَمْدُ مِنْ نَاءٍ وَدانٍ وَوافِدِ
وَأَنْتَ طَرِيقُ ٱلْحَقِّ وَٱلْحَقُّ ناطِقٌ ... بِفِيكَ فَيَدْعُو لِلْهُدى كُلَّ شارِدِ
وَأَنْتَ هُوَ ٱلرَّاعِي ٱلْحَقِيقِي كَبُطْرُسٍ
رَعَيْتَ خِرافًا فِي مُرُوجِ ٱلْمَحامِدِ
فَلا ٱلذِّئْبُ يُفْسِدُها بِهَرْطَقَةٍ وَلا ... يَدُ ٱلْكُفْرِ تَلْطِمُها بِوَصْمَةِ جاحِدِ

ومن المعروف من تاريخ حياة المطران جرمانوس انه عاد الى حلب من لبنان بدعوة البطريرك اثناسيوس سنة ١٧١٦ لينقح له بعض الكتب التي نقلها الى العربي من اليوناني كما سيأتي عليها الكلام في محله [١]

ويحسن بنا ان نذكر هنا ما كتبه بهذا الشأن البطريرك اثناسيوس ذاته في تاريخ بطاركة انطاكية باليوناني [٢] بعد كلامه على الفتن التي وقعت بين كيرلس وناوفيطوس ما تعريبه :

وحدث جملة امور غير مرضية ولذلك استدعى الحكام رئيس دير مار سابا في اورشليم واصله من دمشق واصعدوه على الكرسي البطريركي ودعوه اثناسيوس سنة ١٦٨٦

وبعد ذلك بما ان عدو السلام لم يكفّ عن القاء الشكوك بين المؤمنين والتفريق بينهم قد صار تغيير بين البطركين كيرلس واثناسيوس مرتين وثلاثة . ولكن في الاخير حزن اثناسيوس من هذه الامور ومن مصاريف السياسة وحباً بالسلام والهدو للكنيسة قد تنزل لكيرلس في شهر ت١ سنة ١٦٩٤

---

(١) راجع مجلة المشرق في صفحة ١٠٧ وصفحة ٣٥٧ من المجلد السابع

(٢) لخص هذا التاريخ مما كتبه سالفه البطريرك مكاريوس الحلبي وزاد عليه ماعرفه عن خلفائه وقدمه هدية الى الامير الكريم والمحسن الكبير قسطنطين بك برانكوفان فيفود (الحاكم العام) بلاد الفلاخ والمجر . والتاريخ المذكور لم يزل مخطوطاً . واصله محفوظ في مكتبة مدينة (Vienne) عاصمة النمسا . نقلنا عنه نسخة بالتصوير الشمسي انتقلت الى المرحوم البطريرك غريغوريوس حداد وقدمها هدية الى قيصر روسيا سنة ١٩١٣ بمناسبة سفره الى روسيا للاحتفال بالاعياد العظيمة التي جرت هناك في تلك السنة

وأعطي براي عمومي ميتروبوليتية حلب لكي يعيش منها . وقد حصل في ذلك الوقت جوع عظيم في تلك الجهات فذهب الى القسطنطينية ثم الى الفلاخ لكي يستعطف المسيحيين في شهر اذار سنة ١٧٠٠ على ايام الملك الحسن العبادة قسطنطين الذي قبله بكل ترحاب ومحبة وشفقة حسب عادته نحو الجميع . فقدم له هدايا وكان يتكلم معه ويسأله عن حالة البطركية الانطاكية وعن ادارة الكنيسة وعن احتياجها . ولما عرف الملك ان الكتب الكنسية لا تزال مخطوطة وان الكنيسة الانطاكية لا يوجد عندها مطبعة بحروف عربية اخذته الغيرة واراد ان يصنع حروف عربية ويطبع الكتب الكنسية على نفقته لاجل مجد وشرف الكرسي الانطاكي وقد صنع اعمالا اخرى خيرية كثيرة . وهكذا بعنايته قد تشرفت المطبعة العربيـــة اول مرة بطبع الليتورجيا عربياً ويونانياً على نفقته . وقد طبع ايضاً السواعية

﴿ الفصل الثامن عشر ﴾

البطريرك اثناسيوس الدباس

تحصيل وتخمين ما تقدم عنه

كان والده الخوري فضل الله بن بولس الدباس في عداد الكهنة الذين كانوا في دمشق حينما ارتقى الى عرش البطريركية فيها البطريرك مكاريوس الحلبي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٦٤٧ كما يذكر ذلك مكاريوس نفسه في مذكراته عن هذه الحفلة .

واما اسمه في الرهبانية بروكوبيوس فلم نجد له ذكراً الا فيما نقله الخوري مخائيل بريك الدمشقي عن الخوري فرح الدمشقي [١]

---

(١) راجع مقدمة تاريخ الشام لمخائيل بريك الذي طبعناه سنة ١٩٣٠

في تاريخ بطاركة انطاكية الذي طبعه الخواجا سليم قبعين في مصر سنة ١٩٠٢ وذكر كيف تمت رسامته بطريركاً وما عقب ذلك من النزاع بينه وبين البطريرك كيرلس ننقله هنا تتمة للفائدة التاريخية . قال بعد كلامه على موت ناوفيطوس :

واتفق في تلك الاثناء ان ورد على دمشق كاهن من رهبان اورشليم يقال له بروكوبيوس في حوائج له وهو دمشقي الاصل . فدعاه اليه البطريرك كيرلس وعرض عليه ان يقيمه مطراناً على حلب فرضي الراهب بذلك . وشعر بذلك قوم من ذوي المآرب فراجعوا رأي البطريرك فيه وغيروا عزمه[1] . وكان للراهب المذكور خال يقال له مخائيل شابذيم (خياط) من ذوي الوجاهة[2] . فلما بلغه ذلك طيّب قلبه وكان في ذلك الوقت على اهبة السفر الى القسطنطينية في صحبة احد الاغاوات (من اشراف المسلمين) فلما وصل الى القسطنطينية اخرج لابن اخته برآءة سلطانية ببطريركية انطاكية . ولما رجع الى دمشق سجل البراءة المذكورة بامر الحاكم والقاضي . وكان كيرلس اذ ذاك يطوف في الابرشية . وارسل فاحضر لاونديوس مطران صيدنايا ويواصف مطران نابلس[3] ومطران حوران . فاقاموا بروكوبيوس بطريركاً على انطاكية وسموه اثناسيوس سنة ١٦٨٦ . فلما بلغ ذلك كيرلس ارسل استحضر براءة سلطانية من القسطنطينية ودخل دمشق . فانتشبت الفتنة في الرعية وثارت الخصومات وعاد البطريرك اثناسيوس فاستحضر براءة اخرى وكذلك فعل كيرلس . وكان كل منهما يحرم الاخر واتباعه . وانشقت الرعية الى حزبين احدهما سمي

---

(١) لعلهم قالوا له عن هذا الراهب انه افرنجي المذهب او كاثوليكي

(٢) كان من طائفة الارمن كما يظهر من صيغة اسمه ولعله كان صرافا لوزير الشام

(٣) مطران نابلس ليس من مطارنة البطريركية الانطاكية كما هو معلوم والظاهر انه حضر من اورشليم برفقة او باستدعاء اثناسيوس ولعله كان صديقا له

بالناموسي وهو حزب كيرلس والاخر بالبرغشي وهو حزب اثناسيوس . ووقعت على الفريقين مظالم ومغارم لا تحصى (من قبل رجال الحكومة) . . .

الى ان قال:

ثم ان حزب كيرلس تقوّى وتعزز ورأى اثناسيوس انه لا يقدر عليه فلجأ الى موادة رهبان الافرنج الموجودين في دمشق يومئذ وانحاز الى مذهبهم وارسل يخاطب البابا بالانضمام الى جماعته وبعث اليه بصورة ايمانه فقبله البابا . ومن هنا دخلت الدسيسة على كنيسة الله (على مذهب بريك) . وكان يومئذ على صور وصيدا مطران يقال له افثيميوس يلقب بقفة العلم . فوقعت مخاصمة بينه وبين البطريرك كيرلس فارسل البطريرك وحبسه في قلعة صيدا . فلما خرج من الحبس صافى اثناسيوس واتفق كلاهما على كيرلس وتقربا الى الافرنج[1] . ولما بلغ ذلك كيرلس تقرب هو الى الافرنج ايضاً . وبعث بهدايا الى البابا وكذلك البابا بعث اليه بعكاز وحلة (بدلة قداس) . ومنذ ذلك الوقت اخذ الافرنج يتبسطون في مدينة دمشق وما يليها وزاد تداخلهم بين الرعية وصرحوا بالخمسة الاشياء خفية (هي قضايا الخلاف المعروفة بين الروم والكاثوليك) . ولما كلّ كيرلس عن المقاومات وتحمل المغارم دخل رجل — وكان فيما يقال — يهودياً واصلح بينهم على ان يعطى لاثناسيوس كرسي حلب واعمالها (مايليها) لرزقه ومعاشه وان يبقى كيرلس في دمشق مستقلاً بالبطريركية . فتراضيا بذلك وسكنت الفتنة . وقام كيرلس بعد ذلك بامور الرياسة احسن قيام ورفع عن الرعية مظالم شتى من الجزية واشباهها . الا انه كان يخفض جناحه للافرنج

---

(١) انحبس المطران افثيميوس في قلعة صيدا سنة ١٧٢٣ بسعاية بطريرك القسطنطينية وبطريرك اورشليم بموافقة اثناسيوس وسكوته وكان كيرلس قد مات سنة ١٧٢٠ . ولم يكن افثيميوس متحزبا ضده مع اثناسيوس . ولم يكن ينخدع من تلون اثناسيوس بالايمان الكاثوليكي بل كان يقول ويكتب عنه الى رومية بانه مخاتل ومخادع في ايمانه للكاثوليك كما سيأتي بيانه في محله

ويتغاضى عن امورهم حتى فشت دسائسهم وتاصل فسادهم في البلاد .

هذا على رأي مخائيل بريك في الكاثوليك الذين يعدهم اخصامه في الدين وقد اعمى بصيرته تعصبه لدينه في حقهم . وسناتي في هذا الفصل وما بعده على بيان ما في كلامه من الصدق برواية لا سبيل للشك بصدق اصحابها باقرار اثناسيوس عن نفسه واقرار كيرلس خصمه وبما كتبه المطران افثيميوس في هذا الشأن .

ولعل رواية المؤرخ البيروتي المجهول اوضح بياناً واكثر تفصيلاً وان كان صاحبها اكثر تعصباً من بريك واكثر بعداً منه بماية سنة عن زمن وقوع هذه الحوادث . وكيفما كان غرضه او تغرضه لا يخلو كلامه من فائدة لايضاح وتحقيق ما نحن في صدده . لان فيه شهادة خصم مجاهر قال :

« وكان بعد وفاة البطريرك ناوفيطوس في اللاذقية واستقلال كيرلس بالبطريركية من غير منازع ان وفد جماعة من وجهاء حلب لزيارة اورشليم ثم توجهوا لزيارة دير القديس سابا فوجدوا هناك راهباً دمشقياً يقال له اثناسيوس مليح الصفات . وكان مطران حلب قد توفي من عهد قريب . فاحبوا ان يجعلوه مطراناً عليهم . وجاؤوا به الى دمشق وكلموا البطريرك كيرلس ان يقيمه لهم اسقفاً فطالبهم البطريرك ان يؤدوا له من ذلك مبلغاً من المال — قيل كان الفين وخمسماية قرشاً — فلما سمعوا ذلك منه نفروا نفرة شديدة . وخرجوا لساعتهم من عنده وقد أضمروا له الكيد . وفي اليوم الثاني توجهوا واثناسيوس في صحبتهم حتى وصلوا الى حلب . ومن هناك جهزوا اثناسيوس الى القسطنطينية وكتبوا معه عرض محضر باسماء وجهاء حلب وجماعة كثيرة من اهلها يذكرون فيه انهم غير راضين من كيرلس ولا قابلين بطركيته لانه اقيم فيها على غير علم منهم

وبخلاف القوانين . وانه طلب منهم مبلغاً من المال لاجل اقامة اسقف . وهو امر محرم من الكنيسة لم تجرِ به عادة ولا يوافق عليه قانون . وانما هو بدعة منه واحداث جديد . ويسالون ان تحال عهدة البطريركية الى القس اثناسيوس الموجه من قبلهم لذلك . واصحبوه بكتب توصية من بعض قناصل الدول الافرنجية المقيمين في حلب الى سفرائهم في القسطنطينية . فلما وصل اثناسيوس اليها وعرض الكتابات التي في يده على المجمع ختموا كلهم على عزل كيرلس لانهم كرهوا ما فعله وخافوا ان يصير عادة في الكنيسة الشرقية[1] . وراعوا من جهة رضى الحلبيين لانهم كانوا في ذلك الوقت نحو نصف الابرشية الانطاكية . واقاموا اثناسيوس بطريركاً في مكان كيرلس . واخرجوا له اوامر سلطانية على ما جرت به العادة . فقام اثناسيوس وجاء الى حلب وكتب الى الاساقفة بذلك فمنهم من اطاع ومنهم من بقي مع حزب كيرلس مع الدمشقيين ولبث كيرلس في دمشق واثناسيوس في حلب . ونشب الخصام بينهما وكان كل منهما يكتب الى القسطنطينية فيعزل الاخر . ثم يعود الاخر فيفعل كذلك . واتفق ان انتدب سلفسترس الدهان لاسقفية بيروت في اول حضور اثناسيوس . وكان كيرلس معزولاً فكره ان تكون اقامته عن يد اثناسيوس لانه كان من حزب كيرلس وقال بطركنا افرنجي فلا ارضى ان تكون اسقفيتي من يده . فبعثوا واستدعوا ثلاثة اساقفة فشرطنوه في كنيسة بيروت . واقام في الاسقفية مدة عشر سنين وتوفي ودفن في بيروت .

وكان اضداد اثناسيوس يتهمونه بموافقة الافرنج ويؤيدون دعواهم هذه بالكتب التي استصحبها الى سفراء الدول الافرنجية في القسطنطينية . ويقولون انه مذ حضر الى حلب اختصر بعض الصيامات واذن للمسيحيين ان ياكلوا السمك في الصوم الكبير وغير ذلك . مع ان هذه الامور كلها لم تكن باذنه

---

(١) كان يجري من بطاركة القسطنطينية اقبح من هذا

ولا رضاه (كذا) وانما هي من احداثات رسل رومية في هذه البلاد فانهم كانوا يدسون في عقول الناس معتقدات مذهبهم ويرخصون لهم في الشرائع من الصيامات وغيرها . وكان ذلك كله مستتراً عن اثناسيوس (كذا) ولم يعلم به حتى فشا عند كثيرين وجروا عليه فعلًا . فنهاهم عنه واجتهد في ردهم الى الطريقة المثلى . فمنهم من اطاع في الظاهر ومنهم من اصرَّ على الخلاف . وخاف اثناسيوس ان يشدد في الامر حذراً من العواقب . فاضطر الى التساهل والتغاضي والى اخذهم بالرفق والملاينة طمعاً باجتذابهم الى محبته وطاعته . ورهبان الافرنج لا يفترون في هذه المدينة عن القاء دسائسهم في القلوب مكرراً ودهاء حتى انبث مذهبهم في حلب وغيرها فاصبح لهم حزب كبير في البلاد . (كذا)

ولما تمادى الخصام بين كيرلس واثناسيوس وكان كل منهما يكاتب الى القسطنطينية ويتحمل المغارم الثقيلة بعث المجمع القسطنطيني ففحص امرهما واصلح بينهما . واقر كيرلس على كرسي البطركية ورسم لاثناسيوس ان يكون في حلب ويكون دخلها رزقاً له مع دخل ادلب وكاز . وان يقام اسمه في المواضع الثلاثة بلقب ابينا وبطريركنا ويكتب في توقيعه البطريرك الانطاكي سابقاً وان يستمر الامر على ذلك الى ان يقضي الله على احدهما بالوفاة فيخلو الكرسي للباقي من بعده . ولا يقام بطريرك اخر الى ما بعد وفاته . فتراضى البطريركان على ذلك بموافقة اساقفة الابرشية وسكنت الاحوال مدة ثماني سنين . ثم توفي كيرلس ودفن في دمشق . وثبتت البطركية لاثناسيوس . »

وحقيقة الواقع ان اثناسيوس لم يذهب اول الامر الى القسطنطينية لنيل البراءة السلطانية بالبطركية . بل خاله هو الذي ذهب الى هناك واحضر له البراءة السلطانية بالبطركية . وقد تمت رسامته في دمشق كما جاء في كلام الخوري مخائيل بريك الذي نقلناه سابقاً . وكما يستدل على ذلك من رسالة

اثناسيوس الى سفير فرنسا في القسطنطينية . فلو كان ذهب الى هناك لكان تعرف به فيها وما كان قد اضطر الى مراجعته مراراً ليعرفه السفير ويعرف ايمانه الكاثوليكي حتى يهتم بشانه ليتغلب على اخصامه بامر البطركية . واذ كانت هذه الرسالة تجلو كثيراً من احواله وتنقض بعض امور نسبها اليه الخوري مخائيل بريك والذين اخذوا عنه نعربها هنا عن تأليف المرحوم الاب انطون رباط [1] اليسوعي الفرنساوي فيما يلي وقد نقلها عن سجلات وزارة الخارجية في باريس

لو كنت اظن اني غير معروف من جنابكم او انه يخامركم شك بايماني المعروف جيداً من كل رهبان الافرنج الذين في بلادنا لكنت سبقت واستدركت السؤال الذي وجهتموه لي بهذا الشأن في مكتوبكم الذي سلمني اياه هنا حضرة رئيس الاباء المرسلين اليسوعيين في حلب . على اني منذ صباي قد تربيت في الايمان الكاثوليكي في دمشق على يد الاباء اليسوعيين انفسهم الذين كنت تلميذ مدرستهم وتلميذ ارشادهم وبنعمة الله تعالى لم احد عن ذلك اصلاً . ولاعتقاد الجميع باني شديد التمسك بالايمان الصحيح راني الاباء محافظو الاراضي المقدسة (Terre-Sainte) الذين هم حماة الايمان الكاثوليكي في هذه النواحي اني اهل لهذه الدرجة السامية التي انا فيها وكما يشهد لكم بذلك حضرة الأب يوحنا المقيم في القسطنطينية (Jean - Marie Maunier) وقد ارسلت منذ بضعة اشهر الى رومية على يدهم اعترافي بالايمان الكاثوليكي ليتقدم الى قداسة الحبر الاعظم والان ارسله الى جنابكم في ورقة لوحدها في طي هذه

---

(1) Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient T. II, P. 106

اجابة لطلبكم بكل طيبة خاطر لاني احب من كل قلبي ان اكون معروفاً من الله تعالى ومن جميع الناس باني كاثوليكي حقيقي على ايمان وتعليم الكنيسة الرومانية التي اريد ان اعيش واموت في شركتها

وبعد هذا يسوغ لي ياسيدي كما ارجو من جنابكم ان اكون بظل حماية ملك فرنسا الظافر وان استمدها في وقت الضرورة وان احصل على مفعولها حينما ابادر اليكم بذلك لكونكم وزيره وسفيره الاكرم . والنعمة التي التمسها الان من جنابكم هي ان تراقبوا اخصامي الذين هم اخصام الكنيسة الرومانية وتمنعوهم عن ضرري وهلاكي لدى الباب العالي حيث لكم الشأن العظيم بفضل سطوة جلالة الملك العظيم الذي انتم وكيله ونائبه وبفضل درايتكم الفائقة بتدبير الامور وبما لكم من الثقة والكرامة لدى الباب العالي المذكور .

فأسأل الله تعالى ان يجزل بركاته ونعمه السماوية والارضية على عزة سلطانكم العظيم وعلى وزيره الاكرم ونائبه لدى الباب العالي واتشرف ان اكون الداعي لجنابكم العزيز (الامضاء بالعربي واليوناني)

في ١٠ نيسان سنة ١٦٨٧

وصورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي التي اشار اليها هنا فقد نشرها الاب انطون رباط بعد هذه الرسالة بالفرنساوي وهي مختصرة تتضمن انه يقبل ويؤمن ويعترف بكلما تقبله وتؤمن به الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ولاسيما القضايا التي قررها المجمع الفلورنتيني وهي قضايا الخلاف المعروفة .

واما صورة اعترافه التي ارسلها الى رومية كما اشار اليها في رسالته هذه الى السفير فقد وقفنا عليها باصلها في سجلات مجمع

انتشار الايمان في رومية مؤرخة في ٤ تموز سنة ١٦٨٦ كلها بخط جميل وامضاء اثناسيوس بالعربي واليوناني . وهي الصورة المنسوبة للبابا اوربانوس الثامن او التي رسم ان يمضيها الشرقيون الذين يريدون الدخول في طاعة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية واذ ليس لها محل هنا لننقلها كلها نذكر منها ما له علاقة بالتاريخ فيما يخص اثناسيوس المذكور اذ فيها اقراره . وعنوانها « صورة اعتراف اثناسيوس البطريرك الانطاكي على جماعة الروم » [1]

واولها «انا اومن ايماناً ثابتاً واعتقد بكلما تحويه فصول الامانة المستعملة في الكنيسة المقدسة الرومانية ... ثم بالمجمع القسطنطيني الرابع وهو الثامن من المجامع العامة . واعتقد ان فوتيوس انرفض فيه وانحكم عليه بعدل وحق . وان القديس اغناطيوس ارتد مكانه في الكرسي القسطنطيني ... وبالمجمع الفلورنتيني واعتقد بجميع الامور المحددة فيه اعني الروح القدس هو ازلي من الاب والابن وله ذات وماكث مع الاب والابن معاً وعلى الدوام وهو منبثق من الاثنين كمن مبدا واحد ونفخة واحدة . ولاجل ذلك ان القول من الابن قد وُضع في الامانة ضرورياً وحقيقة حتى يفسر الحق والضرورة العظمى ...

---

(١) منقولة عن الاصل المحفوظ في المجلد الاول من مجموعة الاصول
Scritture Originali riferite nelle Cong, Greci-melchiti .

والان بحريتي وحسن رضاي من كل قلبي اعتقد بها وبالحقيقة والصدق اتمسك بها سالمة من غير عيب الى آخر نفس من حياتي بثباتٍ بعون الله تعالى واحفظها واعترف بهـا واحترص على ان تتمسك وتتعلم وتكرز من الذين هم تحت تدبيري ومن رعيتي والخاضعين لي . انا اثناسيوس البطريرك الانطاكي على جماعة الروم اوعد واندر واحلف وهكذا الله يعينني والاناجيـل المقدسة والسبح لله دائماً . »

فالنتيجة اللازمة تحقيقاً من هذه السندات المختلفة المصادر اولاً ان اثناسيوس الدباس كان كاثوليكي المذهب سراً وعلانية باقراره عن نفسه بذلك تابعـاً لمذهب الكنيسة الرومانيـة وخاضعاً لرأسها البابا او الحبر الروماني قبل ان صار بطريركاً على انطاكية وان النصارى الروم من اهل حلب ما اختاروه مطراناً لهم بايعاز الرهبان الفرنسيسكان الا لكونه كاثوليكياً ولكونه مربى منذ صغره في المذهب الكاثوليكي في مدرسة الاباء اليسوعيين في دمشق ولذلك ساعدوه حيث كانوا وحيث كان يلزم له مساعدة مع قناصـل الدول الكاثوليكيـة في دمشق وحلب وطرابلس والقسطنطينية بواسطة سفرائهم حتى استولى على عرش البطريركية الانطاكية بعد ان ازاح عنه كيرلس الذي كان متمكناً فيه منـذ اربع عشرة سنة وكان في يده عدة برآءات سلطانية ورسائل جمعية من بطاركة القسطنطينية تقرر له التولي

التام على كل امور البطريركية الانطاكية وذلك منذ عهد ناوفيطوس الصاقزي الذي كان يزاحمه عليها كما تقدم الكلام .

ثانياً يلزم من ذلك انه كان لاثناسيوس حزب عزيز الشان وكثير العدد من الشعب ولا سيما في حلب ودمشق حتى تمكن بمساعدته على تولي امر البطريركية عدة مرار وكان اخصامه يدعون حزبه « برغشي » من باب التحقير مقابلة لتسمية حزبهم « بالناموسي » . لكن كان لحزب اثناسيوس اسم شريف معروف غير هذا وهو اسم الكاثوليك وهو الاسم الشامل لكل المسيحيين ابناء كنيسة المسيح المنتشرين في كل اقطار المسكونة الخاضعين لراس واحد وهو الحبر الروماني . ويقرر لنا حقيقة ذلك ما كتبه البطريرك كيرلس نفسه بخط يده في الحاشية التي علقها على كتاب تفسير انجيل القديس متى ليوحنا فم الذهب التي نقلناها عنه في الفصل العاشر من كتابنا هذا وهي :

« ثم قد اوقفنا هذا الكتاب على ديرنا المعروف بدير البلمند لاجل ان يتعزوا به الاخوة الرهبان . وذلك حين الاضطهاد على كنيسة دمشق من جماعة المارقين الملقبين ذواتهم بالكاثوليك حين تسلطوا على الكنيسة واستولوا عليها . »

ومن يعلم شدة تعصب الحلبيين لابناء وطنهم يدرك جيداً قدر عدد الكاثوليك وعزة شأنهم في حلب وشدة تمسكهم بالمذهب الكاثوليكي حتى اختاروا بالاتفاق التام اثناسيوس

مطراناً لهم وبطريركاً ضد كيرلس ابن وطنهم مع انه دمشقي وقلما الحلبي يؤثر الدمشقي على الحلبي . وما سبب ذلك الا لكون اثناسيوس كاثوليكياً ولكون الروم اهل حلب موافقين له .

ثالثاً يلزم انه كان كذلك لاثناسيوس حزب مهم من مطارنة البطريركية الانطاكية من اصحاب الابرشيات العامرة بالكاثوليك بقطع النظر عن مطران صور وصيدا وابناء ابرشيته فكان لا محالة يعتز بهم على خصمه وينال مساعدتهم المالية للقيام بشؤون البطريركية ومصاريف كلف البراءات السلطانية التي لم تكن تخرج من ديوان الباب الهمايوني لاصحابها الا برسم معلوم يذكر مبلغه فيها صريحاً فضلاً عن الهدية المالية التي يجب تقديمها للوزير الاعظم ليوعز بكتابتها وفي يده الاختام السلطانية ومعلوم ان البراءة السلطانية لا بد منها لتولي امور البطريركية عند النزاع والخصام عليها .

ولم يكن تحزبهم لاثناسيوس تحزباً شخصياً له . بل لمبداه وللمذهب الكاثوليكي الذي كان يتبعه امامهم ويتمسك به . ويقرر لنا حقيقة ذلك مضمون الرسالة التي كتبها الى المطران افثيميوس بعض المطارنة الكاثوليك بعد عقد الصلح بين البطريركين المشار اليهما . وقد ارسلها المطران افثيميوس الى رومية ليلتمس بموجبها من الحبر الاعظم حق تصريف تلاميذه والكهنة الكاثوليك في ابرشيات البطريركية الانطاكية وقد نقلناها بالحرف عن الاصل

المحفوظ في سجلات مجمع انتشار الايمان في رومية . وهي بدون تاريخ في الاصل لكن يتحقق القاري من قولهم عن اثناسيوس ان له في المنصب ست سبع سنين انهـا كتبت نحو سنة ١٦٩٤ وهي محفوظة مع اوراق سنة ١٧٠١.

الى قدس الاخ الطوباني ورئيس كهنة المسيح الحقاني حضرة المطران كير افثيميوس المكرم حفظه الله

غب اهداء تقبيل الطلعة الاخوية المتسربلة حلة الرياسة الكهنوتية المسطر اسمه الكريم اعلاه أدام الله تعالى بقاه آمين .

ثم المعروض هو ان معلوم خوتكم ان الرعية ما تعرف المضر لها ولا النافع . ونحن ملزومين بان نعرف ونعرّف . وان تهاملنا يطالبنا الله في الدنيا والاخرة . هذا الضرر الذي صاير ومبتدي تكميل نهايته فينا . لان من المعلوم ان هؤلاء الاثنين اللذين اقتسموا الكرسي والرعية ما اصطلحوا هذا الاصطلاح الا حتى يطالعوا ديونهم التي اتلفوها في اغراضهم ويوفوها من رقابنا ورقاب الرعية . ومـع ذلك ما هو دين خفيف ينهضهم . فواحـد منهم يقول علي ماية وخمسين كيس . والاخر الجديد الذي له ست سبع سنين في النصب يقول علي اربعين كيس او خمسين . ومعاومك بطركيتنا ما عليها درهم مغرم حتى نعذرهم . وان كان النصارى يبيعون اولادهم ونساهم اسرى ما هو ممكن ان يحصلوا هذا المبلغ ونحن نعلم ان السلطنة العلية الله يأيدها ما ترضى بخراب الرعية بعمل مثل هذا . ومن صوب الدين المشرف ان هؤلاء الاثنين شقوا الكرسي الرسولي الى قسمين . وكل واحد منهم اختص لنفسه اسم البطركية ضد وحدة الكنيسة المقدسة والقوانين الرسوليـة اذ الكرسي يكون بين رأسين لان الامرأة اذا اقترنت برجلين صارت زانية فمن الوجهين الضرر عظيم والخطر جسيم . فلاجل ذلك اتفق رايينا مع من حضر من اكابر الشعب واراخنتهم باننا اخترنا سيادتكم

لتكون علينا رأس منتخب حقيقي لعلمنا بسيرتك وغيرتك الروحانية على شعب المسيح لا كثالث بين اثنين . لكن كأول مختار من الله ومن الكنيسة المقدسة ومن ابناء الكرسي الانطاكي الرسولي الخاص والعام لان كيرلس اولا وقف بالقوة وجاه الحكام ثانياً اثناسيوس انتخب ذاته .

وان كنت تقول يا اخانا اننا نحن شهدنا لهم بتمسكات ومكاتيب وعروضه فهذا شيء صحيح قد صار . لكن كان خوفاً من اغراضهم لانهم كانوا منصوبين . ومهما ارادوا من ضررنا يفعلون . لكن اخوتك اخترناك نحن وغيرنا اختياراً حقيقياً حيث الان ما في يدك منصب لنحابيك ولا انت اهل ضرر حتى نخافك ولا لك قوة بان تلزم احداً في هذا الامر . فمن هذا الوجه ثبت انك اول لا ثاني ولا ثالث بل الاول من الله ومنا نحن اخوتك ومن الرعية اغنام المسيح اولادك . ومن جهة اخرى انك ابن الكنيسة المقدسة الرسولية الكاثوليكية ومربى في حليبها المقدس على ما اخبرونا عنك وذلك باثبات وشهادات حقيقية . فارسلنا ندعوك لهذه الدعوة الروحانية بناء على ذلك لتسلك امامنا في مناهجها المستقيمة . فاذا صح ذلك يتم فينا قول سيدنا له المجد حيث قال وتكون الرعية لراعي واحد . فقد اعلمناك بجميع الامور لكي لا تعتذر بوجه من الوجوه . واذا جعلت لك بذلك عذراً تكون فعلت مثل ذلك الذي دفن الوزنة . واذا اكملت هذا تكون فعلت مثل صاحب الخمس الوزنات وما ربح من الوزنات الاخر . باقي والدعا

سلبستروس غريغوريوس اغناطيوس مكاريوس

مطران بيروت مطران بعلبك مطران اللاذقية مطران طرابلس

ونلاحظ مع القاري النبيه ان هذه الوثيقة التاريخية تتضمن اموراً جمة مهمة لا شك فيها لانها عرض حال صريح لاربعة من المطارنة ذوي الابرشيات العامرة بالنصارى الروم الى اليوم. ويضاف اليهم بالتبعية مطران صور وصيدا المعروض عليه حالهم مع ابرشيته الواسعة التي كانت كلها على رأيه ومذهبه الديني كما سيتضح ذلك من سياق تاريخنا هذا. واخص هذه الامور

اولا ان المطارنة الذين كتبوا وامضوا هذه الوثيقة من تلقاء ذواتهم كانوا موافقين للمطران افثيميوس بايمانه الكاثوليكي وخاضعين لاحبار رومية ومتحدين معه بقطع النظر عن كل تحزب لكيرلس او لاثناسيوس.

ثانياً انهم يقرون على نفوسهم ان عليهم تبعة تدبير رعيتهم امام الله والناس اكثر من الرعية ذاتها التي قد كان اكثر افرادها لا يعرفون ما يضرهم ولا ما ينفعهم وان كانوا لا يخلون من افراد ذوي معرفة.

ثالثاً انه لم يكن على البطريركية الانطاكية غرامات مالية للحكومة نظير البطريركية القسطنطينية وغيرها مما كان معروفاً.

رابعاً انهم كانوا يخافون ان الحكومة توجب توزيع هذا الدين الباهظ على الابرشيات بسيفها القاطع وتوجب بيع النساء والاولاد لوفاء هذا الدين لاصحابه على ما كان جارياً بالفعل لذلك العهد في الممالك العثمانية. بل كان الاب يبيع بعض الاحيان

اولاده باختياره بدون اضطراره من قبل الحكومة

خامساً انهم يشهدون ان كلا من البطريركين كان انتخابهما غير قانوني على السواء . وان قبولهما في البطريركية لم يكن يخلو من تسامح او مراعاة احكام الحكومة القاهرة عن اضطرار .

سادساً انهم كانوا يرون المطران افثيميوس احق واولى بالبطريركية من كليهما ولذلك قد اختاروه لها عن استحقاق منه تحققوه بالخبرة وبشهادة الثقات .

سابعاً واخيراً ان المطارنة المذكورين كانوا مجاهرين صريحاً باتباع الايمان الكاثوليكي لكونه الصواب والحق بالاستناد على تعليم المسيح ورسله بهذا الشان كما سيأتي الكلام مفصلاً عن كل واحد منهم في الفصول التالية ان شاء الله تعالى .

﴿ الفصل التاسع عشر ﴾

في اطراد ما تقدم في الفصل السابق

يرى البعض من القراء اننا قد اطلنا الكلام كثيراً عن البطريركين المتنازعين على البطريركية فيما لا خير فيه . لكن نحن نرى مع هذا اننا ما استوفينا الكلام تماماً ولا استنفدنا كل ما كتبه عنهما المعاصرون لهما بقطع النظر عن كلام المتأخرين مما لا نعوّل عليه كثيراً لان كلام المعاصرين المتقدمين يجلي لنا كثيراً من غوامض تاريخ النصرانية لعهد المطران افثيميوس ويظهر لنا

فضله بذكر اعماله الرسولية في طائفته وكنيسة الروم الملكية التي هي فرع من كنيسة الله الكاثوليكية . وسنرى ان تاريخ حياته وحياة رهبانه انما هو تاريخ الكنيسة الكاثوليكية في الشرق بين الروم الملكيين .

ويظهر لنا مما تقدم من نص الوثيقة السابق ذكرها ان المطران افثيميوس لم يكن مشايعاً للبطريرك اثناسيوس ولا من حزبه ضد البطريرك كيرلس فيما يخص التنازع على البطريركية كما ذكر الخوري مخائيل بريك فيما نقلناه سابقاً من كلامه وان كانا متفقين على اتباع المذهب الكاثوليكي والخضوع للحبر الروماني راس الكنيسة العام عن غير تحزب ولا تواطي لان افثيميوس نشأ وعاش في دمشق الى ان ارتسم مطراناً وارسل صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي الى رومية سنة ١٦٨٣ كما تقدم وكان قبل هذا مجاهراً باتباع الايمان الكاثوليكي بل مضطهداً لاجله من البطريرك كيرلس نفسه الذي رسمه مطراناً باقرار افثيميوس نفسه بذلك . واثناسيوس نشأ بعيداً عن دمشق في اورشليم حيث ترهب ولبث هناك الى ان صار بطريركاً سنة ١٦٨٦ . وبالتالي لم يكن لاحدهما علاقة خاصة او تحزب مع الاخر قبل هذا ولا بعده . ونحن نعلم حق العلم ان المطران افثيميوس كان من اكبر المعارضين لاثناسيوس وينعي عليه مخاتلته فيما يخص الايمان الكاثوليكي . ولذلك كان اثناسيوس

يكره افثيميوس ويكره تلاميذه لاجله ويشكو منه الى رومية . ولما استقل بالبطريركية بعد موت كيرلس جعل نفسه اكبر المساعدين على اضطهاد افثيميوس . وبخلاف ذلك لم نجد من البطريرك كيرلس كلمة شكوى بان افثيميوس كان يوماً ما مشايعاً لاثناسيوس ضده .

ويحسن بنا ان نذكر هنا رسالة البابا اينوشنسيوس الحادي عشر التي ارسلها الى البطريرك اثناسيوس جواباً على رسالته التي كتبها له مع صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي كما قدمنا الكلام عنها . وقد طُبعت اولاً في صفحة ٣٥٨ من المجلد الثاني من مجموع مراسلات الحبر المذكور التي طُبعت في رومية سنة ١٨٩٥ في ثلاث مجلدات وطبعت ثانياً في صفحة ١١٦ من المجلد العاشر في الملحق بمجموعة المجامع لمانصي (Mansi) في باريس سنة ١٩١١ .

البابا اينوشنسيوس الحادي عشر

الى الاخ المحترم اثناسيوس بطريرك انطاكية .

ايها الاخ المحترم سلام

حقاً لقد كان لنا موضوع فرح كبير برسالة اخوتك التي وصلت الينا على يد الابن العزيز والرجل الفاضل التي الاب ليبورس من رهبنة الاصغرين المحافظين التابعين لقانون القديس فرنسيس . فقد عرفنا جيداً منها ومن الاب المذكور عينه

انه مرسل من قبلك الى رومة ليقدم باسمك الطاعة الواجبة باتضاع لنا بمقام خليفة المسيح على الارض عن غير استحقاق ، ويقرر لنا بكل خضوع الاحترام الذي تقر به نحو هذا الكرسي الرسولي . والحق يقال ان فرحنا ليس بك وحدك بل يشمل كل الذين ذكرتهم ذكراً جميلاً من الشعوب رعيتك الذي نلت منهم هذه الكرامة عن استحقاق (كرامة البطركية) ونرجو ان يكون الحصاد فيهم خصيباً باغمار الافراح كل يوم ولنا الامل الوطيد ان يكون مثلك هذا محركا قوياً لغيرك من مطارنة الطقس اليوناني ليجروا على اثارك . ونحن على هذا الامل نقبلك بملء الغبطة ايها الاخ المحترم في حضن الكنيسة الكاثوليكية باسطين لك ذراع محبتنا الحبرية ولا نترك هذه الفرصة تمر بدون ان نعلن كم يعز لدينا قبولك في هذه الكنيسة . فعليك اذاً ان تسير بثبات وامانة في هذا السبيل . وبينما نحن نطلب لك المعونة اللازمة لك دائماً بهذا السبيل نرجو لك كل خير ونمنحك بكل محبة البركة الرسولية

على ان مضمون هـذه الرسالة البابوية لا يتجاوز الاعلان بقبول البطريرك بحضن الكنيسة الكاثوليكية والتمني له الثبات على عزمه ونجاح عمله بارجاع رعيته واخوته المطارنة الى حضن الكنيسة الكاثوليكية . وليس فيها شيء يدل صريحاً على تثبيته بالبطريركية . لكن كان لهذه الرسالة اثر حسن وعاقبة مفيدة للبطريرك المذكور اذ ضمنت له مساعدة جميع الكاثوليك في الشرق من الروم وسواهم ولا سيما المرسلين وتجار الافرنج خاصة قنصل فرنسا في حلب وسفيرها في الاستانة وعمـال سائر الدول الكاثوليك . وبفضل هـذه المساعدة قد فاز بالبراءة

السلطانية بتولي البطريركية لا مرة واحدة بل ثلاث مرات ضد البطريرك كيرلس الحلبي الذي كان مستولياً عليها منذ نحو خمس عشرة سنة ومسلحاً بعدة فرمانات سلطانية وعدة رسائل مجمعية من بطاركة القسطنطينية وسواهم . وكان معززاً ايضاً برجال حكومة دمشق واشراف المسلمين فيها الذين عرف ان يعقد معهم الصلات الحسنة من عهد جده . وكذلك لا بد ان يكون له من المطارنة ذوي الابرشيات المجاورة لدمشق فريق يشد ازره مع المطارنة الذين رسمهم بيده في هذه المدة الطويلة الذين يحسبون نفوسهم من خاص تلاميذه واولاده

واذا كان رجال الحكومة قد اعتادوا ان لا ياخذوا بيد احد من النصارى ولا سيما الرؤساء الا من كان ذا مال وافر ينفق عليهم منه عن سعة . فان كيرلس كان لا محالة كذلك وقد وضع يده على اوقاف واموال البطريركية من عهد جده البطريرك مكاريوس وعلى ما اخبر عنه كثيرون من المعاصرين انه كان كالعرب وهاباً نهاباً واتهمه البعض بالسمونية اذ لم يكن يرسم مطراناً الا من يدفع له خمسماية قرش وجعل هذا رسماً مقطوعاً كما سنتحقق ذلك في سياق هذا التاريخ . وقد زادته الايام في البطريركية معرفة بالرجال ذوي الشان في دمشق والاستانة من النصارى والمسلمين الذين يصح اعتماده عليهم لمساعدته للفوز على خصمه . ولهذا قد تم له الفوز اخيراً بوجه تام نهائي كما

اراد على ماسيتضح لنا هذا الامر في الفصل التالي

﴿ الفصل العشرون ﴾

في الصلح والاتفاق على البطريركية

الصلح سيد الاحكام في كل نزاع وخصام. لكن لا يكون راهناً الا اذا كان قائماً على مراعاة العدل بين المتنازعين او كان صادراً عن محبة مسيحية صادقة بالعفو التام عما مضى واحتمال ما يمكن ان يقع من الهفوات بين الاخوان. وعلى كل حال ما كان ينبغي ان يقع شيء من هذا الخصام بين رؤساء كنيسة المسيح السابق ذكرهما لو كان فيهما روح المسيح المثال الاعلى للمحبة والتضحية او لو كان فيهما محبة صادقة. ولكن روح الشقاق يولد طبعاً الشقاق والانقسام. ومعلوم انه ليس في الشقاق او الخروج عن كنيسة الله الكاثوليكية سلطة سامية قادرة ان تقطع بامرها الجازم الحاسم النزاع والخصام بين رؤسائها واولادها. ولا سبيل ان يعود السلام الى نصابه في قلوبهم بعد الخصام الا بقوة سلطة نافذة فوق سلطة البطاركة وفوق كل سلطان بشري.

نعم ليس من شأن المؤرخ ان يتحرى بيان لزوم ضرورة هذه السلطة السامية في الكنيسة. وانما سياق التاريخ الصادق بمجرد بسط حوادث الخلاف الذي يقع في الكنيسة بين الرؤساء

وغيرهم يوضح لنا ضرورة هذه السلطة فيها لحسم كل خلاف وخصام ولحفظ السلام فيها على الدوام.

ومع هذا بقي علينا ان نوضح كيف تم الصلح بين البطريركين وكيف اتفقا على اقتسام البطريركية. على ان البطريرك اثناسيوس لم يجب ان يوضح لنا مفصلاً هذا الامر في تاريخه لبطاركة انطاكية فيما نقلناه عنه. بل اكتفى ان ذكره بايجاز لتبرير نفسه من التمادي بالخصام كما انه لم يوضح لنا كيف تولى البطريركية ثلاث مرات. ولعل هذا كان منه عن عي او عجز في امر يرى ان العذر فيه اقبح من ذنب.

على ان صاحب التختيكون يقول ما ملخصه ان اثناسيوس بعد ان نال المرة الاخيرة البراءة السلطانية بتولي البطريركية ونال فرماناً بالقبض على كيرلس وسجنه ومن وزير الشام على كيرلس ووضعه في سجن القلعة بموجب ذلك. ولما ضاق الامر بكيرلس خاطب اغا القلعة (من وجاق الانكشارية) والتمس منه ان يسمح له بالسفر سراً الى الاستانة ليعرض امره هناك الى الوزير الاعظم والى البطريرك القسطنطيني ويعود اليه بعد مدة من الايام عيّنها له بعد ان شرح له حاله وضمن له مبلغاً جزيلاً من المال مقابل ذلك دفع سلفاً له قدراً منه على يد احد ذويه. فوافقه الاغا على ذلك وارفقه برسائل توصية الى اغا الانكشارية الاكبر في الاستانة. ومن ثم سافر كيرلس سراً الى الاستانة وبعد ان قضى

لبانته عاد موفقاً الى دمشق وسار تواً الى القلعة . وبعد قليل وصلت الاوامر السلطانية الى وزير الشام باخراجه من السجن وتقليده البطريركية والقبض على اثناسيوس وسجنه . فخرج كيرلس من القلعة وعاد فاستولى على البطريركية واوعز الى اثناسيوس بالهرب من دمشق الى حلب وقال له لا اريد ان اعاملك بما عاملتني به من قساوة القلب والبغضة القتالة . ثم تصالح معه وترك له ابرشية حلب (حيث كان يحب الاقامة) ليكون دخلها معاشاً له .

ولما بلغ خبر هذا الصلح الى رومية كتب مجمع انتشار الايمان الى اثناسيوس يسأله عن حقيقة ذلك لانه جرى بدون استشارته وبدون علم منه ويلومه على قطع مكاتباته . فاجاب اثناسيوس معتذراً بهذه الرسالة المحفوظة في سجلات المجمع المذكور في عداد الرسائل الواصلة اليه من ١٣ كانون الثاني الى ١٧ ايار سنة ١٦٩٨[1]

الى جناب الاخوة المكرمين المحترمين حضرة الكردينالية وباقي اصحاب المجمع المقدس الحافظين للرأي القويم دامت فضائلهم آمين

بعد تقبيل الطلعات الاخوية المأنوسة الشريفة لا زالت ايامهم بعناية الله محروسة لطيفة وحمد من ازدانت بحسن تدبيرهم الاقطار واستنارت بفضائل علمهم المدن والامصار قضاة المعلمين وخلافة الرسل القديسين قواعد الكنيسة الكاثوليكية وابرجة الامانة الحقيقية اخوتنا واعزانا ومشاركينا في الاسرار

(1) Scritture originali riferite nelle Cong. Gén. de 13 Gen. 1698.

الروحانية لا برحت مسالكهم ناجحة سليمة واقوال افواههم نافذة عميمة بشفاعة من انارت بمولدها الانام مريم العذرى الشافية للسقام وجميع القديسين

ثم بعده نخبر حضرة الاخوة المكرمين والسادة المحترمين بان سابقاً ارسلنا لجنابكم كم مكتوب فما جانا جواب سوى فرد مكتوب اول من عشر سنين . وبعده ما عاد جانا جواب جعل الله المانع الى خير يكون . واما من صوب قلة ارسالنا لجنابكم في هذه المدة مكاتيب فهو ان زيادة اشتغالنا مع خصمنا بالتدافع عن الكرسي الرسولي وتعبه لنا التعب الكلي والمشقة الزايدة الحاصلة لنا بسببه هو السبب الذي صدنا عن ارسال المكاتيب الى اخوتكم المكرمة .

ثم بعد نخبر جنابكم بسبب الصلح الذي صار بيننا وبين عدونا فهو ضد قصدنا وعلى غير ارادتنا اذ لكثر ما زعلت الرعية وتضايقت عملوا هذا التدبير بالصلح واتفقوا ان كلمن لا يرضى بهذا الصلح على هذه الصورة نكون كلنا ضده وصاروا بفرد قلب وفرد راي . فلما رأيت ذلك امر حكمي وان ابيت يروح من يدي كل الرعية . فلاجل هذا سلمت الكرسي الرسولي قهراً بغير ارادتي بيد عدوي وضبطت القليل لوجانا بالباري تعالى بواسطة صلواتكم المقدسة بالرجوع الى كرسينا . لاني ان ابيت كما ذكرنا يروح القليل والكثير . ولكن كان جل قصدنا وغزير همتنا ان قبلما يصير علينا هذا الشيء نرسل الى جناب قدس الاب المطوب والحبر المسكوني المفخم سيدنا البابا الروماني مكتوب نخبر قداسته بالذي صار ونستأذن منه بذلك . ولكن ما كانوا يعطونا وقت قليل من الزمان لانهم عملوه بوجه السرعة . ثم بعد ما انتهينا من الصلح وقعنا في الامراض المتطاولة فصدتنا عن اشياء كثيرة ولكن ضميرنا دائماً يوبخنا لكوننا تركنا البعض من الرعية في يد الغير قهراً فلهذا ارسلنا نحو قداستكم المكرمة هذه الرسالة ليصير لنا تعزية ما

ثم المرجو ان ترسلوا لنا مشرفة وبركة من حضرة اب الاباء ورئيس الروساء وراعي الرعاة الحبر الاعظم وخليفة مار بطرس الرسول ونائب سيدنا يسوع وسيدنا المطوب السيد البابا الروماني دام قدسه . وهذه المشرفة يكون فيها غفران عما صدر مما ذكرناه . ثم نطلب من اخويتكم ان تلاحظونا بالدعا الى الله لكي يقدرنا على حفظ هذه الرعية القليلة من فم الذيب ولكي ايضاً بواسطة دعاكم المقدس نؤهل لحفظ باقي الرعية كارادته ومشيئته الذي له المجد والاكرام والشكر والسجود الى ابد الادهار آمين

من العبد الداعي
اثناسيوس البطريرك
الانطاكي

ويظهر من مطالعة المراسلات التي وردت الى رومية بهذا الشأن المحفوظة الى اليوم في سجلات مجمع انتشار الايمان ان هذا الصلح قد تم سنة ١٦٩٨ في مدينة حلب بعد حضور اثناسيوس اليها بثلاثة اشهر وقد اهتم له اعيان النصارى الروم لسبب ما وقع على الفريقين في هذا الخصام من المغارم والذل والمهانة فتوسطوا بين الاثنين . وبعد ان اعدوا للصلح عدته بالمكاتبة والمخابرة دعوا كيرلس الى حلب للاجتماع بهم مع اثناسيوس وكذلك دعوا اعيان الطائفة من اهل دمشق وسواها مع المطارنة اصحاب الابرشيات فحضر كيرلس مع من لبى هذه الدعوة من المطارنة والاعيان . وبعد مخابرات جمة في عدة اجتماعات اتفقوا على قرارهم باعلان الحق بالبطريركية لكيرلس وانعقد لذلك مجلس حافل باكابر اعيان حلب من المسلمين واليهود والنصارى من الروم والارمن والسريان

والافرنج بحضور كيرلس واثناسيوس واعلن فيه قرارهم الاخير بحضور الجميع ان البطريرك الانطاكي الحقيقي انما هو غبطة البطريرك كيرلس وان اثناسيوس دخيل عليه بغير حق وانه هو السبب لهذه الفتنة والخسائر . فاضطر حينئذ اثناسيوس ان يطلب السماح من البطريرك كيرلس ومن الجميع عن ذنبه بذل واتضاع وأقر انه يعتزل تماماً عن البطريركية متنازلاً عنها للبطريرك كيرلس مع مراعاة الشروط التالية :

اولاً — ان كيرلس يلتزم بوفاء كل الديون التي استدانها اثناسيوس باسم البطريركية الانطاكية وهي مبلغ نحو ثلاثة عشر الف قرش

ثانياً — ان يترك كيرلس لاثناسيوس ابرشية حلب ليكون دخلها معاشاً له

ثالثاً — ان ليس لاثناسيوس حق بان يكون بطريركاً على انطاكية ما دام كيرلس حياً

رابعاً — ان كل الفرمانات السلطانية التي بيد اثناسيوس بالبطريركية يجب عليه ان يسلمها للبطريرك كيرلس

خامساً — اذا اثار احدهما فتنة على الاخر وجب عليه القصاص حالاً بنزع ما يكون في يده ووضعه في السجن المؤبد الى آخر حياته

سادساً — اذا توفى الله كيرلس قبل اثناسيوس لا ينبغي ان

يقوم خليفة له في البطريركية غير اثناسيوس

سابعاً — ليس لاثناسيوس سلطة اصلاً على ابرشيات مطارنة الكرسي الانطاكي غير الابرشية التي اعطيت له

واضيف اخيراً الى هذه الشروط التي تم الاتفاق عليها بين كيرلس واثناسيوس واصحابهما الذين توسطوا بعقد الصلح هذا الشرط وهو انه اذا خالف احدهما شرطاً من هذ الشروط يكون الجميع ضده

و كيفما كان امر هذا الصلح بشروطه السابق ذكرها فلا يخامرنا بها شك اصلاً ولا يخالفها او ينقضها بشيء كلام اثناسيوس برسالته السابق ذكرها وان كان قد سكت عن بعض اشياء منها مراعاة لمصلحته الخاصة ولغرضه النفساني كما سنتحقق هذا فيما يأتي ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الحادي والعشرون ﴾

فيما جرى بعد الصلح

تدعو هذا الاتفاق صلحاً اتباعاً لما اتفق عليه اصحابه الذين توسطوا حينئذٍ بعقده بين البطريركين المتنازعين وقد زال به الخصام الذي كان سائداً بينهما وكان شاملاً لكل طائفة الروم تقريباً لخدمة مصلحة كيرلس واثناسيوس لا غير وان كان يقال بالظاهر لذلك العهد ويشاع انه كان بين حزب الروم وحزب

الكاثوليك كما تقدم . ومن الحقائق التي لا شك فيها ان التنازع على البطريركية وعلى السيادة العليا كان متصلاً وقديماً بين اهل دمشق وحلب من النصارى الروم ولم تزل اثاره الى اليوم . (بل ان التنازع على السيادة كان ولم يزل يشمل لكل اهل دمشق وحلب من نصارى ومسلمين كما هو معروف) . فكان على راس الحزب الشامي في هذا النزاع كيرلس الحلبي الذي ولد ونشأ في دمشق حيث كرسي البطريركية الانطاكية ولذلك كان يقال لها للمفاخرة كرسي النصارى . وكان على راس الحزب الحلبي اثناسيوس الدباس الدمشقي الاهل لكنه كان هو بالحقيقة غريباً عن دمشق اذ نشأ في فلسطين وكان يحب الاقامة غالباً في حلب ويؤثرها على دمشق . وكان له في اهل حلب عزوة قوية عزيزة الشان بغناهم وعزة نفوسهم وثباتهم على عهودهم حتى العناد كما هو مشهور عنهم

ويظهر ان اثناسيوس ساءت حاله كثيراً في حلب بعد انخذاله هذا الانخذال اذ تخلى عنه كل اصحابه الذين كان يعتمد عليهم سابقاً واوجبوا عليه ان يعتزل عن البطريركية لخصمه كرهاً واضطراراً وما اشد مرارة التخلي عن الرياسة بعد السكر بخمرتها ولذتها . وكان الناس في تلك السنة في ضيق شديد من قلة الامطار في شتاء سنة ١٦٩٧ــ١٦٩٨ ومن ثم عزم اثناسيوس على السفر الى القسطنطينية لعله يجد فيها فرجاً او تسلية لهمومه . وبعد ان قضى

مدة فيها قصد مدينة بوكارست عاصمة بلاد الفلاخ والمجر بعهد اميرها المسيحي الكريم يوحنا قسطنطين باصارابا ونزل ضفياً مكرماً لديه وعلى نفقته. ولبث هناك بضع سنوات ألف له تاريخ بطاركة انطاكية باليونانية الحديثة. بل لخص هذا التاريخ عما كتبه بهذا الشان سالفه البطريرك مكاريوس الحلبي وابنه الارشيدياكون بولس وقدمه هدية له مصدّراً بشعار الامير بالوان زاهية جميلة وقصيدة شعرية مديحاً له.

ثم توسل الى الامير المشار اليه ونال منه الامر اولاً بطبع كتاب الليتورجيات الثلاث على نفقته وقد نجز طبعه سنة ١٧٠١ في المطبعة الاميرية في مدينة بوكارست في حقلين او عامودين باليوناني والعربي بحبر اسود فاحم في ٢٥٢ صفحة بهذا القياس والحرف العربي كبير واضح تمام الوضوح اكبر من هذا الحرف الذي يطبع فيه تاريخنا هذا وان كان اقل حسناً ورونقاً. وكان العمدة بطبع النص اليوناني على المطبوع سابقاً في مدينة البندقية في ايطاليا وغيرها وكان العمدة بطبع الترجمة العربية على نسخة كانت بيد البطريرك اثناسيوس واستعماله من تعريب سلفه ملاتيوس كرمة مطران حلب سابقاً الذي تقدم الكلام عنه وعنها. ويظهر ان اثناسيوس ناظر بذاته على هذه الطبعة بمعاونة مدير المطبعة الاميرية الراهب اثيموس الكرجي الاصل الذي كان يحسن اليونانية والسلافية او الرومانية والتركية علاوة على لغته

الكرجية . ولمعرفته اللغة التركية التي كانت تكتب حينئذ بالحروف العربية استطاع المذكور بمساعدة البطريرك ومن معه طبع هذا الكتاب لاول مرة باليوناني والعربي كما ينبغي .

كتاب

القدسات الثلاثه الالهيه * مع بعض احتياجات
اخر ضروريه للصلوات الارتوذكسيه *
قد طبع الان حديثا في اللغة اليونانيه والعربيه *
بالتماس ومشارفة الاب الطوباني
كيريوكير اثناسيوس البطريرك
الانطاكي سابقا *
بمصرف السيد الامجد الرفيع الشان * متقلد
حكم جميع بلاد ونكرو فلاخيا * كيركير يوانو
قسطنطين بسارابا ويوضا المكرم
في تقليد رياسة كهنوت الاب المطران الكلي
الغبطه كير ثاوضوسيوس للبلاد المذكوره اعلا
في دير سيدتنا والدة الاله المكنا بسيناغوغو *
في سنة الف وسبعمايه واوحد مسيحيه

بيد الكاهن في المتوحدين انتيموس الرجي الاصل

وفي السنة التالية سنة ١٧٠٢ انجزت المطبعة المذكورة كتاب الاورولوجيون المعروف بكتاب السواعي لاول مرة بامر ونفقة الامير المذكور بطلب ومناظرة البطريرك اثناسيوس وكله بحرف عربي كبير بحبر اسود واحمر في ٧١١ صفحة . الا ان طروباريات وقناديق اعياد المشاهرة واعياد الخمسين والتريودي مطبوعة باليوناني والعربي في عمودين متقابلين .

والكتابان مصدران بصورة شعار الامير الكريم ومقابلها شرح ما في هذا الشعار من الرسوم بشعر يوناني . ثم يلي ذلك خطاب مديح وشكر له باليوناني والعربي من اثناسيوس . ثم خطاب اخر منه الى الكهنة ابناء لغة العرب في بيان فضل اعمال الخير التي قام بها الامير في بلاده وغيرها من سائر البطريركيات لتمجيد الله ولرفع شأن الكنيسة الارثوذكسية وجمال طقوسها وصلواتها ولا سيما عمله هذا بطبع الكتابين المذكورين لاجل منفعة الكهنة ابناء لغة العرب ابناء البطريركية الانطاكية وتوزيعهما عليهم بدون ثمن ولا مقابل الا الصلاة لاجله ولاجل والديه . واذ مضى على الكتابين المذكورين نحو ٢٣٥ سنة يتداولهما الكهنة والشعب للصلاة صارت نسخ هذه الطبعة منهما نادرة جداً وأعز كثيراً من النسخ المخطوطة حتى انه لا يوجد منها في كل مكاتب اوروبا اكثر من نسختين ولا يوجد منها في بلادنا الشرقية اكثر من اربع نسخ

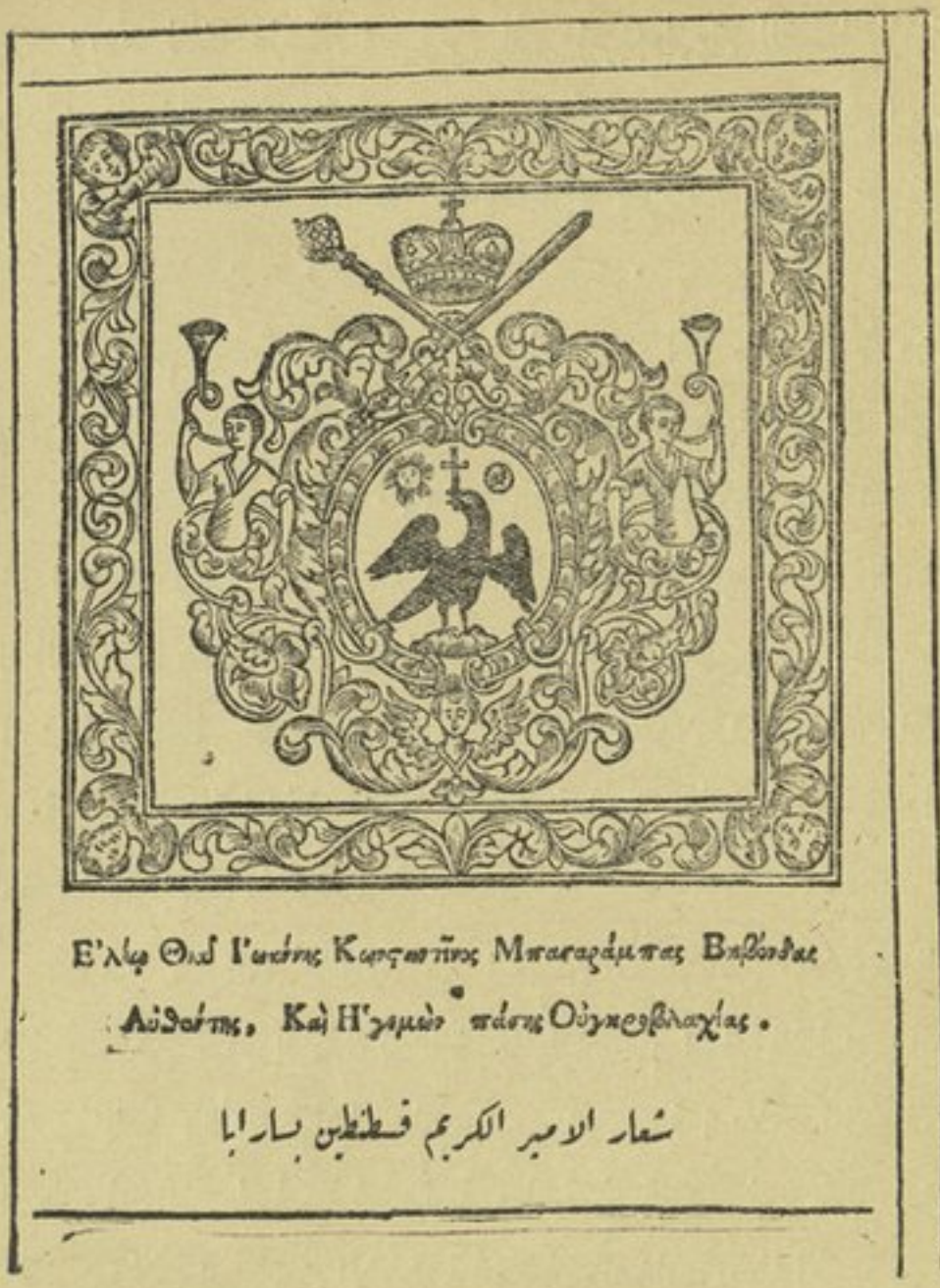

في مكتبة دير المخلص نسخة من كتاب السواعي من هذه الطبعة اوقفه البطريرك كيرلس الحلبي بخط يده سنة ١٧٠٨ على كنيسة السيدة في قرية ازرع من بلاد حوران عن روح الامير قسطنطين وروح والديه .

وبعد ذلك عاد اثناسيوس الى حلب بطريق القسطنطينية مثقلاً بالهدايا والاموال من الامير واكابر دولته والاكليروس واصحب معه مطبعة كاملة العدة مجهزة بحروف عربية تختلف بشكلها قليلاً عن حروف مطبعة بوكارست .

لا نعلم بالتحقيق متى عاد اثناسيوس الى حلب ولا متى باشرت مطبعته فيها بالعمل . لكن نعلم مع هذا انها انجزت طبع كتاب الانجيل في سنة ١٧٠٦ وعندنا غير نسخة من هذه الطبعة ثم انجزت ايضاً في هـذه السنة كتاب المزامير . وفي السنة التالية سنة ١٧٠٧ انجزت طبع كتاب الدر المنتخب من مقالات القديس يوحنا فم الذهب ومن ثم يجب ان يكون قد عاد الى حلب سنة ١٧٠٥ او قبلها لاعداد هذه المطبعة للعمل كما ينبغي وهي اول مطبعة عربية في بلاد الشرق .

ومن هنا نعلم شطط من زعم ان اثناسيوس تعين مطراناً لقبرص من قبل البطريرك القسطنطيني جبرائيل الثالث وانه ذهب اليها وعاد منها الى حلب بخفي حنين سنة ١٧٠٦ كأن كان البطريرك القسطنطيني له سلطة مطلقة في قبرص فوق كل حق وقانون ولا يراعي حق الابرشية القانوني بانتخاب رعاتها [1]

---

(1) Histoire des patriarcats melkites, tom., III, fas. 1, p. 56

المطران افثيميوس

وآثار غيرته الرسولية في ابرشيته

ما الغيرة الدينية الا العمل برغبة وحمية في سبيل الدين لرضى الله ومنفعة الناس او هي محبة الله مجسمة في نفع وخير عباده . وهي تختلف كل الاختلاف عن التعصب الفاسد الذي يكون عن هوى وهوس لا عن صواب ولا يخلو من ضرر للناس فيما لا يرضاه الله . وهي من اخص الخصال التي يجب ان يتحلى بها الاسقف الصالح اذ يجب عليه كالراعي الصالح ان يبذل نفسه في سبيل رعية المسيح التي تفوض اليه أمر العناية بها ابتغاء الاجر السماوي لا طمعاً باجرة الاجير في هذه الدنيا فان هذه خساسة لا تليق برجال الله اصحاب التيجان .

فحقيقة الغيرة الدينية تقوم اذاً ببذل النفس ونفيس الاعمال والاموال ولا يكفي فيها الكلام او الاقوال وحدها التي تحتمل الصدق والكذب بخلاف ما اذا كانت معها اعمال تطابقها فانها تقرر صدقها . وليس بوسعنا اليوم ان نفحص ونبحث عن اعمال غيرة المطران افثيميوس بذاتها وقد مضى عليها وعليه مئات من الاعوام . لكن نستطيع بسهولة ان ننظر الان في آثارها الباقية لنا الى اليوم في رسائله ومؤلفاته وفيما كتبه له وعنه اعاظم رجال عصره كما سنذكر ذلك في محله .

ونقصر كلامنا في هـذا الفصل على اثار غيرته في ابرشيته الشاهدة لذلك الى اليوم فانه جازاه الله خيراً جعل هذه الابرشية كلها بجميع سكانها الروم كاثوليكية صرفاً ليس فيها شقاق ولا مشاق .

كانت هذه الابرشية الكبيرة الواسعة عندما تسلم المطران رعايتها كما تقدم بنا الكلام عنها نظير سائر ابرشيات البطريركية الانطاكية بقلة عدد سكانها النصارى الروم الذين كانوا مبددين او متفرقين فيها مع ضعف حالهم في امور الدين والدنيا وكانوا تابعين للروم في اكثر امورهم حتى في شقاقهم بدون ان يفهموا حقيقة هذا الشقاق وقل من كان منهم يعرف حقيقة الايمان الكاثوليكي حق المعرفة او يجاهر بانه كاثوليكي او تابع لايمان الكنيسة الكاثوليكية القديم قبل شقاق الروم .

وبعد مدة ثماني عشرة سنة من مطرانيته عليها صار كل افراد هذه الابرشية[1] بفضل غيرته مجاهرين جميعاً بالايمان الكاثوليكي بروح

---

(١) سأل مرة احد المفكرين من آل السعد لاحد احبارنا هذا السؤال وعرضه علي قال لماذا في الجهات الجنوبية من نهر الدامور لا يوجد من الروم سوى الكاثوليك وفي الجهات الشمالية يوجد مع الروم الكاثوليك غير كاثوليك فاجبت على ذلك لان نهر الدامور هو الحد الفاصل منذ القديم بين ابرشية بيروت وصيدا التي كل الروم فيها اتبعوا الكنيسة الكاثوليكية من عهد المطران افثيميوس صيني بفضل غيرته وغيرة تلاميذه رهبان دير المخلص . والذين هم فيها اليوم غير كاثوليك قد هاجروا اليها من خارج بعد سنة ١٨٦٠ كما هو معلوم .

واحدة وكلمة واحدة هم واولادهم واحفادهم ونساؤهم ليس فيهم شقاق ولا مشاق الى يومنا هذا . على ان الذين هم اليوم فيها من الروم غير كاثوليك قد اتوا اليها من خارج بعد سنة ١٨٦٠ او بسبب حوادث تلك السنة المشؤومة

ولنا دليل ساطع على ذلك مضمون رسالة كتبها المطران الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر بتاريخ ٢٤ شباط سنة ١٧٠١ ارسلها له مع رسالة التهنئة بارتقائه الى كرسي الخلافة الرسولية صحبة عمدته الخوري يوسف مخائيل وابن اخته الشماس سيرافيم طاناس وكلاهما من تلاميذه الرهبان يذكر له فيها اموراً جمة مهمة عن احوال البطريركية الانطاكية ينبغي لنا ان ننقلها بتمامها هنا حرصاً على ما تضمنت من الفوائد التاريخية النادرة قال بعد الترجمة بذكر الالقاب البابوية :

بعد ان كتبنا لكم سابقاً كتاب طاعتنا في تقبيل اقدامكم كما هو الواجب علينا ايضاً نخبر قدسكم عن حال رعيتنا الذين في مطرانيتنا . بنعمة الله وبركة سادتي الباباوات الجالسين في كرسي مار بطرس نايب المسيح منذ حال جلوسنا في كرسي صور وصيدا الى الان بعد التعب والصبر بمساعدة المسيح بطلت الان جميع الانشقاقات والمخالفات المضادة الكنيسة الرومانية من بين رعيتنا الكهنة والعوام . ومن حيث اننا نريد ثباتهم في طاعة الكنيسة الكاثوليكية نشتهي ان يرتفع عنهم ضرر وظلم القرصان الذين يضروهم في البحر في ارزاقهم وفي معيشتهم . لاجل ذلك قصدنا اعلام قدسكم فان جاز امركم بادنى اشارة منكم الى عظمة ولي الامر حضرة السلطان العظيم سلطان فرنسا لكي يرسل امراً

قاطعاً لكي ترتفع يد القرصان الذين في البحر عن النصارى القاطنين في صيدا ونحن كاتبين مكتوب لعظمة سلطان فرنسا نترجى منه هذه المنة ونخبره في حال المسيحيين الذين في صيدا . لكن وصينا تلميذنا الخوري يوسف ان لا يقدم مكتوبنا لعظمته اذا لم يكن له مشرفة من قدسكم وفي فهمكم السعيد كفاية بعد تقبيل ايديكم ثانياً وثالثاً .

تلميذ قدسكم

افثيمبوس

سطر في ٢٤ شباط سنة ١٧٠١ مطران صور وصيدا
وابن البيعة الرومانية

ولا يسوغ ان نشك في مضمون هذه الرسالة بدعوى انه من باب مديح المطران لنفسه اولاً لان كلام المطران لا ينفرد فيها بل تشفع به اعماله المعروفة حينئذٍ في رومة مع اثارها الباقية لنا الى اليوم فانها تقرر صدقه . ثانياً لان كلامه فيها موجه الى رئيسه الديني الاعلى الذي يجب له عليه الصدق في القول مع الاحترام التام . ثالثاً لان الحبر الروماني كان (ولم يزل) له في هذه البلاد وفي صيدا عيون كثيرة من الرهبان المرسلين من اخص واجباتهم ان يخبروا من ارسلهم بكلما يجل ويدق من اخبار انتشار الايمان الكاثوليكي واصحابه ولا سيما المطارنة الروم .

ثم يجب ان نشفع بهذه الرسالة رسالة التهنئة المشار اليها بالتاريخ ذاته ٢٤ شباط سنة ١٧٠١ وهي تتضمن افادات جمة من هذا القبيل لا يجوز لنا اغفال شيء منها لاهميتها . قال :

لما وصلنا الخبر ان قدسكم جلس على كرسي مار بطرس وانكم توكلتم على الرعية المسيحية جميعها بعد نياح سيدنا البابا اينوشنسيوس مبارك ذكره فالواجب علينا ان نحضر نهني قداستكم بوصولها الى هذه الدرجة السامية ونرمي لها طاعتنا ونقبل اقدامها المقدسة لكن لاجل اننا ما نقدر نرمي كنيستنا بين الذياب وما فينا نروح بالجسد الى رومية لنزور قبر مار بطرس ونتبرك من قدسكم كما هو في خاطرنا من زمان كتبنا هذه الوثيقة شهادة على نفوسنا وارسلنا تلميذنا الاب البار الخوري يوسف وابن اختنا الشماس سارافيم شماس انجيلي اثنينهم رهبان امرناهم بالمضي لكي يقبلوا عنا اقدامكم المقدسة ويقدموا لقدسكم طاعتنا يقدرنا الله تعالى عليها طول عمرنا ويخليكم فوق روسنا سنين عديدة وان شاء الله نقشع في زمان قدسكم دين الكنيسة الرومانية منتشراً في كل هذه البلاد وغير ذلك .

من حيث ان لنا ثمانية عشر سنة مرسومين على كنيسة صور وصيدا وسبعة عشر سنة مشرفين من مكاتب سيدنا البابا اينوشنسيوس الحادي عشر الذي انعم علينا بالقبول بين البيعة الرومانية الكاثوليكية وبين الاخوة المطارنة الكاثوليكيين ومن حيث ان البطريرك الجالس في الكرسي الانطاكي غير مطيع للكنيسة الرومانية وكهنة كثيرون يصيروا كاثوليكيين من كل البلدان بكرز الرهبان المرسلين من المجمع المقدس والبطرك الجالس في الكرسي الانطاكي يقصر اياديهم ويمنعهم ولا يعطيهم سلطان الاعتراف لاجل ذلك نطلب نحن من قدسكم ان تجعلنا وكيلكم في الشرق حتى نعطي سلطان لهولاء الكهنة الكاثوليكيين لكي يعرفوا المؤمنين في اي كنيسة كانت وهذا القصد لاجل خلاص النفوس لان بغير سلطانكم العالي لا نقدر نعطي دستور للاعتراف الا في كنيستنا وحكم مطرانيتنا وهذا الشيء الذي نحن طالبينه من قدسكم ليس اعتراض لكن حسب ما طلب منا بقية الكنائس التابعة للكرسي الانطاكي كما يتضمن منشورهم الواصل الى قدسكم ان اردتم تفهموا

مضمونه [1] ونحن لاجل اننا قصيرين اليد واللسان ما لنا قوة نكمل مرادهم حسب مطاوبهم لانه متعلق في سلطان المسلمين لاجل ذلك طالبين من قدسكم سلطان الذمة لان على ما اظن انه يصير خير كثير اذا صار الكهنة الكاثوليك يعرفوا المسيحيين . ثم نطلب من قدسكم من اجل محبة المسيح ان تفتكر في ترجيع اولادك الى طاعتك الذين في كنيسة الشرق ولا تذكر مخالفتهم واثام اباتهم بعد تقبيل ايادیكم ثانياً وثالثاً .

تلميذ قدسكم

سطر في ٢٤ شباط سنة ١٧٠١

افتيموس مطران صور وصيدا

ابن الكنيسة الرومانية

تأخر سفر هذا الوفد في صيدا الى رومية اما لشدة فصل الشتاء في ذلك العام او لسبب اخر وفي اثناء ذلك بلغ المطران من رئيس الآباء اليسوعيين امر انشاء مدرسة عالية في باريس للشبان الكاثوليك من الطوائف الشرقية على نفقة الملك لويس الرابع عشر وتفوضت ادارتها الى الاباء اليسوعيين من قبل وزيره الاكبر (Pontchartrain) ورغب المذكور المطران بارسال ابن اخته اليها فقبل المطران ذلك ولم يخالفه ابن اخته . وفي اول ايار سافر الشماس سيرافيم مع رفيقه الى باريس بطريق مرسيليا ومعهما رسائل التوصية من المطران ومن قنصل فرنسا في صيدا ومن رئيس الاباء اليسوعيين الى من يلزم في مرسيليا وباريس وبفضل ذلك حاز الشماس ورفيقه القبول التام من ذوي الشأن في طريقه وفي

---

(١) المراد بهذا المنشور صك المطارنة الذين انتخبوه بطريركاً نشرناه فيما تقدم .

المدرسة لكن لا نعلم لماذا تركها وترك باريس بعد قليل اذ غادرها مع رفيقه بورقة اجازة سفر رسمية (Passeport) بتاريخ ٣ آب سنة ١٧٠١ وسافرا الى رومية . وتم الامر للشماس سيرافيم هناك ان دخل بسهولة مدرسة انتشار الايمان بصف اللاهوت في اوائل اذار سنة ١٧٠٢ اذ نجد اسمه مسجلًا في سجلاتها مع اسم والديه واسم خاله مرسله وكان له حينئذ من العمر نحو عشرين سنة وكان يعرف العربي واليوناني والتركي والفرنساوي .

وقد نشر المرحوم الاب انطون رباط اليسوعي في مؤلفه المعروف بالفرنساوي ما وقف عليه في سجلات باريس من مراسلات المطران واصحابه بهذا الشأن ' نختار منها رسالة المطران الى الوزير المذكور بتاريخ ٥ ايار سنة ١٧٠١ بنصه العربي الشائق بمعناه وان لم يكن كذلك بانشائه :

سيدي رفيع الجناب ملك الرقاب
مدبر بلاد فرنسا الوزير الاعظم ادام الله تعالى عزه امين

قد وصلنا الخبر ان جلالة عظمة سلطاننا لودويخوس الكبير اقام مدرسة لاجل طوايف النصارى الذين في بلاد الشرق . لاجل ذلك صار عندنا فرح عظيم

---

(١) جاء اسم الخوري يوسف مخائيل في هذا التأليف مصحفاً هكذا (Don Joseph Missel) ثم ظن المؤلف ان يوسف هو ابن اخت المطران اذ تعذر عليه قرآءة الاصل في المخطوط القديم قرآءة لا شك فيها كما صرح في الحواشي التي علقها على ذلك في التأليف المذكور مراراً Documents inédits

نحن وكل نصارة بلادنا لاجل الشرف والخير المتصل الينا والى كل نصارة بلادنا . فانا الحقير لاجل هذا الخير اشكر من فضلكم كثيراً عن نفسي وعن بقية اخوتي روساء الكهنة اللايذين بي . لان معلمين اعترافنا الرهبان الايسوعيه شرحوا لنا عن جنابكم اشيا عظيمة فايقة التي منها الغيرة العظيمة على مجد الايمان المسيحي كالغيرة التي لكم بتدبير السلطنة الفرنسوية . وانك انت كنت السبب لهذا الخير العظيم ... ومن حيث ان سلطاننا العظيم يعرف نيتك الصالحة وتدبيرك الذي هو بحكمة بليغة كمل هذا العمل الصالح برايك . فانا الحقير لاجل الخير العظيم الذي هو متصل بالايمان الذي نترجا ان يرتفع بذلك ويعاد الى المجد الاول بهذه البلاد اذا اكمل الله نيتكم هذه الصالحة ورجعت الاولاد الى اوطانهم وعلموا في بلادهم ما استفادوا من انعامكم فهذا هو الخير العظيم الدايم الذكر . وهذا الفعل فاضل من ذاته وازداد فضله بتسليمه بايدي اخوتنا الرهبان الايسوعيه الذين انا اعرف حكمتهم وفهمهم ونفعهم الى المسيحيين ليس على سبيل الخبر لكن على نظر العين كما يبان ذلك من المرسلين منهم الى بلادنا الذين باتعابهم وبحكمتهم نشاوا كثيرين في بلادنا من قاع الهرطقات والانشقاق ووضعوهم في وسط الكنيسة الجامعة . وعلى التحقيق يكون بمعلومكم انه ولو ان يكون عندنا غيرهم رهبان فاضلين واهل قداسة لكن من غير شك ما فتح لهم الطرقات غير رهبان الايسوعية . ولاجل الخير المتصل منهم الى المسيحيين فانا الحقير اطلب من الله يرفع شأن هذه الرهبنة التي هي نور للعيون المظلمة .

ويكون بمعلوم سعادتكم اني من حين اقامتي في كرسي صور وصيدا الى الان الصلوات المفروضة علينا للملوك بصلواتنا فانا الحقير وجميع من عندي كهنة كل يوم نصلي لاجل حياة افندينا السلطان لودويخوس في وسط كنيستي . فمن حيث قد حصلت نيتكم باصطناع الجميل فعلى ما نظن انه من الواجب بانكم تفتشوا على تحصيل اولاد الروم الذي هم تبع بطركية انطاكية لان

هذا الكرسي يحوى على نصارة كثيرين في بلاد سوريا وغيرها والتعب معهم مفيد مثمر . لان اولاد بحر الجزاير ما لهم شركة ولا ساوك مع غيرهم يكون معلوم سعادتكم . ولاجل اني ما اقدر افسر لعظمتكم بالقول نيتي المتفقة مع ارادتكم ارسلت لكم ابن اختي الاخر والاشرف والاعز عندي من جميع ما املك الذي ما عندي اعز منه شي ليتعلم تحت نظركم في هذه المدرسة كما يجب خاطركم فالمرجو من عزتكم ان تقبلوا هذه الهدية من دعجيكم (الداعي لكم) الذي هو ذاكر لكم في اوقات الصلاة واتضرع الى الله لكي يفيض عليكم من جميع كنوز انعامه .

الداعي لسعادتكم

حرر في خامس يوم خلت من شهر ايار سنة ١٧٠١ الحقير اوبمبوس

مطران صور وصيدا

ولا بد لنا من تعريب ما جاء في رسالة رئيس الاباء اليسوعيين في سوريا (Père Verseau) الى الوزير المشار اليه بخصوص المطران وابن اخته بهذا الشأن ونحيل القاري. الى مطالعة الاصل الفرنساوي اذا اراد في صفحة ٥٣٨ من المجلد الاول من التأليف المذكور .

« واذ بلغ سيادة مطران الروم لصور وصيدا ان الملك لتقواه وغيرته انشأ مدرسة اكليريكية للشبان الشرقيين على اختلاف طوائفهم اذاع هذا الخبر على كل الاحبار روساء الكهنة الروم التابعين للبطريركية الانطاكية الذين كلفوه بغياب بطريركهم ان ينوب عنهم بتقديم واجب الشكر لجلالته ولعظمتكم على اهتمامكم بقيامها وازدهارها لخير الديانة وقد سلمني مكاتيبه بهذا الشأن وارسلتها لكم على يد حضرة الاب (Fleuriau) الوكيل العام لرسالتنا في (مرسيليا) . فان سيادته عرف قدر شأن هذه المدرسة والخير الذي

تأتي به لمنفعة الكنيسة الشرقية . واذ له ابن اخت ذكي الفؤاد حسن الصفات له من العمر نحو ثلاث عشرة سنة [1] يعزه طبعاً معزة جزيلة احب ان يرسله الى عظمتكم لتجعلوه في هذه المدرسة اذا شاء جلالة الملك ذلك . وهو يعد هذا الامر من اعظم النعم التي يرجوها من جلالته . وهو من حينما صار مطراناً لا يزال يواصل الدعا والصلوات في كنيسته لاجل جلالته . وهو بحقيقة الواقع حبر جليل وكاثوليكي بالتمام (très catholique) وذو اعتبار عظيم في بني امته وقد انتدب مراراً الى البطريركية فرفض قبولها . وقد احتمل سابقا في سبيل الايمان الكاثوليكي اضطهادات شاقة جداً وهو يحامي عنه بغيرة فائقة تكاد لا تصدق من المشاقين . وهو دمشقي الاصل وابن اخته الذي يريد ان يرسله ... هو كذلك . وله هنا (في صيدا) كرسي مطران ويقيم في دير حيث يعيش بعيشة مشتركة مع رهبانه ويباشر دائماً واجباته الراعوية بتمام النشاط .

ويجب ان نستلفت نظر القارىء النجيب الى ما ورد ذكره صريحاً في هذه الرسائل مما يهمنا ايضاحه وتقريره في هذا التاريخ وهو اولا ان المطران افثيميوس كان سنة ١٧٠١ وما قبلها يعيش عيشة رهبانية مشتركة مع تلاميذه ورهبانه في دير له خارج مدينة صيدا بمعرفة رئيس الاباء اليسوعيين واقراره وباقرار المطران نفسه ان الخوري يوسف مخائيل والشماس سيرافيم طاناس كان من تلاميذه ورهبانه . ويلزم من هذا لزوماً بيناً انه قد انشأ قبل سنة ١٧٠٠ جمعية من الرهبان كان يربيهم ويرشحهم

---

(١) نظن ان الاصل ١٨ سنة فانه اقرب للصواب ولما ذكر عنه في سجل المدرسة ولقرب المشابهة بالشكل ما بين رقم 3 باللغات الفرنجية وبين الثمانية 8 وقرب الالتباس بينهما .

للكهنوت وللرسالة في كل ابرشيات البطريركية الانطاكية وانه قد اختار منهم الخوري يوسف ليكون وكيلاً له لدى الحبر الاعظم ولدى ملك فرنسا لقضاء عدة امور مهمة بعد خبرته له الاول منها العناية بابن اخته في سفره ولوضعه في مدرسة اكليريكية ليتربى فيها بثقافة عالية ليصير اهلاً ليكون خليفة له في كرسي صور وصيدا لكن عناية الله كانت تدبر له وترشحه لمقام البطريركية الانطاكية كما هو معلوم .

والامر الثاني الذي عهد المطران اليه في قضائه في رومية لا محالة اهم من هذا كثيراً هو طلب التفويض من الحبر الاعظم بان يكون المطران نائباً عنه في الشرق ليستطيع ان يفوض الى رهبانه وغيرهم حق التصرف باسرار الكنيسة في سائر الابرشيات التابعة للبطريركية الانطاكية ولو كره ذلك البطريرك المشاق وقد تم له نيل هذا الامر حسب طلبه فان الكرادلة اصحاب مجمع انتشار الايمان بعدما بحثوا البحث الوافي بهذا الطلب في جلسة عقدوها لذلك في ٦ كانون الاول سنة ١٧٠١ استحسنوا وحكموا باجابة طلب المطران لمدة سبع سنوات بقرار رفعوه الى الحبر الاعظم البابا اكليمنضوس الحادي عشر بواسطة كاتم اسرار المجمع المذكور كالعادة ليجيز ذلك اذا اراد . وهذا تعريب القرار المشار اليه نقلاً عن سجلات المجمع المشار اليه .

« بعد ان عرض حضرة كاتم الاسرار الاب المحترم اوغسطين (R. P. D. Carolo Augustino Fabrono) قد حكم هذا المجمع المقدس بانه يسوغ ان يعطى للسيد افثيميوس مطران الروم لصور وصيدا الحقوق المعتاد منحها للاساقفة الذين هم تحت حكم غير المؤمنين لمدة سبع سنوات في كل البطريركية الانطاكية بحيث لا يستطيع ان يمارس ذلك خارج حدود البطريركية المذكورة ولا في الابرشيات التي فيها اساقفة كاثوليك . ومع هذا ينبغي مراجعة مجمع التفتيش المقدس بهذا الشأن . »

وهذا تعريب اجازة الحبر الاعظم لهذا القرار :

« الى صاحب السيادة افثيميوس مطران صور وصيدا الروم في كل البطريركية الانطاكية حيث لا يوجد اساقفة كاثوليك

نهار الاربعا في ١٩ تموز سنة ١٧٠٢ في المقابلة المعتادة المعطاة لحضرة الاب المحترم المساعد (لكاتم اسرار المجمع) منح الاب الاقدس حسب ما عرض هذا عليه للطالب المذكور (المطران) هذه الحقوق لمدة سبع سنوات بحيث لا يستطيع ان يمارسها قطعاً خارج حدود البطريركية المذكورة ولا في الابرشيات حيث يوجد اساقفة كاثوليك . »

والامر الثالث الذي لاجله سافر الخوري يوسف المذكور الى رومية وباريس من قبل معلمه المطران هو السعي لمنع ضرر القرصان الافرنج عن ضرر النصارى سكان صيدا والسواحل البحرية المجاورة لها اذ كان هؤلاء القرصان وهم المعروفون بلصوص البحر يغيرون على المراكب وسواحل البلاد الاسلامية ويسلبون ويسبون ما تصل اليه ايديهم كما كان يفعل كذلك قرصان المسلمين من اهل الجزائر باغاراتهم على سواحل فرنسا

وايطاليا واسبانيا . ومن ثم كان النصارى وارزاقهم غنيمة باردة وضحية بلا قيمة عند الفريقين وان كانوا غير مقصودين بالضرر من قرصان الافرنج .

والامر الرابع الذي من اجله كان هذا السفر الشاق هو السعي والاهتمام بانشاء مستشفى في صيدا لزوار الاراضي المقدسة الذين كان كثيرون منهم يموتون في الطرقات اذا سلموا من قطاع الطرق وغالباً كانوا يموتون في الخانات وبيوت غير مؤمنين على غير دين النصرانية ويهلكون نفساً وجسداً بدون مساعدة دينية ولا الزاد الاخير . وقد توفق المطران وعمدته بعض التوفيق بهذا الشأن وقام المستشفى في صيدا باسم مستشفى مار نقولا بعض سنوات فقط . اذ عارضه في رومية لدى اصحاب الشأن الرهبان الفرنسيسكان بدعوى ان في يدهم براءات رسولية قديمة تخولهم دون سواهم الاهتمام بشؤون زوار الاراضي المقدسة من الكاثوليك . وبهذا قضي على هذا المستشفى حتى نسي خبره .

والغرض الخامس الذي لاجله كان هذا السفر هو لكي يعرض شفاهاً لاولي الشأن حال الاضطهاد الشديد العام على النصرانية في ذلك الزمان من رجال حكومة الاتراك ولطلب المعونة بازالته . لكن لم يحصل لهذا الامر نتيجة سوى رسالة من مجمع انتشار الايمان الى المطران يمدح غيرته ويحرضه وبواسطته يحرض المؤمنين على الصبر على هذه المحنة لاجل الله القادر على كل

شيء الذي هو وحده قادر على ازالة ذلك متى شاء .

وسبب هذا الاضطهاد العام هو ما كان يقع على الاتراك حينئذٍ من الانكسارات الهائلة من عساكر قيصر جرمانيا او النمسا بقيادة الامير الشهير Eugène de Savoie الذي كان من اعظم قواد ذلك العصر في الفنون الحربية .

ولا نعرف عن الخوري يوسف مخائيل عمدة المطران المشار اليه اكثر مما ذُكر هنا سوى ما ذكره عن نفسه في استدعاء قدمه الى مجمع انتشار الايمان اذ كان في رومية يقول فيه انه كاهن لاحدى عشر قرية يعيش فيها النصارى مع غير المؤمنين ولذلك يطلب بعض انعامات روحية . وربما كان من دمشق اخاً او نسيباً للخوري ابرهيم الطوطو المشهور بالاعجوبة التي جرت فيه وكانت السبب لتشييد دير المخلص في محله فإنه يذكر اسمه في سجلات رومية ابرهيم مخائيل .

﴿ الفصل الثالث والعشرون ﴾

في اعمال غيرته خارج ابرشيته

اقتضى نظام الكنيسة لخير المؤمنين العام منذ القديم ان يعيّن لكل اسقفٍ او مطران ابرشية خاصة ذات حدود معينة يفوّض اليه امر العناية بنفوس اهلها ورعايتهم رعاية تامة تستوعب كل اهتمامه وعنايته . لكن يسوغ له بل يجب عليه مع هذا من باب

الغيرة الدينية والمحبة المسيحية ان يعاون ويساعد برأيه وعقله الذين يحتاجون اليه من اخوانه المطارنة المشاركين له بأمر رعية المسيح بوجه المحبة والاتفاق معهم بدون ان يتعدى على شيء من حقوقهم في ابرشياتهم . فهذا كان لا محالة شأن المطران افثيميوس في سائر ابرشيات مطارنة البطريركية الانطاكية كما يتضح لنا هذا جلياً من سياق هذا التاريخ في الفصول التالية . ونجمل الكلام عنه في هذا الفصل اجمالاً بايجاز تام بعدما تقدم .

كان المذكور بمقامه مطراناً لصور الاول بين المطارنة والمتقدم فيهم ويحق له دون سواه ان ينوب عن البطريرك في غيابه وعند موته ثم نظراً لما كان متصفاً به شخصياً من جودة العقل وسعة العلم والخبرة التامة بامور الكنيسة وتدبير النفوس كان المطارنة واعيان الامة يرجعون الى رأيه ومشورته في كل معضلة وخلاف . ومن ثم كان يضطره الحال بمقابلة ذلك ان يكون كلاً للكل في جميع الابرشيات . فكان يهتم باجل وأهم امورهم بمراسلاته وبوعظه اذ كان يفتقدهم بذاته في اسفاره المتواصلة مع ما كان في الاسفار لذلك العهد من المشقات والمخاطر . وكان جل اهتمامه من هذا القبيل بان يكون لهذه الابرشيات رعاة صالحون عندما كانت تفرغ بموت مطرانها فكان يبذل وسعه وكل نفوذه بانتخاب من يكون اهلاً لذلك من خيرة الاكليروس الكاثوليكي قلباً وقالباً . ونأسف كثيراً على ان الايام لم تبقِ لنا من رسائله اليهم

بهذا الشأن الا القليل النادر بالنسبة الى ما وجدناه من رسائله محفوظاً في سجلّات رومية مما كتبه الى احبارها والى اصحاب مجمع انتشار الايمان وكان لنا منها نعم الدليل وخير معين لتحرير هذا التاريخ بالتدقيق الواجب له.

ومن خير اعماله في هذا السبيل واعمها نفعاً لتنوير النفوس بأمر الدين ولا سيما بني امته الروم تأليفه لكتاب الدلالة اللامعة الذي طبعه في رومية ووزعه عليهم بلا ثمن لخير نفوسهم. وسيأتي الكلام عليه مفصلًا بوجه خاص في الفصل التالي والذي بعده.

وافخر اعماله وافضلها لنا من هذا القبيل واعظمها مجداً لله واجداها نفعاً وابقاها الى ما شاء الله تعالى هو انشاؤه الرهبانية المخلصية لخدمة الرسالة الكهنوتية في جميع الابرشيات الانطاكية وتشييده دير المخلص الكبير لرهبانها الروم الوافدين اليه من جميع الابرشيات لنشر الايمان الكاثوليكي بين افرادهم وتوطيده في نفوسهم.

﴿ الفصل الرابع والعشرون ﴾

في كتاب الدلالة اللامعة

هو كتاب جليل اعظم واوسع مؤلفات المطران افثيميوس. مدار ابحاثه عن قضايا الخلاف المعروفة التي يخالف فيها الروم التابعون لشقاق فوتيوس القسطنطيني تعليم كنيسة الله

صورة الصفحة الاولى من كتاب الدلالة اللامعة من الطبعة الاولى في رومية وقد صارت نسَخُها نادرة جداً.

الكاثوليكية فيما يخص حقيقة وحدتها ورياسة الاحبار الرومانيين العامة فيها وانبثاق الروح القدس من الاب والابن وحقيقة وجود المطهر وتمتع القديسين بالسعادة الابدية بعد الموت وغير ذلك من طقوس العبادة وسنن الدين المسيحي . وقد طبع هذا الكتاب اولاً سنة ١٧١٠ في رومية بمطبعة مجمع انتشار الايمان بالتماس مؤلفه المطران افثيميوس كما نرى في الصورة المنقولة هنا عن اول صفحة منه في ٣٤٢ صفحة من قياس صفحات هذا التاريخ . وهو اول كتاب طُبع ونُشر باللغة العربية بهذا الموضوع بين ابناء الروم في سوريا .

وفي سنة ١٨٦٣ طُبع هذا الكتاب طبعة ثانية في القدس الشريف بمطبعة دير الآباء الفرنسيسكانيين في ٣٧٠ صفحة من هذا القياس نقلاً عن طبعة رومية السابق ذكرها بعد اصلاح اغلاط الطبع التي وقعت فيه حسب الجدول الذي وضع لها في آخر الكتاب وبعد حذف الخطاب الطويل الموضوع في صدره من الواقف على طبعه بالاعتذار عما وقع من اغلاط الطبع الكثيرة لسبب جهل عمال المطبعة اللغة العربية جهلاً تاماً اذ لم يكونوا يعرفون منها اكثر من اسماء الحروف واشكالها بحيث كما يقول اذا ارادوا اصلاح غلطة يقعون غالباً في عدة غلطات او في غلطة اكبر واقبح . ونرى انه لهذا السبب اضطر الشماس اسطفان عطا الله ان يبقى في رومية عدة سنوات ليقف بذاته على طبع

الكتاب لاصلاح اغلاط الطبع المعتاد وقوعها . بل ليساعد عمال المطبعة في عملهم هذا . وكان في اول الامر يعسر عليه افهامهم ما يريد في لغتهم الايطليانية مع عدم خبرته بشؤون الطبع والمطابع ليعلم كيف ينبغي ان يكون طبع الكتاب وليس له ادنى معرفة من قبل بهذا . ولذلك وقع فيه ما وقع من الاغلاط الكثيرة المهمة واهمها انه اهمل التصريح بذكر اسم المؤلف في اول صفحة منه كالعادة . وانما ذكر اسم المطران في آخر هذه الصفحة باعتبار ان الكتاب طبع بطلبه . وبهذا الاهمال اوسع المجال للشك في مؤلف الكتاب حتى بعد موت المطران اخذ البعض يدعون ان لهم يداً في تأليفه واضحى كالمال السائب بلا صاحب . ولذلك ينبغي لنا ان نشبع الكلام عن هذا الكتاب وتاريخه ونجلو الشبهات التي حامت حول نسبته الى مؤلفه المطران ودحض كل اعتراض قام دون ذلك حتى يزول كل شك عن هـذا باذن الله . ومن ثم ينبغي لنا ان نذكر اولا ما عرفناه عن تاريخ هذا الكتاب تأليفاً وطبعاً وبيان اسباب ذلك .

في اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٧٠٤ كتب المطران افثيميوس رسالة الى مجمع انتشار الايمان يخبره بالسبب الذي كان داعياً لتأليف ونشر هذا الكتاب قال :

« بعد عرض عبوديتنا ننهي الى محفلكم المقدس ان اصحاب ابرشية اورشليم المشاقين احضروا كتاب زخريا جرغانو اسقف ادنة المنعم تجاديف ضد

رأي كنيسة رومية واخرجوه الى العربية وارسلوا بثوه في بلادنا بابرشية الكرسي الانطاكي ليسقوا السم الذي هو داخله للسذج لذلك نقصد . . »

ثم في اليوم ذاته كتب رسالة خاصة الى الكردينال (Sacripanti) الذي كان حينئذٍ رئيس المجمع المذكور بهذا الشأن ينبغي لنا ان ننقلها هنا بتمامها وفيها البيان الوافي قال بعد الترجمة :

« والذي ننهيه اليكم كثرة الاشواق الى تقبيل ايادیكم وبعده نخبركم اننا مع تواتر الاخبار في بلادنا عن فضائلكم السامية اشتهينا ان تكونوا لنا وكيلاً عند قداسة البابا والمجمع المقدس . فالمرجو من جلالكم بان ترتضي في قبول سؤالنا . وخصوصاً اننا كتبنا للمجمع المقدس وسيدنا البابا على يد الرهبان الكبوشيين عن كتاب مؤلف جديد لاجل ارتفاع شرف الكنيسة الرومانية المقدسة وخزي لمن يضادها . وفهرسته واصلة للمجمع حتى اذا امتحنوه (فحصوه) ورأوا انه مناسب يعملوا عليه خطابنا (بشأن طبعه) لكي يتوزع على اولاد هذه البلاد . لان الامر يحتاج اليه ولولا الضرورة لما تصنف .

وقد حاط علمنا عن الكتب التي نحتاجها وهي عندكم مطبوعة باليوناني واللاتيني وهم كتب المعلم يوحنا متى كاريوفيلوس (Gio. Mateo Cariofili) اسقف ايقونيون رداً على نيلس التصالونيكي وبرلام وكتاب آخر له رداً على تجاديف زخريا جرغانو اسقف ادنه (Zacharia Giorgano) وكتب المعلم الجليل النبيل في ابناء الروم بساريون الكردينال مطران نيقية المدعوة باللاتيني اوبوسكولا (Opuscula) ومصنفات ديمتريوس كيدونيس (Demetrios Chidunis) وكتاب المعلم بطرس اركوديوس الكرفسي (Pierre Aucudius de Corfou) في اتفاق رأي الكنيسة الغربية والشرقية في خدمة السبعة الاسرار المقدسة [1] وعلى

(1) De Concordiae Eccelsiae Occidentalis et Orientalis, in septem sacramentorum administratione.

المطهر[1] . وهولاء الكتب لازمين لنا نترجى من احسانكم ان ترسلوا لنا اياهم، ونحن كتبنا الى المجمع المقدس نستميحهم منهم . ولهذا قصدنا اعلام سيادتكم بعد تقبيل اياديكم ... »

اما الفهرس الذي ارسله المطران لهذا الكتاب المشار اليه في رسالته السابق ذكرها فلم نقف عليه بنصه العربي . وانما وقفنا على ترجمته الايطليانية التي تلاها كاتم اسرار المجمع في الجلسة التي انعقدت في ١٦ كانون الاول سنة ١٧٠٤ وتقرر فيها ان يطلب الكتاب من المطران ليفحص مضمونه ويطبع بعد ذلك اذا اجيز طبعه .

ويظهر من مطالعة هذا الفهرس الذي امامنا الان نسخة من ترجمته ان الكتاب لم يكن بعد مؤلفاً الا من الثلاثة الاجزاء الاول . واما الجزء الرابع منه فيما يخص الاختلاف في الطقوس بين الكنيسة الشرقية والغربية فقد كتبه المطران بعد ذلك اي بعد اطلاعه على الكتب التي ارسلها له الكردينال ساكريبنتي ولا سيما كتاب المعلم بطرس اركوديوس المشهور بهذا البحث ولذلك لم يتهيأ للمطران ان يرسل كتابه الى رومية الا بعد زمان طويل حتى اتمه ونقح عبارته وارسله مع تلميذه الشماس اسطفان عطاالله الذي اصحبه حينئذٍ برسائل التوصية اللازمة لذلك الى البابا والكردينال ساكريبنتي ومجمع انتشار الايمان في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠٦ .

---

(1) De Purgatorio utrum detur. et an per ignem sit.

رسالة المطران الى الحبر الاعظم

« عبدكم وابنكم ينهي لطوبانيتكم انه في السنة الماضية وصلنا المنح التي مقدم تاريخها تاسع عشر تموز سنة ١٧٠٢ ففرحنا بذلك وشكرنا الله الذي انعمت علينا بهذه المنح الروحانية اللازمة لدرجتنا . وسابقاً ارسلنا شاورنا قداستكم من اجل كتاب مولف نصر للايمان الكاثوليكي رد على طائفة الروم والمجمع ثبت طبعه بعد الفحص . والكتاب واصل مع تلميذنا اسطفان شماس انجيلي لكي يقبل اقدامكم عنا . واذا تم طبعه يجيب لنا معه كمية كي نوزعها على بلادنا وغيرها مثل الشام وحلب وغير اماكن الذي يوجد فيها من يحتاج الى ذلك . وايضاً نطلب من حسنات سيدي ما يلزم للكهنة الذين في ابرشيتنا مثل بدلات وكاسات وصواني للكنايس حتى يفرحوا في مجد الايمان الكاثوليكي الذي قبلوه بفرح من كل قلوبهم . والقصد بذلك حتى ان بهذه الحسنة الجزيلة تربط محبتك الروحانية وطاعتك في قلوب رعيتك لاجل خلاص نفوسنا في زماننا وزمان غيرنا . ثم نطلب من قداستك بان ترفع يمينك التي بها تبارك العالم وتبارك على هذه الرعية المذكورة التي في السنة الماضية لما وصلتني حسنتكم المسابح والصلبان والصور كانوا يتقاطرون من اطراف بلادنا لكي يقبلوا البركة الواصلة من قدسكم كأنها من يد المسيح الذي انا عبدك اتضرع اليه من كل قلبي ان يطيل بقاك ويساعدك في حفظ رعيته الذي اؤتمنك عليها لتستحق الحظوة مع بطرس الرسول الذي انت خليفته بعد تقبيل اقدامكم ثانياً وثالثاً . سطر في صيدا في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠٦ عبدكم

افتيمبوس

مطران صور وصيدا وما يليهم

رسالته الى مجمع انتشار الايمان المقدس

« من العبد الحقير الى ذيل المحفل الشريف المرتفع في العلو الروحاني الحايم شرفه في فلك الكنيسة المقدسة الموسسة على الصخرة البطرسية جعلنا الله في وسط طرقها المستقيمة سالكين الى آخر نسمتنا بشفاعة سيدتنا مريم ام الله . فالذي ننهيه بين ايديكم المقدسة كثرة الاشواق الى النظر والتقبيل الى ذلك المحفل الجليل ثانياً ان سبب ارسال هذه العبودية هو لتثبيت وتوكيد الطاعة والخضوع لذلك الكرسي العظيم والرفيع الشان الخطير وبعده ان في السنة الماضية ارسلنا شاورنا مجمعكم المقدس من اجل كتاب مولف نصر للايمان الكاثوليكي رد على طائفة الروم من كتبهم وبلغنا انكم امرتم في طبعه بعد الاطلاع عليه والكتاب واصلكم صحبة تلميذنا اصطفان ثماس انجيلي لكي ينوب عنا في تقديم طاعتنا لمجمعكم المقدس فان جاز امركم في طبعه يجيب لنا معه كمية حتى نوزعها في بلادنا وغيرها مثل الشام وحلب وغير اماكن التي يوجد فيها من يحتاج الى ذلك وايضاً نطلب من حسنتكم ما يلزم للكهنة الذين في ابرشيتنا مثل بدلات وكاسات وصواني »

عبدكم

اقيمبوس

حرر في صيدا في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠٦

مطران صور وصيدا وما يليهم

وتليت الرسالتان في الجلسة التي انعقدت في ٢ ايار سنة ١٧٠٧ وتقرر في هذه الجلسة تفويض الكردينال بربادیني بفحص الكتاب المطلوب طبعه . وهذا نص ما تحرر بقلم كاتم اسرار المجمع في اعمال هذه الجلسة ننقله بالحرف مع العنوان نقلاً عن سجلات المجمع المذكور .

Archivio della S. Cong. di Prop. Fide

Acta S. C. di P. F. Anno 1707

(*fol.* 122. *b.* — *Ad Cong. diei* 2 *Maii*)

Monsignor Eutimio arcivescovo Greco cattolico di Tiro e Sidone ha inviato a Roma un suo diacono per nome Stefano Melchita per rendere obbedienza alla Santita di Nostro Signore e per presentare all' EE. VV. un libro, che il medesimo arcivescovo ha composto contro gl'errori de Greci e fa istanza :

Primo. Che sia stampato, conforme dice havere l'EE. VV. altre volte data intenzione ogni volta che fosse qui approvato. Sopra di che devo dir all'EE. VV. che sotto li 16 Decembre 1704 fu scritto al medesimo arcivescovo di mandare il suddetto libro per farlo esaminare, e risolvere sopra di esso ciò che si fosse stimato più opportuno.

وهذا تعريبه :

« السيد اقثيميوس مطران الروم الكاثوليك لصور وصيدا ارسل الى رومية شماسه اسطفان الملكي ليؤدي الطاعة والخضوع لقداسة سيدنا الحبر الاعظم وليقدم لنيافتكم كتاباً ألفه المطران نفسه ضد ضلال الروم ويلتمس اولاً ان يطبع حسبما قد وعدتموه بذلك سابقاً اذا وجدتم الكتاب صالحاً لذلك .

وعلى هذا ينبغي لي ان اقول لنيافتكم انه في ١٦ كانون الاول سنة ١٧٠٤ كتب الى المطران المشار اليه ان يرسل الكتاب المذكور ليتقدم لفحص مضمونه ويقرر بعد ذلك بشأنه ما يقتضي . . . »

وفي هذه الجلسة فوض أمر فحص الكتاب الى الكردينال بربارديني Barberini كما تقدم .

واذ تأخر طبع الكتاب كثيراً لسبب ما اقتضى من الوقت لمطالعته وفحص مضمونه ممن يصح الاعتماد عليهم بعلم اللاهوت

واللغة العربية وبقي الشماس اسطفان بانتظار ذلك طويلاً حتى كتب الى معلمه المطران يخبره بذلك . فكتب المطران الى الكردينال ساكريبنتي رسالة في تاريخ ٧ ايار سنة ١٧٠٧ يستحثه بذلك

وفي ١٦ نيسان سنة ١٧٠٩ تليت رسالة المطران المشار اليها في جلسة تقرر فيها مراجعة الكردينال بروباريني بشأن الكتاب وهذا نص ما عرضه كاتم اسرار المجمع في الجلسة المشار اليها

Circa poi l'istanze che il suddetto arcivescovo dice haver fatte altre volte furono riferite sotto li 2 di Maggio 1707 havendo supplicato, che fosse stampato un certo suo libro da lui composto contro gl'errori de Greci mandato per mezzo d'un suo inviato, e fu rescritto : Ad emin. Barberinum pro revisione. Che stampato che fosse, gli sene fossero mandati molti esemplari per distribuirli in quelle parti, e fu detto : Habebitur ratio, e poi sotto li 7 Maggio 1708 havendo rinovate le medesime istanze circa la stampa del suddetto libro.

وهذا تعريبه :

« ومن خصوص هـذا الطلب الذي تقدم سابقاً من المطران في ٢ ايار سنة ١٧٠٧ يلتمس طبع كتاب مؤلف منه نفسه ضد ضلال الروم وقد ارسله مع شماسه الذي اوفده الى هنا لهذا الامر ثم فوض الى نيافة الكردينال Barberini أمر فحصه وانه متى طبع الكتاب يطلب ان يرسل له منه عدة نسخ لكي يوزعها في تلك الجهات . وقد تقرر حينئذٍ ان سينظر في ذلك ... فقد كرر المطران الطلب في ٧ ايار سنة ١٧٠٨ بشأن طبع الكتاب ... »

ولما تم طبع هذا الكتاب قدم الشماس اسطفان عطا الله عريضة الشكر الى رئيس مجمع انتشار الايمان والتمس منه الاذن

بالسفر والعودة الى معلمه المطران واستلام نسخ الكتاب . وهذا نص ما عرضه بهذا الشأن كاتم اسرار المجمع في الجلسة التي انعقدت في ٢٨ تموز سنة ١٧١٠ كما هو محرر بقلمه في اعمال الجلسة المذكور في سجلات المجمع المشار اليه بهذا العنوان :

(Acta S. C. de P. F. anno 1710)

(*Fol.* 291. *b.* *Ad Cong. diei* 18 *Juilii*)

Stefano diacono inviato di Monsg. Arcivescovo greco di Tiro e Sidone essendo già compita la stampa del libro composto dal detto prelato supplica della licenza di ritornare in quelle parti, per la quale devo dire all'EE. VV. non esservi alcun ostacolo, e della risposta al detto arcivescovo.

In ordine alla quale si suppone, che sia sopra l'istanze, che ha fatte dal 1707 in qua sopra la stampa del suddetto libro, avendone prima richiesti molti esemplari per distribuirli in quelle parti, essendo stato rescritto sotto li 2 Maggio di detto anno : Habebitur ratio.

Resta ora, chè l'EE. VV. determinino qual numero s'abbia a dare al detto inviato.

وهذا تعريبه :

« ان الشماس اسطفانوس الموفد من السيد مطران الروم لصور وصيدا يعرض بانه اذ تم طبع الكتاب المؤلف من الحبر المشار اليه يلتمس الاذن بالعودة الى تلك الجهات . وعن هذا يجب عليَّ ان اقول لنيافتكم بانه لا مانع من سفر المذكور . ثم يطلب اجابة طلب المطران المشار اليه . وبخصوص هذا الطلب احسب انه تقدم سنة ١٧٠٧ وما بعدها بشأن طبع الكتاب المذكور فانه طلب منه بعد الطبع عدة نسخ ليوزعها في تلك الجهات . وقد تقرر في ٢ ايار من تلك السنة بان يلبي طلبه . فمتى الان ان نيافتكم تعينوا عدد النسخ التي يجب ان تعطى له . »

ويلزم لزوماً بيناً مما تقدم بسطه من شهادات هذه النصوص الواضحة بشأن هذا الكتاب وهي صادرة من ألزم وأهم المصادر اولاً انه كتاب جديد التأليف لم يباشر المطران افثيميوس به الا بعد ان وصل الى ابرشيات البطريركية الانطاكية بعض نسخ من كتاب زخريا جرغانو وان المطران لم يقصد بتأليفه ونشره مطبوعاً في هذه الابرشيات الا سلامة الايمان الكاثوليكي في نفوس اهلها ولينير به عقول السذج منهم ويزيل من نفوسهم كل شك احدثه هذا الكتاب فيها .

ثانياً ان المطران قد شرع بتأليف هذا الكتاب قبل سنة ١٧٠٤ اذ أتم الاجزاء الثلاثة الاولى منه بفهرس فصوله في تلك السنة وارسله الى رومية ليستميح الاذن بطبعه هناك باحسان مجمع انتشار الايمان . وانه لم يكن قد سبقه كتاب من جنسه بالعربية لا مطبوع ولا مخطوط سوى « كتاب احتجاج كنيسة الروم المقدسة في استقامة ايمانها وحسن اعتقادها » غفلاً من اسم مؤلفه وهو بالحقيقة تأليف الاب الفاضل مخائيل نو اليسوعي P. Michel Nau الذي كان معاصراً ومعاشراً للبطريرك مكاريوس الحلبي ولخلفه وكان يقيم في دمشق وصيدا . ولا يخلو ان يكون المطران افثيميوس عرفه بالذات ووقف على كتابه المشار اليه . وربما كان الاب المذكور اقترح شفاهاً على المطران تأليف كتاب الدلالة اللامعة بنفس العبارة التي كتبها في مقدمة كتاب

الاحتجاج بقوله : « فانا الحقير الذليل عبدكم يا رؤساء كهنة الله المختارين ومدبرين مذهب الروم اثبت لكم بشهادات كثيرة فيه ولكن قليلة باعتبار جملتها . فالمأمول من فضلكم انتم العارفين في الفاظ كتبكم ان تزيدوا على ذلك وتجيبوا اقوال اقوى واكثر بالمعنى وتقوموا معي لاحتجاج كنيستكم العظيم شرفها وتبريرها مما تكلم عليها الذين لم يعرفوها »

ثالثاً ان كاتم اسرار مجمع انتشار الايمان المتكلم بلسان هذا المجمع المسجل لاحكامه ومقرراته وما يقدم اليه قد قرر وسجل ان كتاب الدلالة اللامعة هو من تأليف المطران افثيميوس نفسه فلا شك اذاً بصحة نسبة هذا الكتاب الى المطران المذكور .

رابعاً ان المطران افثيميوس بتأليفه هذا الكتاب ونشره له مطبوعاً بين ابناء ملته الروم قد عمل عملاً عظيماً مفيداً ومبتكراً لم يسبقه اليه احد اذ كان لا يعرف في هذه البلاد سنة ١٧٠٤ عن المطابع سوى اسمها . ويدل بعمله هذا على بعد نظره وشدة غيرته ومحبته لبني ملته الروم واعادة الايمان الكاثوليكي وتوطيده في نفوسهم كما كانوا عليه قبل الشقاق الذي احدثه في كنيسة الله الواحدة بطاركة القسطنطينية بغوايتهم وعجرفتهم بعز المملكة ويدل على شجاعة نادرة اذ لم يكن يخاف بطشهم ولا اضطهادهم له بقوة سيف الحكومة التركية الذي كان حينئذٍ مرتفعاً فوق رأس كل من يعلن انه من تباع الحبر الروماني .

﴿ الفصل الخامس والعشرون ﴾

مناظرة حول كتاب الدلالة اللامعة

نشر الاب العالم القس جرجس منش الحلبي رحمه الله في مجلة المشرق (١٥ : ٥٧٣) مقالة خالف فيها — على ما قال — « ما جرى على الألسن وتناقله السلف عن الخلف في نسبة كتاب الدلالة اللامعة الى المطران افثيميوس » ونسبه الى الاب مخائيل نو اليسوعي Michel Nau واستدل على ذلك بعدة امور ذكرها في مقالته وقد عضده ونصره الاب المرحوم لويس شيخو مدير مجلة المشرق لذلك العهد فاقتضى الحال ان نشرنا في مجلة المشرق (١٦ : ١٠٣) رداً وافياً عليه فنَّدنا ادلّته وشرحنا حقيقة معنى النصوص التي نقلها والمراد بها وذكرنا عدة شهادات تثبت صحة نسبة هذا الكتاب الى المطران ثم اردفنا مقالنا هذا بمقال آخر في المشرق (١٦ : ٣٩٤) رداً على ما تعقَّبنا به في مقال آخر في المشرق (١٦ : ٢٣٦) فوجب علينا ان نلخِّص هنا مقالته السابقة بذكر ادلّته ونعقِّب على ذلك بما نقضناها به تحقيقاً وايضاحاً بان مؤلف كتاب الدلالة اللامعة انما هو المطران افثيميوس صيفي دون سواه .

اولاً استدل رحمه الله على ذلك من عدم ذكر اسم المطران أفثيميوس في الكتاب المطبوع كمؤلف له .

على ان هذا قد يكون له سبب اخر من اهمال عن غفلة من الشماس اسطفان الذي وقف على طبع الكتاب في رومية اوعن حياء وأدب من المطران بازآء اصحاب مجمع انتشار الايمان والحبر الروماني الذي طُبع الكتاب باحسانه وبازآء البطريرك الانطاكي كيرلس الحلبي الذي كان حينئذ تابعاً لشقاق الروم ويضطهد الكاثوليك تعصباً للشقاق فان المطران ان ذكر اسمه في الكتاب يغضبه ويغضب سائر بطاركة الروم الذين كانوا يتهدّدون المطران افثيميوس بكل شرٍ وبلآء .

ثانياً استدل من عبارة وردت من المؤلف في مقدمة الكتاب هذا نصها : « مع اعترافي باني لست من فرسآن هذا الميدان . ولا لي في حل هذه العقدة يدان . وليس من رتبتي النظر الصائب والفكر الثاقب » بان صاحب هذا الكلام ليس من رتبة الاساقفة .

لكن حقيقة المراد بهذا الكلام هو مجرّد اعتذار بتواضع وادب جرى عليه كثيرون من المؤلفين والكتاب اصحاب النظر الصائب والفكر الثاقب حقيقة . ولم يقصد المؤلف بلفظة الرتبة رتبة الاساقفة او الكهنوت . والدليل على ذلك قوله التالي للاول « لا مندوحة لي بان امد يدي وان لم تطل الى ما يتعلق بالديانة المسيحية » فان هذا يدل على ان صاحب هذا القول من اخص واجباته ايضاح ما يتعلق بالديانة المسيحية .

ثالثاً استدل على ذلك من اختلاف انشآء كتاب الدلالة اللامعة عن انشآء الرسائل التي ابقاها المطران بامضائه .

على ان المطران افثيميوس ما كان يحفل كثيراً بانشآء رسائله حسب اصول اللغة العربية لاعتقاده ان زخرفة الانشآء في الكلام قد تمنع عامة الناس عن فهمه . ولم يخرج المطران عن هذه القاعدة في تحريره كتابه الدلالة اللامعة الذي لا يخلو من لحن وركاكة . ومع هذا لا بد ان يكون قد اعاد النظر فيه ونقّح عبارته بذاته او بواسطة احد اصحابه الراسخين بمعرفة اصول اللغة العربية كما يقتضي ان يكون هذا الكتاب الجليل صحيح العبارة اكثر من رسائله العامة او الخاصة .[1]

رابعاً انه اتخذ دليلاً على ذلك اهمال ذكر هذا الكتاب من المطران جرمانوس فرحات الموراني الحلبي فيما كتبه عن المطران افثيميوس في كتابه ديوان البدع .

ليس سبب هذا الاهمال الا ان المطران جرمانوس كان ناقماً على المطران افثيميوس لعدة امور ولذلك عده بين اهل البدع . فلا غرو اذا كان لا يذكره بخير . واخص هذه الاسباب ان المطران افثيميوس كان يأخذ بناصر البطريرك يعقوب عواد الماروني الذي قامت عليه قيامة بعض مطارنته والمشايخ ورؤساء الرهبان ومنهم

---

(١) لم تكن كتابات ذلك العهد تخلو من لحن وركاكة ولو كانوا من اشهر الكتاب من نصارى ومسلمين ويكفينا دليلاً لذلك مراجعة تاريخ عبد الرحمان الجبرتي من اكابر ائمة الازهر . وقولهم بالمثل المشهور « الصرف والنحو من لغتنا لكن اللحن من عادتنا »

فرحات حتى عزلوه عن البطريركية سنة ١٧١٠ بدون علم رومية . فأتى الى صيدا واقام فيها يستمد مساعدة المطران افثيميوس ومساعدة قنصل فرنسا بالكتابة الى رومية بحقه فكان له ذلك ومن ثم اعاده البابا اكلمنضوس الحادي عشر الى كرسيه سنة ١٧١٣[١] ومن هذه الاسباب ان رؤساء الرهبان الموارنة الحلبيين ومنهم فرحات كانوا يقبلون في اديرتهم شباناً من الروم ويجعلونهم رهباناً وكهنة على طقس الموارنة مما كان ممنوعاً حتى اليوم على رهبان الافرنج بدون اذن رومية فعارضهم بهذا الشأن المطران افثيميوس لما فيه من الضرر على طائفة الروم الكاثوليك ورهبانهم اذ يحرمهم من شبان اتقياء كانوا بحاجة الى امثالهم فرفع شكواه بهذا الشان الى رومية على رئيسهم الاب عبد الله قرعلي وعلى خلفه الاب فرحات . ومن هذه الاسباب ان المطران افثيميوس شاع عنه انه كان يخالف رأي بعض علماء الموارنة بشأن اصل الموارنة وتاريخهم القديم مما يغضبون له .

خامساً استدل على ذلك بما كتبه الشماس عبد الله زاخر الحلبي في مقدمة محاورته الجدلية رداً على الياس فخر الطرابلسي الذي كان يدعي لنفسه تاليف كتاب الدلالة بقوله عن الياس فخر « انه اعترف سابقاً بحقيقة هذا الايمان (الكاثوليكي) اظهاراً لنفسه انه على الحق اليقين من معرفة الاقوال الابوية

---

(١) انظر تاريخ المقاطعة الكسروانية (ص ٢٩٥ الى ٣٠٢) وتاريخ الرهبانية اللبنانية للاب لويس بليبل (ص ٨١ وما يليها) وسلسلة بطاركة الموارنة لرشيد الشرتوني طبعة ثانية (ص ٤٤ وما يليها)

وصحة التعليم المستقيم متحلياً باثواب غريبة رغبة في المجد والشرف عند كثيرين »

فجل ما يستفاد من كلام الشماس زاخر المذكور هنا ان الياس نخر كان يدّعي لنفسه ما ليس له دعوى باطلة لمجرد المباهاة والفخر امام الناس مثل فقير يتباهى باثواب يلبسها وهي ليست له . لكن هل يصح في تقرير الحقائق التاريخية ان تكون الدعوى الباطلة حجةً وبرهاناً ؟ واذا صح ان الشماس عبد الله زاخر اراد بالاثواب الغريبة الاشارة الى كتاب الدلالة اللامعة فكأنه يقرّر لنا ان هذا الكتاب يجب ان يفتخر به صاحبه المطران افثيميوس لا ابن نخر الذي لا شأن له به وهو غريب عنه . ثم اذا صح ان ابن نخر ادعى لنفسه هذا الكتاب بعد موت المطران افثيميوس فهل لهذه الدعوى قيمة وصاحبها مشهور امره لا يوثق بقوله . لكن لا نظن انه ادعى ذلك صريحاً او كتابة . فلو صح هذا لما كان الشماس عبد الله زاخر اكتفى معه بهذه الكلمة الوجيزة او الاشارة . بل كان اتخذ من كتاب الدلالة اللامعة سهاماً حادة كثيرة سدّدها عليه بجداله معه وقاتله بسلاحه ونفس كلامه . وعلاوة على هذا قد وقفنا على عدة رسائل ارسلها ابن نخر الى رومية اذ كان مجاهراً باتباعه الايمان الكاثوليكي يمدح فيها نفسه لا يذكر فيها كلمة عما له بشأن هذا الكتاب قبل طبعه ولا بعد طبعه . فلو كان له فيه يد لما كان اغفل ذكر هذا الفخر لبياض وجهه في رومية . وسننقل بعض هذه الرسائل في محلها ان شاء الله ونكتفي الان بما كتبه عنه

مكاريوس مطران طرابلس مطرانه في رسالة الى البابا اكلمنضوس الحادي عشر توصية بأخيه مخائيل نعمة فخر من كبار تجار دمياط عند سفره الى ايطاليا في ١٠ كانون الاول سنة ١٧١١ — ولعل الرسالة بخط يد الياس فخر — اذ يقول : « والمرجو ان تلاحظوه بعين العناية لانه محل الاكرام ويسرنا ذلك لانه عزيز عندنا واخوه الشماس الياس فخر مفضل علينا وعلى كافة الكاثوليكية الذين عندنا بما انه محامي ومناضل عن الكرسي الروماني المقدس بالقول والفعل والقلم . ولا تواخذوا العبد الذليل بالتهجم على جلالة قداستكم . »

سادساً انه استظهر بما كتبه الاب بطرس فروماج اليسوعي رداً على ابن فخر المذكور بقوله : « اما انه اتخذ كتاب البادري مخائيل نو اليسوعي الذي به يبرهن بدلائل كثيرة مقنعة رئاسة البابا المطلقة على جميع المؤمنين وانبثاق الروح القدس من الآب والابن ووجود المطهر وحقائق غير هذه مرفوضة من الروم . وأصلح اعراب هذا الكتاب ونسبه الى نفسه كانه هو مصنفه ومؤلفه من كتب الكنيسة الشرقية ليقنع به ابناء جنسه المنكرين هذه الحقائق . »

ثم بقوله ايضاً « اتلُ الكتاب المتقدم ذكره الذي نسبته الى نفسك متحلياً باثواب غريبة كما ذكر عنك ابن زاخر . اي اتلُ كتاب الدلالة اللامعة الذي به اعترفت ظاهراً بما قبلته من تعليم المرسلين المؤيد بشهادات ابائك القديسين . »

يظهر لنا جيداً من كلام الاب بطرس فروماج المذكور هنا ان الياس فخر ادّعى لنفسه كتاب الاب مخائيل نو لمجرد كونه نقّح عبارته وان هذه الدعوى هي المراد بالاثواب الغريبة الواردة

بكلام الشماس عبد الله زاخر . غير ان كتاب الاب مخائيل نو المشار اليه هنا ليس هو كتاب الدلالة اللامعة بل هو يختلف عنه باسمه وعنوانه وعنوان فصوله وعددها ومضمون كل واحد منها . فان اسمه في كل النسخ التي وقفنا عليها هو « كتاب احتجاج كنيسة الروم المقدسة عن استقامة ايمانها وجليل اعتقادها » ولم يذكر في واحدة من هذه النسخ اسم المؤلف الذي يظهر انه تعمد اغفال اسمه . غير ان الاب انطون ارنودي اليسوعي رفيقه ذكر الكتاب ومؤلفه باسمه في المجلد الثاني من تفسير المزامير المطبوع في مطبعتنا المخلصية في صفحة ٣٠٧ . وهذا الكتاب لم يطبع بعدُ ونسخه المخطوطة منها ما هو منقَّح العبارة ومنها ما هو لم يزل بانشاء المؤلف بلحن واغلاط كثيرة . فالنسخ المنقَّحة منه اذاً قد نظر فيها الياس فخر ونقَّح عبارتها بانشائه الخاص مما لا سبيل الى انكاره او الشك به . واذ كان هذا الكتاب اقدم تأليفاً وكان مؤلفه الاب مخائيل يقيم غالباً في صيدا ودمشق وكان صديقاً للمطران افثيميوس فلا يخلو ان يكون المطران وقف على الكتاب واستفاد منه وجرى على منواله في كتابه الدلالة اللامعة ولعل هذا الاب اقترح على المطران تأليف كتاب الدلالة بما كتبه في مقدمة كتاب الاحتجاج بقوله « يا اخوتي رؤساء كهنة الله المختارين . انا الحقير الذليل عبدكم اثبت لكم هذه (الحقائق) بشهادات كثيرة لكنها قليلة باعتبار جملتها . فالمأمول من فضلكم — انتم العارفين

اصول كتبكم — ان تزيدوا على ذلك وتجيبوا اقوالاً اكثر واقوى بالمعنى . وتقدموا معي للاحتجاج عن كنيستكم العظيم شرفها وتبريرها مما تكلموا عليها . »

ولسبب هذا الاتصال بين كتاب الاحتجاج و كتاب الدلالة اللامعة قال الاب بطرس فروماج لابن نخر « اتلُ كتاب الدلالة اللامعة » بعد قوله له « اتلُ كتاب مخائيل نو الذي نسبته لنفسك متحلياً باثواب غريبة كما ذكر عنك ابن زاخر . »

ولعل الياس نخر نقَّح كتاب الدلالة كما نقح كتاب الاحتجاج ونسبه لنفسه ولهذا السبب قرَّعه الاب بطرس فروماج بقوله له اتلُ كتاب الدلالة اللامعة .

ولهذا السبب نفسه بكَّت الاب انطون ونتوري الياس نخر بقوله له « هل صحيحة الشهادات الموردة منك في كتاب الدلالة اللامعة لاثبات حق تعليم الكرسي الرسولي وحق ضلال الروم ام لا ؟ »

فلو كان الاب انطون يعلم ان كتاب الدلالة هو حقيقة تاليف الياس نخر لكان قال له عنه ولو مرة واحدة في مجادلته معه « كتابك او تأليفك »

ومع هذا كله لو كان كتاب الدلالة هو حقيقة من تاليف الياس نخر لا نجد سبباً معقولاً لاغفال اسمه من المطران افثيميوس في الكتاب المطبوع او في احدى رسائله كما لا

نجد لذلك سبباً معقولاً في سكوت الياس فخر عن اغفال ذكر اسمه في هـذا الكتاب من المطران لو كان حقيقةً تاليفه معما كان عليه من حب المباهاة والفخر باعماله واثار قلمـه .

بعد حل كل الاعتراضات التي ذكرناها هنا لمناظرنا رحمه الله في هذا الشأن وايضاحها يجب علينا الان ان نأتي بالبينات الواضحة والشهادات الصريحة من اقوال المؤرخين التي لا شك فيها على ان كتاب الدلالة اللامعة هو تاليف المطران افثيميوس صيني دون سواه لزيادة تقرير «ما جرى على الألسن وتناقله السلف عن الخلف» بشأنه . ونصرف النظر عن ايضاح ما يختلف به كتـاب الاحتجاج عن كتاب الدلالة لخروج ذلك عن موضوع بحثنا التاريخي .

واول هذه البيّنات او الشهادات التي ينبغي لنا ان نذكرها بهذا الشأن وابلغها واقربها الينا شهادة المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي . فانه قبل وقوع هذه المجادلة ذكر مراراً هذا الكتاب ونسبه الى مؤلفه المطران افثيميوس . وختم اخيراً مجادلتنا المشار اليها وقفلها بقوله (المشرق ١٦ : ٣٥٦)

« بعد هذه المجادلة لا يبقى شبهة بان كتاب الدلالة هو للسيد افثيميوس صيني والسلام . »

ثانياً مـا ورد في مقدمة كتاب مرشد الخاطي . الذي طُبع سنة ١٨٦٣ بقلم احد الآباء اليسوعيين الذي يظهر من كلامه انه

كان عارفاً حق المعرفة بتاريخ الرسالة اليسوعية القديمة في سوريا واعمال رجالها اذ قال في صفحة ١٩ في معرض كلامه عنهم .

« ومن جملة تلامذة مدرستهم الدمشقية افثيميوس الذي صار فيما بعد رئيس اساقفة صور وصيدا وألف الكتاب المعروف بالدلالة اللامعة . ولاجله لُقِّب بقفة العلم لانه اظهر فيه فهماً عظيماً في الكتب المقدسة والآباء القديسين .

ثالثاً لا ريب بان كتاب الدلالة اللامعة اغضب كثيراً بطاركة الروم غير الكاثوليك واتباعهم . ولذلك لم يذكروه هم وكتّابهم ومؤرخوهم بخير كما انهم لم يذكروا مؤلفه بخير . ولا يسعنا ذكر كل اقوالهم بهذا الشأن ولذلك نكتفي بنقل ما جاء قديماً على قلم احدهم في تاريخه نشأة طائفة الروم الكاثوليك الذي طُبع في مصر سنة ١٩٠٢ ملحقاً بتاريخ بطاركة انطاكية للخوري مخائيل بريك نقلاً عن نسخة عندنا منه مخطوطة مطابقة لنسخة المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين مع بعض اختلاف عن النسخة المطبوعة .[1]

وفي ايام ناوفيطوس توفي (والصواب ارتدم) افثيميوس مطران صيدا . وهو اول من تبع الاراسيس التي نشأت لذلك العهد . وخبره مشهور عند الجميع . وكان لافثيميوس ابن اخت يقال له سيرافيم جعله قساً عنده وهو على معتقد خاله متمسكاً بها وقد كتب بذلك كتاباً سماه الدلالة اللامعة .

---

(١) راجع ما ورد عن هذا الكتاب ومؤلفه المطران في جريدة المنار البيروتية من السنة الاولى منها صفحة ٣٨٠ سنة ١٨٩٨ حيث نقل ما ذكره المؤرخون اليونان عن هذا الكتاب ومؤلفه .

ومعلوم ان شهادة هـذا الكاتب المجـاهر بالعداء للمطران افثيميوس والحب لابن فخر تقوم بالف شهادة لانها من خصم .

رابعاً ان القس يوحنا عجيمي مؤرخ مدقق مشهور وُلد ونشأ في جون بجوار دير المخلص تحت نظر عمه الخوري مخائيل العجيمي (الذي صار فيما بعد مطراناً على عكا باسم مكاريوس) من تلاميذ المطران افثيميوس ومن رؤساء دير المخلص الاولين وتحت نظر نسيبه لامه الخوري اسطفان عطا الله الذي تولى المناظرة على طبع كتاب الدلالة اللامعة في رومية كما تقدم الكلام عنه . ولا بد ان يكون القس يوحنا اعتمد على افادتهما له فيما كتبه عن كتاب الدلالة اللامعة في تأليفه المعروف بالتختيكون الانطاكي اذ قال :

« ابتدأ (المطران) يجاهر بالكرازة واشهار الايمان الكاثوليكي المقدس . وألف فيه كتاباً دعاه الدلالة اللامعة ، مشحوناً من الشهادات الواضحة البيان وارسل اعرضه على الكرسي الرسولي . . . والتمس طبع الكتاب المذكور لينشره في هذه البلاد الشرقية وارسله الى رومية صحبة احد شمامسته المدعو اسطفان عطا الله خواجا من دير القمر سنة ١٧٠٧ . وحال وصوله الى رومية قبله الكرسي الرسولي بكل اكرام وباشر طبع الكتاب الذي نجز سنة ١٧١٠ وحضر له منه جملة نسخ نشرها في هذه البلاد وحصل منها خيرات .

خامساً البينات التي ذكرناها في الفصل السابق نقلاً عن سجلات مجمع انتشار الايمان بنصها العربي والايطلياني فان فيها وحدها البيان الشافي الوافي لهذا الامر بما تضمّنت من الايضاح

المفصّل عن كيفية تاليف هذا الكتاب بذكر الاصول اليونانية التي طلبها من رومية فكانت عدته وعمدته لتأليفه مما لا يدع ادنى شبهة للشك في ان مؤلفه هو المطران افثيميوس دون سواه.

سادساً اننا وقفنا بعد وقوع هذه المجادلة بيننا على منشور البطريرك القسطنطيني ارميا وقد امضاه معه بطاركة القسطنطينية المعزولون ومطارنة الروم المقيمون فيها سنة ١٧١٨ لحرم المطران افثيميوس وارسلوه الى البطريرك الانطاكي كيرلس الحلبي الذي عربه تعريباً سقيماً ساقطاً. ولا يوجد من هذا المنشور سوى نسخة واحدة بخط يد البطريرك المذكور محفوظة في المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين في بيروت برقم ٥٥٠ من مخطوطاتها العربية لان كيرلس لم ينشره ولا بلغه الى المطران افثيميوس كما سيأتي بيان ذلك في محله.

وقد ذكر اصحاب هذا المنشور كتاب المطران بين الاسباب التي لاجلها اطلقوا عليه الحرم وهذا نص كلامهم:

وأنشأ كتباً من ذاته. ويجتذب شهادات كما يرى وينسبهم (ينسبها) الى الكنيسة المقدسة الشرقية الارثوذكسية.

فان قولهم عن المطران افثيميوس بانه أنشأ كتباً من ذاته يدل دلالة واضحة لا ريب فيها على ان هؤلاء البطاركة والمطارنة كانوا يعلمون ويشهدون ان المطران افثيميوس كان هو ذاته المؤلف لهذه الكتب دون سواه. ولا ريب بان كتاب الدلالة اللامعة هو منها. بل هو المراد منهم بوجه خاص لانه كان اشهرها

بالطبع واوسعها مادة في باب الخلاف معهم . وهو وحده يستحق ان يقال له كتاب دون سائر مؤلفات المطران التي ليست سوى رسائل صغيرة .

سابعاً نختم اخيراً هذا الفصل وقد طال بنا الكلام فيه بذكر فقرة من رسالة للمطران افثيميوس ارسلها الى نيافة رئيس مجمع انتشار الايمان بتاريخ اخر ايار سنة ١٧١٧ بشأن هذا الكتاب قال:

« وايضاً نطلب من فضلكم ترسلوا ثلثماية مجلد من كتاب الدلالة اللامعة لانه مرغوب ونافع جداً وكل كتاب يغني عن رسول وتفهموا نفعه من شكاوة المطوّب خريسنطوس البطريرك الاورشليمي بمكتوبه الواصل اليكم . ونحن بالخوف دائماً من اعداء الكنيسة . المراد منكم الدعا والمشورة في الذي يرضاه الله لان الفرار حرام علينا والثبات خطر على ضعفنا . »

وكفى بما تقدم بياناً على ان مؤلف كتاب الدلالة اللامعة هو المطران افثيميوس لا سواه .

﴿ الفصل السادس والعشرون ﴾

في اديرة الرهبان في سوريا ولبنان

حان لنا ان نتكلم عن نشأة الرهبانية المخلصية وتأسيس دير المخلص لها بهمة وسعي المطران افثيميوس صيفي . لكن يجب علينا قبل هذا ان ننظر في هذا الفصل نظرة اجمالية الى ما كانت عليه لذلك العهد اديرة الرهبان في سوريا ولبنان قبل قيام هذا الدير حتى يتضح لنا جلياً فضل المطران بتشييده لهذا الدير العظيم

وشدة الحاجة اليه والى رهبانه في تلك الايام وما بعدها .

في سنة ١٦٤٨ جال البطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي جميع ابرشيات المطارنة التابعة للبطريركية الانطاكية بمدنها وقراها واديرتها وقد وصف هذه الرحلة وصفاً مفصّلاً ابنه وكاتبه الارشيدياكون بولس في كتاب خاص نشرنا بالطبع نخبة منه كما قدمنا ذكرها في تاريخنا هذا غير مرة فكفانا بما ذكره عن الاديرة كلفة البحث الشاق بهذا الشأن. فانه ذكر الاديرة التي زارها والده البطريرك مكاريوس وقدّس فيها كما ذكر ايضاً الاديرة التي زارها وما استطاع ان يقدّس في كنائسها لخرابها او لكونها غير صالحة لذلك وغير لائقة بعبادة الله تعالى .

والواقع انه لم يذكر من الاديرة التي زارها والده وقدّس فيها من اديرة سوريا سوى دير صيدنايا ودير مار جرجس الحميرة . على انه ذكر ان والده زار قارا . لكنه لم يذكر انه زار دير مار يعقوب بجوارها . وذكر انه زار معلولا وزار دير مار تقلا ودير مار سركيس بجوارها . لكن لم يذكر انه قدّس فيهما او في احدهما ولم يكن سوى هذه الاديرة في سوريا .

واما في لبنان فقد ذكر الشماس بولس ان والده زار دير مار الياس (شويا) بجوار المحيدثة من كسروان وقدّس فيه وانه زار دير السيدة (كفتين) وقدّس فيه وزار دير مار يعقوب (دده) وقدّس فيه وزار دير سيدة البلمند الشهير وقدّس فيه وزار

دير سيدة الراس بقرب بطرام وقدّس فيه وزار دير السيدة كفتون وقدّس فيه . وهذه الاديرة المذكورة معروفة الى اليوم في بلاد الكورة من لبنان وان كان بعضها تابعاً لابرشية طرابلس وبجوارها .

وقد ذكر ايضاً ان والده زار دير سيدة حماطورة بجوار كوسبا ودير ناطور ودير السيدة النورية ودير مار الياس بجوار كفرقاهل . لكن لم يذكر اصلاً انه قدّس فيها او في احدها .

وكذلك ذكر ان والده زار قرية كفر عقاب وقدّس في كنيستها . لكن لم يذكر اصلاً دير مار سمعان بجوارها كما انه ذكر عنه انه زار الشوير . لكن لم يذكر انه زار دير يوحنا الصابغ بجوارها . وذكر انه زار دوما لكن لم يذكر انه زار دير مار يوحنا بجوارها مع انه في طريقه الى قرية كفرحلدا والكفور بزيارته لهما .

وما سبب هذا الاهمال فيما نرى الا كون هذه الاديرة لا يليق او لا يجوز ان يقام القداس في كنائسها او لا تستحق زيارة هذا البطريرك الهمام الغيور ولا تستحق ان تذكر بقلم كاتبه الشماس بولس .

والذي نعلمه بتحقيق ان هذه الاديرة لم يكن فيها غالباً اكثر من راهب مع الرئيس وقد يكون هذا وحده في الدير وقد لا يكون فيه احد من الرهبان بعض الاحيان . وسبب ذلك ضيق المعيشة وسوء حال هذه الاديرة في تلك الايام الا دير صيدنايا ودير البلمند . فان الاول كان في سعة بارزاقه وبما ياتيه من النذور

والتقادم من كل صوب ولا سيما من اهل دمشق الذين كانوا يعدونه ديرهم ودير البطريركية اذ كان البطاركة يتولون امره ويفرون اليه ويقيمون فيه اذا ضاق بهم الامر في دمشق من جور الحكام او سواهم . وكان يسكن فيه الرهبان والراهبات حيث يقيم كل فريق في قسم منه .

واما دير البلمند فقد كان تجدّد من عهد غير بعيد سنة ١٦٠٣ وتجدّدت فيه العيشة الرهبانية بفضل يواكيم مطران طرابلس وبسعي الشيخ سليمان البتروني كاتب يوسف باشا ابن سيفا باجازة الباشا المشار اليه .

ومما تقدم نعلم انه لم يكن في كسروان للرهبان الروم سوى دير واحد في مقاطعة المتن من ابرشية بيروت وان اكثر هذه الاديرة كان في كورة طرابلس من لبنان . ولم يكن في ابرشية صور وصيدا على اتساعها دير ولا آثار دير اصلاً لان الاديرة القديمة التي نشأت فيها قديماً في عهد حكم الروم زالت واضمحلت آثارها بنوب الزمان وظلم الحكام واعوانهم حتى بنهاية حروب الصليبيين خلت هذه البلاد من النصارى . ومعلوم ان الاديرة لا تقوم ولا تثبت الا بالرهبان الذين يعيشون فيها حيث يأمنون على ارواحهم ويتمتعون بحريتهم الدينية لاتمام فروضهم الرهبانية وعبادة الله . ولا سبيل لان يثبت دير في مكان عرضةً لغارات اصحاب الغزو

ومن هذا نعلم مقدار الصعوبة الجسيمة بانشاء دير في هذه الابرشية يكون مأوى اميناً صالحاً لرهبانه المساكين الذين جل ما كانوا يبتغون ان يعيشوا آمنين على نفوسهم فيه ليستطيعوا ان يمارسوا واجباتهم الرهبانية بعبادة الله بدون قلق . الا ان هذا كان ممتنعاً في مدينة صيدا مكان اقامة ولاة الاتراك وجنودهم الذين كانوا اخلاطاً من طغام الناس قذفت بهم بلدانهم المختلفة الى ساحل صيدا وما كانوا يعيشون الا من التعدي على كل ضعيف مسكين . وكذلك لا سبيل الى اقامة هذا الدير في مدينة صور التي كانت حينئذٍ خراباً ليس فيها من النصارى اهل كفاية ويسار ولم يكن عدد بيوتهم يتجاوز عدد اصابع اليد ولا في بلاد بشارة المجاورة لها ومعظم سكانها من المتاولة . كما لا سبيل الى اقامته في بلاد الشوف بلاد الدروز حيث كان القتال مستمراً او غالباً بينهم وبين عساكر الدولة الاتراك من جهة صيدا او من جهة دمشق الشام او بين احزاب الدروز المختلفة من بني قيس وبني يمن . وكانت هذه الاختلافات شديدة فيما بينهم لذلك العهد باستضعاف الامير احمد المعني زعيم الحزب القيسي الذي مات سنة ١٦٩٧ بدون عقب وبموته اضمحلت من لبنان دولة بني معن . فتقوى بعد ذلك مدة وجيزة الحزب اليمني بولاية الامراء بني علم الدين الى ان اوقع بهم الامير حيدر شهاب برجال بني قيس

في عين دارة سنة ١٧١٢ لم تقم لهم بعد هذه الموقعة قائمة ابداً كما هو معروف في تاريخ لبنان[1] .

غير ان المطران لعظم ثقته بالله كان ينتظر بصبر جميل تغيير هذه الاحوال وكان يراقب الفرص السانحة التي يرجو بها الخير والتوفيق وكان على مثل اليقين بان ما يصعب على الناس يسهل كثيراً على الله الذي في يده كل امر من امور الناس ويدبر كل شيء بحكمة ونجاح فوق كل امل ولا سيما لكونه لم يقصد بهذا الدير الا مجد الله وخدمة كنيسته وخلاص نفوس ابناء ملته الى ما شاء الله باعادتهم الى سابق مجدهم وسابق منزلتهم في حضن الكنيسة الكاثوليكية بواسطة رهبان صالحين منهم وفيهم ليأنسوا بهم طبعاً اكثر من الغرباء .

﴿ الفصل السابع والعشرون ﴾

في نشأة الرهبانية المخلصية واصلها

لا بد من التنبيه بان اصل الرهبانية المخلصية اقدم عهداً من دير المخلص الحالي الذي ما قام الا بافرادهم وما تشيَّد الا لاقامتهم

---

(١) ليس لنا مرجع تاريخي لهذه الحقبة سوى تاريخ الامير حيدرشهاب وان لم يكن مؤرخ عيان لها لانه اتى بعدها بنحو مائة سنة . واذ لا نعلم مرجعه بتاريخ هذه الحوادث فليس لنا ثقة تامة فيما انفرد بذكره . واما تاريخ اعيان لبنان للشيخ طنوس الشدياق فما هو الا نسخة من تاريخ الامير مع بعض زيادات .

بعد ان كثروا في صيدا حتى ضاقت بهم دار المطران معلمهم هناك فاقتضى الحال حينئذٍ ان يشيّد لهم هذا الدير لسكناهم فيه كما سيأتي بيانه مفصلاً في هذا الفصل والفصل التالي وما بعده .

قد تقدّم الكلام في الفصل الثاني والعشرين ان المطران افثيميوس يذكر في رسالته الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر بتاريخ ٢٤ شباط سنة ١٧٠١ ان حاملين هذه الرسالة اليه الخوري يوسف مخائيل والشماس سيرافيم طاناس كلاهما رهبان . وقد رأينا هناك ايضاً ان الاب Verseau رئيس الآباء اليسوعيين في صيدا يذكر في رسالته الى وزير ملك فرنسا Pontchartrain بتاريخ ٧ ايار سنة ١٧٠١ عن المطران انه كان يقيم حينئذ في دير خارج صيدا حيث كان يعيش عيشة مشتركة مع رهبانه . وهذا نصه :

Il tient ici (à Saida) un siège archipiscopal; il demeure dans un monastère où il vit en communauté avec ses religieux.

فيتضح جيداً من هذا ان اول نشأة هذه الرهبانية كان بدون شك في اواخر القرن السابع عشر وان رهبانها الاولين كانوا يعيشون في سنة ١٧٠١ وما قبلها عيشة مشتركة كعيشة الرهبان القانونيين مع المطران اذ كانوا يقيمون جميعاً في مزرعة مشموشة في بيت قديم اشبه بدير . ويطابق مضمون هذه

الشهادة التقليد القديم في دير المخلص المتواتر بين شيوخ رهبانه .

لكن بقي علينا ان نبحث لنعرف بدقة في اية سنة شرع المطران يجمع رهبانه ليؤلف بهم ومنهم رهبانية قانونية لخدمة الرسالة الكاثوليكية في البطريركية الانطاكية بين ابناء ملته .

واذ قد اخذنا على نفسنا ان لا نجازف في تاريخنا لا نريد ان نلقي كلامنا فيه على عواهنه ولا نجزم بأمر الا مسنداً الى دليل نذكره امامنا لئلا نتهم بالميل مع الهوى ولا نتحرى الدقة والصواب بقدر ما يصل الى يدنا من المعلومات عن ذلك .

فقد مر بنا سابقاً ان الخوري يوسف مخايل الذي اتخذه المطران افثيميوس عمدة له بارساله الى رومية لتهنئة البابا اكليمنضوس الحادي عشر بارتقائه الى عرش الخلافة البطرسية ولقضاء عدة امور مهمة في رومية وباريس سنة ١٧٠١ كان راهباً من رهبانه . ولا بد ان يكون قد قضى عنده ومعه قبل ذلك عدة سنين اختبر فيها كفاءته حتى اختاره دون سواه وانتدبه لهذه الامور الجليلة المهمة . واذ لا نجد له ذكراً في سجل دير المخلص ولا في مراسلات المطران ولا غيرها بعد سنة ١٧٠٧ نرجّح بانه مات قبل قيام دير المخلص سنة ١٧١٠ ويحق لنا بل يجب علينا ان نعده ركناً من اركان الرهبانية المخلصية وحجر زاوية في اساسها ولا يقل فضله عند الله وعندنا اذا كان قد وضع في الاساس وخفي امره عنا وهو لا محالة من السلف الصالح الذين اعتاد اباؤنا

شيوخ الرهبان ان يقولوا عن مثله « بُني دير المخلص على عظام القديسين » .

واذا رجعنا الى سجل دير المخلص نجد في اوله ذكر تلاميذ المطران ورهبانه الاولين الذين كانت لهم يد في تاسيس وتشييد هذا الدير الشريف . ومعما في هذا الذكر من الايجاز المخل جداً نستطيع ان نستدل منه على ان رهبان دير المخلص الاولين كانوا يقيمون في مزرعة مشموشة قبل قيام هذا الدير

فان السجل المذكور يذكر اولا بعد ذكره للمطران افثيميوس عن الخوري ابرهيم الطوطو الدمشقي الاصل انه نذر وارتسم كاهناً من يد معلمه المطران سنة ١٦٨٤ . ثانياً عن الخوري نعمة زيادة البانياسي الاصل انه نذر وارتسم كاهناً من يد معلمه المطران سنة ١٦٨٥ ثالثاً عن الشماس اثناسيوس نصر من غريفة (الشوف) انه نذر وارتسم شماساً من يد معلمه المطران سنة ١٦٨٢ ومات ودفن في صيدا سنة ١٧٠٩ . رابعاً عن الخوري اغناطيوس البيروتي الذي خلف معلمه فيما بعد على كرسي صيدا انه نذر وارتسم كاهناً من يد معلمه المطران سنة ١٦٨٤ .

واذا اضفنا الى المذكورين سيرافيم طاناس ابن اخت المطران الذي عرفنا فيما سبق انه كان راهباً وشماساً قبل سفره الى رومية سنة ١٧٠١ وكذلك اسطفان عطاالله الذي عرفنا فيما سبق انه كان راهباً وشماساً قبل سفره الى رومية سنة ١٧٠٧ لطبع كتاب

الدلالة اللامعة كان لنا من المذكورين ثمانية رهبان متدرجين بدرجات الكهنوت معروفين باسمائهم .

ولا بد ان يكون قد كان معهم غيرهم لم يذكرهم كاتب السجل اما لانهم قد ماتوا قبل قيام دير المخلص الحالي مثل الاب يوسف مخائيل السابق ذكره اولانهم شلحوا الثوب الرهباني وتركوا الرهبنة والدير مثل الشماس ابراهيم شبيب الدمشقي الذي نعلم انه ترهب وارتسم شماساً من يد المطران . واذ عاد هذا الشماس الى دمشق لزيارة اهله اغروه وتزوج بتفسيح من البطريرك كيرلس الحلبي بدون اذن المطران افثيميوس الذي وقفنا على رسالة شكوى منه بهذا الشان .

ونلاحظ ان كاتب السجل المذكور لم يذكر فيه من الرهبان الاولين الا المتدرجين بالكهنوت في السنة التي ارتسموا شمامسة او كهنة بدون فصل بين نذرهم ورسامتهم . فانه مثلاً لم يذكر سيرافيم طاناس الا في سنة ١٧١٠ وهي السنة التي ارتسم فيها كاهناً من يد خاله بعد رجوعه من رومية . وكذلك لم يذكر اسطفان عطاالله الا في سنة ١٧١٠ اذ ارتسم كاهناً بعد عودته من رومية . وهذا يدلنا على ان الكاتب لم يذكر من الرهبان في اول الامر الا المتدرجين بالكهنوت فيعدهم حينئذٍ من الرهبان ولا يعتبرهم من الرهبنة الا بعد ما يرتسموا شمامسة او كهنة .

وكيفما كان هذا الامر نستدل منه دلالة لازمة على ان تلاميذ

المطران كانوا في اواخر القرن السابع عشر لا يقلون عن عشرة رهبان على اقل تقدير . وبالتالي كانت دار المطران او قلايته في صيدا لاتسعهم فضلاً عن كونهم لا يستطيعون الاقامة في صيدا وجوارها ولا يستطيعون ان يعيشوا عيشة مشتركة كرهبان في بيت او في دير بدون ان يكونوا عرضة لكل تهمة ولكل بلاء من طغام الجند وسواهم . واخيراً اذا كنا لا نستطيع ان نعين السنة التي انتقلوا فيها من صيدا نرجح انهم لما كثر عددهم في صيدا اخذوا مزرعة مشموشة بطريق الايجار او الضمان من صاحبها الشيخ قبلان قاضي الذي كان يعتبر لذلك العهد شيخ مشايخ الدروز واخذوا يشتغلون هذه المزرعة حرثاً وزراعة ويستغلونها لحسابهم ويقيمون فيها غالباً كلهم او بعضهم وهم بحمى وحماية الشيخ المذكور حكماً وفعلاً لا يعارضهم في عملهم معارض ولا يتعدى عليهم احد الى ان تم لهم بعناية المخلص اقامة هذا الدير فيها على اسمه ممجداً الى اليوم والى ما شاء الله تعالى كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الثامن والعشرون ﴾

في قصد المطران باتشاء الرهبانية المذكورة

يجب علينا هنا ان نبحث بتدقيق وتحقيق عما اذا كان المطران افثيميوس قد قصد امراً خاصاً وغرضاً معيناً بانشاء جمعية رهبانية قانونية او انه لم يكن له غرض بذلك الا ان يجري على تقليد قديم في الكنيسة بان يكون لديه في داره او قلايته اكليروس خاص ممتاز بعلمه وآدابه واعماله يعتمد على افراده بتدبير امور ابرشيته عندما تدعو الحاجة الى مساعدته في بعض الاعمال فأن هذا امر مهم يجب علينا ايضاحه كما يجب بقدر الطاقة .

على ان الذي تبين لنا واضحاً بهذا الشان ان المطران كان يقصد لا محالة انشاء جمعية رهبانية قانونية من ابناء ملته الروم خاصة من جميع ابرشيات البطريركية الانطاكية وغيرها لنشر مبدأ الاتحاد الديني مع كنيسة رومية العظمى ام جميع الكنائس الذي هو المبدأ الجوهري في وحدة كنيسة المسيح وهو لا محالة مبدأ قوتها ومجدها وذلك بواسطة افراد هذه الجمعية بوعظهم وتعليمهم وخدمتهم الكهنوتية لابناء ملتهم الذين اذ يكونون منها يكون عملهم هذا ناجحاً فيها اكثر من عمل المرسلين الغربيين . ومن ثم اراد ان تكون هذه الجمعية باعمالها الرسولية افضل من اخوية رهبان القبر المقدس المعروفة في البطريركية الاورشليمية ومن رهبان طورسينا

في البطريركية الاسكندرية ورهبان جبل اثوس في البطريركية القسطنطينية بما تستمده من قوة اتحادها بالكنيسة الكاثوليكية والاقتداء بمحاسن جمعياتها الرهبانية التي كان يرى في صيدا افرادها من كبوشيين وفرنسيسكان ويسوعيين قدوة صالحة بعلمهم وآدابهم وغيرتهم الدينية . وما كان عمل المطران هذا الا اتماماً وانجازاً لما عاهد به الله وكنيسته الكاثوليكية في الصك الذي ضمّنه صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي بعد ارتقائه الى كرسي مطرانية صور وصيدا وارسله الى رومية سنة ١٦٨٤ . وهذا نصه ننقله عن نسخة عندنا بخط يده المباركة في كتاب يتضمّن عدة مؤلفات دينية له .

« انذر واحلف واقسم اني بعون الله تعالى أتمسك بها [1] وأعترف بها وأعلم وأكرز بها بكل خاطري الى اخر حياتي واني اجتهد بقدر قوتي ان كل رعيتي وكل الذين هم تحت تدبيري يتمسكوا بها ويعلموا بها ويكرزوا بها . وانا هكذا اوعد وانذر واحلف . والله يعينني وهذه اناجيله المقدسة امين

والدليل على صحة ما نقول اولاً قبول المطران افثيميوس لتلاميذه الرهبان الاولين والاخرين من ابرشيات شتى حتى من نفس دمشق الشام كرسي البطريرك الانطاكي كما يظهر هذا من النظر الى موطن كل واحد من رهبانه الاولين والتابعين لهم وثانياً من سعي المطران لدى البابا اكليمنضوس الحادي عشر والتمس منه ان يفوض اليه السلطة بالوكالة ليصرّف تلاميذه الكهنة الرهبان بتوزيع

---

(١) يعود الضمير في « بها » الى قضايا الايمان التي قد سبق وذكرها هناك

الاسرار ولاسيما الاعترافات في سائر ابرشيات البطريركية الانطاكية وقد نال ذلك على ما قدمنا بيانه في الفصل الثاني والعشرين. ثالثاً من النظر في مجمل اعمال المطران في هذا السبيل ولا سيما اقامته لهذه الجمعية ديراً خاصاً على اسم المخلص بكنيسة واسعة عظيمة اكبر من الكنيسة البطريركية الانطاكية المعروفة قديماً في دمشق بالمريمية واعظم من كنيسة القيامة في اورشليم المعروفة بنصف الدنيا.

ولذلك رتّب المطران لهذه الجمعية قانوناً خاصاً ذاع وشاع بين الناس في حياته حتى بلغ حلب وان كان لم تصل الينا نسخة منه كما يظهر من رسالة عندنا بخط يد المطران نفسه ارسلها الى احد اصحابه من الروم الكاثوليك في حلب جواباً على اعتراضه بما اباح المطران لرهبانه اكل الزفر واكل السمك في الصيام مما خالف به تقليدات رهبان الروم القديمة. فيحسن بنا ان ننقل من هذه الرسالة جملة كبيرة بصدد ما نحن فيه من الكتاب السابق ذكره. ولعلنا ننشر هذه الرسالة الطويلة كلها في فرصة مناسبة ان شاء الله. قال:

« ثانياً انه تحقّق عندكم ان رهبان ديرنا الان ياكلون كلما يقدَّم لهم من زفر ونحوه وانكم وقفتم على نسخة من نسخ قوانينه نسمح فيها بقانوننا للمتقيّدين في المطالعة والدرس ان ياكلوا لحماً.

فعلى هذا نجيب عما في نيتنا بكتابة هذا القانون ونقول: ليس خافياً عن معرفتكم ان كان تأمّلتم ورأيتم ضعف الملة وانحطاطها ثم افتقارها للمعارف الضرورية والعلوم الروحية الناتج عن عدم وجود المرشدين الاطهار الذين يكونوا

فيها ومنها والذين يمكنهم ينوّروها بنورهم ويملّحوها بملحهم . وقد رأينا كثيرين من النحيني المزاج ذوي غيرة صالحة ولهم بعض معارف ارادوا يصرفوا حياتهم بعيشة طاهرة مرتبة بحفظ الثلاث نذور التي هي اس الرهبنات كلها لكي ينفعوا ملتهم بعلمهم وعملهم فاستمضوا الدخول الى الرهبنة لاجل خشونة معاشها الان عندنا وتخلفوا عن تكميل قصدهم الصالح . فلما تحققت انا الحقير ان هذا السبب الجزئي مانع لذاك الخير الكلي استعملت انا الحقير سلطان الحل والربط المعطى لي من الله ومن كنيسته لاطلاق أمرٍ بل لاطلاق جبر مفهوم عند الجميع بسبب وضعه ودخوله وذلك حتى تكون العبادة في هذا المعنى امراً اختيارياً لا اضطرارياً . وليس كما هو الان مستعمل من الاخرين جهراً ومرفوض من الاكثرين سراً . وحتى ايضاً لا نماثل قساوة بعض الرعاة السالفين الذين استعملوا سلطانهم بالربط لا بالحل . واحرى ان اقول باللعنة لا بالبركة الذين صدق فيهم قول الله بلسان ميخا« اكلوا لحم شعبي وكسروا عظامهم »فهذا نرى حالتهم وقد سيبوا خسراناً عظيماً على هذه الطريقة الطاهرة وعلى الامانة المسيحية الفاخرة . فانا ايضاً نيتي ان اتفق هكذا فيكون مثل هؤلاء مفترقين عن الرهبان الاخرين بالسكنى والمعاش فقط ومتفقين معهم بحفظ الثلاث نذور وبقية التوانين الاخر اذا كانوا كلهم تحت طاعة رئيس واحد . وان لم يوجد من تكمل بهم نيتنا فتكون حجة الله على المتعنتين » .

﴿ الفصل التاسع والعشرون ﴾

المجوبة المخلص

لكن ما الذي دعا المطران افثيموس ليقيم في مزرعة مشموشة ديراً لرهبانه على اسم المخلص مؤثراً هذه البقعة على سواها من ابرشيته الواسعة [1]

هذا السؤال مهم خطر ويخطر على بال كل من يزور دير المخلص لاي غرض كان فلا بد لنا اذاً من الاجابة عليه هنا بايضاح السبب الذي حبّب الى المطران ان يقيم هذا الدير على اسم المخلص في هذا المكان من بلاد الدروز .

على اننا لانستطيع ان نجيب الجواب الشافي على هذا السؤال على ما يقتضي التاريخ الصادق وحقيقة الواقع الا بذكر امر خارق العادة وهو آية عجيبة من آيات الله الباهرة التي لا يستطيع الناس ان يدركوا لها علة او سبباً الا قوته الخارقة وعنايته الخاصة

---

(١) مشموشة تحريف مشمسة بمعنى المزرعة المعرضة للشمس ويقال لمثلها ايضاً المزرعة الشمسية وقد عرفها البستاني في محيط المحيط بانها « المزرعة التي يترلها اصحابها في ايام الاثمار ونحوها ويرجعون بعد ذلك الى مواطنهم » ومن حينما قام دير المخلص في هذه المزرعة اهمل اسم مشموشة حتى صار مجهولا من الرهبان والجيران وغلب على مزرعة تقابل دير المخلص من اقليم جزين قام عليها دير لرهبان الموارنة لا يعرف اليوم الا بدير مشموشة او بدير سيدة مشموشة انشأه في الاصل المطران سمعان عواد الحصروني ليقيم فيه . وقبل ان يتم بنيانه باعه الى الرهبان سنة ١٧٣٦ وهو اول ادبرة الرهبان الموارنة في اقليم جزين والثاني في بلاد الدروز بعد دير مار يوحنا في رشميا

بكنيسته ورعاتها قواد شعبه . ولا يخلو تاريخ الكنيسة من العجائب التي هي فيها بمقام عمود النار ليلاً وعمود الدخان نهاراً دليلاً سماوياً لهم والا فانهم يضلون الطريق في مجاهل هذه الحياة وهو تعالى بحكمته لا يأتي بهذه الايات الخارقة الا لذوي النفوس الكريمة ورعاتها الصالحين في وقت الحاجة اذا طلبوا اليه ذلك باخلاص قلبهم . ويأبى تعالى ان يطرح جواهره لمن يدوسها او لمن يعبث بها ولا يقدرها قدرها الفائق .

قلنا هذا تمهيداً وتوطئة لذكر الاعجوبة الشهيرة التي كان يذكرها لنا كثيرون شفاهاً من شيوخ رهبان هذا الدير وشيوخ قرية جون ولا تختلف روايتهم فيها الا ببعض ظروف واحوال ثانوية . ونحن ننقلها هنا عن سجل دير المخلص عن النسخة التي نقلها المرحوم الخوري جرجس جراد بخط يده الجميل المعروف اذ كان مدبراً سنة ١٨٥٢ عن نسخة قديمة كُتبت في منتصف القرن الثامن عشر على ما يظهر من بعض اوراق قديمة منها احفظها عندي بخط يشبه خط المرحوم الخوري مخائيل عراج وقد قابلت ما في هذه الاوراق على النسخة المذكورة فوجدتها مطابقة لها تماماً وانا اتأسف كثيراً لسقوط ما يخص هذه الاعجوبة من هذه الاوراق . وهي تبتدي برقم ٢٣ من الرهبان باسم الاخ مكاريوس مغامس من رشميا الذي نذر سنة ١٧١٧ . وهذا نص ما ذكر السجل بهذا الشان ننقله بالحرف بغير اهتمام بمقابلة

بما نقله عنه القس انطون بولاد والخوري كيرلس حداد مع بعض زيادات مضافة الى ذلك شرحاً وايضاحاً لنص السجل اعتماداً على ما نعلقه .

« فيما كان المطران افثيميوس جائلاً على رعيته مفتقداً اغنامهُ الناطقة كالعادة وعند وصوله الى قرية جون حضر اليه اناس من باقي القرى (المجاورة) مدججين بالاسلحة كعادة هذه البلاد (بسبب المخاوف واختلال الامن فيها) وكان في صحبته احد الشمامسة الانجيليين اسمه اثناسيوس نصر (من غريفة) اخذ بندقية من اسلحة الحاضرين وبدا يقلبها ويتأمل فيها لانها اول بندقية دخلت الى هذه البلاد بآلة قداحة من بلاد الافرنج لانه قبلاً كانت البنادق بفتيل فدقرت (مست) يده القداحة حينئذٍ بغير قصد (وبغير علم منه) وخرجت البندقية ببارود وخردق رصاصي فاصابت احد كهنة المطران في صدره وهو الخوري ابراهيم المشهور بالفضائل ولا سيما فعل الرحمة فقفز على الارض وسقط منطرحاً . فصرخ المطران حينئذٍ بكل لهفة حسب عادته يا مخلص العالم . ومع تمام صرخته هكذا هتف الكاهن لاتخف يامعلمي انا طيّب . فيا له من عجب لم تصبه اذية اصلاً . بل جلس (قام) حالاً وللحين بادر اليه الحاضرون وحلوا منطقته فوجدوا الخردق مجتمعاً فوق صرته على لحمه بدون انثلام . فمن جرآ ذلك في تلك الدقيقة عينها نذر وقصد المطران عمار دير باسم المخلص (تذكاراً

للاعجوبة ولاجل مأوى رهبانه) وسأل الحاضرين من اهل القرية عن مكان موافق لاتمام هذا القصد الصالح فارشدوه واشاروا الى مزرعة خراب داخل حرج تدعى مزرعة مشموشة قبالة جون من معاملة صيدا من الشوف المعني باتصال جبل لبنان المستولي عليه الامير حيدر شهاب وحالاً بادر المطران مع بعض اهل جون ومن كان معهُ من تلاميذه الرهبان الى مزرعة مشموشة لينظروا المكان المذكور وليفتقدوا المزارعين الذين كانوا فيها من الطائفة على ما قالوا له »

ونلاحظ في نص هذه الوثيقة التاريخية الجليلة عدة امور مهمة عندنا . فانها تتضمن اولاً ذكر حدوث آية عجيبة خارقة العادة بسلامة الخوري ابرهيم الطوطو من الموت المحتم طبعاً باطلاق البارودة الجديدة الغريبة على صدره من غير قصد ولا علم من اخيه بالرهبانية الشماس اثناسيوس نصر اذ حفظه تعالى من ذلك بعناية خاصة وطريقة خارقة العادة لتكون هذه الآية الباهرة للمطران وتلاميذه الرهبان ومن كان حينئذ هناك بمقام دليل ساطع على ارادته تعالى باقامة هذا الدير في هذا المكان وهو يضمن بمثل هذه العناية كل ما يحتاج اليه هذا الدير لقيامه وقيام رهبانه .

وتتضمن ثانياً لاتمام بيان هذه الآية ذكر اسبابها وظروفها واحوالها الطبيعية بذكر اسم المكان الذي وقعت فيه وهو قرية جون واسم الشخص العامل العادي وهو الشماس اثناسيوس نصر

من اسرة معروفة الى اليوم في قرية غريفة من قلب الشوف . ولا غرابة اذا شاقه منظر البارودة ذات الشكل الجديد بقداحة وصوانة التي خلفت على ما نعلم البارودة القديمة ذات الفتيلة في منتصف القرن السابع عشر . والسجل يذكر ان صاحب هذه البارودة غريب ليس من جون ولا من النصارى ويشير ايضاً الى مخاوف واضطرابات تلك الايام بسبب الفتن التي كانت تقع ما بين الحزب القيسي والحزب اليمني كما قدمنا الكلام على ذلك . وقصارى الكلام ان كاتب السجل تدارك ذكر كلما يلزم ويقتضي لبيان ان هذا الحادث كان لا محالة آية سماوية خارقة العادة .

ونحن نعلم بالتقليد المقرر الراهن في دير المخلص وفي قرية جون معاً ان حدوث هذه الآية جرى في ناحية من قرية جون او في ضاحيتها حيث قامت بعد قليل كنيسة السيدة بعناية المطران باسيليوس فينان بنفقة رهبان دير المخلص سنة ١٧٥١ واخذوا يقومون بخدمتها وخدمة النفوس فيها على وجه دائم كانها احدى كنائس اديرتهم تذكاراً مؤبداً لهذه الاعجوبة التي كانت السبب لقيام دير المخلص وهذه الرهبانية فيه

وكانت جون حينئذ ضيعة صغيرة من املاك الشيخ قبلان قاضي الخاصة وكان اكثر سكانها من المسلمين من اهل الشيعة المعروفة بالمتاولة شركاء مزارعين فيها ومعهم بعض الروم الملكيين لا يتجاوز عددهم اصابع اليدين واكثرهم صناع من اصحاب المهن

وكانت كلها او معظمها من املاك الشيخ قبلان القاضي الخاصة مع غيرها من القرى في اقليم الخرنوب في آخر بلاد الدروز من الجنوب التي يفصلها نهر الاولي عن اقليم التفاح من بلاد المتاولة التابعة لايالة صيدا في ذلك العهد كما هو معلوم . ولم يكن حينئذٍ في القرى المجاورة لها احد من النصارى الروم فيما نظن .

﴿ الفصل الثلاثون ﴾

قيام دير المخلص

اتضح لنا فيما سلف بوجه لا يسوغ معه الشك ان رهبان المطران كانوا يعيشون معه عيشة رهبانية مشتركة خارج صيدا قبل سنة ١٧٠٠ . وباعتمادنا على تقليد لا خلاف فيه نقول ان هذا المكان هو مزرعة مشموشة فان المطران كان يتصرف مع رهبانه في هذه المزرعة تصرف الملاك في ملكه من قبل الشيخ لا يعارضهم احد اكراماً له . ومن ثم كان الرهبان والحالة هذه في مشموشة بذمتهِ وحمايته . وقد اتخذوا اجارها او ضمانها حجة لذلك على سبيل المواضعة اتفق عليها المطران وصديقه الشيخ قبلان وهي نوع من الحيل الشرعيَّة بنظر ائمة الشرع الاسلامي الذي كان الدروز يجرون عليه ولا يزالون يتمسكون به وهو يمنع ان يقوم في بلادهم لا كنيسة ولا دير

ولا صومعة راهب . وكان هذا الضمان بدون كتابة صك بل كان العمدة فيه على كلام الشيخ الذي لا تبديل ولا تغيير فيه كما يقتضي شرفه ومقامه بين الناس علاوة على ما كان بينه وبين المطران من الصداقة الصادقة والالفة الخاصة .

واول صك اجار فيما نعلم انكتب عن طلب المطران صريحاً في اول شهر شوال سنة ١١٢١ هجرية الموافق لاول كانون الاول سنة ١٧٠٩ م بعد حصول المطران على اذن الامير حيدر شهاب الحاكم العام حينئذٍ ببدء الدير . وهذا نص صك الاجار نقلاً عن اصله المحفوظ عندنا بامضاء الشيخ قبلان وختمه :

وجه تحرير الحروف هو اننا ضمنا محبنا المطران افتيميوس مطران صيدا مزرعة مشموشة تبع ارض جون ثلاثة عقود تسع سنين يبلغ قدره خمسة واربعين غرش التي نصفها اثنين وعشرين غرش ونصف . يورد مال كل عقد بعقده وكل سنة بسنتها عن كل سنة خمسة غروش يوردها وذلك ابتداء مال ميري سنة واحد وعشرين ومية والف الى انتهاء العقود المعينة . وكتبنا له ذلك بيده لاجل البيان تحريراً في اول شهر شوال سنة ١١٢١ (٣ كانون الاول سنة ١٧٠٩ م)

قبلان

ويستفاد من مضمون هذا الصك ان عقد الاجار او الضمان اتفق عليه الفريقان مواضعة لمدة تسع سنوات بعقدٍ مثلث لان شرع الاسلام يمنع ان يكون عقد الايجار لمدة تزيد على ثلاث سنوات ويمنع ان يتكرّر العقد ذاته بين المتعاقدين اكثر من ثلاث دفعات . فمدة اجار هذه المزرعة لتسع سنوات اذاً هي اكبر مدة

يصح فيها العقد . ولا حاجة ان نقول ان هذا العقد المثلث لمدة ثلاث سنوات يدل على اتفاق تام بين الشيخ والمطران . بل يدل على صداقة صادقة لا يشوبها شائبة عيب او فتور كما يتضح هذا جيداً من سياق هذا التاريخ ولا سيما في هذا الفصل .

ومن ثم يجب ان نورد هنا مرسوم الامير حيدر باجازة بناء الدير المشار اليه نقلا عن اصله المحفوظ عندنا بامضاء الامير المذكور وختمه . وهو بتاريخ متقدم على تاريخ صك الاجار السابق ايراده . وهو ينص على ان الرهبان كانوا يسكنون من قبل في مشموشة وان المطران ما طلب من الامير الاذن باقامة البناء الجديد الا ليجعل رهبانه في مكان حصين يمنع عنهم التعدي لكونهم منفردين فيه . وقد اذن الامير بالبناء لئلا تخرب هذه المزرعة بالترك والهجر وينقص بذلك المال الميري المرتب عليها . وهذا نص مرسوم الاجازة

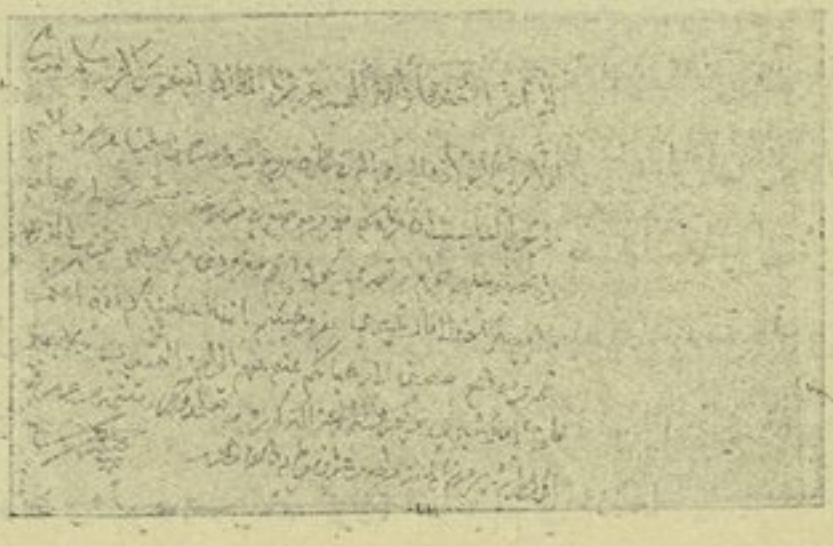

الى اعز الاصدقاء واكبر المحبين عزيزنا المطران اقليميوس الاكرم

سلمه الله تعالى

اولاً مزيد الاشواق الى رؤياكم المانوسة في كل خير وعافية . وبعده وصلنا عرض حالكم المرسول لنا بسبب ان تعمروا موضع في مزرعة مشموشة الى رهبانكم لان صاير عليهم حرام وتعدي كون انهم مفرودين ولاجل ما تخرب المزرعة ولا يصير تلف الى مال الميري . نعرف محبتكم باننا اعطيناكم اذن ان تعمروا موضع حصين الى رهبانكم يمنع عنهم الحرامية والتعدي ولا يصير تلف الى مال الميري ويعمروا المزرعة المذكورة . فتعلموا ذلك وتعتمدوه . حرر في اواسط شهر رمضان سنة واحد وعشرين ومائة والف (١٧ تشرين الثاني ١٧٠٩ م)

حيدر شهاب

على ان المطران النبيه لم يكتفِ بهذا الاذن الرسمي من الامير بل سعى ونال حجة شرعية بإجازة هذا البناء من قاضي مدينة صيدا نائب الشرع الاسلامي فيها وحكمه جائز في لبنان كما لا يخفى لان لبنان كان حينئذٍ تابعاً حكماً لايالة صيدا كما يدل على هذا قول القاضي في هذه الحجة (من اعمال صيدا) . وهذا نص الحجة نقلاً عن اصلها المحفوظ عندنا بامضاء وختم القاضي المذكور في اعلاها وشهود الحال المذكورة اسامیهم في ادناها

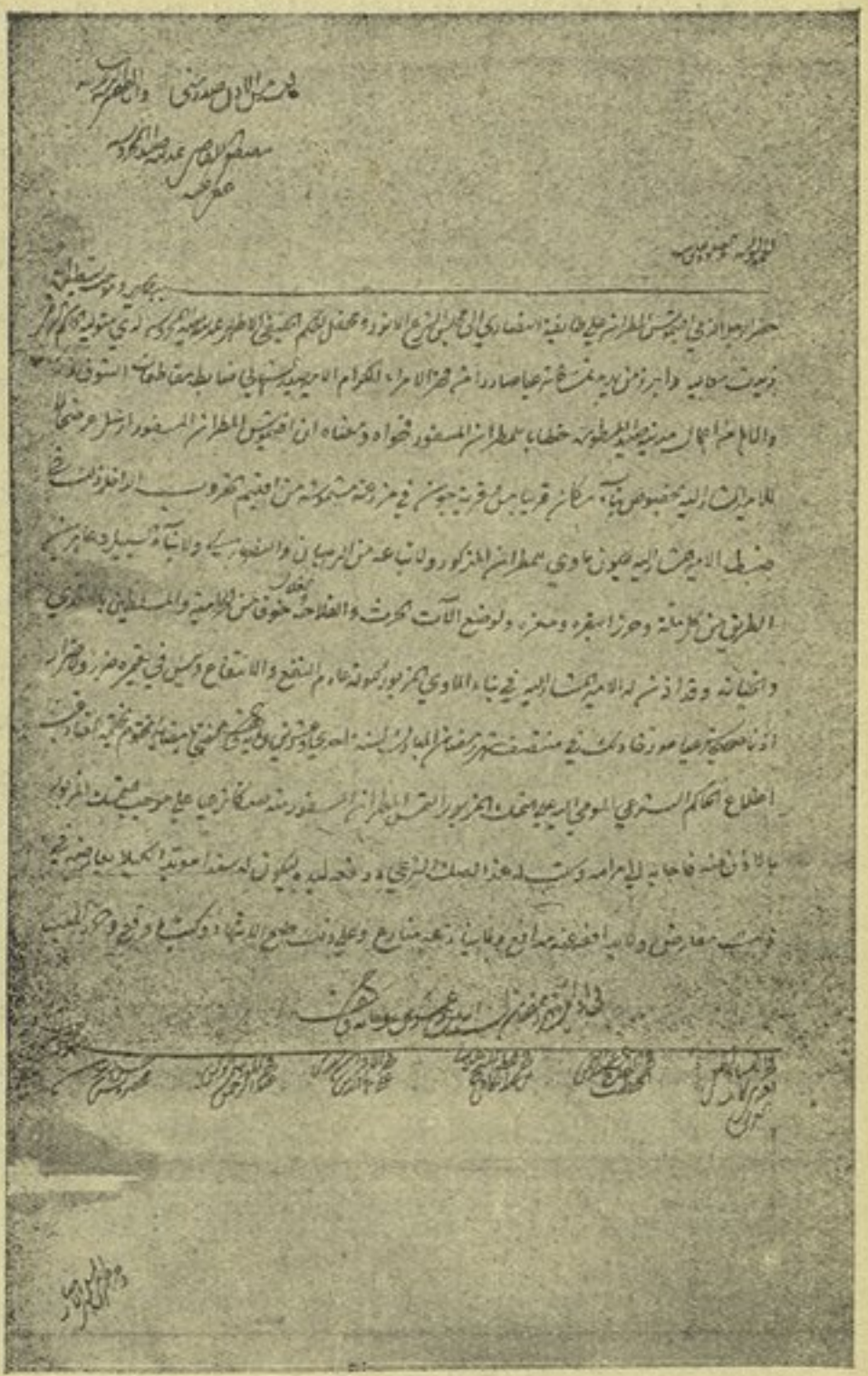

ما فيه من الاذن صدر مني . نمقه الفقير اليه عز شانه . مصطفى القاضي بمدينة صيدا المحروسة

الحمد لوليه والصلوة على نبيه   سبب تحريره وموجب تسطيره حضر الرجل الذمي اثتيميوس المطران على طائفة النصارى الى مجلس الشرع الانور ومحفل الحكم الحنفي الاطهر بمدينة صيدا المحروسة لدى متوليه الحاكم الشرعي زيدت معاليه وابرز من يده تمسكاً شرعياً صادراً من فخر الامراء الكرام الامير حيدر الشهابي ضابط مقاطعات الشوف من اعمال مدينة صيدا المسطورة خطاباً للمطران المسفور لحواه ومعناه ان اثتيميوس المطران المسفور ارسل عرض حال الى المشار اليه بخصوص بناء مكان قريب من قرية جون في مزرعة مشموشة من اقليم الخروب الداخل ذلك في ضبط الامير المشار اليه ليكون مأوى للمطران المذكور ولاتباعه من الرهبان والنصارى ولابناء السبيل وعابري الطريق من كل ملة وحرزاً للبقر والمعزى ولوضع آلات الحرث والفلاحة والغلال خوفاً من الحرامية والمسلطين بالتعدي والخيانة وقد اذن له الامير المشار اليه في بناء المأوى المذكور لكونه عادم النفع والانتفاع وليس في تعميره ضرر ولا اضرار اذناً صحيحاً شرعياً مورخاً ذلك في منتصف شهر رمضان سنة احدى وعشرين ومائة والف ممضياً بامضائه ومختوماً بختمه المعتاد . وعقب اطلاع الحاكم الشرعي المومى اليه على التمسك المزبور التمس المطران المسفور منه صكاً شرعياً على موجب التمسك المزبور بالاذن منه فأجابه الى مرامه وكتب هذا الصك الشرعي ودفعه ليده ليكون له سنداً مؤيداً لكيلا يعارضه في ذلك معارض ولا يدافعه عنه مدافع ولا ينازعه منازع . وعلى ذلك صح الاشهاد وكتب ما وقع وحرر بالطلب في شهر رمضان سنة اثنين وعشرين ومائة والف (تشرين ١٧١٠ م)

شهود الحال

فخر الاسياد لطف الله افندي كاتب العربي	فخر الخطبا الشيخ عبد الرحمن الخطيب	فخر الخطبا الشيخ هلالي بن عبد الكافي
فخر الاقران رشيد علي بها الدين	فخر المؤذنين الريس عبد الرحمن	حسن دبوس خضر باشي

ويظهر من مطالعة هذا الصك ان المطران افثيميوس تحاشى بنباهته وفطنته ان يذكر اسم الدير في عرض الحال الذي قدّمه الى القاضي بطلب الاجازة الشرعية لبنآء هذا الدير . بل دعاه مأوى له ولرهبانه كما ذكر ذلك القاضي ايضاً في صك الاجازة لان في ذكر اسم الدير محذوراً كبيراً اذ يُحظر شرعاً بنآء الاديرة في بلاد الاسلام بتاتاً وان يكن ليس الدير بالحقيقة سوى مأوى للرهبان وهذا جل ما يقصد به . وقد اجاز القاضي الشرعي قيام هذا البنآء في مزرعة مشموشة اعتماداً على صك اجازة الامير صاحب الامر في البلاد وحاكم السياسة فيها .

ولكي لا يدع المطران النبيه مجالاً لاحد ان يعارضه بامر بنآء هذا الدير في مستقبل الايام بحجة من الحجج عاد بعد ثماني سنوات فطلب نسخة من هذه الاجازة منقولة عن سجل محكمة صيدا مصدقاً عليها من قضاة المذاهب الثلاثة الشرعية في صيدا محتجاً بان صك الاجازة السابق ايراده غاب عن يده بعد ان تدبر الامر معهم على انفراد بالتي هي احسن واخذ منهم بهذه الطريقة وثيقة شرعية ثانية لا سبيل معها للشك في صحة هذه الاجازة ولا مجال لاحد ان يعترضه في بنآء هذا الدير اذا تغيرت الاحوال او تبدل احد الحكام في مستقبل الايام . وهذا نص هذه الوثيقة نقلاً عن اصلها المحفوظ بامضاوات واختام اصحابها المذكورة اساميهم في اعلاها وشهود الحال في ادناها .

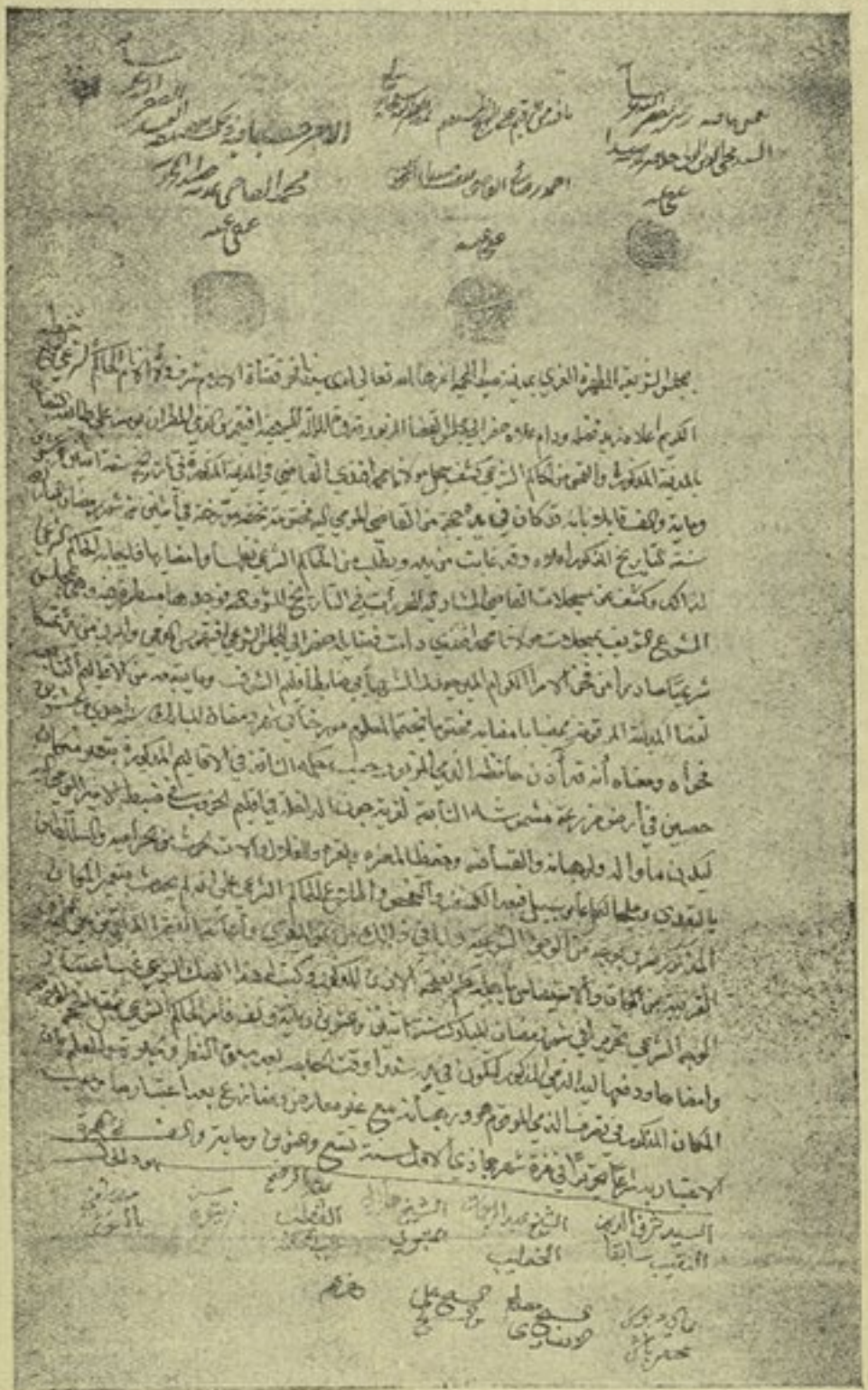

يعمل بما فيه شرعاً ورسمه الفقير اليه سبحانه
السيد محيي الدين المولى الخلافة بمدينة صيدا عفي عنه
محل الختم

ما فيه من الترقيم على النهج المستقيم . فقه الفقير اليه سبحانه
احمد رضائي القاضي لقضاء صيدا المحروسة عفي عنه
محل الختم

الامر حسبما فيه وحكمت بصحته . فقه الفقير اليه سبحانه
محمد القاضي بمدينة صيدا عفي عنه
محل الختم

بمجلس الشريعة المطهرة الغراء بمدينة صيدا المحمية اعزهـا الله تعالى لدى سيدنا فخر قضاة الاسلام شرف ولاة الانام الحاكم الشرعي الموقع خطه الكريم اعلاه زيد فضله ودام علاه حضر الى محل القضا المزبور قدوة الملة المسيحية افثيميوس الذمي المطران يومئذ على طايفة النصارى بالمدينة المزبورة والتمس من الحاكم الشرعي كشف سجل مولانا محمد افندى القاضي المومى اليه بالمدينة المذكورة في تاريخ سنة اثنين وعشرين ومايه والف قايلاً بانه قد كان بيده حجة من القاضي المومى اليه مختومة بختمه مؤرخة في اثنين من شهر رمضان المبارك سنة التاريخ المذكور اعلاه وغايت من يده . ويطلب من الحاكم الشرعي نقلها وامضائها . فاجابه الحاكم الشرعي لذلك وكشف عن سجلات القاضي المشار اليه المحررات في التـاريخ المشروح فوجدها مسطرة فيه . وهي بمجلس الشرع

الشريف بسجلات مولانا محمد افندي دامت فضائله حضر الى المجلس الشرعي افثيميوس الذمي وابرز من يده تمسكاً شرعياً صادراً من فخر الامرآء الكرام الامير حيدر الشهابي ضابط اقليم الشوف وما يتبعه من الاقاليم التابعة لقضا المدينة المرقومة ممضياً بامضايه مختوماً بختمه المعلوم مؤرخاً في شهر رمضان المبارك سنة احدى وعشرين خلواه ومعناه انه قد اذن لحافظه الذمي المزبور حسب حكمه النافذ في الاقاليم المذكورة بتعمير مكــان حصين في ارض مزرعة مشموشة التابعة لقرية جون الداخلة في اقليم الخروب في ضبط الامير المومى اليه ليكون مأوى له ولرهبانه والقــاقــة وحفظاً لمزاه وبقره والغلال وآلات الحرث من الحرامية بالتعدي وملجأ لكل عابر سبيل . فبعد الكشف والفحص واطلاع الحاكم الشرعي على انه لم يحدث بتعمير المكان المزبور ضرر بوجه من الوجوه الشرعية ولما في ذلك من نمو الميري واعــانة للفقرآء المارين عــلى الطرق القريبة من المكان والاستيناس باهله حكم بصحة الاذن المذكور وكتب له هذا الصك الشرعي غب اعتبار الوجه الشرعي بنقل الحجة المرقومة وامضاها ودفعها ليد الذمي المذكور لتكون في يده سنداً وقت الاحتياج بعد سبق النظر والخبرة والعلم بان المكان المذكور في تصرف الذمي المرقوم هو ورهبانه من غير معارض ولا منازع بعد اعتبار ما وجب الاعتبار به شرعاً تحريراً في غرة شهر جماد الاولى سنة تسعة وعشرين ومائة والف .

شـــــــــــــــــــــــــــهود الحال

السيد مصطفى الانصاري	الشيخ عبد الرحمن الخطيب	السيد علي ابن السلح
السيد شرف الدين النقيب سابقاً	الشيخ هلالي الشبولي	مصطفى بلبوش
عبد الرحيم القطب نايب المحكمة	علي دبوس محضرباشي	حسين زيتون

فعل المطران كل هذا استيثاقاً وحذراً من ان يعترضه معترض بامر بناء هذا الدير . ومع هذا باشر ببنيانه واتمه ولم يكن بيده وثيقة بملك مزرعة مشموشة ولا بقسم منها حيث قام هـذا الدير اي لم يكن معه حجة بسيطة تدل عـلى انه اشتراها من صاحبهـا المشهور . غير ان ذلـك ما كان منه عـن غفلة او جهل بـل كان ذلك كما لا يخفى اعتماداً عـلى ثقته التامة بكرم نفس هذا الشيخ وبصدق صداقته . وبعد ان تم بنيان الدير واخذت الايام تتقلب واحوال البلاد تضطرب طلب المطران منه حجة مكتوبة بملك مزرعة مشموشة حيث قـام الدير وبمزرعة الرصيف التي بجوارها لنفع الدير ورهبانه حذراً من نوب الايام . ومن ثم اجابة لطلبه هذا كتب له الشيخ صكاً بذلك ليكون حجة ناطقة بملك المزرعتين امضاه وختمه بختمه في تاريخ اول سنة ١١٢٤ هجرية (٩ شباط سنة ١٧١٢م) وارسلها له مع رسالة جميلة لا تقل قيمتها عن قيمة المزرعتين وكلها دليل ساطع عـلى عظم منزلة المطران عند هذا الشيخ الكريم الجليل تنقلها عن اصلها المحفوظ عندنا بامضاء الشيخ وختمه لها بلهجته الخاصة بـدون حاجة الى كتابة حجة شرعية بامضاء القاضي الشرعي وختمه . وهذا نص الرسالة :

الى حضرة عزيزنا المطران افثيميوس المكرم حفظه الله تعالى

اولاً مزيد الاشواق مع عظم تزايد الاشتياق الى رؤياكم الكريمة على كل خير وعافية . وبعده ان سألتم عنا لله الحمد بخير . ونرجو من الحق سبحانه ان تكونوا حضرتكم بزايد الخير وثوب السلامة وغير ذلك . من مضية كم يوم ارسلتو لنا والى عزيزنا يونس من خصوص ان نحرر الى حضرتكم حجة في الموضع الذي حضرتكم عمرتو بها دير وفي مزرعة الرصيف . حرر لكم حجة شرعية باسم حضرتكم تنفع الدير الى طويل . وان شآء الله تعالى مانزضى لكم بهذه وبس . وما يمكن تصل يدنا الى شيء من المليح في حكاية هل دير (هذا الدير) ونوخره لا في هذه ولا بغيرها . وكل امر يكون متصل مع حضرتكم ما عندنا فيه ثقلة لان يعلم الله عندنا حضرتكم عزاز وغاليين . وامر السحت المتصل منا الى حضرتكم ما بيروح الى بر . يد وفرغت الى اختها . المراد من حضرتكم ان تعمروا الدير وتنصبوا عنده وانشا الله تعالى في

وجودكم بيعمر وبيصير كرسي . والحجة واصلة تفهمون مضمونها . المراد مهما كان مجد من الاخبار والاعلام عندكم سر وجهر ترسلوا تعرفونا مفصلاً ولا تغيبوا عنا حرفاً واحداً من سائر ما يكون . ودائماً لا تقطعوا اخبار حضرتكم عنا مع جميع ما يجد لكم من المصالح والاغراض عرفونا بها تقضى على حسب الاوقات وباقي عمركم يطول والسلام . تحريراً في اول محرم سنة ١١٢٤ محب مخلص

(٩ شباط سنة ١٧١٢م) قبلان

وهذا نص الحجة :

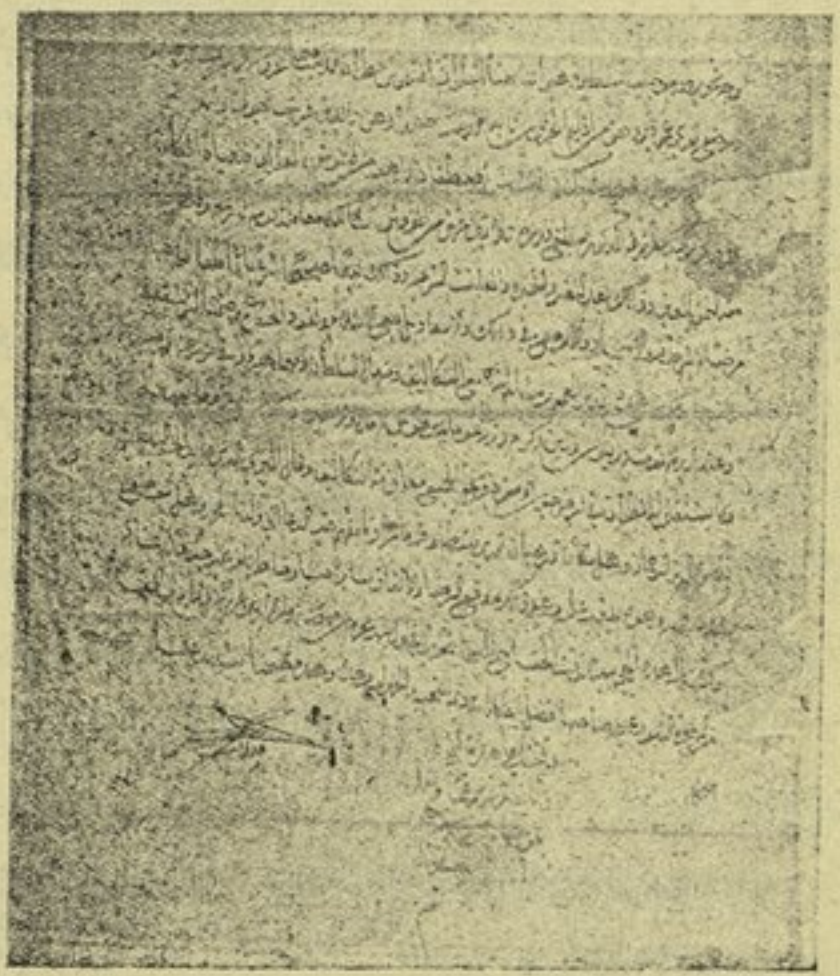

وجه تحريره وموجب تسطيره هو اننا بعنا المطران افثيميوس مطران مدينة صيدا المحروسة مزرعة الرصيف وموضع الذي عمر فيه دير . وهن من اقليم الخروب تابع مدينة صيدا وهن تابعين قرية جون وشهرتهم تغني عن تحديدهم . والدير ساكنه القسيس استفان راهب من قسوس المطران فبعناه المكان يعمر فيه دير كبير والمزرعة المذكورة بمبلغ قدره ثلاثين غرش من القروش السالكة معاملة يوم تاريخه وقبضنا منه الثمن المعين وذلك بعد النظر والخبرة والمعاينة الشرعية . وذلك بيعاً صحيحاً شرعياً قاطعاً ماضياً مرضياً لا شرط فيه ولا فساد ولا مرجع في ذلك ولا معاد . بل بيع الاسلام ونفوذ الحكام . وضمنا له الشفعة والتبعة . ويكون هذا الدير المعمور سالم من جميع التكاليف ومن مال السلطان ومهما جددوا في مزرعة الرصيف وعند الدير من توت وزيتون وتين وكرم وزرعوا ما يحطوا شي لا مال ولا غيره . ويكون الدير وما يتبعه وما يستقي له المطران في ارض جون من معزى ونحل الجميع معاف من التكاليف ومال الميري الذي عايد الى السلطان نصره العزيز الرحمن . وهل مكان (وهذا المكان) الرهبان الذين يقطنوا فيه ما مرادنا منهم غير الدعا الى ولدنا محمد . وهل موضع على كيسه وهو بيغار عليه . وعلى ذلك وقع الرضا والاتفاق منا برضانا وخاطرنا من غير جبر ولا عناد . وكتبنا له هذه الحجة بيده لوقت الاحتياج اليها تحريراً في اول شهر محرم من شهور سنة الف ومئة واربعة وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والتحية والحمد لله وحده وهذا ختمنا يشهد علينا .

قبلان

وقفنا على هذه الحجة بعد وفاة المرحوم عمنا ويعمل بموجبها

علي جنبلاط

على انه يجب ان نفهم من ذكر مبلغ المزرعتين بثلاثين قرشاً ان هذا صورة ظاهرة لاتمام شروط عقد البيع الواجب ذكرها شرعاً في صك البيع لصحة العقد كما هو معلوم عند علماء الاصول الشرعية .

ثم ان نص الرسالة يتفق مع نص الحجة بان الدير كان قد تم بنيانه قبل سنة ١٧١٢ وكان حينئذٍ يسكن فيه الرهبان مع رئيسهم القس اسطفان عطاالله . ويجب ان نلاحظ في هذا الصك ان الشيخ قبلان ضمن فيه ان يكون هذا الدير واملاكه المجاورة له وما يتجدد فيها من نصب ومواشي وغير ذلك سالماً من مال السلطان ومن جميع التكاليف مقابل ما يرجو من دعاء وصلاة الرهبان لحفظ وطول عمر ولده محمد .

ومن المفيد المستحب ان ننقل هنا ما كتبه بعد ذلك الشيخ قبلان الى عمدته في جون يلومهما على اخذهما من شركاء الدير المزارعين في مشموشة مالاً زهيداً برسم عوارض[1] ويتهددهما اشد التهديد ان عادا الى ذلك مرة ثانية . وهذا نص رسالته بدون تاريخ :

---

(١) يراد بال العوارض ما يجب ان يُعرَض للشيخ برسم هدية فوق رسم مال الميرة الذي يقال له ايضاً مال السلطان .

الى اعز المحبين الشيخ ابوظاهر موسى والشيخ ابو يونس داغر سلمهم الله تعالى .

وبعده نعرفكم ان حكا لنا رفيقنا محمد موسى انكم طالبتو شركات عزيزنا المطران في عوارض المراد ان كان اخذتم منهم شي . تردوا اليهم اياه لان شركات عزيزنا المطران ما عليهم شي . لا عوارض ولا غيره . وان والله العظيم وبالغ كل يمين ان من الان وطالع ان عدنا عرفنا انكم كتبتو عليهم قروش ام طالبتوهم بشي بيكون سبب تغيير خاطرنا عليكم وبتطليعكم من كل جون ولا تقولوا ما عرفناكم ذلك بكون معلومكم . وكذلك بلغنا ان اخذتوا من شريكنا بو شاهين فرح قرش عوارض انكان اخذتو منه شي تردوا له اياه . ماله عادة في الحطط .

الشيخ

محل الختم قبلان

﴿الفصل الحادي والثلاثون﴾

في اطراد ما سبق

نأسف كثيراً لان لم يضع احد من ابائنا الاولين تاريخاً خاصاً لهذه الرهبانية المباركة ولا كتابة تفيدنا كيف نشأت هذه الرهبانية و كيف تشيّد دير المخلص اذ كان همهم منصرفاً في تلك الايام الى ما هو اهم شأناً و اكثر ضرورة من كتابة تاريخ اعمالهم اذ لم يكونوا يهتمون كثيراً بان يقف الناس في مستقبل الايام على ما كابدوه في سبيل المخلص لقيام هذا الدير الشريف ولاتمام هذا العمل الخلاصي . على ان ما وصل الينا من اثار قلمهم بهذا الشأن كان منهم عن غير قصد وقفنا عليه في بعض رسائل كتبها

المطران وبعض تلاميذه وارسلوها الى رومية بمقام تقرير رسمي اقتضته الاحوال لذلك العهد كما اقتضت كتابة هذه الصكوك الرسمية السابق ايرادها هنا . فهي من اصدق المصادر التاريخية بهذا الشأن واصدق من هذه الصكوك الرسمية .

ويلذ لنا والحالة هـذه ان ننقل هنا رسالة شائقة باخبارها المختلفة ولا سيما فيما نحن بصدده ارسلها الشماس اسطفان عطا الله الى كاتم اسرار مجمع انتشار الايمان بعد عودته من رومية صحبة سيرافيم طاناس نقلناها عن اصلها في سجلات مجمع انتشار الايمان وقد نقلها ايضاً السيد الجليل نقولاوس نبعة مطران صيدا

جناب حضرة سيدي الكلي شرفه المنسنيور كولير اطال الله تعالى عمره وزيدت فضائله .

المعروض على مسامعكم الشريفة كثرة الاشواق ... ثم اخبر سيادتكم اني ارسلت لكم مكاتيب عديدة من مالطة ونابلي فلم حظيت بجواب اصلاً جعل الله المانع خيراً . فالمراد ان اراد خاطركم لا تنسوني من بالكم لكي اتسلى بالفاظكم لاني يوم تاريخه في محروسة صيدا وصار لي فرح عظيم بوجود معلمي المطران بسلام والمآء الايمان المقدس في كافة البلاد بقوة تعليمه وحسن الفاظه وبالخصوص انه اشى كهنة ورهبان الذين رأيهم كرأيه ونيتهم كنيته في الغيرة على خلاص النفوس . وكل الشعب فرحان في تعليمهم وصاغياً للتعليم بكل اجتهاد . لكن يا حيف يضرنا قرصان مالطة ويعمل للمتجددين في الابرشية شكوك لما يروا افعال المسيحيين الكاثوليك بهذا الحال .

ثم نخبركم انه جاء لمعلمي المطران خبر من طرابلس الشام ومن مسافرين الطرقات ان اثناسيوس الكاثوليكي بطرك حلب قد الّف بعض مقالات ضد الحبر الروماني . فطلبنا تلك المقالات من رجل حلبي لكي نطلع عليها . فقال لنا ذلك الرجل ان تحصيل تلك المقالات عسر جداً اولاً لانه لم يعمل لها الا نسخة واحدة ثانياً انه لا يرضى باظهارها الا للداخلين عليه والموافقين رأيه . ولكن مع جميع هذا لنا الرجاء بالمسيح سيدنا اننا نحصل تلك المقالات بواسطة احبابه الذين لا ينكر ذلك عنهم . ومتى حظينا بالغرض سوف نخبركم النتيجة .

وايضاً معلمي جاب من بلاد حوران كتباً قديمة مكتوبة على ورق الرق باللغة اليونانية وجدنا فيها كتاب عن انبثاق روح القدس وكتاب طقوس صوم الروم اي عادة كنيستنا ولم نجد فيه ذكراً لغريغوريوس بالاماس الهرطوقي المبارك من ابناء الروم لانه في الكتب الجديدة من نسخة هذا الكتاب يسمى قديساً وكل الروم تعمل عيده في ثاني احد من الصيام المقدس . فاذاً هذا الكتاب اوضح لهم انه في نار جهنم مع تابعي هواه . فلما رأينا هذه الكنوز ارسلنا نطلب كتب اخرى . وربما اني اسافر لتلك البلاد لاجل هذا السبب عينه لان الروم عندهم كتب قديمة كثير ولكن لا يسلموها لغير طوائف .

وايضاً طلبت من المطران ان يكتب للمجمع المقدس ويرسل يطلب منه الاشياء النافعة الضرورية لاجل الاتفاق الشرقي مع كنيسة الله ويكون هو السبب لهذا الخير العظيم . فقال لي آه يا شماس لو كان المجمع ينصت الي ويفهم كلامي لكان ذلك واجباً . ولكن انا رايت ضد القضية اولاً اني كتبت له مراراً عديدة فلم يجاوبني قطعياً ثانياً انك انت وابن اختي جيتما الي من رومية بغير كتاب . فمن هذا القول لاح لي انه اخذ على خاطره ولا يريد تسفيه كلامه عند المجمع المقدس .

وكان اهتم ببعض اولاد وخسر عليهم وارضى والديهم بالاموال وحسن الاقوال لكي يسلموهم له ويرسلهم الى المدرسة في رومية فرجع آخر ارسالهم

ومثل (كانه) الذي ارتجع عن الحرارة التي كان فيها بارسال الاولاد لانه توجع بوصولي اليه بغير مكاتيب مع انه يقول دائماً ان لم يكثر تلاميذ المدارس من جماعة الروم فما ينتج خير . ولكن متى كثرت تلاميذ المدارس فحينئذ يقوى الايمان وتصير المحبة . يكون ذلك سراً بشريف علمكم لكي ان رأيتم قابل تهتموا باخراج ورقة بركة ومحبة من الحبر الاعظم اليه فهذا خير عظيم . وبالخصوص اذا ارسلتم مع الورقة ذخيرة مقدسة من اعضآء قديسين الشرق ام من اثارات المخلص يسوع المسيح لانه محب لهذه الاشيآء . ولما قلت له ان حضرة الكردينال بيناتلي في نابلي [1] كان وعدني بعضو من اعضآء القديس نقولاوس اسقف ميرا ولكن لما خرجت من هناك ما طلبت ذلك لاجل اسباب . فقال لي لو تجيب ذلك العضو المقدس لكان عندي افضل من كنوز العالم ولم يضيع تعبك في بلاد النصارى باطلاً . فوجب علي اعلام سيادتكم .

واخونا القس سيرافيم قبل تاريخه باربعة ايام سافر الى الشام ليرى اهله ويكرز ثم يرجع للدير عندنا لانه قبل ان يصير قسيس نذر النذور الرهبانية في ديرنا مثل واحد منا .

وان عملتم خير في ارسال القس عبد الاحد (السرياني) لعندنا وتعملوا له قداسه ليعيش منه فانكم تعملون خيراً عظيماً لانه يعيش في هذه البلاد بكل كرامة وينفع طائفته وغيرها . يكون ذلك بشريف علمكم .

ولي انا اقارب اطفال مرادي انا ارسالهم الى المدرسة لكن بعد جوابكم لأني اخاف اهانتهم وعدم قبولهم عندكم مع اني بتعب كثير قدرت على ارضآء اهلهم لكي يسلموهم فان جاءني الجواب منكم (بالقبول) ارسلهم بالعجل وتهدوا السلام مني الى كل من ياوذ بكم والدعاء . الحقير خادمكم

سطر في ١٢ ايار سنة ١٧١١ اسطفان عطا الله باسم شماس

---

(١) كان الكردينال المذكور Benately رئيس اساقفة مدينة نابولي من اشهر واشرف وافضل مصاف الكرادلة في ذلك العهد .

رسالة من الكاتب ذاته الى الحبر الاعظم بعد رسامته كاهناً وصيرورته وكيلاً او رئيساً على دير المخلص .

جناب قدس سيدي حبر الاحبار المحفوظ من الغلط في حقيقة الايمان الكلمنضوس الحادي عشر دام قدسه امين

يتوسل العبد الى سيده بعد تقبيل اقدامه بكل احتشام بان يعمل انتباه كلي لجوابه الخشوعي والضروري للخلاص وهو انه بعد رجوعي من رومية الكبرى ارسلني معلمي افثيميوس مطران صيدا الى مكان قفر وحرش بين حكم المتاولة والدروز لكي انظره ان كان هو موافق لعمارة دير رهبان ام لا . فطلبت ان يجعلني متوحداً فيه فاجاب لطلبتي وصار يخرج علي وانا أعمر وانصب . وفي ايام البطالات صرت امضي الى القرايا القريبة أعلم واكرز هناك . فصار للناس شوق للتعليم والفضيلة . ومن كان ذا قوة ارسل ابنه يعلمه مجاناً ويعطي للمطران شيء قليل لاجل عيشة ابنه حتى انهم ارسلوا الاولاد من بلاد بعيدة . فصار بنعمة يسوع فائدة عظيمة لشرف كنيسته ومعرفة حقها الضروري للخلاص .

ثم بعد ذلك سمح الله تعالى للشيطان وتسلط على البعض من الاولاد وكان يرمي البعض بالنار و بعض على الارض . وبعد تعب الحكماء والجهد قد عرفنا انه امر شيطاني . ولكن بعد ظهوره صار عند ذلك يتكلم بالغيب ويشهر الخطايا المخفية وما اشبه من خداعه . فحينئذ خرج اسم المكان قبيح في كل البلاد واثبتوا في عقولهم ان هذا القسيس هرطوقي خارج عن الحق . لذلك تسلط على من عنده الشيطان . لكن اهل الاولاد كانوا يطمأنوا بكلامي ويصدقوا في اكثر مما في . وابقوا اولادهم عندي الى ان شفوا بقوة الله القادرة .

وفي زمان تلك التجربة قد عملت وعلّمت لفظة منبثق من الاب والابن وجعلت الماء المقدس في الكنيسة ضد عادة الروم وبعض صلوات مثل ليطانية سيدتنا مريم (طلبة العذراء) وما اشبه من بعض طقوس الكنيسة اللاطينية واستقامت هذه العوائد الى ان حضر بعض اخوتي الكاثوليكيين الذي قال لا يجوز تغيير العوائد والايمان . بل يبقى على العادة الجارية . فاذعنت لقوله . وشكاني لمعلمي فحضرت لعنده وقال لي انا يريد اموت ولا انكر انبثاق الروح القدس من الاب والابن . ولكن قصدي ان تكون هذه الكلمة على حالها لكي ان طائفتنا لا تظن اننا غيّرنا في عوائدها . فلزم الامر اني قبلت رأيه وانا بين الخوف والرجاء . وقت بعمل الشي الذي ابتديته . ووقت اتركه . والان ذمتي تشوشني بقولها لي بعد انك بديت بالخير تعود الى ابطاله فمالك خلاص . ووقت آخر تقول لي مطرانك هو مثبت من المجمع المقدس فانت ملزوم برأيه لئلا تهلك لاجل مخالفتك له وكلما ارسلت لقدسكم مكتوب ملزوم يقراه . وهو ماله خاطر بارسال مكاتيبي . فالان ارسلت هذا المكتوب بلا مشورة معلمي . ومرادي الجواب ان اتبع رأيه ام لا في هذا وغيره . لانه في هذه السنة قد صار فيما بينه وبين بعض الطوائف قضايا جديدة . المراد منكم لا يصير اهمال في جواب مكاتيبه وجوابي انا ايضاً لكي نكون على حال واحد . ولو كان امركم ضد كل الرؤساء والمطران في هذه البلاد لاننا كلنا ملزومين بطاعتكم بالايمان لكون ليس خلاص الا به الذي من تعداه يهلك الى الابد . فنطلب من سيدنا يسوع المسيح ان يثبتنا عليه الى آخر نفس من حياتنا باستحقاق دمه الكريم الذي له المجد والسجود الى الابد آمين .

يكون ذلك بشريف علمكم بعد تقبيل ايديكم ثانيا وثالثاً .

١٥ ايار ١٧١٤ احقر القسوس اسطفان عطاالله

تلميذ افثيميوس مطران صور وصيدا

يجب علينا ان نختم هذا الفصل بذكر مباني الدير الاولى معتمدين بذلك على رواية الشيوخ من ابائنا الرهبان الذين قبلنا . وشهادتهم يعول عليها بهذا الشان دون سواها وهم لا محالة حفظة جوهر تاريخنا بالتقليد الراهن وليس بينهم وبين الرهبان الاولين بناة الدير اكثر من ماية سنة ولا فاصل بين الفريقين الا جيل واحد [1] فنقول:

قام حصن هذا الدير اولاً سنة ١٧١١ بناية كبيرة قوية مركبة من عدة عقود تمتد طولاً من الشرق الى الغرب مقدار ٢٢ متراً بطابقين الواحد فوق الآخر في صفين متقابلين من الغرف بينهما سوق او ممشى يفصل احد الصفين عن الآخر شمالاً وجنوباً وجعلوا حينئذٍ الغرفة الشمالية الغربية من الطابق العلوي مصلى او

---

(١) عرفت انا وكثيرون من الرهبان المرحوم الخوري انطونيوس الجمال الذي مات سنة ١٩٠٦ وسمعنا روايته فيما يخص اصل دير المخلص وكان تاريخاً حسن الرواية ولا سيما لتاريخ حوادث زمانه . وكان لا محالة قد عرف ذلك من عمه الخوري انطونيوس الاول (ومن معاصريه) الذي دخل دير المخلص وترهب فيه سنة ١٧٥٥ ومات فيه سنة ١٨١٣ وكلاهما من جون . وكان الاول قد عرف وعاشر مدة طويلة الخوري اسطفان عطاالله الذي مات سنة ١٧٧١ وسمع روايته عن اصل الدير والرهبانية كما عاشر ايضاً الخورى مخائيل العجيمي الذي مات سنة ١٧٦٣ وسمع روايته بهذا الشان . وكلاهما من المؤسسين لهذا الدير ومن اركان الرهبانية الاولين .

كنيسة صغيرة[١] وجعلوا لها الباب من جهة الغرب الى ان تيسر لهم بعد ذلك بقليل ان اقاموا كنيسة رسمية اكبر منهـا الى الجهة الشمالية[٢] من هذه البناية توازيها طولاً من الشرق الى الغرب فوق بناية قديمة قوية البنيان معقودة بالحجر[٣].

وبعد قليل قام بين البنايتين المذكورتين بناية الى جهة الشرق لبيت المؤونة[٤] (الكلار) وللمطبخ والتنور ثم الفرن. ثم قام بعد ذلك بناية الى جهة الغرب لبيت المائدة[٥] وبقربها المدخل او البوابة وبذلك صار الدير محصناً ومسوراً من كل جهاته وفيه نحو عشرين غرفة جديدة صالحة للسكن ليس لهـا نظير في جميع الاديرة القديمة لذلك العهد.

---

(١) صارت اليوم مستودعـاً لاواني الكنيسة وبـدلات الكهنة (السكرستيا الجنوبية) وكان تحتها خبية الدير السرية التي لم يكن بد منها في تلك الايام.

(٢) صارت هذه الكنيسة بيت المائدة بعد قيام الكنيسة الكبرى الحالية ولم تزل كذلك الى اليوم.

(٣) صارت اليوم هذه البناية القديمة مخزناً للزيت. وقيل انها كانت مأوى للرهبان قبل ان شيدوا الدير. وقيل كانوا يقيمون في عقود قـديمة الى الجهة الشرقية هي اليوم مراح للدواب.

(٤) بقي هناك في محله الكلار والطبخ الى ما بعد سنة ١٨٩٣

(٥) جعل بيت المائدة بيراً تجمع وتحفظ فيها مياه سطح الدير وبعد قيام الكنيسة الكبرى وتحولت الكنيسة السابق ذكرها بيتاً للمائدة وهي لم تزل كذلك الى اليوم

الثاني
﴿ الفصل ~~الحادي~~ والثلاثون ﴾

في احوال تلك الايام الباسبة

لا بد لنا ان نوضح في هذا الفصل بوجه خاص احوال السياسة التي كانت تتقلب فيها هذه البلاد لذلك العهد حتى نفهم جيداً الصعوبات التي لاقاها المطران ورهبانه في سبيل قيام هذا الدير في ذلك الزمان المضطرب اشد الاضطراب ونتحقق ان قيامه في هذه البلاد في ذلك الزمان انما كان آية باهرة من عجائب الله في كنيسته ومن اثار عنايته الخاصة بها . ونلخص ذلك من تاريخ الامير حيدر شهاب وليس لنا مرجع سواه لتاريخ حوادث ذلك العهد معما فيه من معايب بقلة الضبط والدقة في النقل بعد ان راجعناه في طبعته الاولى في مصر سنة ١٩٠٠ وطبعته الثانية في بيروت سنة ١٩٣٣ وبعض النسخ المخطوطة منه .

كان الامراء بنو معن يتوارثون الحكم في لبنان وبلاد الدروز الى اواخر القرن السابع عشر حتى مات آخرهم الامير احمد بلا عقب سنة ١٦٩٧ وانقطعت بموته سلالة الامراء المذكورين في لبنان واضطربت احوال لبنان لذلك اي اضطراب وكان قد قضى هذا الامير معظم حياته بالقتال والحرب مع وزراء الدولة الذين كانوا يتولون ايالة صيدا وايالة الشام وكانوا

يناصرون عليه الامرآء بني علم الدين الدروز زعماء الحزب اليمني في لبنان .

وبعد موته اجتمع مناصب لبنان و كبار رجاله وتشاوروا بأمر من يتولى مكانه الحكم في لبنان واكثرهم من الحزب القيسي فاتفق رأيهم ان يولوا الامير بشير بن حسين شهاب حاكم راشيا لانه ابن اخت الامير احمد وفيه الكفاءة لذلك اذ كان اميراً جليلاً كريماً شجاعاً وذا باس ورأي .

الا ان رجال الحزب اليمني كانوا يرغبون ان يتولى الامر الامير يوسف من بني علم الدين لانه من غرضهم وحزبهم غير انهم لضعفهم رضخوا له او سكتوا على غير رضا متوقعين الفرص السانحة للقيام عليه .

ثم ان الامير حيدر بن موسى شهاب من حاصبيا ابن بنت الامير احمد المذكور كان يعلل نفسه بان يتولى تخت الامارة في لبنان مكان جده بحجة انه اقرب الناس اليه وهو الاولى بحق الارث من سواه وان كان لم يتجاوز حينئذٍ اثنتي عشر سنة . وكان رجال الدولة في صيدا والاستانة يناصرونه لاستهانتهم به لصغر سنه . لكن اتفاق كلمة مناصب لبنان على اختيار الامير بشير فاز وغلب . ومن ثم حكم الامير بشير لبنان بعزم وحزم تسع سنوات ومات فجأة في صفد سنة ١٧٠٥ وقيل انه مات مسموماً من احد اقاربه . وقد اعتز به في حياته الحزب القيسي حتى اضطر

الامرآء بنو علم الدين ان يهاجروا لبنـان الى دمشق مع فريق جزيل العدد من حزبهم اليمني بسبب ما نالهم من الذل في عهد الامير المذكور . وكان قد غزا في حياته الشيخ مشرف بن علي الصغير صاحب بلاد بشارة في داره المعروفة الى اليوم بمزرعة مشرف [1] واجلاه عنها وعن كل بلاد بشارة وتولى عليها وعلى اقليم التفاح والشومر والشقيف من قبل وزير ايالة صيدا . وكذلك تولى من قبل وزير ايالة طرابلس على بلاد جبيل والبترون وصار يضمنها منه المشايخ بنو حمادي ولاتها السابقون ويؤدون له اموالها كما كان المشايخ بنو منكر وصعب يضمنون منه اقليم التفاح والشومر والشقيف .

وبعد موت الامير بشير تولى امر البلاد الامير حيدر شهاب السابق ذكره باتفاق الجميع وكان قد بلغ حينئذٍ رشده . غير ان بشير باشا وزير صيدا لذلك العهد اخذ بلاد صفد وولى عليها الشيخ عمر والد الشيخ ظاهر الزيداني المشهور . واخذ مقاطعات بلاد بشارة واقليم التفاح والشومر والشقيف واعادها الى اصحابها رؤسآء عشائر المتاوله السابق ذكرهم . فلما تولى هؤلاء امر بلادهم اعتزوا بذلك واخذوا يغزون اطراف بلاد الامير الشاب حتى ثار غضبه وسعى

---

(١) ورد محرفاً اسم هذه المزرعة بالمزيرعة في النسخ المطبوعة وبعض المخطوطة مع ان المزيرعة من اقليم جزين بعيدة عن بلادِ بشارة

لدى وزير صيدا المذكور بالهدايا وكثرة الاموال وضمن منه المقاطعات الثلاث المذكورة سنة ١٧٠٨ ثم سار برجاله لقتالهم في بلادهم والاستيلاء عليها وكانت الموقعة العظيمة بين الفريقين في قرية النبطية انتصر فيها الامير عليهم واستولى على بلادهم وعاد الى دير القمر تخت الامارة بكل عز بعد ان جعل فيها نائباً عنه الشيخ محمود هرموش واوعز اليه بان يجمع الاموال الاميرية التي رتبها عليها وعلى اصحابها .

غير ان الشيخ محمود زاد في ظلمه لاهل البلاد حتى بلغ ذلك الامير حيدر فاستدعاه اليه للحساب لكن ابى الشيخ محمود الحضور اليه ولاذ بوزير صيدا واغراه بالهدايا والاموال الكثيرة ليسعى له لدى الدولة بان يتولى بلاد الدروز مكان الامير حيدر وان تنعم عليه الدولة برتبة باشا حتى يكون اعلى رتبة من الامير حيدر .

وبعد ان نال كل ذلك سار بعساكر الدولة الى دير القمر واستولى عليها واستوى على تخت الامارة بدون معارضة لان الامير حيدر فر مع اهل بيته الى كسروان عندما بلغه خبر قدومه الى دير القمر بعساكر الدولة مع انه كان عمدته ومن كبار رجاله الحزب القيسي ولذلك اغتر به في اول الامر كثيرون من اصحاب الحزب القيسي وتابعوه مدة لكن بعد قليل اذ ظهر لهم حقيقة امره اخذوا ينفضون عنه وأبى اكابرهم الخضوع له بحجة انه

ليس اشرف منهم اصلاً ولا عملاً بخيانته لاصحابه . واذ تحقق ان لقب الباشا لا يجديه شيئاً عندهم كاتب الامراء بني علم الدين ان يحضروا من دمشق ويتولوا هم الامر ويكون لهم كاخية او عوناً فأتوا وكان هو صاحب الامر باسمهم وتزوج بواحدة منهم وجاهر بانضمامه الى الحزب اليمني واخذ يذل اصحابه القدماء من الحزب القيسي حتى صاروا يكرهونه ويرغبون عودة الامير حيدر ليرفع شأنهم وشأن حزبهم .

وكان الامير حيدر عندما فر من دير القمر قد ذهب الى كسروان واختبى في قرية غزير مع فريق من اصحابه وكان فيهم الشيخ قبلان القاضي وابنه محمد . ولما عرف محمود باشا المذكور بمخبأ الامير وجه عليه عسكراً يقاتله هناك فدافع عنه اهل غزير بقيادة مشايخهم بنو حبيش وقاتلوا عسكر الدولة قتالاً شديداً بصبر وثبات الى المساء حتى تغلبوا عليه وطردوه الى شاطىء البحر مع قلة عددهم وكان يقاتل معهم الامير ورجاله واولادهم بعزم لا يفل . ولما دخل الليل انجلى الامير ورجاله عن غزير حذراً من ان يقوى عليهم عسكر الدولة بنجدة جديدة وذهبوا الى الهرمل واختفوا هناك في مغارة كبيرة يقال لها مغارة فاطمة ولبثوا هناك مدة سنة كاملة كانت تأتيهم الاقامات اللازمة لهم من اصحابهم . وهناك توفي محمد ابن الشيخ قبلان القاضي وكان وحيداً

اذ سقط من عن صخر مرتفع سقطة قتالة كان فيها اجله [1].

وبعد سنة عاد الامير حيدر من مخباه مع رفاقه الى لبنان ونزلوا ضيوفاً على المقدم حسين ابي اللمع في راس المتن وهو من صميم القيسيين . ومن هناك استدعى اليه اصحابه من الشوف وكسروان والمتن وعقد بهم مجلساً لتدبير ما ينبغي عمله لازالة محمود باشا وبني علم الدين عن تخت الامارة وللانتقام منهم على ظلمهم ولرفع شان الحزب القيسي

وكان محمود باشا قد علم بعودة الامير حيدر فكتب الى بشير باشا في صيدا يستنجده فقام الوزير بعسكره من صيدا وحل في

---

(١) ذكر الامير حيدر احمد شهاب في صفحة ١١ من تاريخه من الطبعة البيروتية ان موت محمد ابن الشيخ قبلان وقع سنة ١١٢١ مع ان صك بيع مشموشة الذي نقلناه مصوراً عن اصله المصدق عليه من الشيخ علي جنبلاط ينص على انه كان حياً سنة ١١٢٤ . ثم ذكر المؤرخ نفسه ان نكبة غزير وقعت في سنة ١١٢١ ذاتها التي تبتدي في ١٣ اذار سنة ١٧٠٩ مع ان تاريخها الشعري المشهور الذي نقله هناك (ندمت غزير) انما هو سنة ١٧١١ ثم ذكر ان موقعة عين دارة وقعت سنة ١١٢٢ مع ان بعض النسخ الخطية تذكر وقوعها في سنة ١١٢٧ . ثم انه ذكر موت الشيخ قبلان في سنة ١١٢٣ ثم ذكر ايضاً انه وقع سنة ١١٢٧ . وعندنا وثيقة لا شك فيها وهي التاريخ المحفور على عتبة كنيسة دير المخلص العليا تصرح بان هذا الدير وكنيسته قاما بهمة الشيخ قبلان ١١٣٠ وقصارى القول ان هذا يدل على عدم تحري الامير المؤرخ الدقة فيما نقل من اخبار تاريخه عمن سبقه . ولم يذكر لنا عمن نقل ذلك

صنوبر بيروت . وكذلك كتب محمود باشا الى وزير الشام يستنجده فاتى بعسكره وحل في قب الياس من البقاع وقام محمود باشا والامراء بنو علم الدين برجالهم من دير القمر الى قرية عين دارة على اطراف المتن ودبر الامر ان يفاجي من هناك الامير حيدر واصحابه في يوم واحد هو وعسكر الدولة . لكن اذ بلغ الامير حيدر واصحابه عزمه هذا من بعض القيسيين سبقوا فكبسوه مع اصحابه في آخر الليل في عين دارة . وما اصبح الصباح الا كانوا قد احاطوا بهم وبالقرية من كل جانب فكانت هناك موقعة عظيمة مشهورة في تاريخ لبنان انكسر فيها الحزب اليمني شر كسرة لم تقم لهم بعدها قائمة ابداً . فمن سلم من القتل فيها منهم فر الى حوران وغيرها من بلاد الله ومن بقي منهم في لبنان انحازوا اضطراراً الى الحزب القيسي او كتموا امرهم مدة الى ان تلاشى تماماً هذا الحزب وقد قتل في هذه الموقعة سبعة امراء من بني علم الدين وانكسرت شوكة الامراء بني ارسلان وهم عمدة حزبهم

ويظهر مما تقدم شدة اضطراب الاحوال السياسية في لبنان ولا سيما في الشوف لذلك العهد بسبب تغيير الدول الحاكمة التي كان اصحابها يتحاربون ويتقاتلون على تولي الحكم فيه بحيث لا يستطيع الافراد ولا طوائف النصارى القليلة في هذه البلاد ان يكونوا فيها على الحياد بدون ضرر عظيم يقع عليهم من اصحاب الحزب

الاقوى والاكثر عدداً في البلاد .

على اننا نعلم من جهة ثانية ان الحزب القيسي كان الاقوى والاكثر عدداً في لبنان الجنوبي اي الشوف والشحّار والمناصف والعرقوب مما هو داخل في ابرشية صيدا بخلاف ما كان داخلاً في ابرشية بيروت من مقاطعات الغرب والمتن وكسروان وبالتالي كان النصارى الروم في ابرشية صيدا تقتضي مصلحتهم ان يكونوا من اتباع الحزب القيسي ويقتضي ان يبذل راعيهم الصالح جهده لراحتهم ونجاتهم من عاقبة هذه الحرب الاهلية في لبنان بما له من نفوذ الكلمة لدى وزرآء الدولة في صيدا وبحسن رأيه في تدبير الامور لخير وصالح رعيته وابنآء ابرشيته ولصالح اولي الامر فيها . ولهذا السبب نرى الامير حيدر وكبار رجال الحزب القيسي كانوا يدركون ان مصلحتهم تقتضي ان يكونوا مع المطران على اتفاق تام ومحبة وصداقة خالصة لنجاح امورهم . ونرى انه الى هذا اشار الشيخ قبلان في رسالته السابق ايرادها بقوله :

« المراد مهما كان يجد من الاخبار والاعلام عندكم سر وجهر ترسلوا تعرفونا مفصلاً ولا تغيبوا عنا حرفاً واحداً من سائر ما يكون ودائماً لا تقطعوا اخبار حضرتكم عنا »

فان الشيخ يرغب من المطران اعلامه بالاخبار السياسية التي يقف عليها في صيدا .

ومن هذا القبيل يجب ان نعتبر دليلاً ساطعاً على ذلك نص رسائل الشيخ والحجة بمزرعة مشموشة والرصيف ومرسوم الامير حيدر باجازته لبناء الدير ولاسيما ما صدّر به مرسومه المذكور بقوله الى اعز الاصدقا واكبر المحبين عزيزنا المطران اقثيميوس الاكرم سلمه الله تعالى.

ثم المرسوم الآخر بشأن مال الميري المرتب خراجاً على الدير وعلى مزرعة مشموشة والرصيف وهذا نصه

وجه تحرير الحروف وهو اننا اعطينا قول الى عزيزنا مطران صيدا على خراج دير الذي في مزرعة مشموشة لا يحط غير اثني عشر غرش المعتادة كجاري العادة . وما له مقارشة (معه) لا اهالي جون ولا غيرهم . كذلك ينصب ويجدد وغير اثني عشر المذكورة لا يحط . كتبنا له هذه الورقة لاجل البيان تحريراً في اوائل شهر شوال سنة ١١٢٨ (١٧١٦ م) .

صح . والمبلغ المذكور اثني عشر غرش عن مزرعة الرصيف وستة غروش (منها) عن مزرعة مشموشة وغير ذلك كما نحن شارحين لا يحط الى جانب الميري سوى المبلغ المذكور . صح . الامير ملحم الامير حيدر

وقصارى الكلام ان المطران استطاع بحكمته وعناية الله وكرامة المخلص ان يتغلب على هذه العقبات التي قامت في سبيل قيام هـذا الدير في تلك الايام . بل انه عرف ان يستغل هـذه الحوادث والاسباب وجعلها تخدم مقاصده لقيام هذا الدير وكان بذلك نجاحه التام فيه .

﴿ الفصل الثالث والثلاثون [1] ﴾

في كنيسة الدير الكبرى

لا يعد الانسان عظيماً الا بحزمه وعزمه او بعقله وارادته . ولا شيء ادل على ذلك من اعماله التي يقوم بها لفائدة بني نوعه وقومه ولاسيما اذا كان يدوم نفعها لهم فانها تحفظ اسمه وذكره خالداً في هذه الدنيا والاخرة خلود نفسه وبقاء اجر اعماله بعد فناء جسده .

واذا نظرنا في هذه الحقيقة البارزة مجسمة في دير المخلص لا يخامرنا شك بان المطران الذي انشاه في ذلك العهد الصعب كان لا محالة عظيماً اذ فاق بذلك المطارنة والبطاركة الذين كانوا في عصره والذين كانوا قبله . واذا دققنا النظر في تاريخ تلك الايام نضطر ان نقول ان يد الله كانت تعمل مع المطران بقيام هذا الدير لمجد المخلص و كنيسته الكاثوليكية في هذه البلاد ولخير كنيسة الروم الشرقية

ولا يخفى ان عمران الدير انما يكون برهبانه الذين يدعوهم الله اليه لعبادته في كنيسته . فالكنيسة اذاً في الدير هي قلبه ولبه

---

(١) جاء غلطاً بالسهو عنوان الفصل السابق ، الواحد والثلاثون وصوابه الثاني والثلاثون

وجوهره وغـاية عمرانه ودليل ازدهار الرهبانية فيه ومقياس عبادة رهبانه وتقواهم

واذ كان قصد المطران ان يكون هذا الدير عظيماً ولائقاً باسم المخلص وكنيسته الكاثوليكية المقدسة رام ان يجعل له كنيسة عظيمة اكبر من الكنيسة الاولى السابق ذكرها . بـل ان تكون اعظم من كل الكنائس القائمـة لذلك العهد في هذه البلاد الشرقية في البطركية الانطاكية والاورشليمية . ويحسن بنا ان نورد هنا اثباتاً لذلك رسالة بهذا الشأن ارسلها الاب ابرهيم طوطو اذ كان رئيساً للدير باسمه وباسم اخوته الرهبان[1] الى كاتم اسرار مجمع انتشار الايمان . وقد نقل هذه الرسالة عن اصلها المحفوظ في سجلات مجمع انتشار الايمان من المجموعة السابق ذكرها السيد الجليل نقولاوس نبعة مطران صيدا حالياً . وهذا نصها

الى حضرة الزائد الشرف كاتب المجمع المقدس منصور دي كارفا المحترم . . .

المعروض عـلى سماعكم الشريفة . . . بان يازم البنين الصادقين ان يخبروا والديهم بكلما يحدث لهم من صالح وطالح لكي يربوا اولادهم بموجب الحالة الموافقة لمنفعتهم جميعاً . فلذلك وجب الان علينا جميعاً ان نصف لكم الخير الذي صار لنا ولامنا الكنيسة الرومانية بواسطة افثيميوس مطران صور وصيدا وهو ان عمر

---

(١) كان حينئذٍ الاب اسطفان عطا الله الذي جعله المطران رئيساً للدير غائباً في دمشق عند البطريرك كيرلس الحلبي عندما قرر عزمه على اعلان اعترافه بالايمان الكاثوليكي كما سيأتي بيانه مفصلاً

لنا دير شريف جداً وانفق جميع مقتناه في عمارته وتراكمت الديون (عليه) . وكان باملة ان يعمر كنيسة ايضاً لاننا عمال نقدس في قلالي الدير . لكن لاجل فقره امتنع عن عمارة الكنيسة . فلما نظر ذلك البعض من محبي الله والايمان المقدس لان بواسطة هذا المكان صار نفع جزيل للنفوس الناطقة وملجأ لكل الكاثوليكيين من كل الطوائف ويحتموا فيه ويغلبوا بقوة صاحبه المخلص كانهم في رومية الكبرى حينئذٍ الغيرة المقدسة حركتهم لمعونة هذا الدير حتى لا يكون بلا شرف كنيسة مخصوصة لخدمة الله تعالى بل قصدوا ان تكون كنيسته شريفة وعظيمة اشرف (اعظم) اكثر من كنائس الاراطقة والمشاقين الذين عمال يتكبروا على اولاد الكنيسة باماكن العبادة . وبالخصوص لان هذا الدير وحده بين طائفة الروم مدعو باسم الكنيسة الرومانية وتعليمها الذي لا يدخله غلط وعمال ينتج من كهنته ورهبانه نفع زايد للنفوس التائهة عن الام الحنونة . فلذلك حضرة قنصل صيدا كتب لجنابكم بهذا الخصوص لتنظروا بعين الرحمة (الينا) وليتمجد الله وتفتقدونا بحسنة بوجه من الوجوه لكي نقدر ان نعمر كنيسة لائقة بخدمة الله ويحصل النفع الذي أتى سيدنا يسوع المسيح لاجله ونطلب من فضلكم ان تلاحظوا هذا الشغل بما يلهمكم الله تعالى كون الباب انفتح وربنا طالب منا توسيعه سريعاً لان اناس كثيرين اشتهوا ان ينظروا هذا الباب مفتوح هكذا ولم ينظروا . ونحن نطلب من الله ان يعطيكم ويعطي وكيل المسيح قوة ومعونة لكي توسعوه ليدخل فيه كل عابر طريق بشفاعة سيدتنا مريم العذراء والقديسين بطرس وبولس وجميع القديسين امين . الخوري ابرهيم مخائيل طوطو

سطر في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧١٧ رئيس دير المخلص وكافة اخوته

بالمسيح اولاد الكنيسة الرومانية

وقد اختار المطران ورهبانه مكاناً لهذه الكنيسة راس الاكمة التي بني عليها الدير وهو يشرف على منظر رائع من اجمل مناظر لبنان اذ يمتد النظر منه الى اكثر قرى اقليم الخرنوب شمالاً والى بعض قرى اقليم جزين واقليم التفاح الى البحر غرباً وجنوباً والى مشارف الشوف شرقاً وهو يشبه بموقعه جبل ثابور الذي تجلى عليه المخلص بمجده الساطع على ما هو مأثور ومشهور . ونظن ان المطران قد اعد هذا المكان للكنيسة من اول زيارته لمشموشة اذ وقف على راس هذه الاكمة مع تلاميذه ورفاقه وقد اعجبه هذا المنظر البديع فتذكر قول بطرس الرسول للمخلص عند تجليه على جبل ثابور « حسن يا معلم ان نكون هنا (متى ١٧ : ٥) » وكرر هذا القول جهراً وقرر عزمه على ذلك

وقد وصف حسن هذا الموقع شاعر الطائفة العلامة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي عندما زار دير المخلص سنة ١٨٦٦ بقوله:

مقام قد تصدَّر في جبالٍ كتاجٍ فوق مفرقها يقام
تنال البحر منه يدٌ واخرى تنال الثلج اسقطه الغمام

ويظهر ان كان سابقاً على هذه الاكمة بناء قديم وربما كان فيه دير او قلعة من مباني الصليبيين بقي منها بعض رسومها الى ذلك العهد . وعلى هذا ترتبت وبنيت الفتوى الشرعية باجازة بناء الكنيسة في محل الكنيسة القديمة لان المطران قبل مباشرته بالبناء استحصل

على فتوى شرعية من مفتي ايالة صيدا باجازة بناء هذه الكنيسة حسب الاصول المرعية في ذلك العهد بموجب شرع الاسلام اذ كان يمتنع قيام الكنائس الجديدة في بلاد الاسلام . وهذا نص الاستفتاء ونص الفتوى جواباً عليه بامضاء المفتي وختمه :

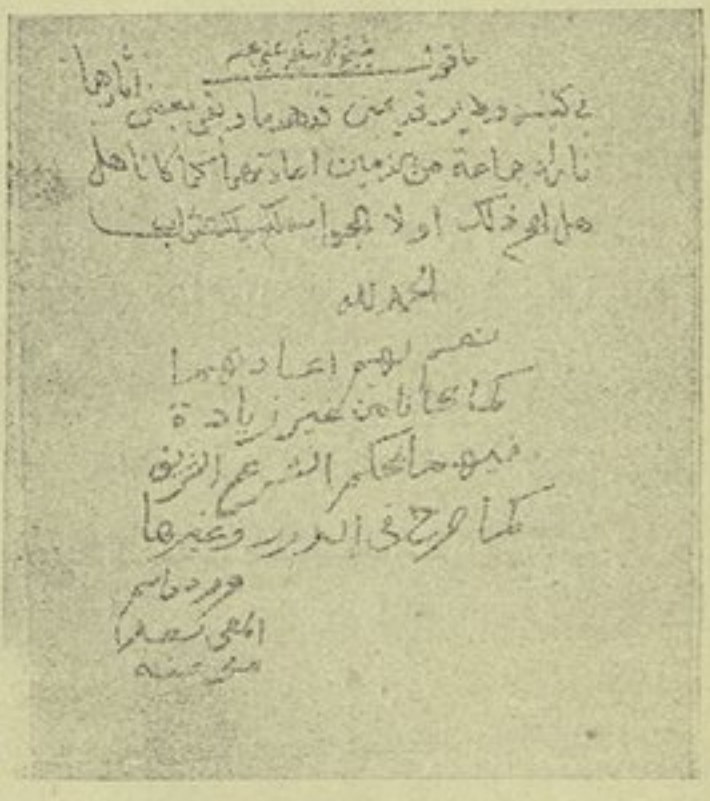

ما قول شيخ الاسلام عني عنه في كنيسة ودير قديمين قد هدما وبقي بعض اثارهما فاراد جماعة من الذميين اعادتهما كما كانا . هل لهم ذلك او لا ؟
نرجو الجواب ولكم بدله الثواب

الحمد لله

نعم لهم اعادتهما كما كانا من غير زيادة فيهما بحكم الشرع الشريف كما صرح في الدرر وغيرها .

حرره قاسم المفتي

(الختم) بصيدا عني عنه

ثم قدّم المطران هذه الفتوى الى المحكمة الشرعية يلتمس بموجبها حكماً صريحاً بذلك من قضاة مذاهب الاسلام الذين في صيدا . وهذا نص وصورة الحجة الشرعية بامضاوات واختام القضاة المذكورين فيها .

لهم اعادة المتهدم في ذلك الموضع بقدر بناء الاول
كتبه الفقير اليه سبحانه وتعالى
احمد القاضي في مدينة صيدا عفي عنه
(الختم)

ما فيه من التقرير حرره
الفقير اليه سبحانه محمد القاضي
بمدينة صيدا المحروسة عفي عنه
(الختم)

تعلق نظري بما فيه . فقه الفقير اليه تعالى
محمد عراقي زاده القاضي بمدينة صيدا
عفي عنه
(الختم)

الامر كما رقم فيه . فقه الفقير اليه سبحانه وتعالى
السيد محيي الدين المولى خلافة مدينة صيدا
عفي عنه
(الختم)

سبب تحريره انه

بمجلس الشرع الشريف ومحفل الدين المنيف المصون عن التغيير والتحريف لدى سيدنا ومولانا الحاكم الشرعي الموقع خطه الكريم اعلاه دام فضله وزاد علاه حضر رافع هذا الكتاب الشرعي قدوة الملة المسيحية افثيميوس مطران طائفة النصارى القاطنين بمدينة صيدا المزبورة وأبرز من يده فتوى شريفة وهي ما قول شيخ الاسلام عفي عنه الملك السلام في دير وكنيسة قديمين قد هدما وبقي بعض اثارهما فاراد جماعة من الذميين اعادتهما كما كانا . هل لهم ذلك او لا . الجواب نعم لهم اعادتهما كما كانا من غير زيادة فيهما بحكم الشرع الشريف كما صرح به في الدرر وغيرها والله اعلم . كتبه قاسم المفتي بصيدا عفي عنه[1] . ثم

---

(١) لا يخلو نص الفتوى المنقول في هذا الصك من بعض اختلاف لفظي مع نص الفتوى المنقولة صورتها سابقا هنا . وما سبب ذلك فما نظن الا اصلاح بعض اغلاط لفظية من كاتب المحكمة راي انها وقعت سهوا من الشيخ المفتي .

قرر المذكور انه من مضية نحو ثمان سنوات تقدم تاريخه عمَّر مكاناً في مزرعة مشموشة قريباً من قرية جون من اقليم الخرنوب من اعمال مدينة صيدا باذن من حاكم الشرع الشريف اذ ذاك وباذن من حضرة الامير حيدر الشهابي ضابط المقاطعة المزبورة وكان في المكان المزبور في الزمان السابق بيعة للنصارى هدمت وبقي بعض اثارها ويريد اعادتها الان كما كانت عليه . وقدر البيعة المزبورة بالذراع المعماري طولاً من جهة الشرق الى الغرب ثلاثون ذراعاً ومن جهة القبلة الى جهة الشمال عرضاً اثنين وعشرون ذراعاً والتمس من الحاكم الشرعي صكاً شرعياً معتبراً مرعياً مشعراً بالاذن له من طرف الحاكم المولى اليه في عمار البيعة وانشائها كما كانت على حكمها القديم المقدم ذكره مستنداً في ذلك بالفتوى الشريفة المقدم ذكرها كما قررته في النقول واجتهدت عليه الجهابذة الفحول فأجابه الحاكم الشرعي لمرامه واذن له في تعمير وانشاء البيعة المزبورة كما كانت عليه سابقاً وكتب له هذا الصك الشرعي ودفعه ليده وذلك بعد الكشف والاطلاع على المحل المذكور والعلم بان ليس فيه ضرر ولا اضرار لا يعارضه في ذلك معارض ولا ينازعه منازع ولا يدافعه مدافع وكتب ما وقع وحرره بالطلب في غرة شهر محرم افتتاح سنة تسعاً وعشرين وماية والف (اواخر كانون الاول سنة ١٧١٦ م)

شهود الحـــال

مولانا الشيخ عبد الرحيم القطب　　مولانا الشيخ مصطفى الانصاري

مولانا الشيخ علي السلح　　علي ابن دبوس　　حسن زيتون

محضر　　محضر

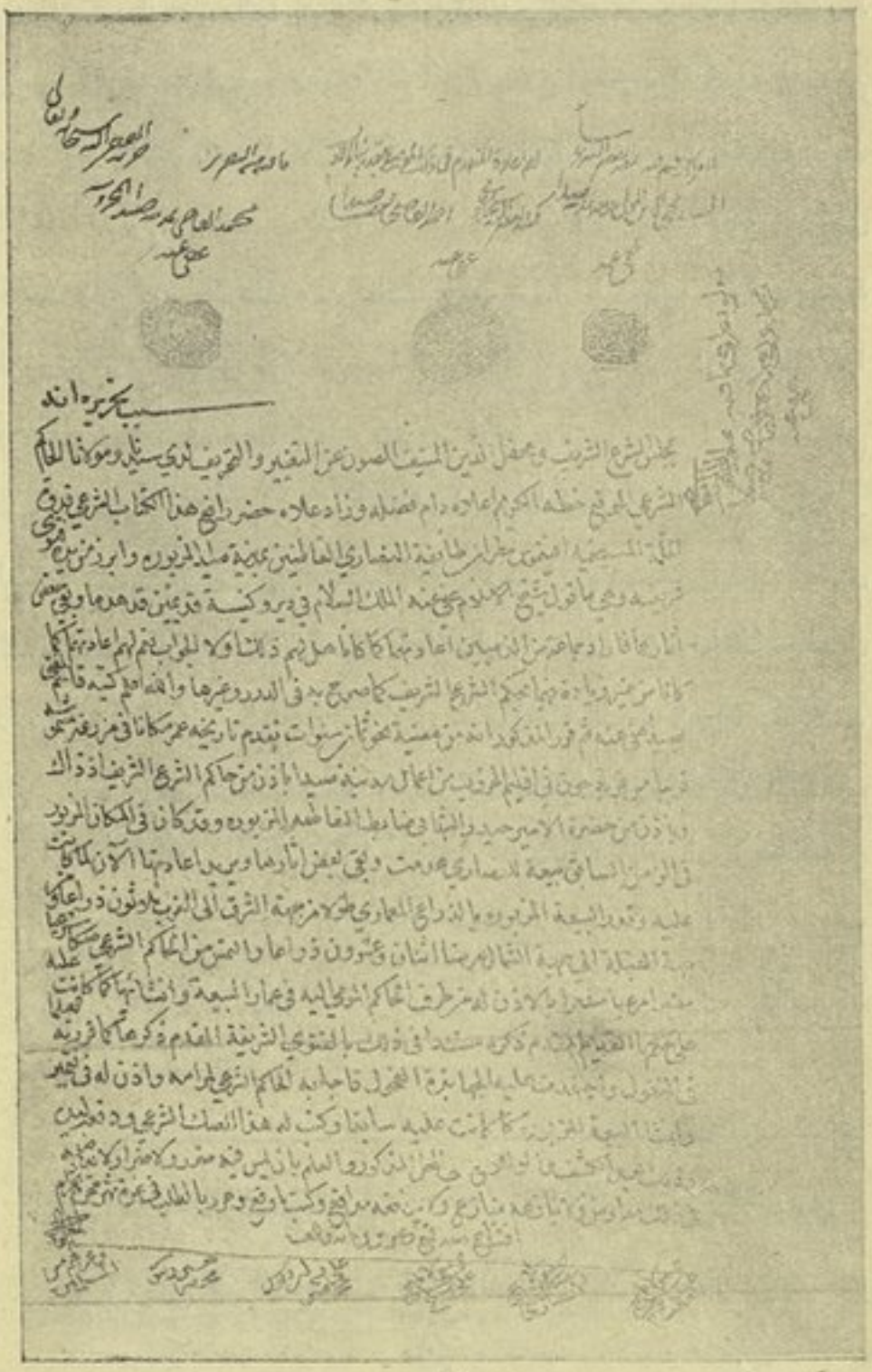

سبب تحريره اند

بمجلس الشرع الشريف ومحفل الدين المنيف المصون عن التغيير والتحريف الذي سيدنا ومولانا الحاكم الشرعي الموفق خطه الكريم اعاده دام فضله وزاد علاه حضر رافع هذا الكتاب الشرعي فذكر ان الملة المسيحية افتتحت طرائق طائفة النصارى العاطفين بعبدة ميلاد المزبوره وابرز من بيع موروثة قريبة وهي ما تقول انتج الاصلاح عيسى عنه الملك السلام في ديروكيسة قديمين قد هدما وبقي بعض آثارها فاراد مجاهرة من الذميين اعادتها كما كانا ما صل بهم ذلك اولا للجواب فلم لهم اعادتها كما كانا من غير زيادة بها حكم الشرع الشريف كما صرح به في الدرر وغيرها وانه اعلم كنيسة قائمة في سيدي عنه ثم قرر المذكور انه من مدة تخمن ثمان سنوات تقدم تاريخه عمر مكانا في مزرعة تحمل قريبا مزبورة جون في اقليم الغربية من اعمال مدينة سيدي باذن من حاكم الشرع الشريف اذ ذاك وباذن من حضرة الامير حسين والبتها في ضابط الفاضلة المزبوره وقد كان في المكان المزبور في الزمن السابق بيعة للنصارى عدمت وبقي بعض آثارها وبي اعادتها الآن لما كانت عليه وتقدم البيعة المزبورة بالذراع المعماري طولا من جهة الشرق الى الغرب بلا ثون ذراعا وعرضا من جهة الشمال الى جهة القبلة الفا عرضا اثنان وعشرون ذراعا والتمس من الحاكم الشرعي مكاتبة عليه في امرها بسفرا ولا اذن له من طرف الحاكم الشرعي اليه في عمارة البيعة واتمامها كما كانت قديما على حكم القديم المتقدم ذكره مستندا في ذلك بالفتوى الشريفة المقدم ذكرها كما قرر به في المقول وانجذب من عليه الجهابذة الفحول فاجابه الحاكم الشرعي لمرامه واذن له في تجديد وعمارة البيعة المزبورة كما كانت عليه سابقا وكتب له هذا الصك الشرعي وقد قرر بين يدي الحكم الشرعي المذكور ان العلم بان ليس فيه ضرر ولا ضرار ولا اعتداء ولا تعد ولا تجاوز في ذلك ولا نزاع ولا منازع وكتب ذلك في ثاني عشر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف

اقتضى ما رقم بخطوره الشريف

ويظهر ان المطران شرع حالاً بعد ذلك بعمار الكنيسة في اوائل سنة ١٧١٧ بهمة وسرعة وما انقضت سنة على ذلك حتى ارتفعت ابواب الكنيسة الثلاثة وحُفر على عتبة الباب الكبير الغربي تاريخ شعريٌّ من نظمه كما نظن لقوله «جددناه» وهو يذكر فيه بالخير الشيخ قبلان قاضي والامير حيدر الشهابي في سنة ١١٣٠ هجرية التي اولها ١٦ كانون الاول سنة ١٧١٧ شرقي . وهذا نصه

لله لالسواه هذا المقام بناه افثيميوس المسيحي نال نيل مناه
على اسم يسوع كلمة رب جل علاه ثلاثين ومايه بعد الالف جددناه
في عدالة امرية حيدر الشهابي وهمة قبلان سليل القاضي

وهذا التاريخ يرى اليوم على عتبة الشباك الذي فوق الباب الكبير الغربي . وربما كانت هذه العتبة سابقاً عتبة باب الكنيسة الاولى السابق ذكرها . وفوق هذه العتبة حجر حُفرت عليه باليونانية الاية المعروفة منذ القديم شعاراً وعلماً للنصرانية ICXC NIKA اي يسوع المسيح غالب وحُفر معها بعض ارقام عربية ورومانية لا تخلو من اشكال في وضعها ورسمها ويستفاد منها فيما نظن ان تاريخ بناء الدير سنة ١٧١١ وتاريخ بناء الكنيسة سنة ١٧٢٠

وحفر على عتبة باب الكنيسة باليونانية ما نصه :

Η ΒΑΣΙΛΕΙΑ ΣΟΥ ΧΡΙΣΤΕ Ο ΘΕΟΣ ΒΑΣΙΛΕΙΑ ΠΑΝΤΩΝ ΤΩΝ ΑΙΩΝΩΝ ΚΑΙ Η ΔΕΣΠΟΤΕΙΑ ΣΟΥ ΕΝ ΠΑΣΗ ΓΕΝΕΑ ΚΑΙ ΓΕΝΕΑ Ο ΣΑΡΚΩΘΕΙΣ ΕΚ ΠΝΕΥΜΑΤΟΣ ΑΓΙΟΥ

وتعريبه : *ملكك ايها المسيح ملك جميع الدهور وسيادتك في كل جيل وجيل يا من تجسد من الروح القدس*

وهذه الكنيسة لم تزل الى اليوم على حالها الاولى في بنيانها طولاً وعرضاً ذات ثلاثة اسواق ولكل سوق باب خاص نظير سائر الكنائس الكبيرة القديمة . والباب الكبير لسوق الوسط الى الغرب يقابل الهيكل الكبير ويقابل حنية الكنيسة من جهة الشرق والباب الثاني الى جهة الشمال لم يزل في مكانه الى اليوم والباب الثالث الى جهة الجنوب او القبلة ليدخل به الرهبان من الدير وكان سابقاً في آخر صف غرف الدير وآخر الممشى الارضي والممشى الذي فوقه بمكان الشباك الذي يرى اليوم في هيكل القديس انطونيوس الكبير[1]

---

(١) قفل هذا الباب باذن الرؤساء الخوري انطونيوس الجمال الثاني بعد سنة ١٧٦٠ كرامة لشفيعه القديس انطونيوس الكبير اذ اقام له مذبحاً جديداً نحت بيده حجارته وصقلها وهي من الحجر السماقي اللماع من مقالع ديرالقمر وجعل الباب الذي يدخل فيه الرهبان قريباً حيث هو اليوم اذ خرق الحائط الجنوبي وقسماً من العضادة التي يعتمد عليها السقف كما لايخفى مما يدل على جسارته وبراعته في صناعة البناء مع شيء من الدقة مع انه كان دخيلاً في هذه الصناعة

ولم يكن بالاصل في هذه الكنيسة من النوافذ سوى الابواب الثلاثة السابق ذكرها والكوى الصغيرة العالية التي ترى فيها الى اليوم . وما سوى ذلك فانه خُرق في جدرانها بعد ذلك في ازمنة مختلفة[1] . وكذلك بناء الايقونسطاس الرخام فيها[2]

---

(١) في عهد رياسة المرحوم الاب بطرس كحيل قام بامره النرتكس الى غرب الكنيسة بعد ان خرقوا الحائط الغربي وجعلوا فيه ثلاث نوافذ كبيرة (شبابيك) لدخول النور الى الكنيسة سنة ١٨٣٣

(٢) قام الايقونسطاس في الخورص بواجهة الهيكل الكبير من الرخام المشكل الالوان في عهد رياسة الاب الهمام مخائيل عراج سنة ١٧٥٩ بنفقة صديقه المرحوم جرجس مشاقة اذ كان كاخية او عمدة الشيخ مشرف بن علي الصغير شيخ مشايخ المتاولة في بلاد بشارة . وقد حُفر على الجهة الشمالية منه « لقد احب جمال بيتك وموضع محلة مجدك المستنير بفضل نعمتك عبدك جرجس مشاقة سنة ١٧٥٩ »

واما واجهة هيكل السيدة وواجهة هيكل مار يوسف فقد كان قيامهما سنة ١٨٥١ في عهد رياسة الاب باسيليوس الصيداوي بنفقة اخ راهب اسمه صفرونيوس (كان خولياً لفلاحة ارزاق الدير) بما كان يحصله من اجرة اعماله بنجارة آلات الفلاحة من الفلاحين اهل القرى المجاورة للدير .

وبنى السكرستيا الشمالية الكبيرة الاب الياس حجار اذ كان رئيساً عاماً سنة ١٨٨٥ لتكون مصلى يقيم فيه الرهبان صلاة الفرض اليومية قبل القداس . واذ لم يستحسن هذا الراي الذين خلفوه في الرياسة اهملوا هذا البناء عاطلاً بلا فائدة الى سنة ١٨٩٩ فطلب الاب المذكور من الرئيس العام الخوري مخائيل المعلوف ان يصلح هذا البناء سكرستيا كبيرة ودفع له نفقة ما يقتضي لذلك امامي وقد تم اصلاحها كما هي الآن بنجورها وخرق حائط الكنيسة الشمالي براي ومشارفة الاب مخائيل البركس رحمهم الله وجازاهم خيراً

الفصل الرابع والثلاثون

في غيرة الطراد واهتمامه بالكنائس

لا ينبغي للقارىء ان يظن ان في هذا العنوان مبالغة بتحدي ما اختص به رسول الامم بولس الرسول . لكن الحقيقة التاريخية لا تدع لنا مجالا للشك في حقيقة ما نقول كما سيتضح ذلك من سياق هذا التاريخ ولاسيما هذا الفصل الذي عقدناه بوجه خاص لبيان هذه الحقيقة بالبينات الشافية التي لا سبيل الى الشك فيها

على ان الغيرة الدينية الخالصة لوجه الله لا تدع الاسقف الصالح يقف عمله واهتمامه ضمن حدود ابرشيته وان كانت القوانين الكنسية لا تبيح له ان يستعمل سلطانه خارجاً عنها لان هذه القوانين ترتبت لحفظ نظام الكنيسة العام من التشويش ولا تمنع الاساقفة من الاهتمام بصالح المؤمنين الذين هم رعية المسيح حبًّا له اينما كانوا . بل ان هذا من خاص واجباتهم الاسقفية كما يتضح الامر من غاية اجتماع المجامع في الكنيسة التي تنعقد بهم دون سواهم للاهتمام بنظام الكنيسة العام وبصالح الابرشيات من رعاة ورعية كلما اقتضته الحال . وكما ان سلطتهم رسولية باصلها ومبداها حسب التقليد الرسولي المقبول في الكنيسة كلها كذلك يجب ان تكون غيرتهم رسولية فعلًا بحق كل رعية المسيح وجميع المؤمنين اينما كانوا

وهذا كان شأن المطران افثيميوس. وهذا غاية قصده بانشاء دير المخلص والرهبانية المخلصية . نعم انه انشأه لاقامة الرهبان فيه لكن غاية قصده بالرهبانية خدمة الكنيسة الكاثوليكية في كل الابرشيات . ولذلك كان يقبل في الدير من اول امره اناساً من كل الابرشيات من الذين يكون ايمانهم نظير ايمانه ونيتهم نظير نيته واعمالهم نظير اعماله لكي فيما بعد تكون اعمالهم الرسولية في ابرشياتهم الخاصة ناجحة تمام النجاح اذ لا يفل الحديد الا الحديد ولا يصلح الرعية الا رعاتها الصالحون . ولذلك كان جل اهتمامه من اول امره بالمطرانية ان ينتخب اساقفة صالحون من تلاميذه او من اصحابه الذين نيتهم نظير نيته وايمانهم نظير ايمانه . ولنا اجل دليل على ذلك رسالة البابا اكلمنضوس الحادي عشر التي كتبها له ذاكراً فيها ما بلغه عنه بهذا الشأن مما استحق لاجله هذا المديح الفائق الذي هو لا محالة شهادة حق وصدق لا مرية فيها ولا مبالغة . وهذا تعريبها عن اصلها اللاتيني[1]

---

(١) نشرنا هذه الرسالة سابقاً في اللمعة التاريخية . بتعريب الاب روفائيل راهبة ولم يزل عندنا هذا التعريب بخط يده . وبعد ما وقفنا على اصلها اللاتيني في سجلات مجمع انتشار الايمان نقلناها واعدنا تعريبها بعناية حضرة اخينا الاب غريغوريوس فرحات ونستغني بهذا التعريب الجديد المدقق عن نشر الاصل بنصه اللاتيني ولا غرو اذا اختلف لفظاً هذا التعريب الجديد عن القديم ولا ريب بان هذا التعريب الجديد افصح عبارة واكثر دقة

البابا اكلمنضوس الحادي عشر

ايها الاخ الموقر سلام بالرب . . .

ان عاطفة المحبة المسيحة وما علينا من الاهتمام بجميع الكنائس يجعلنا لا نفرح في الرب بشيء اكثر مما نفرح عند معرفتنا ان الرؤساء الدينيين مساعدينا في بعض ذلك الاهتمام يقدرون سمو وظيفتهم ويفرغون جهدهم في القيام بها على الوجه اللائق . لذلك اذ انتهت الينا اشياء كثيرة عن تقوى اخوتك المختبرة وغيرتك على مجد الله وخصوصاً عن حميتك الفريدة في سبيل الدين الكاثوليكي حسبنا من الواجب علينا ألّا نتغافل عن التصريح لك بما نالت هذه الاشياء من استحساننا بل ايضاً ان نهنئك بروح ابوي خالص على ما جمعه فيك فادينا من جزيل المواهب العظيمة . ولقد تحققنا في هذا الامر صحة ما قيل من ان صيت الصالحين ينتشر كعرف طيب الى الشعوب القاصية . فان شهرة فضيلتك الكهنوتية لم يمكنها ان تحبس في حدود سورية بل قد بلغت الى الامم البعيدة جداً والينا نحن الذين على بعدنا من تلك الاقطار لم يفصلنا عنك بُعد الامكنة .

وفي الحقيقة انها نعمة من الله كبيرة ان يعرف الاسقف حيثما كان ان يُقدّم على كل شيء خلاص النفوس التي اؤتمن عليها . واما الذي يقيم مع غير المؤمنين وبين نخاخ المشاقين والهراطقة الكثيرة ويدبر ويسوس كنيسته بحيث يحفظها جهد المستطاع من مكايد الذئاب ويحامي عن سلامة الايمان بل يسعى في نموه ونشره فهذا لا بد ان يكون رجلاً مزداناً بفضيلة سامية فريدة . وبناء عليه ان الواجب يقضي علينا بان نوليك — ونحن نوليك — ما يحق لك في الرب من المديح ، لما بلغنا عنك من جميلك في اتمام هذه الاشياء واشياء اخر كثيرة تتعلق بامور كنيستك ، محرضين اخوتك ان تثابر على السعي التقوي الذي بدات به ، وتحقق بثباتك في الفضيلة والغيرة ما قاله الحكيم عن سبيل الصديقين بانه يتقدم ساطعاً

كالنور ويتدرج في ارتقائه الى رابعة النهار ، وان لا تقنع بما لديك من الاستحقاقات بل ان تتقدم ابداً الى ما هو ابعد .

وما بسطته لنا في رسالتك فقد احلناه بحسب العادة على مجمع اخوتنا الموقرين كادلة الكنيسة الرومانية المقدسة المفوض اليه قضايا انتشار الايمان لينظر فيه ومنه يأتيك الجواب الموافق لكل مطالبك . واخيراً نشكرك على هديتك قارورة البلسم التي قبلناها بطيبة النفس وبغاية الرضى كعربون على خضوعك البنوي المخاص لنا . واننا لقاء ذلك نحن مستعدين بل راغبون ان نوليك دلائل محبتنا الابوية وبرهاناً عليها نمنح اخوتك الآن بنتهى الحب البركة الرسولية .

اعطي في رومة قرب الكنيسة المريمية الكبرى في ١٥ تموز سنة ١٧١٣

ويجب علينا ان نضيف الى هذه الرسالة الحبرية السامية رسالة من المطران نفسه كتبها الى مجمع الانتشار جواباً على رسالة وردت منه مع رسالة الحبر الاعظم السابق ذكرها وهي اشبه بتقرير عام يشتمل على بيان احوال جميع ابرشيات البطريركية الانطاكية ومطارنة كل واحد منها . فهي اذاً وثيقة تاريخية شائقة ونادرة . نستدل منها على عظم اهتمامه بهذه الابرشيات وعلى معرفته باحوالها واحوال مطارنتها وتدلنا ايضاً على اهتمامه بطائفة السريان والموارنة كما تدلنا على نفوذ كلمته لدى وزراء الدولة في صيدا . وقد اكتسب هذا المقام العزيز النادر عندهم ليس لنباهته ورصانته وحسن سمعته فقط بل ايضاً لعنايته بهم وبمرضاهم بحكمته وكان يرافق عمله هذا غالباً النجاح والشفاء باذن الله وحسن

توفيقه كما ذكر هذا عنه احد الاباء الفرنسيسكان المعاصرين له وهذا نصها نقلاً عن اصلها المحفوظ في سجلات مجمع انتشار الايمان[1] ما نقلة سيادة مطران صيدا كير نقولاوس نبعه كافاه الله خيراً

ساداتنا الكلي الشرف والنباهة الكردينالية المعظمين زيدت فضائلهم

بعد وصول مشرفتكم التي وردت الينا مع القسيس عبد الاحد السرياني المتضمنة محبتكم واكرامكم لنا بعد ستة سنين من مكتوبكم السابق فكما ان الارض العادمة المطر منذ سنين كثيرة تفرح بورود المطر وتخصب هكذا كان فرحنا الذي بعد ستة سنين ورد الينا مكتوبكم . وكما انكم تفرحوا في تعبنا في كرم المسيح كذلك نحن نفرح في خدمتنا اذا كانت مقبولة من مجمعكم المقدس . اما من جهة ابرشيتنا بنعمة الله نامية مزهرة بحقائق الايمان .

وان سالتم عن ابرشية انطاكية واحوالها فانها ارض صالحة بدها فلاحين نسال رب الكرم ان يرسل فعلة لكرمه . وها نحن نوصف لسيادتكم اساقفتنا فرداً فرداً .

اولاً البطريرك كير كيرلس (الحلبي) فهو رجل عادم العلم لكنه صاحب عقل وتمييز . وكان له بغضة عظيمة للكنيسة (الرومانية) والان هو في الوسط ينتظر المحال لما بطريرك القسطنطينية وبطريرك الاسكندرية يطيعوا هو يطيع .

وبقربه اسقف صيدنايا شامي (جراسيموس) رجل على باب الله . قداسه برطل نبيذ . وما دام النبيذ في قلايته المسيح راضي عليه

وبقربه اسقف معلولا وقارة رجل رومي من جزيرة قبرص هرطوقي لا يعرف من دين المسيح غير معاندة الكنيسة .

وبجانبه اسقف بعلبك فهو قبرصي سالم من الغرض ان اسعده الله في معلم ربما يوافق بكلما نريد

---

(1) Scritture originali, vol, 585 p. 328.

ويليه اسقف حمص عاجز بالدين والدنيا

وبعده اسقف حماه رومي من قبرص قوي بالكفر وبسب الدين للكنيسة ولنا ومن سنتين حضر عندنا في اشغال له فاكرمناه واعطيناه احسان وافر ونصحناه بقدر الامكان . ومنذ ذلك اليوم ابطل المسبات لكنه باقي على كفره

وبقربنا مطران بيروت من اولادها (سلفستروس الدهان) فهذا كان سابقاً يصدق بالكنيسة (الرومانية) ويكرم ويمجد كنيسة الروم ولاجل ذلك اسدينا اليه بعض احسانات وطلبناه الى صيدا فحضر لعندنا مرتين وعرفناه النقص والغلط الذي وقعت فيه كنيسة الروم بعد الانشقاق . ومنذ ذلك الوقت الى الآن صار على الاستقامة ويشهد بدين الله بقلبه وفمه . وربما يوجد في ابرشيته بعض اشخاص كهنة ورهبان وعوام الذين ميلهم الى الحق . وانا الحق بده مجاهرة حتى يتقوى ويرتفع شانه

واما مطران طرابلس (مكاريوس) كان سابقاً شهد لنا بعض رهبان من المرسلين انه كاثوليكي . واما انا عبدكم ما قشعت له علامات الكاثوليكية . وربما يكون اقر بالحق تحت رجاء . . . ولما انقطع الرجاء منكم عاد كالكلب الى قيه . وعنده في مدينته بعض اشخاص اعوام قليل بقولهم (عن نفوسهم انهم) كاثوليك يصدقوا الله ويكرموا البعال

وفي مدينة اللاذقية مطران صاقزلي ارطوقي جاهل بالدين . وبالمرطقة ينبح ويقروش من غير وعي .

وبعده بطرك في حلب (اثناسيوس الدباس) معروف عندكم بانه كاثوليكي ومعروف عندي بانه مساقل (مداهن) . واما اقنومه (الايكونوموس) فهو صاحب معرفة وحافظ طقوس الروم بالكمال ومؤيدها وناصرها . وفي السنة الماضية ألف رسالة ضد رياسة البابا سيدنا فارسلت اجيبها من حلب فاجابوني انه اخفاها .

ورايح من حلب مطران ادنه من اولاد قبرص رجل عتي عدو الله وكنيسته

وبعده مطران ديار بكر كذلك قبرصي

ومطران ارزروم من ايالتها

ومطران القرص من ايالة ارزروم

فهذان المذكوران ما عرفا من دين الله الا مجوم الروم

واما الكرج فقد ارتفعت يد بطاركة انطاكية عنهم منذ زمان طويل من جهل البطاركة وعجزهم وعدم تدبيرهم . بل الاولى ان يقال لما عصيوا وجحدوا الطاعة لراعيهم الحقيقي عصيت رعاياهم عليهم . والان ما بقي لبطاركتنا عليهم غير توزيع الميرون نرسله لهم وهم يرسلوا خدمة (مبلغ من المال) صورة هدية لان الميرون ما يعمله الا البطاركة عند الروم . واما احوال الكرج فتوجع القلب لما نسمعها من فمهم في حال اجتيازهم في صيدا وهم رايحين لزيارة القدس[1] . ولو يكون لي قوة كنت ارسل من عندي رسل لترجيع اولئك الشعوب لدين الله . ومثل ذلك بقربنا اهل بلاد الكرك الذين في طريق الحجاز . وبقربهم بلاد بني كنانة منهم نصارى كثير تحت يد بطركية القدس ولعدم المعلمين صاروا اشر من . . . وحضر لعندي اناس كثيرين منهم ويشتهوا معلم . وكذلك اهل بلاد حوران طلبوا مني معلمين وبلاد كورة طرابلس طلبوا مني اناس معلمين

عبدكم الداعي المطيع

افثيميوس مطران

صور وصيدا

ملحق

انما يدي قصيرة معاومكم لان الرجال تريد كفايتها . نطلب من الله المساعدة .

وان سالتم عن طائفة السريان في حلب وبين النهرين فانهم على حالتهم

---

(١) راجع ما كتبه عنهم البطريرك مكاريوس الحلبي عند زيارته لهم سنة ١٦٩٩ طبع رومة سنة ١٩٠٥

وبغوهم (غيهم) يزيد بسبب انهم يُعضدوا بالارمن عند المسلمين على كل من يقول بالكنيسة المقدسة . وعلى زعمي انه بعيد جذبهم الى الحق بطريق التعليم لانهم عتاة . وانما بطريق القوة اقرب تناول ولاجل ذلك من اربعة سنين الحصرة في قلبي لكي يكون عندي واحد من اساقفة السريان او من قسوسهم الذي يكون له قلب وفهم (قادر) ان يضبط طائفته لكي اسعى في اقامته في كرسيه لان في هذا الزمان ضبط ولاية صيدا ثلثة وزراء مكرمين وهم خليل باشا وعثمان باشا والان يوسف باشا وصار بيننا وبينهم صداقة كلية . فاخراج امر سلطاني الى قسيس نصراني على طائفة من طوائف النصارى شي قوي هين علينا عند احد هؤلاء الوزراء المذكورين بل حمايته دائماً ان اعطانا الله الحياة .

وان سألتم عن طائفة الموارنة فانهم عملوا غلطة عظيمة في الاشاعة التي اشاعوها على بطركهم يعقوب (عواد) حتى ان صار اسم النصارى في بلاد الساحل والشام هزء ومضحكة للمسلمين واليهود والدروز . والحال اننا فتشنا ودققنا واستخبرنا من كهنة ومشايخ الخوازنة واعوام الرعية فوجدنا القضية اشاعة اشاعوها على البطرك المذكور بشهادات ركيكة خاملة قاضي المسلمين لا يثبتها على يهودي لان مضمونها فلان قال لفلان وفلان قال لفلان[1] . وقد صح عندي بعد الفحص انها تعصبات واغراض[2] . ولو فرضنا ان قضيتهم لله وخالية من الغرض كان الاصوب كتمها وسترها ويرسلوا يستشيروا مجمعكم المقدس ويخبروه بحالهم وهو كان يدبرهم برأي الروح القدس . لكن نسأل الله ان يلطف بعباده

باعثين ولدين من عندنا من صيدا صحبة ابنكم وتلميذنا الخوري ساروفيم . فان جاز امركم تقضوا له اشغاله بوجه السرعة لان بقربنا مدينة عكا بعض اشخاص

---

(١) مراده ان هذه الاشاعة مبنية على شهادة فلان عن فلان عن فلان .

(٢) راجع بشأن هذه الدعوى ما جاء عنها في سلسلة بطاركة الموارنة التي نشرها رشيد الشرتوني سنة ١٩٠٢ بصفحة ٤٤ وتاريخ الرهبانية المارونية للاب لويس بليبل صفحة ٨٢ وكتاب صديقة ومحامية صفحة ٢٦٩ .

من اعيانها قبلوا منا تعليم الامانة الحقيقية وطالبين منا الخوري سارافيم يعملوه عندهم مطران لان مطرانهم الارطوقي مات . وهم كتبوا الى مجمع وكلاء (اخوية رهبان) القبر المقدس . فاجابوهم اننا ما نحط في بلادنا مطران هرطوقي ويعنوا الخوري سارافيم . وانا وهم كتبنا الى بطرك القدس الذي هو الان في القسطنطينية . ولا نعرف ماذا يكون الجواب . هذا ما انهيناه لعظمتكم ودمتم بالسعود الى يوم الخلود .

سطر في ١٥ خلت ايلول سنة ١٧١٣

كان المطران افثيميوس بما انه صاحب الكرسي الاول في البطريركية الانطاكية والنائب البطريركي العام فيها عند غياب البطريرك او بعد موته حسب التقليد القديم وبما انه صار النائب الباباوي فيها كما تقدم ايضاح ذلك كان من حقه ومن واجباته ايضاً تقديم البلاغات والاخبار المفصلة عن احوال ابرشيات البطريركية ورعاتها ورعيتهم والاهتمام بامرهم جميعاً . بل كان ذلك عن طلب صريح من مجمع انتشار الايمان اليه بواسطة ابن اخته الخوري ساروفيم طاناس . فلم يكن اذاً هذا البلاغ فضولاً منه ولا تحدياً وخفضاً لشأن بعض المطارنة .

واخص هذه الابرشيات التي اهتم المطران افثيميوس بها وبرعاتها ورعيتها اولاً ابرشية عكا المجاورة لابرشية صور وكان اسقفها قديماً تابعاً لمطران صور . ولسبب الخراب الذي استولى عليها من جرآء حروب الصليبيين فيها وهبها البطريرك الانطاكي اغناطيوس

عطية للبطريرك الاورشليمي في اوائل القرن السابع عشر وبقيت تابعة مدنياً لايالة صيدا . وكان يتبعها حينئذٍ كرسي الناصرة وبلاد الجليل وبلاد صفد وابرشية قيصارية فلسطين التي كان مطرانها قديماً صاحب الكرسي الاول في ابرشيات بطريركية اورشليم وقد اضحت خراباً ولم يكن باقياً منها لذلك العهد الا بعض اثارها كما تقدم الكلام عنها . وكان في مدينة عكا وبعض قراها المجاورة لها قسم صالح من الروم الكاثوليك من الكهنة والشعب وقد جاهروا باتباع الايمان الكاثوليكي بفضل غيرة وتعليم المطران افثيميوس وتلاميذه ثم سعى بانتخاب مطران لها ابن اخته الخوري ساروفيم طاناس لكن لم يتوفق بسعيه وما برح يهتم بامر الروم الكاثوليك الذين في هذه الابرشية نظير اهتمامه بابناء ابرشيته وصار يمضي في اخر حياته « مطران صور وصيدا وعكا » . وقد تحمل في سبيل ذلك خسارة مبلغ من المال دفعه الى وزير صيدا مقابل مساعدته له وحمايته لهم مما اغضب خريسندوس البطريرك الاورشليمي كما سنرى كل هذا مفصلاً في مراسلات اهل عكا ومراسلات المطران افثيميوس .

ثانياً ابرشية بيروت المجاورة لابرشية صيدا وكان كذلك اسقفها قديماً تابعاً لمطران صور وكانت مدينة بيروت لذلك العهد ومعظم ابرشيتها تابعة حكماً وسياسة للامير حيدر شهاب حاكم لبنان . فان المطران افثيميوس سعى ونجح سعيه بانتخاب

مطران لها سلفستروس الدهان من اشرف واقدم الاسر النصرانية في بيروت واقنعه بان يجاهر بالايمان الكاثوليكي والطاعة والخضوع للكرسي الروماني . فامضى المطران المذكور صورة الايمان المنسوبة للبابا اوربانوس الثامن ومهرها بختمه وارسلها الى رومية سنة ١٧٠١ على يد رئيس الاباء الكبوشيين في بيروت . وارسل له المطران افثيميوس من تلاميذه الخوري ابراهيم الطوطو ليكون بخدمته وخدمة ابرشيتة حيث بقي الى ان توفاه الله سنة ١٧٣٠

وقد وجدنا في سجلات مجمع انتشار الايمان رسالة منه بدون تاريخ ننقلها بتمامها فيما يلي :

الحقير في رؤساء الكهنة سلفستروس مطران بيروت وما يليها

الى جناب عظمة الكردينالية المجمع المقدس . . .

وبعده نخبر جنابكم اني انا المطران سلفستروس ابن الدهان يوم تاريخه وكل ايام حياتي مقر ومعترف بالطاعة لسيدنا البابا والمجمع المقدس ونبارك ما تباركه ونلعن ما تلعنه الكنيسة الرومانية وقصدنا بذلك اعلام جلالتكم لكي لا تنسونا من بركتكم وحسن دعاكم لاننا محتاجين الى صلاتكم المقدسة .

سلفستروس

مطران بيروت

كان تسليمنا هذه الامانة المقدسة على يد رئيس الكبوشيين المرسلين الى بيروت . وان شاء الله تعالى لنا بذلك الغفران والمسامحة . ومنا تقبيل اياديكم والدعاء

ثالثاً ابرشية بعلبك فانه سعى بانتخاب مطران لها احد ابناء ابرشيته جبرائيل العورة من صيدا رسمه عليها البطريرك كيرلس الحلبي ولم نعلم عنه غير هذا مما كتبه لنا حضرة صديقنا الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بوجه محقق . ونعلم ان المطران افثيميوس كان يرسل الى بعلبك تلميذه الخوري غفرائيل فينان اذ كان وكيل مطران صيدنايا الذي فيما بعد ارتسم مطراناً على كرسي بانياس باسم باسيليوس كما سيأتي الكلام عليه في محله ان شاء الله

رابعاً ابرشية صيدنايا بجوار دمشق فانه سعى بانتخاب جراسيموس الدمشقي مطراناً لها واقنعه بوجوب مجاهرته بالايمان الكاثوليكي والخضوع للحبر الروماني وارسل اليه لهذا الغرض احد تلاميذه الاب غفرايل فينان السابق ذكره. فأقام في صيدنايا مدة طويلة لديه الى ان توفاه الله وخلفه في كرسيه المطران ناوفيطس نصري الحلبي المشهور بصحة عقيدته بالايمان الكاثوليكي.

خامساً ابرشية دمشق البطريركية وطنه حيث دب وشب وتأدب باداب الكهنوت وتحبب الى كثيرين من رفاقه واترابه الاتقياء النجباء وسعى برسامة البعض منهم كهنة لخدمة النفوس في دمشق واختار البعض منهم ودعاهم الى صيدا وجعلهم من اكليروسه ثم صاروا من اركان دير المخلص ورهبانه الاولين كما انه سعى السعي المجيد لدى البطريرك كيرلس الحلبي وبذل جهده ليقنعه

بصحة الايمان الكاثوليكي وضرورة المجاهرة باتباعه وقد نجح بذلك بعض النجاح كما سيأتي

سادساً ابرشية حوران المجاورة لدمشق وكانت لذلك العهد تابعة لابرشية دمشق وخاضعة راساً للبطريرك ولم يكن لها مطران لسبب ما كان يقع على المسيحيين فيها من غزو العربان لهم. فلم يكن المطران افثيميوس يهملهم من عنايته. بل كان يعظهم ويرشدهم بمراسلاته لهم وارسل لهم عدة نسخ من كتاب الدلالة كما يظهر من رسالة احدهم له

سابعاً اما ابرشية طرابلس فاذ كان لا يشق باخلاص مطرانها مكاريوس الذي ارسل الى رومية صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي كان يراسل الروم الكاثوليك فيها واخصهم بيت نفر وبيت الكركجي وبيت خلاط وغيرهم . وكذلك اذ لم يكن يشق باخلاص البطريرك اثناسيوس الدباس المتولي على ابرشية حلب كان يراسل كثيرين من الروم الكاثوليك فيها

وكان يعنى بامر الجميع بافتقاده لهم بذاته وبوعظه لهم بالكلام الحي اذ كان خطيباً بارعاً ومقداماً هماماً ورجل اسفار لا يخشى على نفسه ما في الاسفار من الاخطار الكثيرة التي نجاه الله منها كما ذكر هذا مراراً في مراسلاته . ثم كان يهتم بهم بواسطة تلاميذه رهبان دير المخلص وبواسطة مراسلاته وكتاب الدلالة اللامعة الذي كان بمقام رسول ينوب عنه لديهم كما يقول في بعض رسائله

﴿ الفصل الخامس والثلاثون ﴾

سندات تاريخية قديمة

لا نجازف فيما نكتب هنا ولا نلقي كلامنا على عواهنه بل يهمنا كثيراً ان يكون القارىء النبيه على بينة واضحة من صدق وصحة ما نذكر في تاريخنا هذا . واذ كان هذا التاريخ من وضعنا الخاص تأليفاً وانشآء لا تصنيفاً من كتب سبقنا الى نشرها علماء التاريخ كان معظم سنداتنا فيه على المراسلات القديمة التي كان المطران يكتبها الى اصحابه وعلى مراسلات اصحابه له وعنه ولاسيما الرسمية منها التي كان يكتبها الى الحبر الروماني والى مجمع انتشار الايمان والتي كانوا يكتبونها اليه . ولا ينبغي ان نعيد كلامنا السابق فيما يخص صدق وصحة مضمون هذه المراسلات الرسمية التي هي اوثق واصح بينة تاريخية . وقد احببنا نشر البعض منها هنا ايضاحاً وتقريراً لمضمون الفصل السابق وما قبله وآثرنا ان ننشر كل رسالة منها بتمامها لتظهر لنا بثوبها وشكلها القديم الشائق كانها طرفة مستطرفة بما تضمنت من الاخبار الصادقة عن حوادث تلك الايام ببساطة اسلوب كتابتها اسلوب انشآء كتاب ذلك العهد وهي اولاً رسالة من المطران افثيميوس الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر . وما نحذفه منها نضع بدله نقطاً للدلالة على ان ليس في ذكره افادة تاريخية .

قدس قداسة الكلي الغبطة سيدي اكليمنضوس بابا رومية وكافة المسكونة طال بقاه امين

كتبنا لقدسكم وللمجمع المقدس سابقاً مكاتيب صحبة ابن اختنا الخوري سارافيم في ١٢ ايلول سنة ١٧١٣ ان شاءالله تكونوا وقفتم عليها بخير . والان نكتب لسيادتكم بهذه القضية التي واجب علي ان اخبر ابوتكم بها . واظن ان واجب عليك الاعتناء بها حيث انك راعي وجميع المؤمنين اغنامك . ومعلوم سيادتكم يا سيدي بان طائفة الروم كانت الابن البكر للكنيسة الرومانية المقدسة وقد انطغت في ضلالة فوتيوس . ومنذ ذلك الزمن الى الان هي متهودة مع رؤساء القسطنطينية وهم سكروا واسكروا باقي الكراسي وما صحيوا . والان في زمانك بنعمة الله علينا اشرق نور الامانة الصادقة في ابرشية صور وصيدا . ومنها عمالين البعض من كراسي الابرشيات في ديار العرب يستنيروا بواسطة مجاهرة ابنكم وعبدكم . بل رميت ذاتي في المخاطرات لكي تصطلح هذه الطائفة وينتشر فيها الايمان الحقيقي لاني لما انظر واحداً منهم دخل في الامانة افرح كثيراً وهذا عندي افضل من كنوز العالم

والان حضرة الرئيس عبد الله (قرعلي) رئيس رهبان الموارنة كلما التقى بواحد من الكاثوليكيين يسرق عقله في الكلام ويدخله عنده في رهبنته وبين ملته وتبقى ملة الروم خالية من الكاثوليكيين . ونحن قصدنا نشر الامانة في وسط الطائفة لتكون الحجة عليها منها وفيها . لان الذين هم من جنسهم اكثر جرأة عليهم من الغريب . وهو مراده يشرف رهبنته بما ياخذه من حصاد غيره ولو صار ضرر على غير طائفته ما عنده هم . ونحن مرادنا بان يوجد بين الروم رجال من زرع كنيسة الله وهو قصده ان لا يوجد قمح في هذه الارض المزونة (ذات الزوان) ولاجل ذلك نحن كتبنا له مكتوب بهذا الخصوص وارسلناه مع كاهن من عندنا فارسل لنا جواب لفلفة لسان . وقال لما المجمع المقدس يأمرني بترجيع هؤلاء الذين

عندي انا اعطي الجواب . وصورة مكتوبنا واصلة لقدسكم . فان لاق على خاطركم تعملوا غيرة ابوية تليق بدرجتكم التي تقلدتموها من المسيح . لان ما لنا قصد الا ان يوجد بين الطائفة ازهار تشهد رائحتها بصحة دين الله ويشهدوا على اباتهم انهم ماتوا على الكفر والضلال . وحضرتكم ان ما فهمتم قولنا على ما هو فان الخسارة راجعة عليكم وانا يكفاني من اجل ذمتي اعلام سيادتكم لاني ما تكلمت الا عن اطلاع وتجربة من الحوادث التي وقعت لنا في هذه الامور . واذا كتبناها لقداستكم يطول الشرح . لهذا السبب كتبنا نخبر سيادتكم بهذه القضية لكي تردوا لنا الجواب كما يقتضي رأيكم لان ليس لنا قصد ولا رضى بمعونة الله تعالى ان نخرج عن تدبيركم . لان هذا الشي . مصور في عقلي من عشر سنين انه لازم وضروري ان نكتب لكم لكي تجتهدوا معنا في اقامة كهنة واساقفة (كاثوليكيين) في وسط ملة الروم . وهذا الطريق اقرب واسهل لخلاص كل الطوائف الاراطقة من الضلال . ولاجل ذلك كتبنا لكم في المكتوب السابق مع ابن اختنا ان مرادنا نقيمه في كرسي عكا . وبهذا الخصوص كتبنا الى حضرة البطريرك الاورشليمي نستمنه بذلك . والان ورد الينا خبر بان مجمع مشايخ رهبان القدس كتبوا مكاتيب مرتين وارسلوها مع سعاة الى بطركهم في اسطنبول يحرصونه بان لا ينخدع ولا يعطي قول في اقامة ابن اختنا سارافيم في كرسي عكا . ونحن بمعونة الله ممكن ان نقيمه في كرسي عكا رغماً عن انفهم وانف بطركهم . وانما يصير فيها تعصبات من اولاد القسطنطينية ضدنا ويستعينوا علينا بالترك . لكن لا باس لان ابرشية عكا واسعة والنصارى فيها كثيرين تحرز التعب . لكن لا نعرف كيف رأيكم . المراد تمدونا بمشورتكم

وايضاً نخبركم بقصدنا ونيتنا ان اعطانا الله الحياة وساعد نيتنا وقصدنا بان كلما فرغ كرسي من كراسي الابرشية الانطاكية نقيم فيه واحداً من تلاميذنا اسقفاً لان عندنا بنعمة الله تعالى (نية) ان نتممها على احسن حال . انما بدها

تدبير مع شجاعة وسخا لان ياسيدي محبي الفضة لا يكمل الله شغله بيدهم كما يفيد قدسكم . لكن نسال الله المساعدة .

ونخبركم عن قضية الموارنة دوخوا رأسي في الشكايات وهم قسمين كل منهم يدعي الحق لنفسه وانا اقنعتهم باللسان والمكاتيب بان هذا الشيء متعلق برأي المجمع المقدس الذي هو ملهم من الروح القدس . فالذي مثلي يده فارغة (من السلطة) في هذه الامور . واوريتهم فضيلة الطاعة لكرسيكم الرسولي وتفويض الامر له . وانما مقصودنا في هذا الخبر نعرف قدسكم بانه لاح لنا ان صار تاديب الى الذين اقاموا هذه الفتنة وانشأوها فان تاديبهم واجب لكي يرتدع الباقي ويصير شوية خوف للمقاومين نصحكم الرسولي

وايضاً ياسيدي نحن نعرف ان اشغالكم كثيرة متعلقة في ملوك وممالك . وانما انا شغلي نادر وقوعه وسهل المراد ولا يحرز عطلة . المرجو من فضلكم ان تمنوا علينا بارسال جواب مكاتيبنا سرعة لكي نقتدي برأيكم السديد بعد تقبيل اقدامكم ثانياً وثالثاً

ابنكم وعبدكم المطيع افثيميوس
مطران صور وصيدا

ثانياً جواب المطران على رسالة البابا السابق ذكرها

جناب حضرة سيدي الكلي الطوبى اكليمنضوس بابا رومية وكل المسكونة

... فالذي نبديه بين ايادیكم هو انه وصلنا مشرفتكم المحتوية بركاتكم خصوصاً ان اتعابنا صارت مقبولة عندكم وعند مجمعكم المقدس . فليس شيء يفرحني في العالم اكثر من هذا . ولاجل ذلك اقدم الشكر لسيدي يسوع المسيح الذي انعم على حقارتي في رضاكم ورضى مجمعكم علينا . وانا صدقت ان جميع ما اوصيتني في مكتوبك هو من فم المسيح .

وبموجب قولك بنعمة الله في هذه السنة اثنا عشر عيلة قبلت الايمان الحقيقي في عكا وثلاثة كهنة من القرايا اللائذة في المدينة . واما الشكوك فقد دخلت على نصارى البلاد (في) البر والمدينة وصاروا قسمين قسم معنا وقسم علينا . والحال ان القسم الذي معنا ما قشعونا ولنا على السمع باخبار تعليمنا

وفي مدينة دمشق بنعمة الله قسم اولادنا الكاثوليكيين تقوى على قسم المشاقين (بالكثرة) وبمجاهرة القول . وقد اجتهدنا جهد كلي باقامة مطران كاثوليكي على كرسي صيدنايا التي هي بقرب دمشق لان مطرانها توفي في هذه السنة والمشاقين اجتهدوا كثيراً ان يقيموا واحداً مثلهم . فالله تعالى ساعدنا في ازالته عن الكرسي المذكور . وايضاً ادخلنا اربعة كاثوليكيين في درجة الكهنوت في كنيسة البطريركية التي في دمشق . نسأل الله تعالى ببركة دعاكم ورضاكم ان يساعدنا على اقامة غيرهم من اساقفة وكهنة لاني لا اصدق اننا نقدر ان نكسب الطائفة ونردها الى دين الله الا باقامة كهنة ورؤساء كهنة منهم وفيهم . . .

وانا يا سيدي من حين فقت على حالي وانا عارف بالايمان الكاثوليكي الذي طول زماني في مجاهدة لاجل اقامته وهدم راي المشاقين . ومن حين دخلت في درجة المطرانية للان مدة ثلاثة وثلاثين سنة ما اعطيت حساب وكالتي لاني كنت اخاف لفظ الافتخار . لكن لما اخبرني ابن اختي الخوري سارافيم بان قداستكم طلبتم منه ان اعطي حساب وكالتي عن الانفس التي قبلت كرزي وتعليمي في الايمان الكاثوليكي من كل الطوائف الشرقية . نخبر ابوتكم من الروم (اليونان) والملكية والارمن والسريان والقبط والحبش وواحد من المسلمين ومن اليهود جملة نفوس ينوف (مجموعهم) عن خمسة وعشرون الف نفس لان بلدنا اسكلة بلاد الروم والعرب وهي طريق دمشق ومصر وطريق مكة والقدس . وهذا الخبر كنت اشتهي ان يموت معي . ولكن طاعة لامركم بذلك .

ومع هذا يا سيدي اني ربيت سبعة رجال في هذا الزمان على خرجي لكي يعملوا في دين الله مثلي وبنعمة الله غيرتهم على نيتي ونيتكم وهم مختصين

بالكرز والتعليم وكل واحد منهم بمقام عشر رسل (مرسلين) بسبب اللسان والطائفة . وتعليمهم سالك ومقبول اكثر من تعليم المرسلين لان اسم الافرنج مكروه قوي عند المشاقين . ولو كان لي قوة مصروف على تربية عشرة اخر لكنت اجمع وأربي . لكن ليس لي معين سوى يسوع وحده الذي ينظر غيرتي وشوقي . وكنت سابقاً اوصيت ابن اختي لكي يخبر المجمع على مساعدة لاجل مصروف هؤلاء السبعة لان عندي غيرهم اكثر منهم . وانما هؤلاء السبعة مختصين بالتعليم فحضرة المجمع اعطى جواب قال حتى نفتكر . وانا اعرف ياسيدي ان كل هذا الشي من المجمع يصير خير عظيم ويصير لنا قوة على اقامة غيرهم . ومن حيث ان الايمان الكاثوليكي انتشر في هذه البلاد بين ملة الملكية نريد ان يتكاثر في زمانك . بعد تقدمة الطاعة نقبل اقدام قداستكم .

الحقير عبد قداستكم

سطر في ٢٦ ايار سنة ١٧١٤ افثيميوس مطران صور وصيدا

ابن البيعة الرومانية

ثالثاً رسالة من المطران الى مجمع انتشار الايمان

جناب حضرة ساداتنا اعمدة كنيسة المسيح الكردينالية المحترمين زيدت فضائلهم :

. . . الذي نبديه بين ايادي سيادتكم ان وردت الينا مشرفتكم المسطرة في ١٥ تموز وفهمنا منها جميع ما ذكرتموه لنا اولاً انكم حمدتم ما فعلناه في كرم المسيح . فنحن يا سيادنا نعرف حالنا اننا عبيد بطالين وليس عملنا (الا) ما يجب علينا لانه لو امكننا ان نعطي جسدنا ليحرق من اجل المسيح يعترينا دائماً الخوف من كلام ربنا القائل في انجيله اعطي جواب (حساب) وكالتك فلاجل ذلك صار مني ذلك على قدر قوتي لاقامة دين المسيح وشرف الايمان الكاثوليكي لكون يا سادتي مديحكم فينا قدام حضرة سيدنا الاعظم ما

صدر الا من لطافتكم الحميدة والفاظكم الانيسة كما قال ربنا من الكنز الصالح يخرج الصلاح . ونحن على ذلك نطلب من سيدنا يسوع المسيح ان يديم لنا بقاكم ويرفع شانكم وتكون مجازاتكم عنا الحياة الابدية . وما امرتمونا نحن مجتهدين على حفظه حسب وصية الله لاننا ملزومين ان نتعب في هذه الكرمة التي تسلمناها من المسيح الى آخر حياتنا

ثم نوضح لكم اننا اقمنا سبعة مساعدين معنا لان قال المثل ما يقطع الشجرة الا فرع منها . وهؤلاء الكهنة هم خايفين الله ذوي غيرة كلية في انتشار الايمان خصوصاً انهم من اولاد البلاد وعارفين في الذمة (علم اللاهوت) واولاد اللسان . ومن خصوصهم نشكر الله عمال ينتج خير عظيم عند الجميع بسبب انهم اولاد الطائفة

واما ما ذكرتموه لنا لسبب رفع ضرر القرصان عن الكاثوليك فهذا فرحنا قوي كثير . وكثيرين من المشاقين تميل قلوبهم الى قبول الايمان الكاثوليكي لكن يصير لي حزن عظيم لما انظر مسيحياً كاثولكياً رجع الى كفره القديم وزاد على ما كان بسبب تشليحه من القرصان الذي يكون افنيت حالي ومالي من شانه لكي ارده الى طريق الايمان . لكن نشكر الله بسبب شفاعتكم عند حضرة الكران دوقا (Gran Duca de Toscana) وحضرة الكران مايسترو (Grand maestro di Malta) ما عاد ضاع لي شي ولا نفس . بل زاد مكسبي . وشهادتي في الكاثوليكيين صارت مقبولة عند القرصان[1]

وايضاً اخبرتمونا عن الذي لنا في ذمة وكلاء بيت الرحمة الذي في نابولي وعن اجتهادكم الكثير في تحصيل حقنا منهم وعن جواباتهم بان الزمان ضيق بسبب

---

(١) كان معظم قرصان المسلمين لذلك العهد من اهل الجزائر يهاجمون السفن والبلاد البحرية الخاصة بالافرنج . ومعظم قرصان الافرنج من الايطاليان وخاصة من اهل بيزا ولفيورنو الخاضعين لامير توسكانا ومن قرصان مالطة الذين كانوا يخضعون في كل شيء لرئيسهم . فكانوا يهاجمون وينهبون السفن والبلاد الاسلامية ولو كان اصحابها نصارى

كثرة الحروب ما يحسنوا يقيموا في حالهم فكيف يمكنهم وفاء ذمتهم . فليكونوا طيبين ونحن ولو كنا متضايقين اكثر منهم في بلاد الاسلام نصبر خصوصاً لاننا نصدق ان المسيحي لا يغدر بمسيحي ونحن نعرف انهم مسيحيين ولا يمكن ان يغدروا فينا وفي كنيستنا القائمة في هـذا الاوسبيطال (hospitale) الذي هو مصيدة الى خـلاص النفوس الضالة . فنحن نشكر فضلكم وجميلكم ثم تعبكم قدام حقارتنا ولو ماطاوا في حقنا وانتم لا تموتوه بل تخلصوه لنا من غير تكليف لاننا نعرف غيرتكم على اولاد الكنيسة ...

ثم شرفتمونا في بعض الآت مقدسة الى كنيستنا وهم اربع كلسات وصواني والثمن عنهم خمسة وعشرون سكوت (scudi) الله يفيض عليكم من كنوز انعامه :

وايضاً نشكر فضلكم لسبب الاكرام الذي اسديتموه الى ابن اختنا الذي هو ابنكم وتلميذكم وفادي حاله لتكميل ارادتكم . ايضاً اوصلتم ليده خمسين قرش من حسنة سيدنا البابا لكي نوزعها على الكهنة ليقدسوا على نيته فنحن عملنا حسب مرسومكم خمسماية قداس وزود عشرة وقد كمل تقديسهم قبل تاريخه باربعين يوماً

ثم اخبرتمونا عما وهبنا سيدنا البابا في بلاد اسبانيا وهي سماية سكوت وصل من باطنها خمسين سكوت ليد الخوري سارافيم ابن اختنا وهو عملها خرجية طريقه لما كان متوجه (راجع) الى عندنا : والان نصدق ان حان زمان وفاء ماية سكوت ان جاز امركم تدفعوها الى الكوميساريو متاع القدس[1] وهو يرسلها الى وكيلهم الذي عندنا في صيدا لكي يدفعها ليدنا

واما من جهة الرئيس عبدالله الماروني ما صار منه نتيجة ولا قبل امركم في رد اولادنا وابناء ملتنا الذين غير طقسهم وادخلهم في رهبنته . بل اعطى جواب الى كورديان القدس بالكذب بقوله ان الرهبان ما بقي لهم خاطر يطلعوا من

---

(١) Commessario وكيل رهبان مار فرنسيس المحافظين للاراضي المقدسة

عنده . وان أزمهم المجمع يخرجوا عن الدين الكاثوليكي وعن الرهبنة وعن الكهنوت . وباعث يشتكي علينا بانهم خارج عن ابرشيتنا . فهذا كذب ومكر . اليسوا هم من ابرشية الكرسي الانطاكي . فانا لي (حق) التفتيش على كل طائفة الملكية في ابرشية انطاكية خصوصاً لانهم كاثوليك . وانا كل جهدي لكي يتسع الايمان الكاثوليكي في ملتي وابناء جنسي ولا اريد ان يغيروا طقوسهم حتى لا يصير سجس في الطائفة لان هذا الرئيس عبد الله فات الحدود والقوانين حتى شماس انجيلي من رتبة الروم صيّره قسيساً من رتبة الموارنة[1]

ثم ذكر في جملة كذبه اننا عيّنا عليه قبجي من طرف المسلمين . فيا سادتي هذا القول لا تصدقوه لانه كذب محض . فانا لو اني استعين بالمسلمين ما كنت التجيت الى مجمعكم المقدس . بل كنت خلصتهم باليد القاهرة . وبنعمة الله كلمتنا مسموعة عند الدولة مهما اردنا نكمله . لكن هذه الحكايات ذمتي ما تقبلها بسبب اني ابن الكنيسة واخاف على ذمتي . وما اردت ان التجي الا الى

---

(١) الروم الكاثوليك الذين دخلوا في الرهبانية المارونية ثبتوا فيها الى النفس الاخير من حياتهم كما يتضح ذلك من تاريخ الرهبانية للاب لويس بلبل وهذا جدول اسمائهم مقتولاً عنه صفحة ٤٧١ من الجدول الاول

١ اولهم واشهرهم الاب موسى هيلانة الشامي ترقى في الرهبانية حتى صار مدبر اول ثم نائباً للرياسة العامة عدة سنين

٢ بولس يونان الحلبي كان شماساً انجيلياً على طقس الروم قبل دخوله في الرهبانية المارونية .

٣ مارون الحداد الجبيلي وقد قيل فيه قول فكاهي مشهور على لسان اهله :
« مَوْرَنَة مَوْرَنْتُوه ورَهْبَنَة رَهْبَنْتُوه ومارون سَمَّيْتُوه »

٤ نقولا الشامي

٢ نقولا مسدية الشامي

٦ دانيال الشامي

٧ اغناطيوس الحلبي

٨ مخايل الحلبي

٩ يوحنا الرشماوي من قرية رشميا

الله واليكم لانه معلوم من سيادتكم لا يجوز لاحد ان يغيّر طقسه ويتبع غيره وانا لا اعتب عليه اذا قذف في حقي بالباطل لان اخباره مصرحة عندكم في دعوى البطرك مار يعقوب (عواد) وكيف شهد عليه تلك الشهادات الزور واراد ان يثبت عليه العار والفضيحة ولم يزل مصراً على عناده . ولكن بالهام الروح القدس الذي يدبر دائماً مجمعكم فندت رأيه الخبيث الباطل واثبت الحق . ونحن الان نستثني جواب حضرتكم لاننا لا يمكن ان نعدي عن ابناء جنسنا وطائفتنا ولا قصدنا بذلك الا اقامة دين الله وهو مراده ينزل (يذل) طائفة الملكية ويقسمها كما قسم طائفة الموارنة وجعلها قسمين . المرجو من سيادتكم ان تحكموا بيننا وبينه . والان بنعمة المسيح طائفة الملكية ننظرها تنمو بالايمان كالازهار في هذا الزمان . ولا يجوز ان هذا الرجل من شان اقامة رهبنته يعطل على طائفة بهذا المقدار متسعة في هذه البلاد .

ثم انكم طلبتم منا حتى نفهمكم عن المرسلين الذين يعوّجون طرق الرب ويضادوا كلامنا وتعليمنا فهم اليسوعية والكبوشية الذين لاجل سلوك حالهم مع الروم يساقلونهم (يداهنونهم) بقولهم لهم عوائدكم وطقوسكم كلها مقدسة وكنيستكم وكنيسة رومية واحدة . وكل شيء يقوله مطران صيدا ما معه فيه حق .

فماذا تقولون يا سادتي في كلام مثل هذا ؟ اليس هو باطل ؟ لان معلومكم بعد الانشقاق دخل كنيسة الروم عوارض كثيرة التي الى الان مستندين عليها كانها من الله ومن القديسين . ولاجل ذلك هم متعلقين فيها كانها ذات الخلاص والمرسلون حفظهم الله يصادقوا على هذا الرأي . كما شهدوا لنا في كتاباتهم لبعض كاتوليك حلب وطرابلس وغيرهم .

وان سألتم يا سادتي ما هي العوارض التي دخلت على كنيسة الروم ونحن شلناها فهي هذه نوضحها بين اياديكم :

انه اذا رجل تزوج امرأة وماتت وتزوج ثانية وماتت الى الثالثة . فاذا اراد

يتزوج الرابعة يرمروه لانهم يقولوا الزيجة الرابعة هي زنى ما هي زيجة . ونحن ننظرها في ناموس الله زيجة كاملة حلالاً مثل الاولى والثانية والثالثة . لكن الروم لقلة فهمهم في العلوم وجهلهم في لغة الروم (اليونانية)صاروا يعملوا الحلال حرام والحرام حلال . ولعدم معرفتهم ايضاً ياومونا لما نجوز (نجيز) زواج بعض قرائب للقرابات على خمس ست وجوه ويصدقهم المرسلين . وانا لا احلل زيجة مثل هذه الا من الناموس (بوجبه).

وايضاً يحرموا أكل السمك في الاصوام بقولهم ان الله والكنيسة حرمته . وكل من يأكل السمك في هذه الايام فهو من الهالكين مثل يوضاس . وشعبوا (افسدوا) عقول الغشم في هذا الكلام وما بقي لهم دين ولا ديانة غير كلوا ولا تاكلوا . هذا كزهم وتعليمهم كله .

وايضاً نظرنا غلط عظيم في كنيسة الروم وهو انه بعد لفظ الكلام الجوهري يستعملوا لفظة واصنع هذا الخبز جسد مسيحك واصنع هذا الكاس دم مسيحك ويستندوا على هذا الكلام بان تصير الاستحالة من الخبز الى جسد المسيح والخمر الى دم المسيح . وكلام المسيح السابق « خذوا كلوا هذا هو جسدي واشربوا هذا هو دمي» فهو صورة خبر فقط لا يصير فيه استحالة . وانا لاجل هذا الشك العظيم رفعت لفظة واصنع من ابرشيتي لاني لا اصدق ان تصير استحالة الخبز والخمر الا بكلام المسيح خذوا كلوا وما يتلوه . واما كلمة واصنع فهذه محدثة الان في كنيسة الروم بعد الانشقاق ومعتقدين ومعتمدين عليها انها (تحيل) جوهر الخبز والخمر . وانا ما نظرتها في كتاب من كتب الروم القديمة الا بخلاف ذلك . اعني هذا الخبز جسد مسيحك وما في الكاس دم مسيحك . ومن هنا بان لنا حقيقة الامر في الكلام السابق هو بكلام المسيح يكتمل الخبز والخمر ويصير جسد المسيح ودمه . هذه ماسكينها علينا غلط وهم الغلطانين . وما احد من جميع الطوائف يوافقهم على هذا الرأي الفاسد .

وايضاً في آخر القداس يستعملوا ماء مسخناً ويضعوه على الكاس بظنهم انه

في تلك الساعة يحل الروح القدس على القربان بواسطة الماء المسخن . والشاهد على ذلك انهم يستعملون هذه الالفاظ « قد استوعب حرارة الامانة بروح القدس » وايضاً هذه ما نظرتها في الكتب القديمة عربي وروسي . وجميع الطوائف المشارقة يضحكوا علينا .

ايضاً يعيرونا لما يخدم معنا الكهنة في وقت التقريب (المناولة) نناولهم القربان في افواههم لاني انا استعمل هذه العادة في كنيستي بخلاف ما يعمل المشاقون لانهم يناولونهم القربان في ايديهم .

وايضاً لاننا اعطينا اجازة الى كهنتنا بان يقدسوا قداسين وثلاثة على مذبح واحد الكاهن بعد الاخر لقلة المذابح في بلادنا ورغبة الكهنة في التقديس .

هذه القضايا التي ذكرناها لسيادتكم ماسكينها علينا غلط ويقولوا عنا هدم بنيان طقوس كنيسة الروم . وهذا نص مكاتيب الكاثوليكيين عندي تشهد (على ذلك) بقولهم لي لو ان المرسلين يصادقوك على هذا القول لكنا تبعنا رأيك وما كان لنا قوة توجب الحق عليك ولا انت اخبر من المرسلين . فان كان يا سادتي تنظروا في هذه القضايا التي نحن ماسكينها اشياء مضادة للحق اخبروني حتى اصادقهم (اوافقهم) . وهذه الشكاوة التي تكلمنا بها على المرسلين انا ما سمعتها باذني . وانما من شكاوات الناس في المكاتيب المحفوظة عندي .

وما كتبت هذه الاشياء لسيادتكم حتى تقاصوهم حاشا . وانما قصدي تامروا رؤساهم يوصوهم ليمشوا بالمحبة والوقار .

اخيراً مرادنا في تكميل وعدكم الغير كاذب من جهة العلوفة السنوية التي تضرعنا الى حنوكم من اجلها بواسطة ابن اختنا الخوري ساروفيم وحضرتكم اعطيتمونا جواب وعد بحينه فان رسمتم يكون في هذا الزمان لان لا نعرف ماذا بقي لنا من العمر . والنظام الذي ابتدينا فيه نشتهي تكميله في حياتنا قبل الموت لاننا بقينا (صرنا) في سن الشيخوخة . وانا بنعمة الله لا ينقضي من

احتياجاتي شيء . وانما ذلك لاجل الكهنة الذين اقتناهم لاجل الكرز والانذار لكي يصير لله شعب مقدس في بلاد الشرق . ثم نوبوا عنا بتقديم الطاعة والخضوع الى سيدنا البابا اكليمنضوس صاحب الكرسي الرسولي بعد تقبيل ايادیكم الكرام بكل وقار واحترام والدعا

الحقير عبدكم افثيميوس
مطران صور وصيدا
ابن البيعة الرومانية

سطر في ٢٦ ايار سنة ١٧١٤

ولا يسعنا المقام في هذا الفصل — وقد طال كثيراً — ان نعلق على ما ورد في هذه الرسالة من الاخبار وقضايا الخلاف التي تحتاج الى زيادة ايضاح . لكن ندع ذلك الى وقت آخر اكثر مناسبة لسياق التاريخ .

﴿ الفصل السادس والثلاثون ﴾

في مقدمات واسباب انحاد البطريرك كيرلس

تقدم الكلام ان البطريرك كيرلس الحلبي كان لذلك العهد غير كاثوليكي بايمانه . بل كان يضطهد الكاثوليكيين من الروم بخلاف ما كان عليه البطريرك اثناسيوس الدباس . فان هذا كان يجاهر بلسانه وقلمه بانه كاثوليكي بايمانه وانه خاضع للحبر الروماني تمام الخضوع كما توجب ذلك الكنيسة الكاثوليكية الرومانية على جميع اولادها . الا انه كان يالاسف غير مخلص بكلامه او غير ثابت في ايمانه هذا ولذلك ينبغي لنا ان نورد هنا رسالة كتبها الى

الحبر الاعظم البابا اكليمنضوس الحادي عشر وارسلها لهصحبة الاب جبرائل حوّا الراهب الحلبي الماروني . نوردها بتمامها شاهداً على اقراره الصريح من ذات نفسه فيما يخص رياسة الحبر الروماني السامية العامة على كل الكنيسة حسبما اوحاه اليه وجدانه كما يوجبه تعليم كنيسة الروم طبقاً لتعليم كنيسة رومية الكاثوليكية ولا نبالي اذا كان قد انقلب المذكور بعد ذلك الى خلافه فان انقلابه يعود عليه وتبقى حقائق الايمان الكاثوليكي حقائق راهنة ابداً

الى جناب حضرة اب الاباء الكرام وراعي الرعاة العظام السيد البابا كيريوس اقليموس الحادي عشر الاب الاقدس المطوب بابا رومية العظمى وسائر المسكونة شمس الانام وهدى العالم ورئيس الرؤساء المتورعين نائب السيد المسيح بتمام سلطانه وخليفة القديس بطرس الرسول بكمال درجته المعصوم من كل غلط وطغيان بقوة موهبة الرئاسة باتقان . منبع جميع المراتب الكهنوتية ومصدرها . ركن الايمان المستقيم والطرايق الحميدة . صاحب الكرسي الرسولي اسمى الكراسي ومرشدها . ووالي الكنيسة الرومانية ام البيع ومهذبتها . فخرنا وتاج رأسنا معلمنا وسيدنا دامت لنا ولكافة المسيحيين رئاسته وأحسن الاله علينا أجمع بانعام التوفيق بصلاح قداسته آمين .

وبعده انا الحقير في بطاركة انطاكية المطيع لقدسكم بكلما يجب في غاية الاشتياق الى تقبيل تلك الايادي المقدسات الحاوية بركة الارض والسماوات . والى التمتع بتلك الطلعة البهية المتضمنة جميع حقائق السلطة الكنائسية لكنني بعيد عن مثل هذه السعادة الروحانية حيث اني بعيد ايضاً بالجسد عن نوال هذه النعم الالهية ، لكنني واثق بذلك بمقتضى النية بالتماس بركة قداستكم ولو انه بعد حين لان قبل هذا الحين اذ لم يحصل لنا استطاعة لنتوسل لطوبانيتكم ونكتب

ونطلب هذا الخير العظيم عندنا بسبب قلة من نعتمد عليه بايصال مكتوبنا وتبليغ نيتنا لجناب قدسكم السامي فحصلت لنا الصدفة عن ذلك هذه المدة المديدة . ولكن سر الاله ونظر الى نيتنا فوفق حضور قاصد ابوتكم الكلية الغبطة محبنا وصديقنا القديم العزيز القس جبرائيل (حوا) الحلبي الماروني ، رئيس رهبان مار انطونيوس الكبير فابتهج قلبي برؤيته واستنشقت رائحة نسيم قداستكم بواسطته واجتمعت به مسروراً واطلعته على سريرتي ونيتي ليكشف ذلك بالتفصيل لقدسكم المغبوط . ويلتمس لنا من ابوتكم البركة والغفران مع الدعا لاننا راغبين هذا الامر منذ زمان كثير لان لنا بذلك اعتقاد عظيم خصوصاً من حين بلغنا عن همة غيرتكم العالية الالهية ومحبتكم الروحانية لجميع تلاميذكم ورعاياكم واعتنائكم بهم غرباً وشرقاً حسب وظيفتكم المعطاة لكم من سيد البرايا بموجب استحقاقكم لتكميل مشيئته المقدسة الذي نرغب الى احسانه ان يمن علينا بواسطة قدسكم بالرحمة والغفران وان يبقي وجودكم الى مدى بعيد لاجل منفعة المسيحيين بشفاعة سيدتنا والدة الاله العذرآء وجميع القديسين آمين .

عبدكم الداعي

اثناسيوس

البطريرك الانطاكي

سطر في اول تشرين الاول سنة ١٧١١

وبعد ان كثر عدد الكاثوليك بين الروم في دمشق وصيدا وصور وبيروت وطرابلس وحلب وغيرها راى البطريرك كيرلس من الحكمة ان يخفف العداء لهم خوفاً من ان يفوز عليه بهم البطريرك اثناسيوس وان يعود الى الاستيلاء على البطريركية الانطاكية باشد قوة مما سبق . وما اصدق قول المطران افثيميوس بحقه بهذا الشان اذ يقول عنه في رسالته الى البابا اكليمنضوس

الحادي عشر التي تقدم نشرها في الفصل الاخير

« انه كان له بغضة عظيمة للكنيسة (الرومانية) والان هو في الوسط . ينتظر المحال . لما بطريرك القسطنطينية وبطريرك الاسكندرية يطيعوا يطيع »

وسبب هذا التغيير ان المطران افثيميوس كان يخاطبه ويجادله بهذا الشان كلما اجتمع به لكن على غير جدوى[1] . وكذلك كان يفعل الخوري ساروفيم طاناس بزيارته لدمشق بعد عودته من مدرسة رومية سنة ١٧١١ كما تقدم الكلام على ذلك . ولكن لم يتم له النجاح المرغوب الا بزيارته لدمشق سنة ١٧١٦ اذ سلمه رسالة من البابا اكليمنضوس الحادي عشر يخاطبه فيها بمحبة خالصة ويبين له ضرورة اعلان اتحاده بالكنيسة الكاثوليكية كاملاً بدون تاخير حباً بخلاص نفسه وخلاص نفوس رعيته . وقد قضى الاب ساروفيم مع رفيقه الشماس ابرهيم فينان المخلصي بضعة اشهر في دمشق يخاطبه البطريرك ويجادله في هذا الشان كلما سنحت الفرصة .

ومن جهة ثانية كان صديقه قنصل فرنسا في صيدا Boulard يخاطبه غالباً بهذا الشان كما يستفاد من بعض مكاتيب القنصل بذلك الى رومية كما كان روساء رهبان الفرنسيسكان يخاطبون

---

(١) كان في حوزة صديقنا الاستاذ عيسى المعلوف رسالة من المطران افثيميوس الى البطريرك يخاطبه فيها بمعنى الاتحاد مع بابا رومية سنة ١٧١٤ ويذكر له فيها ما فعل جده مكاريوس بهذا الشان . وقد انتقلت هذه الرسالة الى مكتبة البطريرك غريغوريوس حداد تقدمة له من الاستاذ المذكور كما اخبرنا .

البطريرك المذكور بهذا الشأن كلما اجتمعوا به بل كانوا يكاتبونه ايضاً بذلك . فان رئيسهم العام في القدس الشريف لورنسيوس Fra Lorenzo di S. Lorenzo Guardiano di Giarusaleme. كتب له رسالة لطيفة مستطيلة في نحو عشرين صفحة كبيرة في ١٠ آذار سنة ١٧١٤ وارسلها له صحبة الاب بلاسيوس رئيس رهبانه الذين في دمشق يخبره انه كان عازماً ان يحضر بذاته بين يديه الى دمشق اجابة لداعي المحبة والاحترام له لكن صده عن ذلك انشغاله مدة طويلة بانجاز قصادته الرسولية لارجاع بطريرك الموارنة يعقوب عواد الى كرسيه ومقامه اذ عزله مطارنتهم ظلماً وعدواناً ونصبوا مكانه بطريركاً واحداً منهم بدون علم رومية لمجرّد تهم باطلة نسبوها له دون تحقيق . وانه ما منعه عن الذهاب الى دمشق الا البرد في الطريق وقرب ايام الصيام التي توجب عليه ان يكون في المدينة المقدسة للاشتراك باحتفالات جمعة الآلام الخلاصية والقيامة المجيدة . ثم يخبره عما فعل باسم الحبر الاعظم في سبيل اعادة البطريرك يعقوب الى كرسيه واعادة كل حقوقه وشرفه بموجب احكام القوانين بقوة البرآءة الرسولية بحق البطريرك المذكور لانصافه من ظلامته ورفعة شانه بين الامم الشرقية كما كان يفعل احبار رومية قديماً بحق البطاركة والمطارنة الذين كانوا يرفعون اليهم ظلاماتهم التي كان ينزلها بهم اخصامهم وحسادهم اذ كانت الكنيسة اليونانية متحدة مع كنيسة رومية

عندما كانت مؤلفة معها كنيسة واحدة في ابان عزها في عهد ملوك الروم قبل الشقاق الذي افضى بهم الى تسلط الامم غير المسيحيين عليهم وعلى كنيستهم وبطاركتهم ومطارنتهم وشعوبهم بطاعه قهرية واستعباد ضد حرية الديانة المسيحية وشرفها وشرف روسائها وشعوبها . ثم يذكر له الامثال المشهورة في هذا الشان في تاريخ كنيسة الروم القديم والحديث من عهد القديسين اثناسيوس ويوحنا فم الذهب وغيرهما من الذين رفعوا الى رومية ظلاماتهم ولم يهمل ان يذكر له ما فعله جده البطريرك مكاريوس الى البابا اسكندر السابع متظلماً اليه من الاتراك وغير ذلك مما لا يسعنا نقله مفصلاً . لكن نورد جواب البطريرك كيرلس على هذه الرسالة بتمامه . وفي هذا الجواب غنى عن اثبات تعريب رسالة الاب المشار اليه وكلاهما محفوظان في سجلات مجمع انتشار الايمان وقد ارسلها الى هناك الرئيس المذكور

المجد لله دائماً

كيرلس

برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

سلام ربنا ومتولي خلاص نفسنا سيدنا يسوع المسيح ونعمة الروح الكلي قدسه الحالة على زمرة الرسل الاطهار في الغرفة الصهيونية ذات الوقار ذلك السلام الالهي وتلك البركة نفسها يكونا حالين ومترادفين على الدوام على ممر الشهور والايام على ذات نفس وجسد الراهب البادري لورنسيوس المكرم بارك الرب

الاله عليه نفساً وجسداً اتم البركات السماوية ويدفع عن محبته كل محنة وبلية سماوية وارضية ويتقبل الله تعالى من ما ندعو به لمحبته في سائر الصلوات الليلية والنهارية والقداسات الالهية بشفاعة الست الطاهرة البتول والقديس مار بطرس صاحب الكرسي الانطاكي وجميع القديسين آمين .

وبعد نخبر محبتك بوصول مكتوبكم الينا على يـد الرئيس البادري بلاسيوس الذي قريناه وفهمنا مضمونه وحمدنا الباري سبحانه على صحتكم وسلامتكم وتمام سعيكم بسبب البطريرك يعقوب وتثبيته وشكرنا الله وقدس عزيزنا واخونا البابا اكلمنضوس الجزيل قدسه المدبر للكرسي الرسولي خليفة راس المسيحيين بطرس الرسول ونظره الشريف في تثبيت بطريرك الموارنة يعقوب وانتصاره له ورفع شان الكنيسة الرومانية المقدسة حرسها الله من كل ضيق وبلية بشفاعة العذراء النقية والقديس بطرس الرسول ضابط مفاتيح الملكوت السماوي وجميع القديسين .

ثم بعده ذكرتم بان كان غاية قصدكم الحضور من صيدا الى محروسة دمشق لنيل الاشواق من بعضنا . ولكن منعكم عن ذلك الصيام المقدس وعمل جميع المفروضات من الطلبات والصلوات اللازمة على كل مسيحي .

واخبرتونا بان قد ارسلتم مكاتيب الى الاجي المكرم والى محبنا الاعظم زمريا چلبي توصية فينا على ما اخبركم الرئيس بلاسيوس – والشكر له – وذكرتم بانه جاءكم جواب المكاتيب وانسريتم بذلك بسبب بطريرك القدس بانه في عودته الى القسطنطينية يعمل صلح ومحبة مع عزيزيا البابا اكلمنضوس . ففرحنا بذلك غاية الفرح وذكرتم بان اخبركم البادري بلاسيوس بالفرح الذي صار عندنا بسبب البطرك يعقوب وحكومة اخينا البابا وانتصاره له ورجوعه الى كرسيه وزدنا ذلك بالدعا لقدسه .

وبعده ذكرتم بأنكم نظرتم في التواريخ عن زمان القديم كيف كانت الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية متحدين بالمحبة والسلام والهدو . ولكن

باغض الخيرات الشيطان دخل في بعض اشقيا وفتنوا بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية ربنا يجازيه على عمله . واما قولكم بأنكم نظرتم بالتواريخ بأن جميع حكومات البطاركة والمطارنة والاساقفة كانت تصير سابقاً قدام حضرة البـابا الموجود في ذلك الزمان وينتصر للمظلوم من الظالم من غير مراياة ولا رشوة . فكل كلامكم حق ما فيه خلاف وجميع ذلك مكتوب في التواريخ وفي بعض كتب اخبار القديسين وفي قوانين المجامع السبعة الكبار الذين ما كان يصير مجمع منهم اذا لم يكن فيه وكلاء البابا الموجود في الكرسي الرسولي في ذلك الحين . فالمجمع الاول ثبته المجمع الثاني والمجمع الثاني ثبته المجمع الثالث ... وهكذا المجمع السادس ثبته المجمع السابع ومنذ ذلك (الحين) تمت (دامت) الكنيسة الشرقية ماسكة شروطها وفرائضها المرتبة منذ القديم . فبعد مدة لما ظهرت طقوس وتراتيب غير موجودة في المجامع السبعة الكبار ولا في السبعة الصغار مثل الفطير والانبثاق والمطهر وحظوى القديسين فلما رأت الكنيسة الشرقية هذه الامور وحضرة قدس اخونا البابا الذي ابدع هذه الامور وثبتها وليس هي مدونة في ناموس ولا في قوانين الآباء ولا في المجامع السبعة فسخت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية . ومن المجمع السابع الى الآن الكنيسة الشرقية ماسكة شروطها وما تسلمته من الآباء القديسين وهم باقين على طقوسهم وترتيبهم القديم .

ثم بعد ذلك ظهر حساب الدقائق من معلمين الرصد والنجوم واظهروا هذه العشرة ايام وزادوا الضلال ضلالا وصار فيها مراسلات وجوابات مقنعة لقدس اخونا البابا الذي في زمانه ظهرت هذه العشرة ايام وبقينا هزءاً بين الامم الغربية لكون يبقى نصراني صائم ونصراني فاطر ويقع شتائم للدين وتم قول الانجيل الويل لمن تاتي الشكوك عن يده . وفي هذا الخصوص صرنا مهزرة بين الفريقين ناس تقول الحق معنا وناس تكذب وتقول الحق عليكم

واما من ميل عقائد الكنيسة الغربية في الدين نحن نشهد والله الشاهد

ومحقق عند كل احد بان الكنيسة الغربية معتقدة في المسيح بالطبيعتين والمشيئتين واقنوم واحد ومعمودية واحدة . ولكن نحن لسنا مثل اولاد الروم يحكوا عنكم امور كثيرة لا ينبغي ذكرها لاجل ان ليس لها وجود في كتب المجامع المقدسة فقط ولا في زمان المرحوم البابا غريغوريوس الديالوغوس (الكبير) الذي رتب قداس البروجيزمانا وختم المجمع السابع بقوله ان جاكم ملاك من السما. وبشركم بغير ما قلنا لكم فليكن مفروزاً .

واما قولكم بان اليوم تركنا ترتيب الكنائس وحكومتها وخالفنا قول الرسول .

فيا حبيبي الذين لنا في حكمهم الف ومايه وستة وعشرون سنة وما طلع لنا صاحب وخلصنا من اسرهم لا بهمة الباباوات ولا بهمة السلاطين ولا بهمة الدوقات (Ducs) الذين في ذلك الزمان . والى الآن نحن باقين تحت حكمهم

وان قلت انه كان لسبب افتراق الكنيسة الشرقية من الغربية لان في ذلك الزمان كانت الكنيسة واحدة وابو الكل موجود وما خلص اولاده . ولكن بنعمة الله تعالى ولو حكمنا اعداؤنا احتملنا منهم بقوة المصاوب الفز. والشتيمة والخسارة ولكن ديننا وطقسنا وما تسلمناه من المجامع المقدسة حافظينه وكل شي. خارج عن ديننا هاذلينه (كذا) ولكن نحمد الله الذي هذه الجماعة ماد خلوا الى بلادكم ولاجل نزاقتكم كان عسر عليكم العشرة معهم وما كان لكم ثبات معهم[1] .

واما قولكم من ميل جدنا المرحوم البطريرك مكاريوس بان مكتوبه[2]

---

(١) مراد الاب لورنسيو ان شقاق الروم في القسطنطينية افضى الى استيلاء الاتراك عليها وعليهم وازالة ملكهم . ومراد البطريرك ان المسلمين استولوا على بلاد الشام قبل الشقاق اذ كانت كنيسة الروم وكنيسة رومية واحدة . فانظر لطافة الجواب .

(٢) يحاول باطلاً البطريرك انكار ارسال جده صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي الى البابا اسكندر السابع وهي محفوظة في سجل مجمع التفتيش بقطع النظر عن مراسلاته التي اشار اليها كبرلس بشأن الفصل Piquet .

مخطوط في خزانة رومية . فليس انه بعث يطلب التثبيت . ولكن نحن نفهم انه بعث يخبر قدس عزيزنا واخونا البابا بسبب القنصل بيكيت (Piquet) ويشهد له عما فعله من الخير في سنة الغلا (١٦٦٠) الذي صار في حلب لانه كان قد اصرف نحو سبعين كيس دراهم على الفقرآء والمساكين بسبب الغلا الشديد لانه بيّع كل رطل خبز بنصف قرش كاب وما انوجد . ونبه على جدنا المرحوم البطريرك مكاريوس واندراوس بطرك السريان وبطرك الارمن بان كل رجل فقير تعرفوه مستحق الاحسان اعطوه ورقة مختومة وانا أحسن اليه بما يلهمني الله حتى صرف هذا المبلغ . فلزم الامر ان الثلاثة بطاركة المذكورين يرسلوا يخبروا قدس اخينا البابا بذلك وبالخير الذي فعله القنصل وحضرة البابا رد لهم الجواب مع هدية لكل بطريرك منهم تليق به .

واما قولكم بان اللص دخل الفردوس ومتاع الساعة الحادية عشر اخذ اجرته تماماً . الله يحقق ذلك لكل مسيحي بان يكون نيّ طاهر حافظ الامانة الارثوذكسية ليرث الحظوى مع القديسين الابرار ويلهم الاب الحقيقي ورأس الجسد بان يتعطف ويمسك ارادة سيده بالمحبة والسلامة للجميع لان سيدنا بذل جسده لاجل خلاص العالم ويعطي الله لمن انعم عليه بان يكون خليفته ويصلح الفريقين . فاذا صار منه انعطاف وفتش على رعيته واخوته واولاده الروحانيين والنفوس اذعنت للحق وانطرد الباطل يكون كسب خراف المسيح الناطقة الذين اشتراهم بدمه الكريم لان بيده هذا الغرض في حل هذه المسائل الجزئية التي بسببها افترقت الكنيسة الشرقية عن الغربية وصار الانشقاق . نسأل الباري تعالى ان يلهمه في هذا العمل حتى يجمع اخوته واولاده الروحانيين ويخزي الشيطان من الفريقين بشفاعة الست الطاهرة البتول والقديس مار بطرس الرسول وجميع القديسين[1]

كيرلس

البطريرك الانطاكي

---

(1) Scritture originali, riferité 26 Mars 1715

ويلاحظ القاري ان البطريرك يوافق مراسله في امور كثيرة ذكرها في رسالته وبانه يرغب الاتحاد ويرى انه الاصل في كنيسة المسيح ويجب ان يعود اليه الجميع عودتهم الى الحق والصواب ويقر على نفسه انه تابع لشقاق الروم لكنه دونهم تعصباً وبغضة لكنيسة رومية وحاول ان يلصق تهمة اصل هذا الشقاق ببعض الباباوات الذين خالفوا الروم في بعض امور يقر انها ليست من جوهر النصرانية ليجد لنفسه باتباع هذا الشقاق اعذاراً يظن انها حق كمن يحاول المغالطة في المحاورة مع مجادله او يلوذ بالمواربة كرجال السياسة اذا خاف على نفسه من خصمه ان ياخذه بالكلام الصريح

وبعد هذا يجب علينا ان ننقل هنا رسالة البابا اكليمنضوس الحادي عشر التي ارسلها له صحبة الاب ساروفيم طاناس يحرضه فيها بمحبة وافرة على اتمام اتحاده مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية واعلان الطاعة لها والاعتراف بايمانها نقلاً عن التواريخ الملية للقس يوحنا العجيمي . وقد نشرت هذه الرسالة بنصها اللاتيني في مجموعة المجامع العامة والخاصة لمانصي (Mansi) في المجلد السادس والاربعين الذي طبع في باريس سنة ١٩١١ فيما يخص مجامع طائفة الروم الملكيين في عمود ١١٠ وما يليه فقابلنا هـذا التعريب على الاصل اللاتيني واصلحنا فيها ما يجب اصلاحه

البابا اكليمنضوس الحادي عشر

الى الاخ المكرم كيرلس رئيس اساقفة دمشق للطقس اليوناني

السلام بالرب .

ايها الاخ الموقر

انه بلغنا في عدة مكاتيب حضرت من نواحيكم الينا ان لاخوتك ميلاً عظيماً الى الاتحاد الكامل الحقيقي مع الكنيسة الرومانية ام الكنائس كلها ولاتباع تعاليمها لان لا خلاص خارجاً عنها . وقد فرحنا الفرح الكلي بهذه الاخبار ورفعنا ايدينا الى السماء وشكرنا الباري جل جلاله بما انه منحكم هذا الالهام الصالح والدعوة الالهية . ورأينا من باب واجبات وظيفتنا ورياستنا في الرعاية ان نعظك وننبهك بصوتنا الابوي بمحبة ابوية بان لا تهمل هذا الالهام الصالح والدعوة الالهية . بل اقبل برغبة شورنا الخلاصي وتمم بسرعة هذا الاتحاد المقدس تابعاً بفرح وشجاعة المثل الحميد المتسلسل بعدد وافر من الاساقفة من طائفتكم وطقسكم الذين بنعمة الله تعالى نجوا من الضلال الذي كانوا فيه . وتمسكوا بالتعاليم الكاثوليكية الحقيقية وقدموا الخضوع للحبر الروماني خليفة بطرس الرسول لان بغير هذا الامر لا يتم الدين المسيحي . وقد نراهم ثابتين في هذا العزم الصالح ويستحقون لاجل ذلك ذكراً وشرفاً ليس يسيراً . فاذا تأملت حسناً في هذه الامور يبان لك واضحاً ان من اتحادك معنا تجني خيراً عظيماً بل اعظم الخيرات جميعها وهو انك تضع خلاص نفسك بامان . وليكن محققاً عندك انك ما دمت مفترقاً عن الكنيسة الرومانية لا تزال في خطر عظيم واكيد اذ ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . فاجتهد اذاً ايها الاخ المكرم ان ترفع الصعوبات والموانع بشجاعة قلب وان تقبل برغبة هذا الاتحاد المقدس لكي تكون في حضن هذه الام الحنون وتستريح فيه لانها فاتحة احضانها لقبولك .

ويجب عليك ايضاً ان تعظ اخوتك (الاساقفة) وشعبك وتحركهم لكي يفعلوا نظيرك . ومتى تحققنا انك اعتمدت على القبول الثابت لايمان الحبر الروماني والكنيسة الكاثوليكية التي نحن رأس لها بدون استحقاق نوضح لك حينئذٍ ما يجب عليك عمله لهذا الامر . واما الآن فلا نزال نتضرع الى الله لاجلك ايها الاخ المكرم ونطلب من الرحمة الالهية بحرارة وابتهال دائم ان يثبتك في عزمك الصالح الى التمام . ونرجوك ان تتذكر ان الجزآء غير المتناهي وتاج المجد السرمدي محفوظ عند الله تعالى لا لمن يبتدى. المسير بل لمن يتمه .

حرر في رومية في ٩ كانون الثاني سنة ١٧١٦

وينبغي ان نلاحظ في عنوان هذه الرسالة ان الحبر الاعظم يلقب كيرلس رئيس اساقفة دمشق لا بطريرك انطاكية لان كنيسة رومية كانت حينئذٍ تعتبر اثناسيوس الدباس بطريرك انطاكية وحده دون سواه . اذ بموجب نظام الكنيسة القديم يجب ان يكون الاسقف واحداً في كنيسته وابرشيته منفرداً فيها بسلطانه الروحي سوآء كان اسقفاً بسيطاً او مطراناً او بطريركاً او بابا لانه صورة المسيح ونائبه القائم مقامه في كنيسته الواحدة او على ما تعين له منها حسب قوانين ونظام الكنيسة العام . ولذلك بعد ما تنازل اثناسيوس عن حقه بالبطريركية لكيرلس بالكتابة الى رومية صاروا يدعونه بطريرك انطاكية كما سنرى .

﴿ الفصل السابع والثلاثون ﴾

السعي لانجاز اتحاد البطريرك كيرلس ومطرانه صيدنايا

عاد الاب سيرافيم طاناس من رومية الى صيدا سنة ١٧١٦ وبلّغ خاله المطران افثيميوس ما توفق بعمله في رومية وما كلفه مجمع انتشار الايمان بعمله في دمشق بتبليغ رسالة الحبر الاعظم الى البطريرك كيرلس بدعوته الى نجاز اتحاده بالكنيسة الكاثوليكية. وما لبث الاب المذكور طويلاً في صيدا حتى سافر الى دمشق لهذا الغرض صحبة الخوري باسيليوس شاهين والشماس ابرهيم فينان من رهبان دير المخلص مزوَّدين برضى المطران وبركته الذي حثهم كثيراً على بذل جهدهم بهذا الشان وحضهم ايضاً على ان يذهبوا بعد ذلك الى صيدنايا لاتمام امر اتحاد مطرانها جراسيموس الذي تقدم الكلام عنه. فلبث الاب طاناس ورفاقه في دمشق مدة غير قصيرة بالبحث والجدال مع البطريرك كيرلس في قضايا الخلاف المعروفة بين الروم والكاثوليك وما يلحقها ويتبعها حتى اقنعه اخيراً بوجوب مباشرة السعي لاتحاده مع رومية بكتابة جواب لائق للحبر الاعظم على رسالته التي اتاه بها وان يعلن له رغبته بالاتحاد ورفض شقاق الروم وان يقر برياسته العامة على الكنيسة كلها بحق خلافته القديس بطرس الرسول هامة الرسل ومن ثم كتب البطريرك

هذه الرسالة وضمّنها اعترافه بالايمان الكاثوليكي وسننشرها هنا بتمامها مع غيرها وسلمها للاب المذكور وللبادري بلاسيوس رئيس رهبان مار فرنسيس في دمشق ليحملاها الى رومية بصفة نواب عنه مع عكازه البطريركي من صناعة دمشق وبعض هدايا للبابا المشار اليه رمزاً لطيفاً على اقراره بسلطته الحبرية السامية ودليلاً واضحاً على محبته واحترامه له . وترك البطريرك هذه الرسائل مفتوحة غير مختومة ليقف عليها المطران افثيميوس وقنصل فرنسا في صيدا حيث لا بد لهذا الوفد ان يسافر منها الى رومية وكان ذلك منه لاكتساب مرضاتهما ولزيادة توثيق الصداقة معهما .

واراد البطريرك كيرلس ان يكون مع الخوري طاناس تلميذ رومية الاب بلاسيوس في هذه القصادة تعظيماً لقدرها ولشان الحبر الاعظم وتقرباً اليه بزيادة المحبة له وللمرسلين الفرنسيسكان الذين كانوا يقومون لذلك العهد في هذه البلاد باعمال القصادة الرسولية وكان لهم شأن عظيم في هذه البلاد وفي كل عواصم ممالك اوروبا ولاسيما رومية وباريس وقد كانت لهم يد بارزة قوية في سبيل ارتقاء اثناسيوس الدباس الى عرش البطريركية الانطاكية ونصرته على كيرلس في الاستانة وحلب ودمشق وغيرها . ومع هذا كانوا يتقربون الى كيرلس بزيارتهم له والكتابة له ويحثونه على السعي باتحاده مع رومية اقتداء بالبطريرك اثناسيوس الدباس وبالسيد صموئيل كباسيلا بطريرك

الاسكندرية والمطران افثيميوس وسلفستروس مطران بيروت ومكاريوس مطران طراباس وغيرهم من البطاركة والمطارنة

واذ جرى وتم اتحاد مطران صيدنايا جراسيموس الدمشقي في الوقت ذاته مع اتحاد البطريرك كيرلس على يد رجال الوفد المخلصي المذكور ينبغي لنا ان نوضح ايضاً في هذا الفصل نفسه كيف جرى ذلك وتم . على ان هذا الوفد حسب امر المطران افثيميوس بعد ان انجز عمله في دمشق مع البطريرك ذهب الى صيدنايا وقابل مطرانها المذكور وخاطبه بمعنى الاتحاد واوضح له ضرورته في كنيسة المسيح الواحدة وضرورة اعلانه وانجازه كما ينبغي وازالوا كل صعوبة من امامه في هذا السبيل اقتنع اخيراً بكلامهم ورضخ للصواب ومن ثم كتب صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي ورسالة الى الحبر الاعظم مع رسالة اخرى بهذا الشان الى مجمع انتشار الايمان حرّرها كلها الشماس ابرهيم فينان بخط يده وامضاها المطران بخط يده ومهرها بختمه وسلمها للشماس المذكور ليقدّمها للحبر الاعظم بالنيابة عنه . وكتب رسالة الى المطران افثيميوس يخبره بما جرى ويستأذنه بارسال الشماس ابرهيم الى رومية بالنيابة عنه وكان له ما اراد كما يظهر ذلك مفصلاً من الرسائل التي وقفنا عليها في سجلات مجمع انتشار الايمان بشأن ذلك مما لا بد لنا من نشرها فيما يلي لما فيها من البيان المفصل الواضح لكل ذلك كما سنرى .

رسالة البطريرك كيرلس الى الحبر الاعظم

المجد لله تعالى دائماً

كيرلس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

الى جناب حضرة الاخ الاقدس كير اكليمنضوس البابا الحادي عشر

مشرّف كنيسة رومية القديمة العظمى حرسه الله لنا زماناً طويلاً

الى قداسة اب الآباء وسيد السادات قابل النعمة ومعطي البركة رأس روساء الكهنة الابرار . خليفة بطرس الرسول والاناء المختار . فريد عصره الشائع ذكره بالاقطار . قدوة النساك الاطهار . وكنز التعليم . وقطب الاربعة الاقاليم . ابرهيم في سماحته . واسحق في وداعته . ويعقوب في طاعته . ويوسف في عفته . والياس النبي في غيرته . واشعيا في فصاحته . ودانيال في طهارته . وسليمان في حكمته . وزخريا في كهنوته . ويوحنا الثاولوغوس في اقواله . ويوحنا المعمدان في كرازته . ونم الذهب في تفسيره وانذاره [1]

اما بعد فالذي نعرضه لقدسكم هو ان وصل الينا مكتوبكم الشريف وقريناه وحمدنا الله تعالى على سلامتكم وان قدسكم بكل خير . وقد بلغكم من المرسلين باننا قوي رافعين شانكم . وذكركم غير منقطع عندنا في كل صلاة وقداس الهي . ونطلب من رب البرية ان يحقق المحبة الروحانية بين الخاص والعام لان بلا محبة ليس سلام . لان يعلم الله غاية قصدنا المحبة لان قد بلغنا من تلاميذ قدسكم ان كل قصدكم ان تكون المحبة والسلامة مع الاخوة والاولاد الروحانيين (وتجمعوهم) الى كنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية . ولكن باغض

---

(١) لا يسوغ ان تعتبر كل هذه الالقاب والنعوت السامية من باب المبالغة بالمديح الشخصي من كيرلس للبابا الذي لم يكن يعرفه ولم يكتب له من قبل . بل هي القاب قانونية اعتاد ان يلقب بها كل الاحبار الرومانيين من الشرقيين . واما لقب الاخ الاكبر فهو مأخوذ من المجمع النيقاوي الاول المعروفة بالقوانين العربية .

الخيرات دائماً لا يكف ولا يبدا عن تبليل الكنيسة حتى انه من جملة افعاله اظهر اسم الكنيسة الشرقية والغربية . ولكن في المجمع الاول المسكوني بحضور (وكلاء) سلفستروس بابا رومية وضعوا نؤمن باله واحد . والمجمع الثاني المسكوني كان بحضور (وكلاء) دماسيوس بابا رومية والمجمع الثالث المسكوني كان بحضور (وكلاء) كالستينوس بابا رومية والمجمع الرابع المسكوني كان بحضور (وكلاء) لاون بابا رومية والمجمع الخامس المسكوني كان بحضور فيجيليوس بابا رومية والمجمع السادس كان بحضور (وكلاء) اغاثون بابا رومية والمجمع السابع كان بحضور بطرس وبطرس وكلاء ادريانوس بابا رومية ...[1] ولم يكن يصير مجمع مسكوني بدون خاطر بابا رومية ...[1]

ومن ذلك الزمان الى الآن الكنيسة الشرقية تطلب دائماً وتقول كل يوم :

« من اجل الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية من الرب نطلب »

وما تقول كنيسة شرقية وغربية . بل دائماً نطلب السلام للعالم جميعه حتى للذين يبغضونا والذين يظلمونا . هذا كله مطبوع في كتب الكهنة (كهنتنا) عندكم .

ونشكر الله تعالى على ان كنيستنا (هي) على ايماننا الذي نحن ماسكينه من السبعة المجامع المسكونية . ونترحم على البابا اغاثنيوس الذي قصد المحبة والسلام في زمان المرحوم الملك يوحنا البالاوغوس وعمل المجمع الثامن[2] وقصد به المحبة والسلام والمحدو . لكن باغض الخيرات حرك الفتن بالضد . والروم من طبعهم العناد ما قبلوا . وبعده حركت نعمة الروح القدس البابا نقولاوس (اذ وجد) ان كلما تعب فيه وعمله البابا اغاثنيوس قدخربوه الروم ركب بذاته الى مقابل القسطنطينية وارسل رسله الى الملك والاكليروس فما قبلوا كلامه حتى صار فيهم الذي صار ونحن رحنا بسببهم

نسأل الله المسبَّح بكل لغة ولسان ان يعطيك الرب الاله ان تجمع الاخوة

---

(١) الاصل المخطوط غير واضح الكتابة هنا .

(٢) المراد به المجمع الذي انعقد في مدينة فلورنسا من اعمال ايطاليا سنة ١٤٣٩

والاولاد الروحانيين الذين اشتراهم سيدنا يسوع المسيح بدمه الكريم الثمين الى صيرته الحقيقية .

ثم ان جدنا المرحوم البطريرك مكاريوس بعد حضوره من المصكوف كان غاية قصده الحضور الى رومية ليعمل محبة وسلامة ولكن بقي (كان) يقول ان الاخوة اذا تقاتلوا ما يبقى احد عاقل يصلح بينهم . وان رحنا الى رومية يقول الروم البطرك مكاريوس صار فرنجي . وسابقاً المرحوم جيفالا رئيس اساقفة قبرس[1] لاجل حضوره الى رومية عملوه بانه افرنجي . ربنا يهلك كل من ابدع هذه البدع وفرّق الاخوة عن اخوهم الاكبر . لان جميع الناس يقولوا الوعاء الكبير يسع الصغير . ولكن كل من قرب اليكم بالظاهر يصير عند الامم الغريبة (الاسلام) كافر .

وربما بلغكم اخبار بطرك السريان[2] كيف طائفته الاراقفة عملوا معه من المساوي ومات في المنفى وهو بلا شك من القديسين . والاساقفة والكهنة (رفاقه) ما خلص منهم الا القليل . ونحن كنا دائماً نرسل مكاتيب الى تلاميذنا الذين هناك بان يحسنوا اليهم وهم في الحبس ويخدموهم اكراماً للكنيسة الرومانية . وقنصل (فرنسا) بحلب لو انه يعطي (للجند) خمسماية قرش ما كان صار فيهم هكذا

ولكن نحن بقوة المصلوب لما حضر القبجي لعندنا لدمشق وجابنا وقرى علينا الخط الشريف وسالنا عن اتباع البابا عندنا (المرسلين) وتوابعهم ردينا الجواب عن الجميع وبقوة الله منعناه وما خليناه يتحرش في راهب ولا قسيس ولا كاثوليكي وخسرنا من كيسنا مبلغ عظيم – ربنا يعرف – حتى دفعنا الشر عنهم

---

(١) كان من تلاميذ مدرسة القديس اثناسيوس في رومة وهو مؤلف تاريخ ملوك الروم الذي عربه للبطريرك مكاريوس الخوري يوسف سويدان الحلبي

(٢) هو غريغوريوس شاهبادين . راجع ترجمته في كتاب السلاسل التاريخة للفيكونت دي طرازي صفحة ٥٩ وما يليها

خوفاً من ان تجري العادات السيئة الجارية بغير بلاد .

لكن في هذا الزمان جماعتهم خسيسين . الله يرحم القنصل بيكت (Piquet) في زمانه صار اندراوس بطرك على السريان هو وقف بحملته وتكلف في تلك السنة نحو سبعين كيس على الفقرآء لانها كانت سنة غلا شديد . ولما نظروا فعل الخير الذي صنعه ارسل جدنا البطرك مكاريوس واندراوس بطرك السريان وبطرك الارمن (خشادور) اخبروا قدس المرحوم البابا (اسكندر السابع) بالخير الذي صنعه . فان كان القنصل طيب ربنا يزيده بركة من فمكم الطاهر وان كان تنيح الرب يجعل حظه مع الابا القديسين . فهكذا كان القناصل يفعلوا الخير والناس تميل اليهم وتمجد خبرهم

وايضاً المرحوم سلطان فرنسا (لويس الرابع عشر) لما وقع بينه وبين طائفة الانكليز (البروتستان جدال) وقالوا له نحن تبع الكنيسة الشرقية بعث طلب اعتقاد الكنيسة الشرقية . فكتب له جدنا البطريرك مكاريوس عشرين باباً في اعتقاد الكنيسة الشرقية . وفي اثناء ذلك توفي جدنا وانتخب الحقير مكانه والمكاتيب ما كانوا بعد توجهوا فبعثوها الينا فامضيناها وحققنا قوله .

وان شا الله ما تكون الكنيسة الشرقية ناكرة كنيسة رومية ولا آخذتها بانها محدثة . وهذا مدوّن في كتب الكنيسة عندنا وان بابا رومية هو الاخ الاكبر وتذكارات البابوات في اعيادهم الممتازة موجودة في الكنيسة الشرقية .

ولكن هذه الامور الموجودة اليوم في هذا الزمان ما كانت في القديم لانه لما ظهر معلمين النجم والرصد فهذه العشرة ايام صار فيها شقاق عظيم اذ يكون مسيحي صائم ومسيحي فاطر .

وطائفة الموارنة اعرضوا لديكم بانهم قلائل والروم ما تجوّزهم والامم ما يجوّزوهم (كذا) فلكونكم مبارکين وما تعرفون الكذب صدقتموهم فقالو ان قدس البابا اعطانا دستور ان نتجوّز على اربعة وجوه (من القرابة) .

وايضاً العلماني اذا ماتت حرمته يتجوّز غيرها ويعماوه كاهن . وبهذه الاسباب

وغيرها صرنا عاراً عند الامم والاراتقة لكون يبقى نصراني صائم ونصراني فاطر . ونصراني متجوّز على سبعة وجوه واخر على ثلاثة وجوه . وهم كذبوا عليكم ولكونكم ناس مباركين صدقتم قولهم وسودوا عرضكم وقالوا البابا اعطانا دستور بذلك . ونحن ما كنا نصدق قولهم بان ينشو (يصدر) عن قدسكم هذا . وكل هذا صار سبب الافتراق وتسمية كنيسة شرقية وغربية[1] .

ولكن نحن معتقدين ومحققين بان كنيسة رومية (بموجب احكام وقوانين) السبعة المجامع الكبار والمجامع الصغار ورافعين شانها لكونها كانت ام كنائس الدنيا ومقرين ومعترفين بكنيسة واحدة ومعمودية واحدة ونبارك ما باركوه ونحرم ما حرموه . لكن الامميين لما ينظروا صدرت هكذا امور غير مصدقة وليس لكم عنها خبر لهذا السبب ينفروا من ذلك وتقع الشكوك ويتم قول الانجيل المقدس الويل لمن تأتي الشكوك على يده .

فاذا صار من قدسكم مرسوم برفع هذه الامور الموجودة الان وارتفعت يكون الروح القدس حقيقة حاضر معكم لاننا صرنا عاراً عند الامم والاراتقة . ولو كان الاراتقة اراتقة ولو صيامهم وطقسهم وزيجاتهم ما غيروها . بل هي بموجب الناموس المقدس . ونحن نسأل المسبح بكل لغة ولسان بان يعطيك الرب الاله ان تجمع الاخوة والاولاد الروحانيين الذين اشتراهم المسيح بدمه الكريم الثمين الى صيرته الحقيقية ويعطي الرب الاله لكل من يريد السلام والمحبة كما قال السيد له المجد : « سلامي اعطيكم سلامي اخلفه لكم » . فما قال فتنة

---

(١) لا يصح ان يقال في من يكتب هذه الكتابة بحق الموارنة انه ارتد الى الايمان الكاثوليكي على يد بطريركهم العلامة اسطفان الدويهي الذي توفي سنة ١٧٠٤ . ومعلوم انه لم يكن حينئذ بين جميع الطوائف الشرقية غير الموارنة تابعين الحساب الغريغوري او الغربي ولذلك كان الشرقيون يسمون هذه الطائفة غربية . ولم يكن مباحاً عند غيرهم رسامة الكهنة الارامل ولا ازواج مع الاقارب دون الوجه السابع فكان هذا الخلاف الظاهر يعتبر عند كيرلس وغيره في ذلك العهد عظيماً او بدعة من دواعي الشقاق . وكان فرق الحساب بين القديم والجديد عشرة ايام في القرن السابع عشر .

وعناد وشرور . وناس تقول عملتم كذا . وناس تقول الحق معنا وانتم ما معكم حق . وتم فينا قول الانجيل المقدس : نترك الخشبة التي في اعيننا ونقول لاخونا اخرج العودة التي في عينك .

وعند قرآءتنا الكتب المقدسة نعدل عن السماع لها كقول يوحنا الانجيلي حيث يقول انك ان كنت تحب الله ولاخيك تبغض باطل قولك اذ كيف الذي تراه تبغضه والذي لا تراه تحبه . وسيدنا له المجد قال . حبوا اعدائكم واحسنوا لمن يبغضكم . ونحن الان عملنا كله بخلاف ما اوصانا تعالى به .

ونطلب من حنو مراحمه ببركة صلواتكم ان يجعلنا من السامعين الطائعين لما يرضيه ويفرحكم باجتماع الاخوة والاولاد الروحانيين لتقولوا هؤلاء هم الاولاد الذين اعطاني اياهم الله ادخلوا الى فرح ربكم . يكون ذلك لكم بشفاعة العذرآء البتول ومار بطرس الرسول وجميع القدسين امين .

جرى ذلك وحرر في اليوم العشرين من شهر آب المبارك في سنة الف وسبعماية وستة عشر بمحروسة دمشق الشام من اخيكم بالمسيح

كيرلس

البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

ملحق خير

ويكون غضب الله وغضب الاباء القديسين وغضب البابا كير اكليمنضوس الحادي عشر صاحب هذا المكتوب على كل من يزيد او ينقص كلام غير الذي هو مكتوب في هذا المكتوب اذا ترجمه فليعلم كل واقف عليه من المفسرين قاطبة .

واصل لكم مع البادري بلاسيوس والخوري سارفيم هدية حقيرة قيمتنا ما هي من مقام قدسكم عكاز صدف اذا مسكتموها بالقداس الالهي تذكرون حقارتنا ومرتبان صيني داخله رطل دهن البلسم صافي .

رسالة من البطريرك كيرلس الى مجمع انتشار الايمان

المجد لله تعالى دائماً

كيرلس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

الى جناب حضرة السادة الكردينالية الكلي الشرف والوقار اصحاب المجمع المقدس حرسهم الله بيمينه القوية آمين

نعرض على محبتكم بان قد ورد الينا مشرفة من حضرة أب الآباء اكليمنضوس البابا الحادي عشر الكلي القداسة واظهر لنا فيها زود محبته لنحونا ورغبته للاتحاد كما يليق بالراعي الصالح والاب الشفوق . فنحن شكرنا الله شكراً وافراً على ذلك الذي في زمان رئاسته واشراق نجمه اضاء للناس طريقة المحبة والاتحاد نسأل الله ان يتمم ذلك آمين

ثم نخبر جنابكم هو اننا راسلين له الجواب الكافي ضمن صحيفة مرسلة صحبة رسلنا وهم اولادنا الروحانيين الخوري سارافيم والبادري بلاسيوس الفرنسيسكاني وهم واصلين لدى قداسته لكي ينوبوا عنا بموجبات الاتحاد والمحبة الكاملة لان المذكورين وقفوا على نيتنا وطويتنا وهم يخبرونكم بما فيه كفاية عما ذكر بالتفصيل في المداد والورق اذ هم نواب عنا في طرفكم

وايضاً واصل معهم عكاز رعايتنا قدمناها لحضرة الحبر الاعظم الكلي الطوبى وهي اشارة تومي الى كل ما في ضميرنا وصحة قولنا وصدقه وكمال اتحادنا مع الكنيسة الرومانية ام ومعلمة جميع الكنائس كلها . ان رسمتم تقبلوهم كالواجب لتتميم مقاصدنا . ونحن محملينهم كلام غير هذا ينهونه الى حضرتكم .

وايضاً قيدنا (كلفنا) البادري بلاسيوس الرئيس في طبع بعض كتب في علمكم فتجعلوا نظركم اليه بالمساعدة لان في همتكم كفاية كل امر والدعا

حرر في ٨ ايلول سنة ١٧١٦ كيرلس

البطريرك الانطاكي

رسالة البطريرك كيرلس الى رئيس مجمع انتشار الايمان

المجد لله دائماً

كيرلس برحمة الله البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

سلام ربنا والهنا ومتولي خلاص نفوسنا سيدنا يسوع المسيح ونعمة روح قدسه الحالة على زمرة الرسل الاطهار في الغرفة الصهيونية ذات الشرف والوقار. ذلك السلام الالهي بعينه وتلك البركة نفسها يكونوا حالين على الدوام ومترادفين على ممر الشهور والاعوام على ذات نفس وجسد الكردينال سكريبنتي المكرم بارك الرب الاله عليه نفساً وجسداً وعلى جميع تصرفاته باتم البركات السماوية امين . ورفع عن محبته كل محنة وبلية سماوية وارضية ويتقبل الله تعالى منا جميع ما ندعو لمحبته في الصلوات النهارية والليلية والقداسات الالهية بشفاعة الست البتول النقية ومار بطرس الرسول صاحب كرسي النورية الانطاكية وجميع القديسين والى غير ذلك

والذي نطالع به علم محبتكم بانه ورد الينا مكتوب من قدس عزيزنا الاخ الاكبر اكليمنضوس البابا الاعظم يتضمن محبة وسلامة ووداد على قدر ما بلغه من المرسلين المقبلين والمتوجهين بالكرازة الانجيلية بانهم اثنوا علينا بكل مليح . ففرحنا بذلك وانسر خاطرنا غاية السرور الذي قدسه بكل خير . فلزم الامر اننا ارسلنا الى قدسه جواب بحسب الامكان واستعطفنا به خاطره العزيز وارسلنا له مع البادري بلاسيوس والخوري ساروفيم تابع احدنا مطران صيدا جواب مكتوبه وهدية حقيرة قيمتنا ما هي قيمته وما تليق بقدر قدسه الكريم . وهذا الخمر الموجود في بلادنا شيء لا يؤكل . بل اذا استعمل يبقى يذكرنا ان شاء الله تكون عند قدسه في محل القبول ويبقى لنا وجود قدسه زمان طويل آمين

كيرلس البطريرك
الانطاكي

سطر في ١٧ آب سنة ١٧١٦

ملحق

وبعده نقصد فضلكم ان جاز كلامنا عند محبتكم بان تكلفوا خاطركم وتترجوا عند قدس اخينا الاكبر المعظم وتستعطفوا خاطره الشريف بان يسمح ويعطي دستور في طبع كتاب الاخولوجي المرتب لفروض الكهنة العائد نفعه للمسيحيين ولكل من يسعى في تمام هذا العمل الخيري لان هذا الكتاب موجود في خزانة رومية العظمى من زمان المرحوم البطريرك افثيميوس كرمة الذي كان قد ارسله الى قدس البابا. فبوصوله الى هناك كان قدتنيح (البابا) وبعثوا يجيبوا جواب من البطريرك افثيميوس كرمة فوجدوه قد تنيح ايضاً . وبقي الامر هيك (كذا) . فان رأيتم معقول وجاز كلامكم عند قدسه تترجوا عنده بان يامر بطبعه ويعمل هذا الخير العظيم .ولا يعمل كثير (بل) بقدر ثلثماية واحد حتى يبقى له ذكر مؤبد . وانتم ابصروا ايش قدر يتكلفوا ترساوا تخبرونا حتى نرسل لكم (القيمة) . ولا تواخذونا بتكليف خاطركم الشريف لان المحبة اوجبت ذلك .ولا تنسونا من مكتوب محبة حتى يطمئن خاطرنا عليكم . ونحن حملنا الريس بلاسيوس كلام يخبركم به لتكونوا منه على حقيقة وثيقة . ومهما عازكم في هذا الطرف مصالح خدمة ترسلوا تعرفونا تقضى من غير قصور وهذا موقوف على الاعلام . واصل لكم حرايري بنفسجي على قرمز شامي[1] وعلبة صابون ممسك مع البابا سارافيم تقبلوهم بحسب البركة ولا تواخذونا لان البلاد بعيدة وياتي الدعاء .

---

(١) نسيج حرير دمشقي بلون بنفسجي يضرب الى لون القرمز الاحمر

رسالة من المطران افثيميوس

الى الحبر الاعظم البابا اكليمنضوس الحادي عشر

فالذي نوضحه لقدسكم هو كثرة الاشواق الى تقبيل اقدامكم ثم بعده نخبركم بما هو محيط بعلمكم من جهة مكتوبكم المرسل الى البطريرك كيرلس الانطاكي اننا ارسلناه صحبة ابن اختنا الخوري سارافيم ومعه اثنان الواحد يدعى القس باسيليوس والاخر الشماس ابرهيم تلاميذنا لاجل شريف وقار مكتوبكم وكتبنا له مكتوباً كافياً ليحرك قلبه للاتحاد مع الكنيسة الرومانية . ومضى المذكورين بهذا الشغل المبارك . وكان ابتداءه بسر عظيم ما احد اطلع عليه لا من المرسلين ولا من اولاد بلادنا . فاستقاموا عنده مدة ثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوماً . وبسبب شكوكه الكثيرة ولدنا البار الخوري سارفيم ازال من قلبه كل الشكوك المضادة الايمان وغيره . وبعد ما اقتنع الاقتناع الكلي اقتضى الامر بينه وبين ولدنا الخوري سارافيم بان رهبان القدس (الفرنسيسكان) يكونوا شاهدين بحقيقة ايمانه واتحاده بالكنيسة الجامعة . فحينئذ حضرة البطريرك اختار البادري بلاسيوس (Pelagios) رئيس الرهبان المذكورين (في دمشق) بان يكون شاهداً على اقراره ورفيقاً للخوري سارافيم في تقديم الطاعة للكرسي الروماني المقدس والنيابة عنه . وقد ارسل لنا المكاتيب المتضمنة اعتقاده . فالواحد لقداستكم والاخر للمجمع المقدس مفتحين بغير ختم براني لكي نطلع عليهم ونصدق بصحة ايمانه لانه يعرف اني كنت اشك فيه واثلب عليه بسبب الايمان . والان ثبت عندي حقيقة ايمانه من مكاتيبه ومن قضية اخرى وهي ان قسوسنا عنده اباح لهم القداس كل يوم في كنيسته وان يكرزوا على الناس بحقائق الايمان الكاثوليكي . فبعدما تحققنا صدق قوله من فعله وبعد اطلاعنا على المكاتيب ختمناهم بختمنا فوق الغلاف كرسومه لنا وهم واصلين لقداستكم صحبة الاباء الخوري سارافيم والبادري بلاسيوس المذكورين .

ثم نخبر قداستكم هو اننا سابقاً اخبرنا ابوتكم المطوبة عن رجل خوري

كان قريب للايمان سعينا فيه حتى صار مطران بصيدنايا وديرها . ولما توجهوا تلاميذنا لعند البطريرك وصيناهم ان يمضوا الى عند المطران جراسيموس المذكور بصيدنايا ويكملوا تلمذته بالايمان المقدس فذهب الى عنده الخوري وارفاقه المذكورين وبنعمة الله تعالى كمل مقصودنا باتحاده مع الكنيسة المقدسة . وفي الحال انتخب الشماس ابراهيم تلميذنا بمشورة الخوري سارافيم كي يكون نائباً عنه بتقديم الطاعة واكمال اتحاده مع الكنيسة الرومانية وارسل معه صحيفتين مع صورة ايمانه الى عندنا بدون غلاف براني حتى نطلع عليهم ونتأملهم ان كانوا كافيات . وترجى عندنا ان نوجه معهم ناقلهم الينا الشماس المذكور نحو قداستكم . ولما تحققنا من مكتوبه بعد شهادة تلاميذنا الواقفين على اقراره ان ايمانه من كل قلبه وطالب بذلك خلاص نفسه تممنا رجاه وكملنا كهنوت ولدنا الشماس ابرهيم بدرجة القسوسية ودعينا اسمه القس غفرائيل حسب عوائدنا . واقتضى امرنا ان يتوجه مع ابن اختنا الخوري سارافيم لتقبيل اقدامكم نائباً بتقديم الطاعة عمن اختاره لهذه الوظيفة والخدمة المقدسة . ونشكر الله تعالى الذي في زمان رياستكم في الكرسي تلألأ اشراق نجمكم في هذه البلاد وقاد بطريركنا كيرلس الانطاكي الى الاتحاد مع الكنيسة المقدسة الرومانية بعد هل القدر زمان . ولكن ياسيدي من شأن يسوع تأخذوه بين الكمال لانه ابن دولة قديم في الوجاق ومطبوخ في الرياسة وكلمته نافذة في بلاد الشرق عند جميع الاعيان والحكام . ومتى نظر منكم كمال المحبة ربما يكمل في زمانه شيء معدوم من اجيال عديدة . الله تعالى يديم حياتكم ايها الاب المطوب ويكمل نيتكم حتى ننظر في زمانكم الاربعة بطاركة مع جميع النصارى طائعين للكرسي الرسولي . والخوري سارافيم والبادري بلاسيوس يخبروكم جميع ما في ضميري . يكون هذا بشريف علمكم بعد تقبيل اياديكم ثانياً وثالثاً

الفقير افثيميوس مطران صور وصيدا

سطر في دير المخلص في ٢٠ ايلول سنة ١٧١٦

ابن الكنيسة الرومانية

اعتراف المطران جراسيموس بالايمان الكاثوليكي

صورة امانتي انا الحقير جراسيموس مطران صيدنايا

باسم الاب والابن والروح القدس امين

انا اومن واصدق واقبل واكرم جميع ما تومن به وتعتقده الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية الرومانية التي هي ام ومعلمة جميع الكنائس تحت تدبير راس واحد اعني به خليفة مار بطرس نائب سيدنا يسوع المسيح والرئيس العام لها . واومن بجميع ما يتضمنه قانون الايمان المستعمل في الكنيسة المقدسة المذكورة الذي هو اومن باله واحد بكاملها

واومن بجميع المجامع التي صارت اولا واخيراً وتثبّتت بسلطان الحبر الروماني نائب سيدنا يسوع المسيح المحفوظ من الغلط في الايمان المقدس .

وايضاً اومن واقبل المجمع الفلورنتيني وما تثبّت فيه من حقائق الايمان اعني ان الروح القدس منبثق من الاب والابن صادراً من كليهما صدوراً ازلياً بنفخة واحدة ازلية وان الانفس البارة حين انفصالها من اجسادها ترتقي الى السماوات وتشاهد اللاهوت مشافهة وان نفوس الخطأة في حال انفصالها من اجسادها في حال الخطية المميتة تهبط لوقتها الى جهنم الابدية . والانفس التي تنفصل من اجسادها وهي ملوثة ببعض هفوات عرضية وغير مكملة قوانين (التوبة على) الخطايا المميتة حينئذ توفي ما عليها في المطهر . وهناك تفيدها القداديس والصلوات والصدقات و كل افعال البر المقدسة عنها من المؤمنين في هذا العالم . وبعد وفائها ذلك ترتقي الى السما . وان القداس يستحيل بواسطة الكلام الجوهري الملفوظ من الكاهن على الخبز القمحي فطيراً كان او خميراً . وان كل واحد ملتزم ان يحفظ طقس كنيسته شرقية كانت او غربية .

وان البابا الروماني هو خليفة مار بطرس الرسول ونائب سيدنا يسوع المسيح على كنيسته كلها التي ليس يوجد خلاص بسواها .

فانا اومن بكلما تؤمن به وابارك كلما هي تبارك والعن كلما هي تلعن . فهذا نذري . والانجيل الذي وضعت عليه يدي هو شاهد عليَّ مع ناقل هذه الوثيقة نائبي ووكيلي الشماس ابرهيم فينان بحضور الاب الخوري سارافيم والقس باسيليوس الابرار . وعلى يدهم انا عاهدت ربي ان اكرز بهذا الايمان وارشد به رعيتي على مقدار قوتي الى آخر نفس من حياتي . والله عوني ورجائي على اكمال مقصودي . وخطي وختمي على رسالاتي المرسلة مع وكيلي المذكور يشهدان عليَّ .

جرى وحرّر في اليوم العاشر من شهر تموز سنة ١٧١٦ ستة عشر وسبعماية والف مسيحية .

رسالة من المطران جراسيموس الى البابا

قدس قداسة سيدي الاب العام البابا اكليمنضوس الحبر الروماني الكلي القبطة دامت رياسته آمين

والذي ننهيه بين ايادي قداستكم هو ان حضر الى عندنا لقرية صيدنايا في دير العذرآء المعمور في اول شهر تموز من شهور سنة ١٧١٦ تلميذكم الاب الخوري سارافيم الاكرم ابن اخت مطران صيدا ومعه تلاميذ خاله المطران المذكور القسيس باسيليوس شاهين والشماس ابرهيم فينان والمذكورين اوضحوا لنا ما هو واجب علينا معرفته من حقائق الايمان الكاثوليكي وتقديم الطاعة الواجبة للكرسي البطرسي الروماني الذي كل من يحيد عنه ليس له خلاص . فنحن نشكر الله الذي منَّ علينا في هذا الزمان بمعرفة حقائق الكنيسة الرومانية ام ومعلمة جميع الكنائس التي هي عمود الحق واساسه .

فانا يا سيدي بعد ما وقفت على كلام المذكورين فحصت عنه في كتب ابواتنا معلمين وقديسين بلاد الشرق فرايت ان جميع ما اثبتوه لنا هو راي معلمين كنيستنا

وراي المجامع المقدسة بعينه . وانما هذا الانفصال عن كنيسة رومية الكاثوليكية وهذه الغلطات الطارئة علينا هي من بعض اشقيا معاندين الحق . فلاجل ذلك صدقت وثبّت جميع قواعد ايماني على حقائق الكنيسة الرومانية المقدسة ورفضت جميع ما كنت سالكاً به من الغلطات والعناد في الحق الواضح وكتبت منشور ايماني في صحيفة تتضمن ما اومن به جملة وتفصيلاً . وهي مقدمة لقداستكم تشرفوها بنظركم الشريف وتقبلونا في حضن الكنيسة المقدسة وتنعموا علينا بالبركات الرسولية حتى يكون سلطاننا ثابت بتاييد الكنيسة المقدسة وتمنحونا حلة من الغلطات والمعاندات التي سلكنا بها بالغشم قبل قبولنا حقائق الايمان خصوصاً من (اجل) اخذنا درجات الكهنوت من يد رؤساء مشاقين

وانا منذ الان ايها الاب الاكرم الطوباني عاهدت ربي عهداً كاملاً بحفظ حقايق الايمان الروماني ونذرت على نفسي نذراً حقيقياً باني على هذه الامانة احيى وعليها اموت واكرز واعلّم بها لمن هو تحت طاعتي وتدبيري . وهذا خط يدي وامضاي وختمي يشهدان عليّ كما في حضور الخوري سارافيم والمذكورين معه اعلاه .

اشهدت على نفسي الله والاناجيل المقدسة بان هذا نذري والله عوني .

كتب في دير صيدنايا دير سيدتنا مريم العذراء في يوم العاشر من شهر تموز سنة ١٧١٦ ستة عشر وسبعماية والف احقر تلاميذ قدسكم

جراسيموس مطران صيدنايا

رسالة من المطران ذاته الى مجمع انتشار الايمان

جناب حضرة سادتي الكردينالية الكرام الكلي الشرف والوقار اصحاب المجمع المقدس زيدت فضائلهم .

بعد تقديم الطاعة والخضوع نعرض بين ايادي جلالتكم هو ان لما كان اول شهر تموز من شهور سنة ١٧١٦ حضر لعندنا الاب الخوري ابن اخت السيد المطران كيريوس افثيميوس مطران صيدا ومعه قسيس وشماس . ولما واجهونا تكلموا معنا بخصوص حقائق الايمان الكاثوليكي المقدس . وبعد فحص كلي

اقنعونا من كتب معلمين كنيستنا . ولاجل ذلك التزمنا ان نقر بالحقائق التي انظهرت لنا من المذكورين . وطلبوا منا ان نكتب صورة ايماننا ونقدمها لسيادتكم ولسدة البابا اكليمنضوس الحادي عشر . فالمراد هوذا الآن نخبر سيادتكم باني انا الحقير المطران جراسيموس مطران صيدنايا أومن وأصدق واقبل وأكرم جميع ما تؤمن به وتعتقده الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرومانية التي هي ام ومعلمة جميع الكنائس . وهي تحت تدبير رأس واحد اعني به خليفة مار بطرس ونائب سيدنا يسوع المسيح والرئيس العام لها .

واومن بجميع ما تضمّنه قانون الايمان المستعمل في الكنيسة المقدسة المذكورة الذي هو اومن بالله واحد الى تمامها .

واومن بجميع المجامع التي صارت اولاً واخيراً وهي التي تثبّتت بسلطان الحبر الروماني نائب المسيح المحفوظ من الغلط في الايمان المقدس .

وايضاً اومن واقبل ما تثبّت في المجمع القلورنتيني وهو ان روح القدس منبثق من الاب والابن صادر من كليهما صدوراً ازلياً بنفخة واحدة ازلية . وان الانفس البارة حين انفصالها من اجسادها ترتقي الى السموات وتشاهد اللاهوت مشافهة (مواجهة) . واما نفوس الخطأة وقت انفصالها من اجسادها في حال الخطية المميتة تهبط الى جهنم الابدية بسرعة . والانفس التي تنفصل من اجسادها وهي ماوتة ببعض هفوات عرضية وبعض قوانين مميتة (مهمة) وهي نادمة فهي توفي ما عليها في نار المطهر وهناك تفيدها القداديس والصلوات وافعال البر المقدمة عنها من المؤمنين في هذا العالم . وحين مطهرها ووفائها ترتقي الى السما بغتة . وان القداس يكتمل بواسطة الكلام الجوهري المقال من الكاهن على الخبز القمحي فطيراً كان او خميراً . وان كل واحد ملتزم بحفظ طقس كنيسته شرقية كانت او غربية .

وان البابا الروماني هو خليفة مار بطرس ونائب سيدنا يسوع المسيح على كنيسته التي خارج عن هذه الكنيسة الكاثوليكية ليس يوجد خلاص . وانا بالجملة اومن بكلما تومن به وابارك كلما هي تباركه والعن كلما هي تلعنه . هذا نذري والله عوني

ثم اني هوذا مرسل لنحو سيادتكم الشماس ابرهيم تلميذ الاب المطران كير افثيميوس المكرم ومرسلين صحبة المذكور رسالاتنا هؤلاء لعند اخينا المطران افثيميوس ليطلع عليهم ويوجه بهم ولدنا الشماس المذكور لنحوكم لكي يكون نائبنا بتقديم رسالاتنا وطاعتنا لحضرة الحبر الاعظم ولسيادتكم . والمذكور وقف على قرارنا مع الاب البار الخوري سارافيم الاكرم ورفيقه القس باسيليوس . وعلى يدهم انا عاهدت الله بذلك وحلفت على الاناجيل المقدسة ونذرت على نفسي اكرز بهذا الايمان الى آخر حياتي واعلمه الى رعيتي ولمن هو تحت تدبيري بقدر قوتي . وهذا امضائي وختمي يشهدان علي والله عوني .

كتب في دير صيدنايا دير سيدتنا مريم العذرى في يوم العاشر من شهر تموز في سنة ستة عشر وسبعماية والف للتجسد الالهي[1] . احقر المطارنة

جراسيموس مطران صيدنايا

﴿ محل الختم ﴾

---

(١) هذه الرسائل الثلاث نشرت صورها في كتاب تاريخ صيدنايا صفحة ١٨٠ وما يليها وهي منقولة عن سجلات مجمع انتشار الايمان مما نقلناه عنها سابقاً وترجمت الى الايطليانية ونشرت بالطبع في مجموعة المجامع في المجلد السادس والاربعين من مجموعة Mansi وهو العاشر من الملحق الخاص بالروم الملكيين

﴿ الفصل الثامن والثلاثون ﴾

في انجاز وتمام انحاز البطريرك كيرلس ومطرانه صيدنايا

لما بلغ رومية نواب البطريرك والمطران السابق ذكرهم عرضوا على مجمع انتشار الايمان الرسائل التي معهم من البطريرك ومطران صيدنايا ومطران صيدا وقنصل فرنسا فيها واوضحوا لهم غاية قصادتهم وطلبوا التشرف بمقابلة الحبر الاعظم لمخاطبته بما قدموا لاجله الى رومية . واذ اجتمع اصحاب المجمع في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٧١٧ تليت عليهم هذه الرسائل ونظروا ملياً في صورة اعتراف البطريرك كيرلس بالايمان الكاثوليكي وكذلك نظروا في صورة اعتراف مطران صيدنايا فوجدوا انهما غير وافيتين بايضاح الايمان الكاثوليكي الايضاح التام كما ينبغي كالعادة الجارية لذلك العهد في رومية كسنَّة لا تخالف فيما يخص الشرقيين اي لم يمضيا صورة الاعتراف بالايمان الكاثوليكي المطبوعة باليونانية واللاتينية المقررة للروم من البابا غريغوريوس الثالث عشر ولا الصورة المطبوعة باللاتينية والعربية المقرَّرة لجميع الشرقيين من البابا اوربانوس الثامن . ومن ثم اوعزوا الى الوفد بان يرجع واحد منهم الى الشرق لمراجعة البطريرك والمطران بامضاء وختم صورة الايمان المنسوبة للبابا غريغوريوس الثالث عشر اعتماداً على ان الايمان الكاثوليكي كله حق بجميع عقائده ويجب ان يكون الاقرار به

كاملاً صريحاً لا اشكال فيه ولا ابهام . واذ تقرر ان يقوم بهذا السفر القس جبرائيل فينان ارسلوا معه نسختين مطبوعتين من صورة الاعتراف المنسوبة للبابا غريغوريوس مع رسالة بهذا الشأن الى المطران افثيميوس ورسالة ثانية الى قنصل فرنسا في صيدا (Boullard) ليساعدا القاصد المذكور باتمام عمله لدى البطريرك كيرلس والمطران جراسيموس ليعود سريعاً الى رومية بصورة اعترافهما القانونية كما جرى على ما يتضح ذلك من جواب المطران والبطريرك بهذا الشان فيما يلي وقد نقلناهما عن سجلات مجمع انتشار الايمان

واذ كان قنصل فرنسا في صيدا Boullard صديقاً للبطريرك كيرلس كما كان ايضاً صديقاً للمطران افثيميوس وكان له بهذا الشان يد تذكر وتشكر من اول الامر ينبغي لنا ان نورد هنا ما كتبه له البطريرك كيرلس جواباً على رسالة كتبها له بعد عودة القس جبرائيل من رومية ونعدل عن ايراد ما وقفنا عليه من الرسائل المتبادلة بينه وبين البطريرك ورومية بهذا الشان مما لا يخرج معناه عما نشرناه قبلاً . قال البطريرك بعد المقدمة المالوفة

. . . اولاً مزيد الاشواق اليكم . ثانياً ان سألتم عنا فاننا من كرم المولى بكل خير مقيمين على وظيفة الدعاء . وبعده نخبر محبتكم بانه وصل لنا مكتوبكم وقريناه وفهمنا ما ذكرتم وحمدنا الله تعالى على سلامتكم الذي انتم بخير . وذكرتم لنا بان المكتوب الذي كتبناه للكردينال ألباني ما هذا هو اسمه لكن اسمه سكريبنتي . فيا حبيبي نحن ايش يعرفنا في هذا او في هذا ؟

لكن هكذا كتب لنا الخوري سارافيم من هناك عن اسمه . وكتبوا لنا ورقة رومي حتى نختمها . انا بالرومي ما اعرف وما احد قدر يفسرها في الشام بعثتها الى حلب حتى يفسروها وتجي . وبقي كل شي. قلته سابقاً كتبناه لكم وما خلينا شي. ناقص .

واصل لك مكتوب عوض المكتوب الذي رديته الى الكردينال . وايضاً الورقة التي كتبتها عندك وارسلتها لنا حتى نمضيها لك امضيناها وبعثناها لك وصورتها هي عندك في السابق . لزم اعلام محبتك بذلك . وبعده نهدي منا البركة الى توابعك ومن ياوذ بك والى سائر الطائفة (الفرنساوية) ومن يسال عنا والبركة عليكم

والان اذ نظرنا ورقة الرومي تعوّقت في حلب فطلع عند البادري توما (ريس رهبان مار فرنسيس في دمشق) واحدة عربي لاتيني ختمناها وهي واصلة اليكم ثم واصل لك علبة فيها كم مسبحة وثلاث صلبان كبار . . .

ولكن ما فعلته (حسن) بسبب قلة جيئة القس جبرائيل (فينان) لان اليوم الشام ربنا يلطف بعباده بسبب هذه الامور[1] . وبعده نهدي منا البركة الى ترجمانك والى بقية الطائفة عموماً وعمرك يطول .

وحكاية (قضية) دير ناطور والقرصان ما اخبرتنا كيف عملت فيها . . .

سطر في ١٦ تشرين الاول سنة ١٧١٧ كيرلس

البطريرك الانطاكي

---

(١) يظهر ان دمشق كانت حينئذ باضطراب زائد ونظن ذلك كان بسبب او على اثر قتل ناصيف باشا بعودته من الحج من جركس باشا الذي تولى دمشق مكانه .

حضرة الاخ العزيز منصور كارافا المحترم[1]

... نعرض لسيادتكم بانه بلغنا علم انتخابكم لهذه الوظيفة المقدسة فشكرنا الله الذي زيّن كنيسته بسيادتكم ولذلك فرحنا وانسرينا في الغاية ولم نزل متوسلين نحو فضله تعالى ان يديمكم ويرقيكم الى الرتب العالية لكي بواسطتكم تنتفع كنيسة المسيح وينمو بغيرتكم الايمان المقدس ويتمجد ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الى الابد امين .

ايضاً وصل ولدنا القس جبرائيل فينان المكرم مرسل من طرفكم وصحبته المكاتيب المرسلة من المجمع المقدس لنا ولحضرة القنصل المكرم . بخصوص قضية البطريرك كيرلس الكلي الوقار وقضية اخينا المطران جراسيموس وقد تم الشغل على موجب مكاتيبنا للمجمع المقدس التي منها تفهموا الامور ومن الرسول المذكور ايضاً .

وكذلك ارسلت في مكاتيبي الى المجمع المقدس بخصوص بعض قضايا نتوسل اليكم لتعملوا غيرة على اشغالنا في محبة الله وفي نقلها من اللغة العربية الى اللغة الايطالية مع ابن اختنا او غيره لتُعرض على المجمع المقدس ويرسل لنا الجواب الشافي . وكذلك نطلب من الله ان يكون بعونكم وينجح اموركم امين .

وايضاً كنا سابقاً بعثنا من عندنا تلاميذنا الخوري اسطفان ريس دير المخلص والقس باسيليوس المكرمين لعند مطران صيدنايا الكلي الشرف والاخ العزيز بالله وطلبنا منه ان يختم امانة الحبر اوربانوس الثامن فختمها بيده وارسلها لعندنا مع تلاميذنا المذكورين . ولما ورد مكتوب المجمع المقدس باسمه ارسلناه ليد المعلم منصور المكرم المحامي عن ابناء الكنيسة فابقاه لانه قال هذا رجل مضمون التبعة وارسل (المطران) امانة اوربانوس الثامن مختومة وممضية بشهود

---

(١) Carafa جعل حينئذٍ كاتم اسرار مجمع انتشار الايمان .

المرسلين اليه وهي الان واصلة لكم مع القسيس جبرائيل فقدموها الى المجمع المقدس . فان شاء الله تكون مقبولة عند نيافتهم جداً ويكرم اخونا المطران المذكور لانه رجل غيور على شعب الله . واتحاده مع الكنيسة من كل قلبه . وهو الذي كنا اخبرنا المجمع المقدس به منذ اربع سنوات لما رأيناه مستقيم الايمان سعينا في اقامته قهراً عن المشاقين . فنسأل سيدنا يسوع المسيح ان يشرق نعمته في قلوب بقية الرؤساء ليكونوا مثله لتكميل الاتحاد في زمانكم وننظره باعيننا قبل الممات وينجح اموركم لتمجيد ربنا يسوع المسيح . افثيميوس بنعمة الله

سطر في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٧١٧ مطران صور وصيدا
ابن الكنيسة الرومانية

رسالة من المطران افثيميوس الى مجمع انتشار الايمان

سادتي الكردينالية الكلي النيافة المحترمين . . .

بعد تقديم الطاعة والخضوع لمجمعكم المقدس نخبر نيافتكم انه قد وصلت مكاتيبكم مع ولدنا القس جبرائيل فينان رسولكم المكرم الاول منهم الذي تاريخه شهر نيسان والاخير تاريخه اواخر تموز وهو المختص بقضية البطريرك كيرلس الكلي الاحترام . فيكون معلومكم انه من حين الذي توجهوا من طرفكم اولادنا الروحانيين الخوري سارافيم طاناس والقسيس جبرئيل فينان المكرمين ما كفينا من المكاتبة لسيدنا البطريرك المذكور لكي نثبته ونشجعه في الايمان المقدس . وقبل وصول مكاتيبكم المذكورة الينا كنا ارسلنا شُرنا عليه وعلى المطران جراسيموس المكرم بان يمضوا بخط يدهم ويختموا بختمهم امانة اوربانوس الثامن ويرساوها لنيافتكم . والان لما وردت مكاتيبكم لنا وحضرة عزيزنا مسيه بولار الكلي الغيرة في كنيسة المسيح مع القسيس المذكور اعلاه وعرفنا منها مطلوبكم من البطريرك والمطران المذكورين وهو ان يعطوا

خطوطهم وختومهم في امانة غريغوريوس الثالث عشر تشاورنا مع حضرة عزيزنا مسيه بولار في تتميم هذا الامر فرأينا الاصوب ان نرسل المكاتيب عاجلاً لحضرة البطريرك فارسلناها مع ساعي وابقينا الرسول عندنا في صيدا لاجل اسباب ضرورية وبعض الامور حتى يصير كل شيء بتمييز وتكمل الامور على سلامة حتى اننا ما ارسلنا المكاتيب ليد البطريرك راساً بل ارسلناها ليد رجل عزيز غيور في الايمان وكلمته ماضية عند البطريرك ومسموعة عند الحكام الترك وهو ابن عمنا السيد منصور صيني . فهو تسلم المكاتيب وكمل الاشغال كلها بسلام واخذ الجوابات الواصلة اليكم مع حضرة القسيس المذكور

واما سبب عدم امضاء امانة غريغوريوس التي ارسلتموها لهم ليس هو الا لاجل انهم ليسوا عارفين باليوناني واللاتيني . ولاجل ذلك امضوا امانة اوربانوس الثامن المطبوعة باللاتيني والعربي في مبتداها ومنتهاها . وذلك لكي يوضحوا بهذا النوع انهم ما طبعوا شيئاً الا عارفينه وفاهمينه وقابلينه . ونشكر الله الذي ما نتجت هذه الثمرة الكبيرة لاتحاد الايمان الا بواسطة تلميذ من تلاميذ البروباغنده .

ايضاً يا سادتي ما ذكرتموه عن القضايا التي كنا طلبناها سابقاً من حضرة المجمع رد لنا الجواب بانها هي تحت سلطاننا وفي يدنا بسبب انها قضايا صغيرة . ونحن ما كنا طلبناها الا لسبب النفع الذي ينتج منها ولرفع بعض الشكوك (القلاقل) ونحن بعون الله تعالى ولو عرفنا ان من الواجب علينا ان نرفع بعض قضايا مضرة ونستعمل بعض قضايا نافعة حسب رأي الآباء القديسين والكنيسة المقدسة الرومانية الا اننا مع ذلك بمشورتنا للمجمع المقدس لنوضح بهذا كمال طاعتنا وغيرتنا في رفع الزوان من كنيسة الملكية الذي اوجده بطاركة ومطارنة الروم بعد انشقاقهم من الكنيسة الرومانية المقدسة ام ومعلمة جميع الكنائس التي كل من تاه عن رأيها ضل وهلك .

ايضاً يا سادتي نخبركم الان انه قد تظاهر (نما) بزيادة انتشار الايمان

(الكاثوليكي) ليس فقط في الابرشية الانطاكية بل في بلاد القدس وغيرها . ولما عرف بهذا بطريرك اسطنبول وبطريرك القدس المشاقين وبلغهم ان سبب ذلك من حقارتنا ارادوا يضطهدونا بكل قوة بمساعدة الترك . ونحن لله الحمد متكلين على نعمة الله لكي يخلصنا من شرهم الخبيث . وخصوصاً بسبب انه ورد اليهم مكاتيب من المخالفين بان ما خرب كنيسة الروم الا افثيميوس مطران صيدا الذي هو قائم عنده كهنة على رأيه في هدم اعتقاد الروم واقامة كنيسة رومية حتى بطريرك اسطنبول وبطريرك القدس كتبوا الى بطريركنا كيرلس الانطاكي كي يقاصصنا . وذكروا له ايضاً انه ان كان لا يقاصصنا ويردنا عن راي الكنيسة الرومانية والا طلبوا عن اجازته والدستور منه حتى انهم هم يضطهدونا . واذا مـا كفت قوتهم يقاصونا بقوة الترك . فحضرة بطريركنا المذكور جاوبهم قائلاً ما اعطيكم دستور في احد من مطارنتي الذين في ابرشيتي . وان لزم الامر فضعوا يدكم عليَّ انا خاصة عوضهم . فلما رأوا منه هذا الجواب كفوا . ومن بعده ما نعرف كيف سكوتهم[1] .

ثم ياسادتي انا عبدكم الذي لي منذ ٣٥ سنة قدمت طاعتي للكنيسة المقدسة الرومانية وقدمت دمي ايضاً في محبة المسيح وكنيسته وفي كل يوم مضى من الزمان المذكور كنت تحت خطر القتل تارة من بطاركة اسطنبول وتارة من بطاركة القدس وتارة من اعداء الصليب حتى الى هذه الساعة . بل بقية عمري كله[2] وقد اضعت كل مالي وما املك وصار علي بهذا القدر ديون . ومع كل

---

(١) سنتحقق في سياق هذا التاريخ ان هذه الاخبار ليست مجرد اوهام او من باب التوهيم من المطران لرومية

(٢) لا يعلم غير الله والراسخين في تاريخ النصرانية في تركيا لذلك العهد صدق هذا الكلام وشجاعة نفس المطران وتلاميذه واصحابه الكاثوليك حتى تغلبوا على كل هذه المخاطر والمخاوف وبذلوا نفوسهم في سبيل الايمان الكاثوليكي الكتر المخفي الذي هو فوق كل ثمن وقيمة .

ذلك لم نزل نحن وكهنتنا مجاهدين الى اخر حياتنا . وليس لنا قصد اخر بذلك الا اقامة الايمان المقدس وطاعتكم ...[1] الذي نفقناه لاجل اقامة شعب مقدس ليسوع المسيح في هذه البلاد ما نظرنا اليه . وذلك لاني اعرف هذا جيداً انه منذ مدة اربعين سنة لما كنت في دمشق ما كان يوجد فيها من يعرف المجمع المقدس والحبر الاعظم الا بعض اناس غشمهم كان احسن من معرفتهم . فمن غيرتي كنت اعطي للمرسلين الذين في الشام حسنات ليدفعوها الى الفقراء ابناء طائفتنا حتى يميلوهم نحو الايمان بسبب الرحمة . والان بنعمة الله ايمان الكنيسة الرومانية قد انتشر ليس فقط في الابرشية الانطاكية بل في كل ابرشية مصر والقدس . وجملة اناس ليسوا بقليلين هم الان قائمين بالايمان الروماني المقدس ومراسلاتهم لا تنقطع عني لمعرفة الايمان حتى من (اهل) الكرسي القسطنطينية ايضاً لان الذي يحضر منهم الى اساكل ابرشيتنا صور وصيدا صاروا يذعنوا للحق لان من النظر والسمع شبكة مار بطرس اقتنصتهم . وانا كنت اتمنى من فضل الله لو يكون عندنا في طرفنا اناس من اولاد الكنيسة سالمين الغرض يطلعوا على كامل الامور عندنا ويخبروكم بكافتها حسبما تقتضيه ذمتهم . ولهذا ارجى من الله ان يكشف لكم ضميري ونيتي واتعابي حتى تنظروا الينا بعين الشفقة . لاني ولو كنت حاملا هذه الاتعاب جميعها الا اني دائماً افتكر في عظم اتعابكم التي انتم دائماً متحملينها لاجل تدبير الكنيسة والمماليك المطلوبة منكم ولاجل ذلك نحن كافة نلتجي الى الله تعالى في مساعدتكم ومعونتكم كما يلزم ذمتنا

ثم يا سادتي من خصوص كتاب الانخولوجي الذي طلب طبعه حضرة سيدنا البطريرك نرجو من صدقاتكم تعجلوا له في طبعه لان بسببه ينتج خير عظيم في بلادنا وينشي عزم المشاقين لمحبة الكنيسة والاتحاد بها

---

(١) الاصل المخطوط اعترى لطية الورق فيه وربما كان الاصل « والمال . »

وايضاً من خصوص بقية القضايا التي طالبها من سيادتكم البطريرك المذكور نرجو من فضلكم تكملوا له كلما يمكن تكميله لانه على ما اطلعنا من حقيقة اتحاده مع الكنيسة المقدسة نيته في هذه القضايا صالحة فنرجوا اكرامه لان اكرامه واجب لانه يطلع بيده كل شيء صالح في حق الكنيسة .

ونسال الله ان ينجح اموركم لمجده الالهي امين . عبدكم المطيع

سطر في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٧١٧ افثيميوس مطران

صور وصيدا

ابن الكنيسة الرومانية

اذا كان المكتوب دليلاً ناطقاً على نفس كاتبه وترجماناً صادقاً لما يضمر في نفسه فان هذه الرسالة النفيسة تظهر لنا بلامحالة ان المطران افثيميوس كان ذا نفس كبيرة كريمة وشخصية بارزة ممتازة بشجاعتها وثباتها وصبرها على تحمل المحن والمكاره في سبيل الله وببعد نظرها في مقاصدها واعمالها الرسولية فلم يكن ينحصر نظره واعمال غيرته ضمن حدود ابرشيته في صور وصيدا ولم يقصد الخير لفريق او لطائفة صغيرة من الروم من الابرشية الانطاكية. بل كان يتوخى باعماله اتحاد جميع الروم في الكنيسة الكاثوليكية لتعود كنيستهم كلها كاثوليكية كما كانت قبل الانشقاق . ولهذا لم يكن يبالي في سبيل ذلك بخسارة الاموال ولا باحتمال المحن والاتعاب والاضطهاد من بطاركة الروم ومن بطريركه الخاص . وكان يدرك تماماً ماينتج من الخير العميم اذا اعلن البطريرك كيرلس اتحاده مع رومية لان كيرلس كان يُعتبر وحده البطريرك

الانطاكي الحقيقي عند كل البطاركة الشرقيين من الروم وغيرهم ما عدا رومية لانه باتحاده مع رومية يجعل سبيلاً لاتحاد كل مطارنته ولكل الاكليروس والشعب التابعين لابرشية البطريركية الانطاكية . فتعتز لا محالة بهم كنيسة الروم الكاثوليكية في جميع البلاد الشرقية ويرتفع او يزول الاضطهاد اللاحق بهم لقلة عددهم لاعتبارهم عند اضدادهم انهم طائفة مستضعفة قليلة قد تضمحل بالاضطهاد والمحن مع الزمان مهما كان صبرهم وصبر رعاتهم . ولم يعلموا ان الله مع الصابرين في سبيل الله بايمان خالص

واذ كان اتحاد البطريرك الانطاكي المذكور له شان عظيم بهذا القدر في رومية وفي ابرشيته الانطاكية فلا غرو ان يقوم في سبيل ذلك عقبات مهمة وجمة من عدة نواحي . واذ كان قد جرى ما تقدم في السر والخفاء فلم يبلغ خبره قطعاً الى بطاركة الروم في القسطنطينية . لكن قام في نفس رومية ومن نفس البطريركية الانطاكية عدة امور صعبة في سبيل ذلك . واخصها ان رومية كانت تُعتبر — اعتماداً على بلاغات رؤساء الرهبان الفرنسيسكان الذين كانوا يقومون لذلك العهد باعمال القصادة الرسولية في هذه الايام — ان البطريرك الحقيقي الشرعي انما هو اثناسيوس الدباس الكاثوليكي وان كيرلس غصبه البطريركية ظلماً بقوة الاتراك ونفاه قهراً من دمشق الى حلب .

واذ سافر الى اسبانيا الاب بلاسيوس الفرنسيسكاني ووكيل

البطريرك بعد عودة الاب جبرئيل فينان الى صيدا بقي الخوري سارافيم طاناس وحده وكيلاً عن البطريرك كيرلس في رومية والتزم ذمة ان يحامي عنه فاوضح لذوي الشان في رومية ان اثناسيوس الدباس قد تنازل بكل طوعية عن البطريركية الى كيرلس صلحاً امام المطارنة واعيان الشعب بشروط امضاها جميعهم في اجتماع حافل . ومن ثم اقتضى الحال ان يكتب مجمع انتشار الايمان الى البطريرك اثناسيوس الدباس على يد رئيس الفرنسيسكان في حلب يسأله عن سبب تنازله عن البطريركية هل كان ذلك بطواعية منه ورضى ام كان ذلك عن قهر واضطرار .

فكتب البطريرك اثناسيوس الجواب في الرسالة التالية التي وجدناها في سجلات مجمع انتشار الايمان ممضية بخط يده وختمه قال

الى جناب السادة الكردينالية الكلي الشرف والفايق الاحترام ضابطي زمام تدبير المجمع المقدس الرفيع الاعلام دام علاهم واشيد سناهم .

وبعد فالمنهي لسيادتكم غب اهدآء فضلكم ما يجب اهدائه من بليغ التحيات المقرونة بغزير النعم والبركات ومرادفة الادعية اليه جل شانه بدوام بقاكم السامي وشرفكم المتسامي هو انه في ابرك الاوقات واسعدها قد وصلت

---

(١) وجدنا نسخة من هذه الرسالة في مجموعة خطية معروفة بعجالة راكب الطريق لنعمة توما الخوري الحلبي كاتب البطريرك اثناسيوس ونشرت ترجمتها بالايطليانية في صفحة ١٢٢ في المجلد العاشر من الملحق بمجموعة المجامع (Mansi) الذي يخص الروم الملكيين

الينا مشرفتكم المسفرة عن صبح محيا حبكم القديم وتدبيركم القويم المحرره في ١٧ آب وكان وصولها عن يد محبنا الصدوق البادري انطونيوس الورديان بحلب فتلقيناها بالترحاب وقابلناها بالاكرام ورفع الحجاب فاذا هي الدرة المقبولة ووسيلة المحبة المأمولة وحمدناه تقدست اسماه على ما اسداه الينا من غزير نعمة الان وشكرنا تفاقم حبكم الفائق السمو . وحسن نظام تدبيركم الزايد التوفيق والغلو . الباحث عن جلية الامور وحقايقها . كما هو من حق استفحاص رتبتكم ووظيفتكم ودقايقها . وحسبما يليق بمقام سعادتكم الذي اقامكم الله فيه وشرفكم بالفحص عن تدقيق ضوافيه . وقد اخبرتمونا عن حضرة اخينا البطريرك كير كيرلس المحترم انه قد عدل عن ما كان فيه وطلب الاتحاد بوثاق الصلح والسلام مع البيعة المقدسة حيث انه قدّم قانون ايمانه على ايدي رسله الى مجمعكم المقدس ولدى حضرة الحبر الاعظم وطلب من جنابه التثبيت وانكم قد سررتم بذلك جداً لرجاء الخير الذي يصدر من تشبه رعاياه به . فكذلك نحن تفاقم حبورنا بهذا من قبيل انه معلوم سيادتكم منذ زمان مديد وعصر قديم لم نزل نفرح لفرحكم ونرتضي بما ترضونه وكلما هو مقبول لديكم فهو اجلّ اربنا لوجود الحب والاتفاق الجاري بيننا وبينكم .

هذا وقد استفهمتم منا وطلبتم ان نخبركم عن كيفية تنزلنا له سابقاً وباي وجه كان ذلك . فنعلم جنابكم العزيز ان ذلك كان بخمسة اسباب وهم الذين الجئونا ان نترك حقنا بغير اختيارنا .

الاول هو شدة المقاومات والمخاصمات والالتجاء الى الحكام والظالمين وزيادة الخسايز التي لم يعد لنا طاقة لاحتمالها .

الثاني حذراً من ظلم الرعايا والسلوك معهم في مناهج الغير مقبولة من بيعة الله تعالى ولا من قوانين الاباء القديسين لاحتشاد اموالهم بطرايق محرمة ودفعها للحكام الذين ينتصرون لنا .

الثالث حيث اننا راينا الشكوك قد انبثّت وكثرت بين رعية المسيح والمخاصمات قد زادت . ومن هنا تكون الخسارة من الرعايا اكثر من الربح المقصود . وليس لنا سبيل طالما نحن على هذا الحال الى رعاية خراف المسيح كما يليق بالرعاة المحقين

الرابع خشية من تراكم الديون علينا بغير فائدة روحية ورهبة من ان تثقل فلا يعود يمكننا الوفا ونموت تحت حقوق الناس مشبوهي الذمة

الخامس خوفاً من ان نضر الرعايا ونخترها بسبب تغلب الحكام الظالمين عليها فنكون قد اضعنا سعينا وتعبنا جميعه هدراً وباطلاً . ولهذه الاسباب وما ضاهاها قنعنا في ذلك الزمان بهذا القطيع الصغير الكائن تحت يدنا لكي نرعاه ببركات ادعيتكم المستجابة حسب الامكان على النهج القويم في رياض بيعة الله تعالى وايمانها المستقيم وتركنا له بقية حقنا قسراً واغتصاباً

واما الان من حيث ان شرفكم اخبرنا انه ارسل طلب الاتحاد الكلي في الايمان الارثوذكسي برباط الصلح والاتفاق مع الكرسي الرسولي والتمس التثبيت لذلك من الحبر الاعظم وراينا رغبتكم في ذلك فحقارتنا اتباعاً لرضاكم الغير مخالف وحذراً من تعطيل مثل هذا الخير العظيم ولئلا يُعدم هو مثل هذه الفايدة الجسيمة مع انه اخونا في رياسة الكهنوت فحقارتنا محبة بالله تعالى وبالكرسي الرسولي نسمح له اختياراً بكلية خاطري ورضاي . الا ان هذا السماح ينبغي ان تحفظ معه هذه الشروط التي نعرضها عليكم علها ان تدخل عندكم في حيز القبول

اولاً طالما هو مقيم لشرفكم بعهده المرقوم كون السماح المذكور الرضائي ما صدر منا الا لسبب ذلك

الثاني طالما هو ثابت على العهود التي بيننا وبينه بان كلاً منا له التصرف في رعيته من غير معارضة الآخر له اصلاً

الثالث ان لا يمتد في تنصيب خليفة له طالما هو في قيد الحيوة حسب القوانين

الواجبة في ذلك نظير ما جرى في عهد القديس ملاتيوس مع بافلينوس بطاركة انطاكية كما هو محرَّر في الفصل الثالث من الكتاب السابع من تاريخ سوزمونوس كونه قد بلغنا من هذا القرب ان لا نية له مثل هذه . وهذا ما تاباه القوانين المقدسة . وليس قصدنا من هذا المحاماة عن ذاتنا لانه من يعلم من يتوفى منا قبل الاخر الا الله تعالى وحده . ولكن لكي تحفظ رتب بيعة الله تعالى المقدسة على ترتيبها وحذراً من غايلة ذلك كون نهايتها تأول الى ما لا يرضي جلاله . ومثل سعادتكم لا يحتاج زيادة تلخيص في مثل هذه الاحوال ولا في غيرها كونه في حسن تدبيركم السامي كفاية كل امر

الداعي

سطر ٢٣ تشرين الاول سنة ١٧١٧

الحقير اخوكم بالمسيح اثناسيوس البطريرك الانطاكي سابقاً

بعد عودة الاب جبرائيل فينان من صيدا الى رومية وصحبته الاجوبة السابق ذكرها من المطران افثيميوس ومن قنصل صيدا ومن البطريرك كيرلس ومطران صيدنايا وبعد وصول جواب البطريرك اثناسيوس من حلب تليت ترجمتها في جلسة خاصة في مجمع انتشار الايمان مع صورة اعتراف البطريرك كيرلس واعتراف مطران صيدنايا بالايمان الكاثوليكي قرر المجمع انهما كافيتان وافيتان وحوّلهما الى مجمع التفتيش فوجدها اصحابه كافية وافية . ومن ثم رفعوا القرار بنتيجة ذلك الى الحبر الاعظم فوافق عليه وقبل البطريرك والمطران المذكورين في حضن الكنيسة الكاثوليكية وكتب الى كل منهم رسالة بهذا الصدد . ونورد هنا رسالته الى البطريرك معرَّبة بقلم القس يوحنا العجيمي

في كتاب التختيكون ننقلها عنه بعد ان قابلناها على اصلها اللاتيني كما ورد في صفحة ١٢٣ من ملحق مجموعة المجامع السابق ذكرها واصلحنا في تعريبها ما يجب اصلاحه من عبارتها وهو يسير جداً

البابا اكليمنضوس الحادي عشر

الى الاخ المكرم كيرلس رئيس اساقفة دمشق البطريرك الانطاكي للاطقس اليوناني

السلام بالرب

ايها الاخ المكرم

حقاً لقد امتلانا تعزية وفاض قلبنا فرحاً لما بلغنا اعتمادك على انجاز عزمك الحميد الذي قبلته بنور نعمة الله وبواسطة تحريضنا الابوي الى اخوتك . وهو انك قد قبلت بتمام الرضى الاتحاد الصادق الكامل مع الكنيسة الرومانية المقدسة ام جميع الكنائس ومعلمتها وان تتمسك بتعليمها بكل اخلاص . وقد استبان لنا عزمك هذا واضحاً من صورة اعترافك بالايمان المستقيم التي ارسلتها لنا من عهد قريب وقبلناها بفرح جزيل واثبتناها بحب ابوي . وعربوناً لمحبتنا الابوية التي نخصك بها بالرب نرسل لك بعض هدايا مقدسة نرجو ان تنظر فيها قدر محبتنا لك اكثر من نظرك الى قيمتها الخاصة . على اننا نطلب من اخوتك باشد الرغبة ونحن نتوقع هذا بقلب كله رجاء ان تبذل وسعك بان تظهر علناً للجميع بكتابات متصلة واضحة انك متحد مع هذا الكرسي الرسولي بقلب صادق بدون مراياة وانك تعهدت بالخضوع له وللحبر الروماني الذي هو خليفة مار بطرس . ولذلك نرغب ان تمارس بالعمل واجبات الديانة الكاثوليكية بغيرة وتقوى سراً وجهراً وان تبذل جهدك بنشر ايمانها وتقريره في كنيستك (الانطاكية)

وملتك بعد رفض اضاليل المنشقين كما رفضتها انت بنعمة خاصة من رحمة الله . وقد امرنا اخوتنا المكرمين الكردينالية الموكول اليهم الاهتمام بانتشار الايمان بان يرسلوا لك الجواب بشأن الامور التي قدمتها لنا مع ارشاد خاص لاجل تدبيرك وتدبير رعيتك ونرغب اليك اشد الرغبة ان تحرص على حفظه بالتمام . ثم وان كنا لا نشك بانك تقبل بالاحترام الواجب جميع اوامر هذا الكرسي الرسولي وانك تتممها بكل تدقيق في الحال والاستقبال نتوقع بشوق شديد ان تعطي لذلك دلائل وعلامات واضحة راهنة بقبولك مراسيم المجمع المذكور الذي امرناه بانجاز مطالبك وامورك وان تجيب على ما يكتبه لك .

واخيراً نطلب من جود الباري تعالى الذي منه كل الالهامات المقدسة والافكار والاعمال الصالحة ان يرتضي بمنح اخوتك نعمه السماوية بزيادة وافرة مطردة . ونحن بكل محبة نمنحك البركة الرسولية

أعطي في رومية بقرب كنيسة مريم الكبرى في ٢١ ايار سنة ١٧١٨

وقبل ان نختم هذا الفصل وقد طال كثيراً يجب ان نقول كلمة مجملة عن الطيب الذكر البابا اكليمنضوس الحادي عشر الذي كان لامحالة له الفضل الاوفى والاعظم في نجاز واتمام هذه الامور . فانه كان طيّب الله ذكره عظيماً بالحقيقة بشخصيته كما كان ايضاً عظيماً بمقامه السامي وقد امتاز بعظم اعماله الخالدة في رومية وكل العالم كما امتاز بسمو عقله وكرم نفسه واخلاقه ولا سيما وداعته وتواضعه وحبه للفقراء حباً فعالاً وقد امتاز بوجه خاص بحبه للشرق والشرقيين على اختلاف طوائفهم وبلادهم كما انه قد امتاز بسعة معارفه في كل ما يخص الكنيسة الشرقية وتاريخها ونظاماتها وطقوسها

وكان مغرماً وبارعاً باللغة اليونانية من قبل ان يرتقي الى عرش الخلافة البطرسية. وقد اغنى مكتبة الفاتيكان بالمخطوطات الشرقية النادرة على اختلاف لغاتها بارسال الوفود الثقات الى الشرق بالبحث عنها ومشتراها. وقد سجل له هذا العلامة السمعاني الشهير في تاليفه النفيس المشهور بالمكتبة الشرقية الاكليمنطية في عدة مجلدات كبيرة وبطبعه بالاشتراك معه المينولوجيون اليوناني الباسيلي في عدة مجلدات حسب مخطوطة مكتبة الفاتيكان الاصلية بصورها الشرقية

وقصارى الكلام كان هذا الحبر الجليل عظيماً جداً بحبه الفعال لجميع الشرقيين وله ذكر مجيد في تاريخ كل الطوائف الشرقية في القرن الثامن عشر بحيث لم يكن يضارعه فيه احد من الباباوات سوى البابا بناد كتوس الرابع عشر طيب الله روحهما. وبفضل عنايته وحمايته نمى وانتشر الايمان الكاثوليكي بين جميع الطوائف الشرقية واعلن كثيرون من بطاركتهم ومطارنتهم ورعاياهم اتحادهم مع رومية وخضوعهم للحبر الروماني مع ما نالهم في سبيل ذلك من البلاء والمظالم من مخالفيهم من بني جنسهم ومن رجال الحكومة الاتراك. وفي عهده قام في الشرق عدة رهبانيات قانونية لرفع منار الديانة المسيحية ولتمكين الايمان الكاثوليكي في نفوس اخوانهم الكاثوليك وغير الكاثوليك بمثال سيرتهم بالصلاح والكمال المسيحي

﴿ الفصل التاسع والثلاثون ﴾

في نشأة الرهبانية الحناوية الشويرية

لا يسوغ لنا ان نطوي كشحاً عن تاريخ هذه الرهبانية بل يجب علينا ان نذكرها في تاريخنا هذا كما تستحق فانها متصلة معنا بوحدة الدين والايمان الكاثوليكي الذي هو لا محالة اقوى واثبت من كل اتحاد زمني . وبالتالي تجمعنا معها وحدة الطقس اليوناني لعبادة الله في كنيسته الكاثوليكية المقدسة كما تجمعنا معها وحدة الطائفة في الوطن العزيز الواحد مع كل التقاليد الشرقية وان كان وقع بعض الاحيان بين الافراد والرؤساء من الرهبانيتين منافسة ومغايرة لا خير فيها .

ويقال لها حناوية نسبة الى كنيسة الدير الاولى القديمة التي هي مكرسة لعبادة الله باسم القديس يوحنا الصابغ . وهي لم تزل قائمة الى اليوم الى غربي كنيسة الدير الكبرى التي على اسم القديس نقولاوس .

ويقال لها ايضاً شويرية نسبة مكانية الى قرية الشوير لان هذا الدير كان في الاصل تابعاً لها وضمن خراجها بعرف الحكومة وعرف اهل البلاد . ويظهر ان قرية الخنشارة والجوار وبتغرين لم تكن لذلك العهد عامرة ذات خراج مستقل حتى ينسب اليها هذا الدير مع انه اقرب اليها من الشوير . فلا يبعد اذاً ان تكون هذه القرى

نشأت وعمرت بالسكان بعد قيام هذا الدير الشريف وصارت بظله وبركة السابق الصابغ على ما هي عليه اليوم من العمران.

وكانت الشوير حينئذٍ مع كل قرى مقاطعة المتن من اقطاع الامير عبدالله قايدبيه من آل ابي اللمع الدرزي المذهب ومنه ابتاع الرهبان الارض التي شيّدوا عليها هذا الدير. وقد اشتهر الامير المذكور بحسن بلائه في موقعة عين دارة الشهيرة في تاريخ لبنان كما تقدمت الاشارة الى ذلك.

ومن المقرر تاريخياً بلا خلاف ان الذين اشتروا هذه الارض من الامير المذكور وشيّدوا فيها هذا الدير كانوا رهباناً حلبيين من دير سيدة البلمند المعروف بجوار طرابلس[1] ومن كورتها. وكان هذا الدير في القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر من اعظم اديرة الابرشية الانطاكية بسعة مبانيه وعمرانه بالرهبان الروم اذ كان يقصده كل من كان يروم العيشة الرهبانية الفاضلة من جميع ابرشيات مطارنة البطريركية الانطاكية ومن غيرها من الروم.

---

(١) قبل كتابة هذا الفصل راجعنا بامعان وروية ما كنا قد طالعناه سابقاً عن تاريخ دير البلمند وتاريخ دير الصابغ ما نشرته مجلة المشرق عنهما في احوال وظروف مختلفة سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٢٩ وما نشرته عنهما جريدة المنار البيروتية سنة ١٩٠١ وما نشرته مجلة صوت الحق سنة ١٩٢٣ علاوة على ما سننشره عنهما هنا من الوثائق المطبوعة والمخطوطة النادرة. وقد تشرفنا غير مرة بزيارة الديرين المذكورين وطالعنا بعض مخطوطاتهما

واذ كان الروم في حلب حينئذ اكثر عدداً مما هم في سواها كان عدد الرهبان الحلبيين في هذا الدير وافراً اكثر من سواهم حتى انه كان لهم فيه جانب خاص بهم ينسب اليهم ولا يزال الى اليوم يعرف فيه برواق الحلبية .

وقد تقدم الكلام بان الايمان الكاثوليكي انتعش في حلب في القرن السابع عشر وانتشر كثيراً بين جميع الطوائف الشرقية فيها ولاسيما طائفة الروم التي هي اوفر عدداً واعظم شاناً بين المسيحيين واكثر اختلاطاً بتجار الافرنج والمرسلين الكاثوليك من عهد مطرانهم الطيب الذكر ملاتيوس كرمة الذي صار بطريركاً باسم افثيميوس كما تقدم . وقد اختار المرسلون عدة شبان اذكياء اتقياء من الروم فيها وارسلوهم الى رومية ليتثقفوا في مدارسها بموجب حقائق الايمان الكاثوليكي حتى يستطيعوا فيما بعد ان يثقفوا ابناء وطنهم وطائفتهم بطريق الكهنوت . وقد اشتهر من تلاميذ رومية الحلبيين في القرن السابع عشر داود بن داود جنبرت الشهيد الشهير . فانه بعد ان تمم دروسه بنجاح تام في مدرسة مجمع انتشار الايمان عاد الى حلب . واذ لم يستطع الاقامة فيها عاد الى ايطاليا ودخل في احد اديرة رهبان الكرمل باذن خاص من الحبر الاعظم . واذ كان مع تقواه يحسن اليونانية والعربية والتركية واللاتينية والايطليانية تكلماً وكتابة ارسلوه قاصداً رسولياً الى القسطنطينية ثم رُسم مطراناً لازمير حسب الطقس اللاتيني واقام فيها .

وكذلك اشتهر نظيره في حلب الخوري مخائيل بجع فانه بعد ان تمم دروسه بنجاح في المدرسة المذكورة عاد الى وطنه ودخل في طغمة الاكليروس حتى صار برتبة ايكونوموس . وله مجموعة مواعظ نفيسة لم تزل خطاً وجدنا منها عدة نسخ في حلب وغيرها . وكان الخوري مخائيل معلماً واستاذاً للخوري نقولا الصائغ ولنسيبه الشماس عبد الله زاخر ولغيرهما . ولا يخفى ان داود ومخائيل المذكورين تخرجا في مدرسة رومية وخرجا منها قبل دخول سيرافيم طاناس اليها . ومن هذا يظهر واضحاً ان اصحاب المذهب الكاثوليكي الروم كانوا في القرن السابع عشر يؤلفون في حلب اكثرية مهمة وكان رهبانهم في دير البلمند يؤلفون كذلك عصبة او فرقة خاصة تشغل من الدير المذكور رواقاً خاصاً وكان فيهم كهنة وشمامسة ورهبان غير متدرجين بالكهنوت

وعلى ما يظهر من مراسلات الاباء المرسلين اليسوعيين الى رؤسائهم في رومية وباريس كان رئيسهم الذي كان يقيم في طرابلس يفتقد مراراً رهبان الكاثوليك المذكورين ويساعدهم بارشاداته الروحية ليحفظوا في نفوسهم جوهرة الايمان الكاثوليكي سالماً نقياً في هذا الدير الذي لم يكن يخلو من الشقاق والمشاقين مع الخلل في نظامه الرهباني الداخلي برخاوة رؤسائه ورهبانه الذين كانوا اخلاطاً من ابرشيات وبلدان شتى كان فيهم الراهب الصالح وغير الصالح . وزاد بكثرة مداخلة اعيان الطائفة

من اهل طرابلس وقرى الكورة المجاورة له في اموره الداخلية بحجة الغيرة عليه وعلى رهبانه لكونهم من المحسنين اليه وبسوء العادة الدارجة في الاديرة الشرقية بقبول بعض الشيوخ فيها بحجة ان يقضوا اخر حياتهم بعبادة الله غير انهم كانوا لضعفهم يعيشون في الدير عيشة شيوخ الرهبان العجز ويقضون معظم اوقاتهم مع الرهبان الشبان وغيرهم بالبطالة عن كل عمل وبالاحاديث الفارغة والمضرة بحق نفوسهم وبحق القريب ويلتهون بذلك ويشغلونهم عن الدرس وطلب العلم اللازم للرهبان ولاسيما رجال الكهنوت وهذا يفضي طبعاً الى الفتن بين الرهبان ويقضي على خراب اديرتهم ادبياً ومادياً وما هو الا الفوضى بتمام معناها وكل اضرارها . وقد لا تستقيم معها طويلاً حال الرهبان الصالحين الذين يبتغون العيشة الفاضلة في الاديرة المرتبة بعيشة مشتركة بقانون موافق .

وكان البعض منهم عرفوا في حلب كثيرين من رهبان الافرنج من طغمة اليسوعية والكبوشية والكرمل والفرنسيسكان واتصلوا بهم عن قرب وتحققوا بالعيان حرصهم على حفظ قانونهم الرهباني في اديرتهم وخارجها ولا سيما انكبابهم على الدرس والمطالعة حتى كان اكثرهم يعرف باتقان عدة لغات شرقية علاوة على لغاتهم الافرنجية مما لا اثر له الا نادراً في اديرة الرهبان الشرقيين لذلك العهد لا عند الروم ولا عند سواهم مما لا يسعنا ان نطيل الكلام فيه . ومن ثم ينبغي ان نعرب ما كتبه الاب نكي

اليسوعي الماروني اللبناني الاصل القبرصي المولد الى رئيسه العام عن رهبان دير البلمند في تقرير مستطيل مطبوع في نحو خمسين صفحة كبيرة[1] بدون تاريخ . لكن يظهر لنا انه كتبه سنة ١٧١٨ او سنة ١٧١٩ من قوله فيه في صفحة ٢٢٠ عن البطريرك كيرلس الحلبي انه في السنة الماضية ارسل ثلاثة اشخاص الى رومية يحملون صورة اعترافه وعكازه دلالة على خضوعه التام للحبر الاعظم . قال :

بكلامي عن الاعمال الصالحة التي تمت في رسالة طرابلس ينبغي لي ان لا اهمل ذكر ما جرى بعناية الله على يد الاب يوحنا ورسو Verseau مما هو اهم الاعمال التي جرت في هذه الرسالة

فانه على بعد ثلاثة فراسخ من جنوب طرابلس يوجد دير لرهبان الروم يدعى البلمند كان رهبانه مشاقين . واذ كان هذا الدير يُعتبر من اغنى اديرة الروم في سوريا وآهلًا بالرهبان اكثر من سواه كان للمشاق شان عظيم فيه بحيث يتناول كل ملة الروم

واذ كان المرسلون منا على يقين من الخير العظيم للدين في هداية اهله حاولوا بكل الطرق الدخول اليه لايضاح حقائق الايمان الكاثوليكي لكن بدون جدوى الا ان عناية الله اخيراً سهلت لهم طريق النجاح فان اثنين من تلاميذهم اذ شعرا باطناً بالدعوة الرهبانية اختارا هذا الدير لخدمة الله فيه . واذ كان الاب ورسو يعرفهما سابقاً معرفة صداقة اخذ يزورهما ويرشدهما منبهاً لهما الى ما في هذا الدير من الخطر فيما يمس الايمان . الا انه بعد عدة محادثات معهما تحقق انهما كانا يعرفان جيداً تعليم الكنيسة وان الله اتخذهما ليعلما ذلك الى رهبان الدير بلطف ورفق .

---

(1) Lettres édifiantes, premier vol. p. 235

واذ ابتهج المرسل المذكور بالمستقبل الحسن صار يكثر زيارته لهما . واذ اباحوا له الحديث معهم جميعاً اخذ يشرح لهم قضايا الخلاف حتى خامرهم الشك بما كانوا يعتقدون بعد ما اتضح لهم الضلال في ذلك . وقد بارك الله سيرة الشابين الحكيمة لان تقواهما الخالصة ومثلهما الصالح وسعة مداركهما التي كانت تظهر بحسن محادثاتهما وحشمتهما باقوالهما وافعالهما ساعدهما على اكتساب محبة واعتبار الرهبان حتى الكبار والشيوخ منهم وصاروا يرغبون المحادثة مع الشابين المذكورين ويستشيرونهما فيما يشكون به وفيما يجهلونه . وكان باستطاعة الشابين ان يقوما بذلك نعم القيام . واخبرا الاب ورسو بذلك فصار يتردد الى زيارتهم اكثر فاكثر حتى اعتاد جميع الرهبان ان يروه غالباً في ديرهم لان الشابين صارا صلة خير بان عرّفاه ببعض الرهبان المعتدلين الذين كانوا اقل عناداً بامر الشقاق وهؤلاء عرّفوه بسائر رهبان الدير حتى صار يدخل معهم في اجتماعاتهم الديرية بلا مانع . ولكي يرضيهم جميعاً كان يخاطبهم عن القديس باسيليوس الكبير الذي كانوا يعتبرونه الاب العام لجميع رهبان الاديرة اذ كان يقص عليهم بعض اخبار من سيرته ويمدح كثيراً اقواله ومؤلفاته الجليلة عند جميع الروم .

ولكي يسهل لهم لان يمعنوا النظر ملياً بالقضايا التي كانت تدور عليها محادثاتهم اعطى للشابين كتابين نفيسين بالعربي من مؤلفات المرحوم الاب كليسون Clisson والاخر من مؤلفات المرحوم الاب مخائيل نو Nau

وما لبث الشابان ان صارا يتلوانهما علناً على الجميع وفي اثناء ذلك كانا يشيران بملاحظة خاصة الى ما يستشهد به الكتابان من اقوال القديس باسيليوس الكبير واقوال سائر الآباء الروم طبقاً لاقوال الكتاب المقدس فيما يخص اثبات حقائق الايمان الكاثوليكي ضد اراء المشاقين بوجه لا مراء فيه . وكان الاب ورسو قد اوضح لهم اقوال القديس باسيليوس فيما يخص المواظبة على ممارسة سر الاعتراف وتناول القربان مما اهمله اهل الشقاق حتى من الاديرة الرهبان .

واخيراً مع طول الزمان وطول الاناة بفضل همة الراهبين الشابين ومحادثات المرسلين تغلبت حقائق الايمان المستقيم حتى صار جميع رهبان هذا الدير تابعين الايمان الكاثوليكي مهما كان عناد البعض منهم واصرارهم على الشقاق .

ولا ينبغي ان نشك بما تضمّن هذا التقرير فانه تقرير رئيس جليل يقدمه الى رئيسه الاعلى . ولا بد لنا من تحقيق ذلك وتزكية شهادته بذكر رواية شاهد آخر او اكثر سنوردها في هذا الفصل كما اننا سنقرّر فيما بعد بالتحقيق الشافي ان رهبان دير البلمند لبثوا بالاجمال محافظين على الايمان الكاثوليكي الى ما بعد سنة ١٧٢٥ بصرف النظر عن الرهبان الذين خرجوا منه قبلًا لقيام دير القديس يوحنا الصابغ . وقد نال رهبان البلمند الروم الكاثوليك في تلك السنة ما نال رهبان دير المخلص ورهبان دير الصابغ من حرومات ولعنات بطاركة الاروام اسوة بهم .

ومما نأسف له خلو هذا التقرير من ذكر اسماء هؤلاء الرهبان الكاثوليك باسمائهم الخاصة وخلوه ايضاً من ذكر دير الصابغ ورهبانه الذين كانوا قد انتقلوا اليه حينئذٍ من دير البلمند مع ان هذا التقرير قد اشتمل على وصف اعمال المرسلين اليسوعيين في قرى كسروان . ونرى بظن راجح ان دير الصابغ كان لايستحق الذكر حينما وضع الاب نكي تقريره هذا سنة ١٧١٨ اما لبقائه على ما كان عليه من الخراب السابق او لقلة شأنه وقلة عدد رهبانه اذ لم يكن

فيه حينئذٍ سوى الاب جرجس والاب سليمان كما سياتي بيانه .

على ان خمسة من اجلّ واشهر رهبان دير البلمند كانوا قد عقدوا النية على ان يتركوا جميعهم هذا الدير وان يذهبوا يقيمون جميعاً في دير آخر يؤلفون فيه جمعية رهبانية مرتبة بقانون مناسب لهم من قوانين الآباء القديسين الرهبان كما فعل من عهد قريب اصحابهم الشبان الحلبيون الموارنة . ومن ثم كتبوا بذلك رسالة الى الحبر الاعظم البابا اكليمنضوس الحادي عشر يوضحون له سوء حالتهم في دير البلمند ويتمنون ان يذهبوا الى رومية ويلتمسون ان يمن عليهم بدير يقيمون فيه. ثم كتبوا بالمعنى ذاته رسالة ثانية الى مجمع انتشار الايمان نشرناها في مجلة المشرق سنة ١٩٢٩ نقلاً عن سجلّات المجمع المذكور نوردها هنا بعد حذف المقدمة او الترجمة :

رسالة رهبان دير سيدة البلمند الكاثوليك الى مجمع انتشار الايمان

. . . نعرض لجلالتكم البهية اننا نحن عبيدكم مقدار خمسة انفار من ملة الروم العرب رهبان من طريقة القديس باسيليوس الكبير قد تربينا منذ صبانا في الديانة الكاثوليكية خاضعون دائماً للحبر الاعظم الكلي قدسه . الا اننا في هذه الديارة لم نوجد (لم نجد) اطلاق وعتق (حرية) لتكميل السيرة (الرهبانية) لاجل خلاص النفس كما ينبغي في مذهب الرهبانية لعدم تركين البلاد وتسلط الامم عليها وعدم نظام احوال الديورة والرهبان . فاعرضنا حالنا على جلالتكم السنية حتى ان رحمتم تمنوا علينا وتأمرونا بان نحضر لعندكم لذلك الطرف . نستمن فضلكم بان تمنوا علينا من احسان الكنيسة المقدسة بمكان حقير نتآوى فيه وحدنا داخل رومية او خارجها وتتصدقوا علينا هناك بالقوت

الضروري والشرب الرعيد كفاف الجسد اللطيف لا غير حتى نخدم الله بمسكنتنا على (قدر) الامكان وندعي لجلالتكم السامية البهية

سطر في دير البلمند من اعمال طرابلس الشام في اول تشرين الثاني سنة ١٧٠٤

عبدكم مكاريوس الكاهن في الرهبان	عبدكم جرمانوس الكاهن في الرهبان	عبدكم جرجس الشماس في الرهبان
عبدكم الحقير حنانيا الكاهن في الرهبان		عبدكم الحقير نصر الله الكاهن في الرهبان

قلنا ان اصحاب هذه الرسالة من اجل واشهر رهبان البلمند لان ثلاثة منهم انتخبوا وارتسموا مطارنة بعهد ورضى البطريرك اثناسيوس الدباس سنة ١٧٢٢ . فان الاب جرجس منهم انتخب وارتسم مطراناً على حلب باسم جراسيموس . وهو مشهور في تاريخ ذلك العهد . واشهر منه رفيقه الاب نصر الله فانه انتخب وارتسم مطراناً على صيدنايا باسم ناوفيطس . والثالث الذي هو مكاريوس انتخب وارتسم مطراناً على بعلبك . الا انه خوفاً من اضطهاد البطريرك سلفستروس القبرصي الدخيل جحد بعد ذلك المذهب الكاثوليكي .

وينبغي لنا ان نذكر هنا من تاريخ حياة الطيب الذكر ناوفيطوس نصري مطران صيدنايا احد رهبان البلمند المذكور ما كتبه عنه تلميذه الخوري اغناطيوس الحلبي لبيان حاله اول امره قبل رسامته مطراناً تركية لشهادة الاب نكي اليسوعي السابق

ايرادها بحق رهبان دير البلامند نقلاً عن مجلة المشرق التي نشرت هذا التاريخ سنة ١٩٠٠ حسب النسخة الوحيدة الفريدة الموجودة في دير رهبان الموارنة في رومية

« هذا الرجل من شبوبيته صار راهباً في دير البلامند قبل ان يبلغ من العمر عشرين سنة . وكان في الدير خمس كهنة قاتوليقية . فصار في سيرة قشفة . وكان مشهوداً لهم عند الجميع في السيرة الصالحة . وبعد مدة من السنين راح الى عندهم اثنان شباب حتى يسيروا (يصيروا) رهبان فشار عليهم انهم يروحوا الى جبل لبنان ويفتشوا على مطرح يكون خالي . وبعده نحن نجي الى عندكم ونعمل رهبنة قانونية لان في هذا الدير الانسان ما يحسن يعيش في حرية الايمان لان فيه اناس معاندين وعشرتنا معهم ما تصلح . فسمعوا من شوره وراحوا الى الجبل وحوشوا دير الذي يقال له مار يوحنا الشوير وارسلوا اخبروهم عنه . فبدوا يوضبوا حالهم حتى يهربوا الى الجبل من خوفهم من الريس . فسمع الريس فارسل اخبر البطريرك كيرلس الكبير . وفي هذا الزمان ما كان البطرك (المذكور) قاتوليقي . لما سمع في الحال ارسل اخذ الخوري جرجس والخوري نصرالله اصحاب الشور . الخوري جرجس حطه في حلب معلم الاعتراف والخوري نصرالله حطه في مدينة ديار بكر وافرقهم عن بعضهم

فلما وصل الى ديار بكر قشع الرعية كلهم معاندين فبدا يبشر بالايمان المقدس فيهم . وبفضل يسوع انتشر الايمان المقدس في ذلك البلاد لما قشعوا سيرته الصالحة طاعوا الى تعليمه .

بعد مدة من الزمان مات البطرك كيرلس وبقي البطرك اثناسيوس وحده فرسم الخوري جرجس الذي في حلب مطران على حلب وتسمى جراسيموس . والخوري نصرالله الذي في ديار بكر فالبطرك يوسف الثالث الذي على النساطرة

القاثوليقية صار له شغل في رومية فكلم الخوري نصرالله وقال له يمكنك ان تقضي هذا ؟ قال له على راسي . انا في خاطري من زيارة رومية .

فكتب له مكاتيب وارسله الى رومية . فأتى الى حلب اخبر البطرك اثناسيوس في الامر بانه رايح الى رومية . فقال له البطرك مريم العذرا جابتك الى حلب لاني محتاج اليك كثيراً لان في هذا اليوم أتاني مكتوب من صيدنايا واخبروني ان مطرانهم مات . وهم حطوا على ذمتي حتى اختار لهم مطران يكون واحد قاثوليكي وهم راضيين فيه ...

ولكي يكون كلامنا بدقة بهذا الشان بدون قصور ولا تقصير في البحث يجب علينا ان نذكر هنا الوثائق التاريخية التي بلغ اليها بحثنا في سبيل ذلك مما يصحّ ان يعوّل عليه المؤرّخ المدقّق اكثر من سواه كما لا يخفى . واولها صك (حجة) مشترى الارض التي قام فيها بناء هذا الدير الشريف بامضاء الامير البائع وختمه وباسم الابوين الشارين لها منه بتاريخ العام والشهر اللذين تم فيهما هذا العقد . وقد تكرم بنقله لنا حضرة الاب المدبر الفاضل صديقنا ونسيبنا الخوري اثناسيوس الحاج قب عن الاصل المحفوظ بين صكوك دير الصابغ وهو الاول فيها . وهذا نصه بالحرف

حجة بيت عيال من الامير عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم . في مجلس الحكم المنيف ومحضر الشرع الشريف اشتريا القديسين المطهرين الذين يدعيان يومئذٍ الخوري جرجس والخوري سليمان الحلبيين الذين كانا قاطنين في دير البلمند القاطنين يوم تاريخه في دير ماري يوحنا الكائن بارض قرية الشوير تابع اعمال كسروان اشتريا بالها لانفسهما دون

غيرهما من سائر الناس اجمعين من حضرة الجناب العالي المحترم الامير ابو حسين المكرم زاد الله كرمه عظماً الشهير بابي اللمع . اشتريا منه فباعهما جميع ما ذكره حضرة الجناب العالي انه ملكه وفي حوزته وتحت مطلق تصرفه الى حين صدور هذا المبيع المبارك وهو جميع قطعة السليخ المسهلة للزراعة، يحدها من القبلة المعظمة ساقية السرادين الى باب العين الصيفية ومن الشرق الشير ومن الشمال ساقية الطيبة الى حد الكرم الذي لابو خليل ومن الغرب الى راس القلع الى الناووس، تمت حدود ذلك الاربع، بثمن مبلغه مايتين وخمسون غرش صحيحة اسدية ضرب سكة الاسلام المعامل بها يوم تاريخه . وايضاً اشتريا القديسين المذكورين حصة جناب العالي المذكور اعلاه دام مجده وعلاه وهو جميع النصف من التوت الكائن بالمزرعة المذكورة بيت عيال الذي هو شركة بيت الجرداق وبيت الرحباني بثمن مبلغه ثمان واربعون غرش صحيحة اسدية تكون جملة المشترى المبارك سليخ وتوت ثلاثماية غرش تعجز غرشين . والمثمن الشيخ ابو بشير قانصون ابن زيد من قرية زرعون . وقُبض الثمن المبارك من يد الشارين المذكورين الى يد البايع المذكور ولم تبق درهم الفرد . وذلك بعد اعتبار ماوجب اعتباره واختبار ما وجب اختباره واسقاط الغبن والاكراه من الجانبين ورضوا جميعاً بالمبيع المذكور وصار ملكاً من املاكهم يتصرفوا فيه كيف شاؤوا وحيث شاؤوا . وما كان من المبيع المذكور من شفعة ودرك فهو لازم ذمة البايع المذكور . وما كان من مال السلطان فهو لازم ذمة الشارين المذكورين . واذنوا بالاشهاد عليهم طوعاً واختياراً في العشر الاول من شهر شوال الذي هو من شهور سنة ١١٢٢ (١٠ كانون الاول سنة ١٧١٠ م)

مكان ختم الامير محفور فيه « عبدالله »

محرره الحقير محمد ابو نعمه عفي عنه

شهود الحال

قانصون بشير من زرعون

ابو حسين ناصيف من الراس

ويجب ان نلاحظ في هذا الصك ايضاحاً لمضمونه اولاً بان محرّره محمد ابو نعمة كان حينئذٍ القاضي الشرعي في مقاطعة المتن . ومن وظيفته وحقه كتابة الصكوك الشرعية لذلك العهد .

ثانياً بان الامير البائع عبد الله ابو حسين قد مهر الصك بختمه دون ان يمضيه بخط يده اما ترفعاً او لانه لم يكن يحسن الخط .

ثالثاً بان المثمّن للمبيع قانصون بشير وجب ان يكون طبقاً للعادة في ذلك العصر من الشهود على عقد البيع ليكون شاهداً ايضاً على ان العقد قد خلا من الغبن الذي قد يفسده . وزرعون قرية الى جنوب الشوير . وهي غير درعون كسروان قرب حريصا .

رابعاً بان ناصيف ابا حسين الشاهد الاول من راس المتن مقام الامير عبد الله ربما كان خولياً على ارزاق الامير او كيخية له ولذلك تقدم وضع شهادته على وضع شهادة المثمن

خامساً بانه لم يزل الى اليوم لسلالة بيت الجرداق وبيت الرحباني شركاء الامير بحصة من هذا المبيع شان يذكر في الشوير . وهذا مما يقرّر لنا ما قدمناه بان هذا الدير كان داخلاً في خراج قرية الشوير كما يصرح الصك به

سادساً باننا اذا قابلنا هذا الصك بالصك الذي كتبه الشيخ قبلان قاضي للمطران افثيميوس بمزرعة مشموشة ومزرعة المراح في اول محرم سنة ١١٢٤ نرى (١) ان حجة ارض دير المخلص قد كُتبت بعد حجة ارض دير السابق بسنة ونيف وان كان رهبان

دير المخلص قد سبقوا وشيّدوا ديرهم واقاموا فيه مدة قبل كتابة الحجة بارضه كما يصرح بذلك نص الحجة هناك . (٢) بان ثمن مزرعة بيت عيـال بغلاّء زائد (٢٩٠ قرشاً) بالنسبة الى ثمن مزرعة مشموشة ومزرعة المراح (٣٠ قرشاً) مع انهما اوسع مساحة بعدة اضعاف من مزرعة بيت عيال . ولكن وجود عين الماء في هذه مع كنيسة الصابغ القائمة فيها زادها قيمة . (٣) بان عبارة حجة الشيخ قبلان قاضي لدير المخلص تدل دلالة واضحة على كرم نفسه وعلى عظم منزلة المطران افثيميوس ورهبانه عنده بانها ذات قيمة فائقة كل ثمن وقد ضمن له الشفعة والتبعة والاعفاء من مال السلطان وكل التكاليف المعروفة في لبنـان لذلك العهد وفي المستقبل ايضاً .

سابعاً ان الشارين لمزرعة بيت عيال لم يكونا سوى اثنين الخوري جرجس والخوري سليمان من رهبان دير البلمند سابقاً وكانا يقيمان في دير الصابغ حين كتابة حجة مزرعة بيت عيال .

***

الوثيقة الثانية التي لا تقل قيمة عن الاولى السابق ايرادها وهي اكثر تفصيلاً وبياناً نص ما ورد بهذا الشان في سجلات الدير المذكور بقلم احد رؤسائه الاولين المتقدمين بالتاريخ والعمل فيه وبرفعة الشان في الرهبانية وفي عالم الادب العربي الطيب الذكر

الخوري نقولا الصائغ الحلبي المولد الحموي الاصل[1] الشاعر المشهور في عصره الذي يليق به ويحق له ان يدعى المشيد الحقيقي لهذا الدير الشريف والرافع لمنار الرهبانية فيه مادياً وروحياً وادبياً لانه في عهده وبفضل عنايته تشيّدت مباني هذا الدير وعلى نفقته الخاصة قامت كنيسته الكبرى على اسم القديس نقولاوس من المال الذي اتى به من اهله

وهذا السجل يُعتبر بحق تاريخ الرهبانية المذكورة . وبعضهم يدعوه بهذا الاسم وهو اولى بذلك . ومنه اليوم عدة نسخ . واما النسخة المعتبرة اصلية فهي اليوم في يد روساء الرهبانية الحلبية يحفظها الرئيس العام كعادة اسلافه في غرفته بمقام كتاب فريد من نوعه لا يسلمها الى احد الا ما ندر . وهي في مجلدين او جزئين الاول خاص بتاريخ الرهبانية المذكورة من اول امرها الى وقت قسمتها الى فرعين سنة ١٨٢٦ . والثاني يخص تاريخها فيما بعد ذلك

---

(١) في مكتبة دير المخلص كتاب مخطوط برقم ٧٥ بخط يد الاب المذكور الجميل قبل دخوله الى دير الصابغ يتضمّن اولاً رسالة منح الوهاب في رد الفكر الى الصواب (المنطق) للشيخ التلمساني . ثانياً كتاب المنطق المعروف تاليف القديس يوحنا الدمشقي . وقد كتب صاحبه عليه في اخره « مالكه العبد الاثيم الراجي عفو ربه الكريم مقدسي نقولا بن نعمة الصايغ الحموي النجار الحلبي الوجار الملكي النسب الارثوذكسي المذهب سنة ١٧١٣ » وقد علقوا عليه حواشي منطقية بخطوط مختلفة اكثرها بخط يده

الى سنة ١٨٧٥ وما بعدها . وفي علمي ان المرحوم الايكونوموس يوسف الكفوري اخذ نسخة من المجلد الاول منها باسم الرهبانية الشويرية حينما كان رئيساً عاماً لها باذن وباشراف المرحوم الخوري توما كباش اذ كان حينئذ رئيساً عاماً للرهبانية الحلبية . وقد نقل لي سنة ١٩٠٢ احد الرهبان الحلبيين نخبة من المجلد الاول باذن الخوري مخائيل باسيل اذ كان حينئذ رئيساً عاماً بتوصية البطريرك كيرلس جحا رحمه الله . وعلى ما اعلم ان الاب تيموتاوس الجق نقل عن المجلد الاول نسخة على ما قيل بدون اذنه ونشر ما نشره باسم مستعار بالفرنساوي في المجلة الفرنساوية *Echos d'Orient*

على ان المخطوطة الاصلية الحقيقية للمجلد الاول من هذه السجلات موجودة في مكتبة مطرانخانة الموارنة في حلب . وقد ارشدني اليها حضرة الاب المدبر العالم الخوري يوستينوس نجمة الحلبي واطلعت عليها اذ كنت هناك سنة ١٩٣٣ وطالعت قسماً منها فوجدتها بخطوط مختلفة الاشكال لاختلاف خطوط الرؤساء الذين كان كل واحد منهم يكتب فيها ما جرى للرهبانية في عهده وايام رئاسته بخلاف النسخة التي في دير الشير التي يعتبرها بعضهم اصلية فان المجلدين بخطٍ واحدٍ تقريباً لانها بخط يد الخوري اناطوليوس شاهيات الحلبي كما يصرّح بذلك في صدر المجلد الاول منها . قال :

«اما بعد فيقول الخوري اناطوليوس شاهيات احد مدبري الرهبانية الباسيلية الحلبية اني منذ زمان كنت اسمع عن كتاب تاريخ هذه الرهبنة من يوم منشاها في

دير مار يوحنا الشوير سنة ١٧١٠ وكنت ارغب الاطلاع عليه. وفي سنة ١٨٧٥ وجدته عند الاب العام الخوري توما كباش في دير مار جاورجيوس الغرب. فسلمني اياه وحرّضني بكل حرارة على تلاوته وان اجتهد بقدر مكنتي ان اتممه الى الان من سنة ١٨٢٦ الى سنة ١٨٧٥ وان ارتشف من بعض الآباء (الشيوخ) القدماء العارفين (بحوادث) تلك الايام والسنين (واصحابها) واخصهم الاب اكاكيوس حكيم. فطاعة للاب العام باشرت بذلك . . .

وقد اعتمدنا في ما نذكره هنا على نص المخطوط الاصلي من هذه السجلات وقد نقله لنا حضرة الاب الفاضل الخوري الياس غالي الحلبي كاتم اسرار سيادة مطران حلب الماروني وهو مطابق تماماً للنخبة التي عندي من نسخة دير الشير المشار اليها سابقاً.

واذ لمع سراج النعمة على راس الابوين البارين وهما الخوري جراسيموس والخوري سليمان الراهبان الحلبيان من رهبان دير سيدة البالمند (هـذا الخوري جراسيموس صار فيما بعد مطران على حلب ثم نفي الى قلعة ليمنا من المشاقين ومكث في النفي سبع سنين ونيف[1]) واذ كان لا يوجد في الدير المذكور قانون بل كل بلاد سوريا ايضاً كانت عديمة القانون اتفقا ان يذهبا الى مكان يمكنهما ان يشدا فيه قانون يعصم السالكين على هذا النمط بالسيرة الرهبانية. فتعاقدا اليمين كلاهما مع سبعة انفار من اخوتهم. واتفق وقتئذٍ انه وجد هناك شابان

---

(١) الكلام الموضوع بين هلالين في النص هو حاشية زيادة علقها احدهم عليه والمطران جراسيموس المذكور كان اسمه وهو كاهن جرجس كما تقدم في نص حجة بيت عيال وفي سيرة المطران ناوفيطوس. وذكره كاتب السجل باسمه المعروف به من الجميع بعد رسامته مطراناً. لان تسمية المطران باسمه السابق لرسامته لا يخلو من قلة احترام له ولمطرانيته باعتبار انه لم يرتسم. ثم ان المطران جراسيموس قد نفي من حلب الى قلعة مدينة وجزيرة *Lemnos* والى جبل آثوس بسعي البطريرك سلفستروس القبرصي.

عاميان حلبيان اتيا ليترهبا فتوافقا مع هؤلاء الابوين وارفاقهما بان يبارحوا الدير المذكور ويذهبوا الى مكان يرفعون فيه اعلام قانون الرهبانية المقدس الذي خمد لهيبه في هذه البلاد . فرأوا رأياً صواباً بان يعرضوا الامر على البطريرك كير كيرلس الانطاكي الحلبي الذي كان يعتبر الايمان الكاثوليكي . فذهبا اليه بمدينة طرابلس الشام واعربا له ما اضمراه من الخير وقدما له قانوناً كانا رتباه خمسة عشر باباً متخذة من التيبيكون الاورشليمي والباتريكون وكلياكوس وبخوميوس . فاعجبه ذلك جداً وثبته لهم وختمه بعد ان رأى رسوخ عزمهما . وقدم حينئذ لهما رأياً صوابياً وهو ان يمضي احدهما يسبر البلاد ويختبر الاماكن عسى ان يرى مكاناً يصلح فيه تمكين ما تمكن في قلوبهم من الرغبة الروحية .

فذهب حينئذ الخوري سليمان جال البلاد القريبة وجاب الاصقاع فلم يرَ مكاناً طيب الماء لطيف الهواء مأمون الغائلة مناسب الجيرة محسومة عنه الاسباب التي تعطل وتضيق عمل الروح الا الدير المعروف بدير ماري يوحنا المعمدان في قرية الشوير من جبل كسروان معاملة صيدا فرآه البغية المطلوبة والغاية المرغوبة والامر الذي لا بد منه والمكان الذي يُرحل اليه ولا يُرحل عنه . وكان ذلك سنة الف وسبعمائة وعشر للتجسد الالهي . فاذ ذاك أرسل برسالة الى ارفاقه الذين وافقوه على هذا الملتمس يخبرهم ويصف لهم المكان وحسن موقعه . فاتى الخوري جراسيموس ومعه تلميذه موسى العنصديقي اي من قرية تدعى عنصديق وتبعه شماس انجيلي يسمى بطرس . وتبعهما العاميان المذكوران منا آنفاً وهما نصرالله بن كرمه ومخائيل بن بولس . وهذان الرجلان حلبيان ايضاً كانا اتيا الى دير البالمند ليترهبا . فلما مضى اولئك تبعاهم فحصلوا خمسة انفار .

وكان في الدير كاهن قديم لم يكن بمستقيم الايمان فجعل يضطهدهم ويشغب عليهم اهالي البلاد ويعكس عليهم طريق الرب . وذلك من حسد المحال الذي على الدوام يشين العمل الصالح . فكانوا يتلقون سهام الاضطهاد من ناحية المشاقين والفقر من جانب آخر سيما ما قاسوه عن جهة منع النسا من ان يدخلن الدير كجاري

عوايدهن السابقة . فهذا الامر كان مستصعباً عند اهل البلاد جداً في اوائله لكنه اخيراً استمر دائماً . وقد كانوا فقراء جداً ولم يكن في الدير شيء يُعالون به لكنهم اعتزوا وتأيدوا بمن قال انظروا الى طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد وابوكم السماوي يعولها . الستم انتم افضل منها ؟ واصطبروا على مثل هذه المصاعب الجمة طالبين ملكوت الله وبره لعلمهم ان هذه الاشياء تزاولهم لان الله ما زال صادقاً . فكثروا متكبدين الضيق والقلة وعدم لياقة السكن لان الدير كان متهدماً . فكانوا ينظرون من جهة لوازم البناء ومن اخرى لوازم معيشتهم . ولكن الاله الصالح الذي قال لابراهيم اني انا ميراثك وقسمك انالهم حظاً في عين امير البلاد (اي الامير نجم الذي دير مار يوحنا بدايرة حكمه[1]) فاباعهم مزرعة تدعى بيت العيال ذات عيون ماء عذب ينسجم الى الدير من كل ناحية وهي المرغوب فيها اكثر من الكل . واقمع عنهم كيد اعادي الايمان المقدس الذين هم اداة المحال يثير شروره بهم فيتخذهم اسلحة قوية يحارب فيها ابناء الله العباد المحقين فضرموا حينئذ راياً واتقدوا رغبة بما لم يزالوا تايقين اليه بان يتمسكوا بالقانون الذي كان اثبته السيد البطريرك كير كيرلس الانطاكي ابن ابن البطريرك كير مكاريوس حينما كان في مدينة طرابلس بالتاس الخوري جراسيموس كما تقدم القول . وحينئذ مكثوا جميعاً في دير ماريوحنا المذكور وقدموا عليهم الخوري سليمان الذي كان سعى اولاً باقتناء هذا الدير واثباته واتفقوا على ابتناء بيت الرهبانية المسوَّر بسور الطاعة والعفة والفقر وان يعيدوا من رسومه ما محته يد الايام وان يشيدوا من معاملته ما دثرته الشهور والاعوام .

---

(١) الكلام الموضوع بين هلالين دخيل من احدهم في غير محله لان الامير الذي باعهم الارض انما هو الامير عبدالله ابو حسين وابو نجم المذكور كما يتضح من نص الحجة بختمه لها . ويظهر ان الامير عبدالله كان قد مات وخلفه في الحكم على الشوير ابنه الامير نجم في عهد الخوري تقولا كاتب هذا السجل . راجع تاريخ اعيان لبنان صفحة ٦٥

فاحتموا في المشي اوصالاً وأخذوا بالجد والسير في طريق التقوى فشاع خبرهم في كل فج واشتاق أن ينحاز اليهم كل راغب خلاص نفسه وكاد يأتي اليهم الذين عاهدوهم ووافقوهم أن يرافقوهم من دير البالمند وهم مشايخ الرهبان الافضلون. فاذ شعر بهم رئيس الدير المذكور ارسل حينئذ يشتكي من مزايلة رهبان الدير الى البطريرك كير كيرلس الانطاكي الذي أثبت لهم القانون وامضاه من ان الدير اذا استخرجت لآليه من اصدافه يعود كالجسم بلا روح. فارسل البطريرك يستدعي اليه الرهبان الذين جاؤا من دير البالمند وهم وقتئذ في دير مار يوحنا لكيما يفرقهم. فمضى اليه الخوري سليمان ليسترضيه فلم يظفر برضاه. فعطل عمل الرب. واحتاروا في ماذا يصنعون. فليتأمل المتامل بهذه التقادير من ان الذي شجعهم أولاً وأثبت لهم القانون ومحض لهم النصح بالاستمساك به غدا مفنداً لهم موثراً تبديدهم. وما ذاك الا أن المنقادين بالروح قليلون

فلما ضاق بهم الامر لكونهم ان عادوا الى موضعهم الاول خسروا خسراً مضاعفاً. وان لبثوا فلا يقووا على المقام بدون استرضاء البطريرك. فلزم ان مضى ثاني الرئيس وهو الخوري جراسيموس الى دمشق حيث السيد البطريرك باسطاً لديه الاعذار واستماح رضاه بتذلل عميق وبالجهد ظفر منه بالاذن في ان يقيموا هم على حالهم ولا يقبلوا أحداً من رهبان دير البالمند. وهذا كان تدبيراً من الرب صالحاً جداً. ومن بعد عودته حدث ان ناصيف محافظ الشام جيَّش على الجبل فطفر الرهبان الى مدينة بيروت بعد ان أخلوا الدير [1] ومن ثم ضاق الخوري سليمان ذرعاً ووقعت بينه وبين الخوري جراسيموس منافرة. وكان يومئذ في بيروت المطران سلفستروس الدهان مستقيم الايمان والذمة راغباً جداً في عمار

---

(١) ذكر الامير حيدر في تاريخه صفحة ٧٥٤ من طبعته المصرية ان ناصيف باشا باغت المتن سنة ١١٢٣ من دمشق واسر اناساً كثيرين وسبى النساء والاولاد. ويظهر لنا ان ناصيف باشا اغار حينئذ بجنده على الامير عبدالله صاحب المتن واخذه اسيراً ثم امر بقتله لتنصره وهو اول امير تنصر من الامراء بني اللمع.

هذا الدير واقامة الرهبنة القانونية مسعداً لهم ومسعفاً اياهم كثيراً فعجز عن ان يوفق بينهما ولم يمكنه . واذ ذاك عاد الخوري سليمان الى البالمند وهناك مكث كل أيامه . ثم انتدب رئيساً فيه . وعزم على ان يقيم القانون فيه فلم يستطع ثم توفي سنة ١٧١٢ . وعرض في غضون مضي المذكور الى البالمند وبقاء الخوري جراسيموس في بيروت ان ورد الخوري وهبه المسمى ثاودورس من القدس الشريف الى بيروت فراوده المطران سلفستروس والخوري جراسيموس بان يكون معهم في الدير لانه كان سابقاً موافقاً لهم ومحثاً اياهم على أخذ الدير والتمسك بالقانون فيه . فخرج من بيروت الى الدير في ١٥ ايلول سنة ١٧١٢ . وكان في الدير ثلاثة قلالي منها واحدة متهدمة قسموها اثنتين . وعزموا ان يمسكوا القانون فلم يمكنهم لعدم التوفيق . بل كانوا منتظرين وقتاً ملائماً

اما الشماس بطرس الذي رافقهم من البالمند فضجر ومضى الى بيروت واقام عند المطران سلفستروس

واما الخوري جراسيموس فتخلف بعد مضي الخوري سليمان رئيساً على الدير ولضرورة الحاجة ارسل تلميذه موسى الى قرى كسروان ليستجدي احساناً لهم ومات بالله في اخر حزيران في عجلتون سنة ١٧١٢

اما الخوري ثاودورس فقد ارسل البطريرك كير كيراس يامره بالذهاب الى دير السيدة الذي في قرية الراس من اعمال بعلبك . وكان ذلك قصداً من السيد البطريرك لكي يفرقهم . فذهب الخوري ثاودورس الى الراس طاعة للسيد البطريرك . ولو يوثر ان لا يذهب لما اقتسره . غير انه اذ لم يرَ ذلك الوقت مناسباً لمسك القانون مضى وهو مترقب العود اليه

لما الخوري جراسيموس حين راى ذلك ذهب وهذا مضى والاخر ارسل لدير الراس تضايق ولم يعد يسعه الا ان يعود الى ديره الاصلي . فلما اهتم على الذهاب لم يوافقه العاميان اللذان جاءا الى الدير على تركه ونثر ما انتظم وتفريق ما جمعوه . بل آثرا ان يمكثا واتخذا موئلاً لهما الله القايل حيثما اجتمع اثنان او

ثلاثة باسمي اكون بينهم . فاعتلقا به قايلين لا نطلقك او تسمح لنا بالمقام ههنا حتى نتمسك بالقانون عسى ان يكمل الله قصدك فينا . فلم يناويهما . بل وافقهما على ذلك .

ومن ثم مضى احدهما وهو الاكبر سناً اي نصر الله ابن كرمه ابن الخوري عازار الحلبي الى بيروت وسيم شماساً انجيلياً من المطران كير سلفسترس . وذلك في ١٢ من تشرين الاول سنة ١٧١٣ . وفي اليوم الثاني سيم قساً واقيم رئيساً على الدير المذكور وربض فيه صحبة مخايل ابن بولس الحلبي . وهذا فقد سيم شماساً انجيلياً من المطران المذكور في ١٣ من شهر تشرين الثاني من السنة المذكورة وكل هذا صار بحضور الخوري جراسيموس ورضاه واسعافه لهما

ثم بعد ذلك بايام قليلة توفي المطران المذكور بحال حميدة جداً مستقيم الايمان محمود السيرة . وكان مع هذين الابوين كاهن آخر يسمى قسطنطين تتي عابد اقام معهما مدة ثم بعد ذلك انصرف من الدير لمناواة حصلت بينهم واستقام زماناً ما ثم عاد ايضاً الى الرهبنة وقبل ونذر النذور الثلاثة كما سيرد بيانه في مكانه

وفي ١٣ من تشرين الثاني سنة ١٧١٤ سيم الشماس مخائيل قساً من المطران السيد ناوفيطوس الذي اعتقب المطران سلفستروس في الكرسي . ثم ذهب القس مخائيل الى مصر ومن هناك صعد الى طورسينا واتى بصورة اسكيمهم المقدس ليروا شكله فقط . ثم ذهب الى الشام وسيم خورياً من البطريرك كيرلس .

وفي السنة السابعة من تاريخ ابتدائهم الموافقة سنة ١٧١٦ مضى الخوري مخائيل المذكور الى دير الحميرة حضر العيد لكي يتعلم البصلتيكا (اي الموسيقى اليونانية) ولكنه لم يتعلم من هذه الصناعة الا قليلاً لانه لم يقم هناك سوى بعض اشهر وتركها ورجع الى موضعه . واذ كان في الدير هناك ورد اثنان حلبيان الى دير الحميرة فرأياه هناك وهما نقولا ابن نعمة الله الصايغ وجرجس ابن

مخائيل الحداد وكان قصدهما التوجه الى دير ماري يوحنا فتوجها كلاهما بعد عيد القديس الى طرابلس . ومن هناك توجه جرجس نحو بيروت ونقولا الى زيارة اديرة الجبة ومن الجبة اتى الى كسروان ومضى الى دير مار يوحنا يوم السبت الذي بعد خميس الصعود . وذلك اليوم بعينه ورد جرجس رفيقه الى الدير المذكور صحبة الرئيس الخوري نصرالله اذ التقيا في بيروت وصعدا الى الدير معاً فمكثا اياماً ثم لبسا زي المبتدئين فتقوت منة الرئيس بهما وبموازرة البطريرك اثناسيوس الذي احسن الى الرئيس لاجل عمار الدير احساناً جزيلاً ابتدا في ان يقطع احجاراً ويهيء الات (مواد) البناء . وفي ايام الخريف ذهب الرئيس المذكور الى الشام يجمع احساناً بجيوة البطريرك كيرلس واستأجر بنايين للبناء . ثم عاد في اول الصيام المقدس . وكانت البلاد راحلة من اجل قتل فاضل ابن الجميل . وقبل عيد الفصح سنة ١٧١٧ اتى المعلمون من الشام وشرعوا بابتناء قبو كبير يشتمل على تسع مصلبات لخزن المونة وقبو آخر صغير انبوبة ومطبخ وفرن وبيت المائدة وغيره من اللوازم . ومن بعد هذا الزمان خرج الخوري جراسيموس من حلب لمقت اثناسيوس اياه . وجاء الى دير مار يوحنا مكث الشتاء ثم مضى الى طرابلس والبالمند . ولم يعد الى حلب الا حينما طُلب ان يكون مطراناً من الشام كما سنخبر عن امره

وفي هذه السنة ذهب الاب الخوري مخائيل الى مصر ليستجدي احساناً لاجل البناء . ومن مصر توجه لزيارة الاماكن المقدسة ثم عاد الى صيدا عليلاً . واذ لم ينجع به الطب عاد الى دمياط حسب شور الطبيب واقام هناك عليلاً عدة اشهر ثم عوفي وعاد الى الدير في اياول سنة ١٧١٩ فتكون مدة غيابه ما ينيف عن عامين

وفي سنة ١٧١٨ في رياسة الخوري نصرالله المذكور بنيت كنيسة القديس مار نيقولاوس بنفقة الاخ نقولا ابن نعمة الصايغ مع خمس قلالي ايضاً واحتاج لاجلها نفقة عظيمة .

وفي سنة ١٧١٩ حدث في مدينة حلب وبآء عظيم هرب منه بعض المعلمين وجاؤوا الى الدير فرصفوا ارض كنيسة مار نيقولاوس وعمروا امامها قبواً أنبوبة ونصف مصلب يتصل بكنيسة مار يوحنا

وفي هذه السنة ارتسم نقولا ورفيقه جرجس الحلبيان من ناوفيطس مطران بيروت . واما نقولا فانه ارتسم شماساً وقساً . واما جرجس فانه ارتسم شماساً فقط . وسمي جناديوس واقام شماساً الى ان البطريرك كيرلس (الحلبي) رسمه قساً وخورياً معاً

وفي هذه السنة توفي في مدينة حلب يعقوب بن اسحق الحجار بالطعنة . وقبل ان يموت اندر مخلفاته للدير وأحسن اليه احساناً جزيلاً لاجل ذلك اقتناه كاخ منا وليكن تذكاره مؤبداً في الدير . ويجب على كل منا ان يذكره في القداس ولاينساه لانه اذ ماتت زوجته قبله ندر انه اذا ما عوفي يترهب في رهبنتنا وان مات يكون ماله للدير . فاذ مات بهذه النية والعزم فيكون راهباً بالقوة (والعزم) لابالفعل واخاً لنا بالحقيقة

وفي ١ حزيران سنة ١٧٢٠ صار مجمع عام في دير مار يوحنا . وهو اول مجمع عام في الرهبنة القانونية في رياسة الاب الخوري نصرالله المدعو نيكوفورس . وفيه تثبت المذكور رئيساً ايضاً . واثبتوا فيه قانون الرهبنة واقاموا فيه اربعة مدبرين ليساعدوا الريس في تدبير الرهبنة . واستمر هذا المجمع من اول حزيران الى عيد الرسل (٢٩ منه) وفي ذلك اليوم كان انتهاؤه . وفيه وقعت القرعة واقاموا الخوري مكسيموس مدبراً اول والخوري نقولا مدبراً ثانياً والخوري ثاودورس مدبراً ثالثاً والقس جناديوس مدبراً رابعاً واثبتوا ثماني عشرة فريضة

وفي ٦ كانون الثاني رقد بالرب البطريرك كير كيرلس الانطاكي الذي كان ثبّت لنا القانون وتوفي كاثوليكياً مثبتاً من الحبر الروماني اكليمنضوس الحادي عشر[1]

(١) يذكر وفاة البطريرك في اول سنة ١٧٢٠ بعد ذكر المجمع الرهباني في حزيران في هذا السجل نستدل على ان كاتبه لم يتبع فيه الترتيب اليومي وانما جرى فيه على ما يخطر في باله من الحوادث المهمة . ولعل المجمع صار سنة ١٧١٩ .

وخلاصة ما تقدم ان الخوري جرجس والخوري سليمان الحلبيان اشتريا في اواخر سنة ١٧١٠ مزرعة بيت عيال من الامير عبدالله وهي اول ممتلكات دير الصابغ . واذ لم يتفقا في امر معيشتهما فيه ولم يحضر اليهما من دير البلمند رفاقهما رجع الخوري سليمان الى البلمند ومات هناك سنة ١٧١٢ . واضطر الخوري جرجس ان يترك دير الصابغ لانفراده فيه الى بيروت وحلب فاستلمه نصرالله كرمة ومخائيل حكيم الحلبيان سنة ١٧١٣ وباشروا بالعمار الجديد فيه سنة ١٧١٧ بمساعدة من اتوا اليه من حلب .

ويحسن بنا ان نثبت هنا نص ما كتبه القس حنانيا المنيّر في صدر التاريخ الذي الفه لرهبانيته الشويرية نقلاً عن النسخة التي في المكتبة الشرقية اليسوعية . وهو يعتبر سنة ١٧١٣ سنة تأسيسها لان المؤرخ يلاحظ الاعمال البارزة واصحابها ولا يبالي بالنية والعزم .

« اعلم وفّقك الله انه يوجد في الرهبانية تاريخ نظير هذا قد اعتنى به المطران اغابيوس (قنيعر) قبل ارتسامه مطراناً (على ديار بكر سنة ١٧٧٥) وكان الذي شرع به الخوري نقولا الصالح الذكر . مسكه منذ تأسيس هذه الرهبنة . وانهاه المطران في عهد رئاسة الخوري يعقوب قديد (الصاجاتي من سنة ١٧٦١ الى سنة ١٧٧٤) . فلذلك عدلت عن ذكر ما هو محرَّر هناك ومسكت التاريخ بالاستقصاء الكلي من عهد رئاسة الخوري بولس كسار العامة (١٧٧٤ — ١٨٨٥) . الا اني رأيت ان اذكر بعض حوادث منذ بدء الرهبنة الى عهد انتقال الخوري يعقوب المذكور على سبيل الاختصار فأقول :

ان تأسيس هذه الرهبنة المدعوة رهبنة دير القديس مار يوحنا الملقبة غالباً بالشويرية لقربه من قرية الشوير قد كان سنة ١٧١٣ على المرحوم الخوري نصرالله والسيد البطريرك مكسيموس الصالح الذكر في الدير المذكور . وبدا ان يأتي الناس من حلب وغيرها يبتدوا ويتدرجوا بها

وفي السنة الثالثة من بدء الرهبنة اتى المرحوم الخوري نقولا الصائغ وابتدأ في الدير المذكور سنة ١٧١٦ وبعدها ندر وتدرَّج في الدرجات الكنائسية

ولا نعلم كيف ساغ لحضرة الاب تيموتاوس الجق ان يكتب في مجلة المشرق (٩: ٨٩٠) ان بدء هذه الرهبانية كان سنة ١٦٩٧ ؟ وقد جاره بذلك حضرة الاب اثناسيوس الحاج قب في المشرق (٢٨ : ٧٤٦) . وكلاهما يقول انه نقل ذلك عن سجل الرهبانية . ولعل النسخة التي نقلا عنها مزورة فيما يخص تاريخ تلك السنة . واغرب من هذا وابعد عن الصواب ان العلامة برنردوس غصن قب ذهب في مجلته « صوت الحق » في سنتها الاولى صفحة ٦٥ ان بدء هذه الرهبانية كان سنة ١٦٩٣ .

واغرب من هذا كله ان صاحب مختصر تاريخ الطائفة ذهب في صفحة ٣٤ و ٣٥ ان حضور الرهبان من دير البلمند الى الشوير كان سنة ١٧٠٠ وانهم كانوا سبعة وان الكاهن الذي كان يخدم في كنيسة الصابغ كان يخدم نفوس اهل الخنشارة وبتغرين . ويقول في صفحة ٤٩ ان الخوري نقولا الصائغ اتى الى دير الصابغ سنة ١٧٠٧ وانه ارتسم كاهناً سنة ١٧١٢ . فتأمل .

الفصل الاربعون

الروم الكاثوليك في ابرشية عكا

تقدّم الكلام في الفصل الرابع والثلاثين عن اهتمام المطران افثيميوس بامر أبناء ابرشية عكا المجاورة لابرشيته الصورية وان الروم الكاثوليك فيها اختاروا باشارته اسقفاً على عكا ابن اخته الخوري سارافيم طاناس كما يستفاد هذا من رسالة المطران الى كاتب او كاتم اسرار مجمع انتشار الايمان في سنة ١٧١٣ التي اثبتناها في الفصل السابق ذكره . الا ان خريسندوس بطريرك اورشليم التي كانت ابرشية عكا تابعة وخاضعة له في ذلك العهد أبى ان يرسمه لكونه تلميذ رومية ولكونه ابن اخت المطران افثيميوس زعيم الروم الكاثوليك الاكبر في هذه البلاد ولكونه على مذهب خاله كاثوليكياً مجاهراً بايمانه وغيوراً على نشره واعلاء شأنه بين الروم . ومن ثم رسم البطريرك المذكور بدلاً منه على عكا فوتيوس عبد النور . وكان هذا مشاقاً شديد التعصب للشقاق ويحب الاذى للروم الكاثوليك كما يظهر من اتخاذه اسم فوتيوس رأس هذا الشقاق وكما يتضح صريحاً مما كتبه حينئذٍ بهذا الشان

كهنة الروم الكاثوليك من اهل عكا الذين نالهم شيء كثير من اذاه واضطهاده لهم ولرعيتهم[1] فيما ارسلوه الى رومية يلتمسون حماية قنصل فرنسا من شره او اعادتهم الى حظيرة البطريركية الانطاكية

---

(١) لم نجد فيما بلغ اليه بحثنا ذكراً لاسم هذا الاسقف الا في كتاب الدر المنظوم لبطريرك الموارنة بولس مسعد. فانه يقول في صفحة ٧٥ منه ما نصه « وشوهد فوتيوس عبد النور يمضي في رسالته المحررة في ٢٠ نيسان سنة ١٧١٦ بخصوص الافشين فوتيوس عبد النور اسقف عكا وعجلون وما يحوط الاردن على السريان الملكية ».

ولا نعلم شيئاً من امر هذه الرسالة الا ما ذكره البطريرك. ومراده ان يتخذ من قوله « السريان الملكية » دليلاً على ان الروم الملكيين من السريان بمغالطة لا يظهر فسادها تماماً الا للذين يعرفون لغة اليونان فان لفظة Σύρος عند اليونانيين تطلق على السوريين والسريان بالسوآء فلا يصح ان تكون دليلاً على ما اراد.

ولا يخفى ان قصد صاحب هذه الرسالة ان يثبت فيها ان تقديس الاسرار يكون بصلاة الافشين المعروف الذي يتلى في القداس بعد الكلام الجوهري على رأي بعض المشاقين لا بالكلام السيدي حسب اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية وتعليم الآباء القديسين معلميها.

نرى ان فوتيوس المذكور خلف يواصف على كرسي عكا سنة ١٧١٣. وبعضهم يدعوه نافيطوس كما ورد في سلسلة مطارنة عكا في مجلة المشرق (١٠ : ٢٥٠) وهو محرف لا محالة عن فوتيوس. ويجب ان نذكر هنا ان المطران اثناسيوس الذي قيل عنه هناك انه كان على عكا سنة ١٧٢٣ بناء على ما جآء عنه في قائمة مخطوطات مكتبة القبر المقدس العربية. لكن هذا غلط فيها وصوابه ان اثناسيوس المذكور كان على عكا سنة ١٨٢٣ كما ورد اسمه في عدة مخطوطات في المكتبة المذكورة بخط يده.

كما كانت سابقاً ابرشية عكا . وربما كان المطران المذكور من اسرة عبد النور العكاوية من طائفة الروم الكاثوليك .

فيحسن بنا بل يجب علينا ان نثبت هنا ما وقفنا عليه من الوثائق التاريخية التي كُتبت بهذا الشان لذلك العهد استيفاءً لايضاح ما تقدمت الاشارت اليه وتحقيقاً له اذ لا يجوز ان نهمل ذكر الاضطهاد الذي احتمله حينئذٍ الروم الكاثوليك من قبل اخوانهم الغير الكاثوليك مع ما في ذلك من الذل والهوان في نظر الناس . على انه بالحقيقة وفي نظر الله فخر عظيم ومجد وسيم لمن احتمل ذلك بصبر جميل في سبيل دين الله وحباً له تعالى باخلاص لان احتمال الاذى والاضطهاد لاجل الله يجعل الانسان المسيحي مشاركاً للسيد المسيح بالامه واستحقاقاته وبالتالي يُعدُّه بحقٍ في مصاف المعترفين والشهداء السعداء الذين قد احتملوا اصناف العذابات بايثارهم حباً له تعالى وطاعة لاوامره

فقد وجدنا في سجلّات مجمع انتشار الايمان عدة رسائل كُتبت بهذا الشان في اوقات مختلفة . منها بامضاء كهنة عكا ومنها بامضاء المطران افثيميوس ومنها بامضاء ابن اخته الخوري سيرافيم . نقلنا بعضها بنصها وبعضها لخّصناها تلخيصاً علاوة على ما اهملناه منها (وما لم تصل اليه يدنا) لاسباب لا فائدة من ذكرها هنا . وقد اوردنا في الفصل السابق منها رسالة من المطران . ونورد الآن نص رسالة كهنة عكا الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر .

قدس قداسة سيدنا رئيس الرؤساء وحبر الاحبار البابا اكليمنضوس الروماني خليفة مار بطرس هامة الرسل الاطهار ونائب سيدنا يسوع المسيح على الارض الاب العام الكلي الغبطة والقداسة .

بعد تقديم الخضوع الواجب لسيادته الطاهرة واداء الطاعة اللازمة علينا لقداسته الوافرة ولثم تراب اقدامه البارة نعرض على مسامعكم الشريفة هو اننا نحن عبيدكم الحقيرين المحرّرة اسماؤنا بذيله انعم الله تعالى علينا بانا قد آمنا وصدقنا جميع ما يحتويه (قانون) الايمان الكاثوليكي المقدّس وما تعتقد به الكنيسة الرومانية جملة وتفصيلاً . ثم واصل لسيادتكم صحيفة ضمن ورقة العبودية هذه تتضمّن منشور ايماننا واعتقادنا . وليس نحن فقط بل معنا جم غفير اعوام من ابناء ملتنا وطائفتنا الملكية . ونحن واياهم مؤمنين بهذا الايمان الكاثوليكي ومقرين بهذا الاقرار الحقيقي مقدمين الطاعة الواجبة علينا والعبودية لقداستكم . وكلنا جميعنا هكذا نتذر ونعاهد بمعونة الله ان نثبت على هذه الامانة حتى الموت مترجين ومتوسلين نحو سيادتكم القبول والدعاء المستجاب .

ثانياً يا سيدنا نخبركم عن حالنا في هذا الطرف اننا ثلاثة قسوس الواحد منا في البر في ضيعة تدعى الدامون بعدها عن المدينة اربع ساعات خادم كنيسة واحدة يمكنه ان يقدس كل يوم . واما نحن الاثنين فاننا مع ستة قسوس مشاتين في كنيسة واحدة بعكا . ومن كل ثمانية اسابيع يلحق الواحد منا اسبوع يقدّس فيه في هذا الهيكل لان معلوم قدسكم الروم لا يريدوا يقدسوا قداسين على مذبح (واحد) في يوم واحد .

وقد التمسنا (اردنا) ان نقدس عند اخوتنا الموارنة فرأيناهم يقدّسوا في بيت صغير . وهو مسكن حريم ونساء لايمكنا ندخل عليهم نحن وشعبنا كل وقت لاجل عادة البلاد .

وكذلك ابياتنا رهبان القدس يقدّسوا في اوضة صغيرة جداً في خان تجار الفرنساويين . وهي مكشوفة جداً على ظهر الخان[1] .

ومعلوم سيادتكم يا سيدنا التزام الكاهن في خدمة القداس قلما يكون ايام الآحاد والاعياد المأمورة التي هي فرض على رعيتنا وشعبنا والكاثوليكيين الموجودين عندنا سماع القداس الالهي فيها لانهم الان بنعمة الله تكاثروا عن الاول وهم في عين النمو والازدياد . لكن اكثر الايام المأمورة من الاحاد والاعياد تنفذ منهم بغير سماع قداس كاهن كاثوليكي . ونحن تنفذ منا هذه الايام بغير خدمة قداس . حتى انه في هـذه الايام المذكورة يلتمس ابونا اوغسطين الفرنسيسكاني المرسل عندنا الاجتماع لاجل الكرز فمـا يجد موضعاً . فلاجل ذلك نحن وشعبنا في غاية قلق الضمير . فاننا لعدم التقديس في كل يوم وشعبنا لاجل عدم سماع القداس عند كاهن كاثوليكي وابونا اوغسطين لاجل هذا المعنى نفسه . فلاجل ذلك يا سيدنا من حيث ان هذا الامر ضروري لنا جداً وبما اننا نحن اولادكم وعبيدكم وحضرتكم الاب الشفيق والراعي الحقيقي لازم اعلام سيادتكم لتدبرونا وترشدونا بما يلهمكم اليه الروح القدس . فاننا بين ايديكم ألقينا ذواتنا منتظرين ورود الفرج .

ثالثاً نخبر قدسكم اننا منذ برهة من الزمن حرّرنا لسيادتكم مكتوب عبودية بعلم طاعتنا وخضوعنا لسادتكم وترجينا ان رسم قدسكم ان تكتنفونا باكسير نظركم الشريف العالي ولو بالتوصية بحراستنا في هذا الطرف الى احد القناصل الفرنساويين الكاثوليكيين لكي يكون نظرهم علينا بالملاحظة من اذى المشاقين . فانهم دائماً يثيروا علينا انواع الضرر والبؤس . فاذا كان قنصل صيدا وعكا نظرهم علينا مع نظر سيدنا يسوع المسيح يكف عنا الاضطهاد

---

(١) اذ يكونون عرضة لنظر اخصامهم والوقيعة بهم لدى رجال الحكومة باضم افرنج تابعين البابا . ولم يكن حينئذٍ في عكا كنيسة للاتينيين غير المصلى الصغير الذي في خان الافرنج بحماية قنصل فرنسا بخدمة الرهبان الفرنسيسكان .

والضرر من قبل ابنآء ملتنا . ولعله بذلك ينمو هذا القطيع الصغير في نور الايمان الايمان الحقيقي وتتكاثر اولاد الكنيسة المقدسة ويشرق نور النعمة للجالسين في بلدة الظلمة وظلال الموت بصالح دعاكم المقبول بعد تقبيل تراب اقدامكم

وايضاً نعلم سيادتكم اننا من مدة ثلاثة اشهر صار علينا اضطهاد من المشاقين وألقونا في حبس الولاة اعدآء الصليب ولولا ابونا اوغسطين شالش (دافع) عنا مع نظر القنصل عندنا حتى استفكونا وخلصنا بصالح دعاكم .

هذا ما قصدنا به اعلام سيادتكم دامت رياستكم .

كُتب في مدينة عكا في ١١ كانون الاول سنة ١٧١٤ عبيدك

القس جرجس	الخوري فرج	الخوري صالح
في قرية الدامون	بعكا	بعكا

ثم رسالة ثانية منهم ارسلوها الى البابا نفسه صحبة الوفد الذي سافر الى رومية من قبل البطريرك كيرلس الحلبي ومطران صيدنايا جراسيموس يحمل صورة اعترافهما بالايمان الكاثوليكي وقد جعل هذا الوفد طريقه بعكا . وتاريخ هذه الرسالة متأخر عن تاريخ رسالة المطران افثيميوس التي ادرجناها هناك بسبعة ايام وقد امضاها وسجلها وكيل قنصل فرنسا في عكا (Rochefor) . وهذا نصها بعد حذف الترجمة او المقدمة منها .

نعرض لقدسكم انه من مدة خمس سنوات توفي مطران مدينتنا عكا الذي كان مرطوقي وفي زمانه ما كان يستريح لنا ضمير (بال) . بل كل شيء الذي كنا نعمله من امور خلاصنا وخلاص انفس رعيتنا الكاثوليكيين جميعه كنا نعمله بالسر وتحت الخوف العظيم لان مفهوم عندكم اننا في بلاد اسلام

والروم ما يتقوّوا الا فيهم . لكن سيد الخليقة راد ان يريح ضميرنا قليلًا من الزمان . وذلك ان المطران الهرطوقي الذي كان علينا توفي . وبعد موته صار لنا فرصة وامتدت يدنا بالكرز والانذار بحقائق الايمان الكاثوليكي . وكان تعليمنا ينتج بثمر زائد وكانوا كل يوم يزدادوا في دخول الايمان ويقبلوا كلامنا حتى انه في مدة خلو الكرسي مقدار سنتين ونصف جذبنا الى الايمان (عدداً) ينيف عن ستين عيلة بنسائهم واولادهم في المدينة والقرايا . وبهذا السعي الذي كنا سالكين فيه كنا نترجى ان يقوم علينا مطران كاثوليكي لراحة ضميرنا وخلاص الشعب من عبودية اولاد الروم المعاندين . لكن عدو الخير عمل جهده حتى صار علينا مطران هرطوقي عناده ضد الايمان زائد الوصف . مع ان هذه الابرشية يا سيدنا ما كانت تابعة للكرسي الاورشليمي . بل بالقوة والخداع سلبوها من الكرسي الانطاكي من مدة تسعين سنة مضت من تاريخه[1] .

وفي تولي هذا المطران عوض الخوري سارافيم الذي كنا انتخبناه بعد موت المطران المتقدم ذكره اثار علينا انواع الاضطهادات والضرر تارة بخسارة الاموال وتارة بالحبوس والضرب وتارة بالنفي . واخيراً برطلوا علينا بدراهم وافرة الى المسلمين حكام البلاد ليقتلونا ويسفكوا دمنا حتى يبيدوا اسم الكاثوليكي من هذه البلاد . وما زال المطران وذووه على هذه الحال الى وقتنا هذا في كل وقت يثيروا علينا وعلى المسمايين باسم الكاثوليكي التابعين الكنيسة الرومانية في كل يوم اضطهادات جنس (مختلفة) . ونحن بنعمة الله حاملين نير المسيح الى ان ينظر الينا بعين رأفته ويحرّك جوانح ابوبتكم بالتفاتكم نحو العارضين اليكم هذه الوضيعة . وهذا الامر هين على قداستكم لان حيث هذه الابرشية هي في الاصل تبع الكرسي الانطاكي يمكن بمشرتة من ابوتكم ومن مجمعكم

---

(١) يذكر مكاريوس الحلبي ان البطريرك الانطاكي اغناطيوس عطية (١٦١٩-١٦٣٥) وهب ابرشية عكا الى البطريرك الاورشليمي ثاوفانيس (١٦٠٨ - ١٦٤٥) .

المقدس الى حضرة الملك المسيحي سلطان فرنسا لكي يرجع هذه الابرشية بواسطة أخيه (سفيره) الذي في اسلامبول الى ما كانت عليه تابعة الكرسي الانطاكي . لعلنا اذا رجعت الى ما كانت عليه نحظى بمطران كاثوليكي ويرتفع عنا هذا النير الصعب حمله من المشاقين .

وناقلين احرفنا هذه البادري بلاسيوس والخوري سارافيم والقسيس غفرائيل الذي هو واحد منا في (احتمال) الاضطهاد يخبروكم عن كل شيء مما يكل عنه الوصف بالاوراق .

ونحن نطلب من سيد الخليقة ان يديم لنا نجمكم الساطع نوره حتى تستنير بواسطته بلاد الشرق من ظلام الكفر الى نور الايمان الكاثوليكي بعد تقبيل اقدامكم ثانياً وثالثاً والدعاء .

كتب في مدينة عكا يوم الخميس في ٢٧ ايلول سنة ١٧١٦

احقر اولادكم كهنة عكا اولاد الكنيسة الرومانية المقدسة

الخوري فراج	الخوري جرجس	الخوري صالح	الخوري نقولا
نصر	حنا حبيب	فينان	ابن موسى

وينبغي أن نقول كلمة عن اصحاب هذه الرسالة مما نعرفه عنهم . وهم كلهم كهنة مزوجون بزواج ناموسي كما لا يخفى . فان الخوري صالح فينان من عكا نسيب الاب جبرائيل او غفرائيل فينان المذكور في نص هذه الرسالة الذي ارتسم فيما بعد سنة ١٧٢٤ مطراناً على بانياس باسم باسيليوس فينان

والخوري فَرَج او فراج نصر من عكا ايضاً . وقد سُجن في قلعة صيدا سنة ١٧٢٣ مع المطران افثيميوس وغيره بأمر سلطاني بحجة انه افرنجي ثم خرجوا كلهم مبرَّئين من هذه التهمة الكاذبة بموجب حجة شرعية صادرة من محكمة صيدا طبعت مراراً وهي مشهورة .

والخوري جرجس حنا حبيب من شفا عمر من اسرة مباركة كبيرة كثيرة الفروع في انحاء شتى في الشام ولبنان وفلسطين نشأ منها عدة كهنة ورهبان ومطارنة مشهورين كانت تُعرف قديماً في دمشق حيث اصلها ببيت اذان . ومنها الاب جاورجيوس اذان ب م وقد اشتهر عنه بانه نقل لبناً كنيسة البطريركية في دمشق سنة ١٨٣٣ ماية خشبة حور على كتفه . ومن هذه الاسرة (فرع بيت حبيب) المطران يوانيكيوس حبيب المساميري . ومنها الخواجا سليم حبيب التاجر الكبير المشهور بكرمه في باريس . وربما يكون منها حضرة الاب انطون حبيب رئيس الآباء المرسلين البولسيين ومن هذه الاسرة افراد كثيرون في بيروت انتقلوا اليها من دمشق بسبب حوادث سنة ١٨٦٠ . ومن فرع هذه الاسرة في شفا عمر الخوري جرجس المذكور وحفيده الخوري يوسف حبيب وابن اخيه المطران ثاوضوسيوس حبيب مطران عكا المتوفى سنة ١٨٣٤ . وقد وجدنا حاشية علقها المطران بخط يده في كتاب الخولوجيون مخطوط محفوظ في مكتبة مطرانية عكا فيما يخص اسرته ننقلها هنا تحقيقاً لما قدمنا وحرصاً على ما فيها من المعلومات النادرة فيما يخصه ويخصها[1] :

« ولد يوحنا بن سليمان حبيب الطبيب في شفا عمر في ٢٩ آب سنة ١٧٦٥ م وعمّده عم والده الخوري يوسف حبيب ابو اذان يوم عيد الصليب . . . ودعي اسمه خليل بعد العماد وعرابه حنا صالح نور وعرابته مريم حرمة جبور قشقوش . ثم دخلت الرهبنة انا خليل في ٥ ايار سنة ١٧٨٢ ودعي اسمي مرقص . وبعده نذرت النذور الرهبانية في اول كانون الثاني اول سنة ١٧٨٥ لاني استقمت في

---

(١) انعقد في هذا الفرع سلسلة متصلة من الخورنة في شفا عمر لذلك غلب عليه لقب بيت الخوري ومنه الدكتور جاد الخوري في حيفا . ويعرف منها فرع بلقب الياس ومنه اخونا الاب اسطفان الياس ب م ونسيبه الاب اغابيوس الياس . وقد نزح معظم افراد هذه الاسرة من شفا عمر الى حيفا . وربما كان منها بيت حبيب من اشرف اسر الروم في عكا .

الابتدآء سنتين ونصف . وفي سنة ١٧٩٢ ارتسمت شماساً بغير استحقاق بوضع يد البطريرك اثناسيوس جوهر في عيد العنصرة في ٨ حزيران في دير المخلص . وارتسمت قساً في احد المخلّع سنة ١٧٩٥ في دير رئيس الملائكة (عميق) بوضع يد المطران اغناطيوس (صروف) مطران بيروت . وفي سنة ١٨٠٩ ارتسمت مطراناً على كتدرائية مار اندراوس بمحروسة عكا (في كنيسة دير المخلص) من يد السيد البطريرك اغابيوس مطر ودعي اسمي ثاوضوسيوس »

ووضع ختمه الاسقفي الذي نقرأ فيه « ثاوضوسيوس مطران عكا والاراضي المقدسة سنة ١٨٠٩ . »

وبعد موت المطران فوتيوس عبد النور المذكور بين سنة ١٧٢٠ وسنة ١٧٢١ ارسل البطريرك جريسندوس الى عكا مطراناً باسم مكاريوس . ويظهر انه تمرّد فيها عليه وأبى ان يخرج منها . واخذ يضطهد الروم الكاثوليك فيها باكثر من سالفه استرضآء للبطريرك جريسندوس وبطريرك القسطنطينية وجماعتهما حتى يَدَعُوه في عكا متصرفاً في ابرشيتها التصرف التام اذ كان في ذلك العهد كل مطارنة واساقفة بطريركية اورشليم يقيمون دائماً في اورشليم لا في ابرشياتهم الخاصة مما لا يزال عليه اكثرهم الى اليوم . وفي هـذه الفترة بعد موت المطران فوتيوس ذهب المطران افثيميوس الى عكا لكي يفتقد الروم الكاثوليك ويثبتهم في الايمان الكاثوليكي وينظر في مصالحهم ولا سيما في رسامة ابن اخته مطراناً لهم على عكا . لكن لم ينجح بذلك معما بذل حينئذٍ من السعي والمال في سبيل ذلك لدى وزير صيدا الذي كانت عكا

ومعظم ابرشيتها تابعة مدنياً لايالة صيدا كما يظهر من المراسلات التي جرت حينئذٍ بهذا الشان بين المطران ورومية .

ونثبت هنا رسالة شكر وتهنئة من المطران افثيميوس الى قنصل فرنسا في عكا لحماية الروم الكاثوليك ضد تعديات بطريرك اورشليم ومطران عكا الاروام بموافقة وايعاز قنصل الانكليز

المجد لله دائماً

افثيميوس بنعمة المسيح

مطران صور وعكا وصيدا

النعمة الالهية والبركة الرسولية تُمنح لمحبة ولدنا الروحي كربوني (Corbone) قنصل عكا المكرم . بارك الرب الاله عليه نفساً وجسداً باتم البركات .

فالذي نبديه لمحبتكم هو مزيد كثرة الاشواق اليكم قرَّب الله تعالى الاجتماع بكم بوقت موافق لارادته الالهية .

وبعده نخبركم باننا فرحنا كثيراً بزيارتكم الاماكن المقدسة فنسأل سيدنا يسوع المسيح ان يقبل ذلك منكم وان تكون زيارة مقبولة لار قد امتلى قلبي من كرامتكم على غيرتكم الحميدة وشوقكم البليغ الى نمو الايمان الكاثوليكي ونصرته

وليس لنا ان نكافيكم على ذلك بغير التوسل الى الله تعالى ان يفيض عليكم كنوز انعامه

المراد لا تقطعوا عنا تجديد اخبار سلامتكم . ومهما بدا لكم من المصالح عرفونا لنفوز بقضائها بعد حلول البركة .

في ١٤ نيسان سنة ١٧٢٢

نص رسالة من المطران الى البابا اينوشنسيوس الثالث عشر الذي خلف البابا اكليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧٢١ بعد حذف الترجمة من اولها .

« المعروض بين قدسكم انه في زمان سالفكم البابا اكليمنضوس الحادي عشر لما عرف حالنا وتحقق ضيقتنا انعم علينا في كل سنة بمئتين وخمسين سكوت (Scudi) من احد ابرشيات اسبانيا . ومن حيث اختلال [1] امور اسبانيا صمتنا عن ذلك . فان جاز امركم اعادتها لاننا الان في غاية الضيق لاننا خسرنا مبالغ وافرة من الدراهم الى الحكام حتى خلصنا كرسي عكا وبلاد صفد جميعها من بطرك القدس والان صاروا تبعنا في الايمان الكاثوليكي المقدس لانه كما يفيد قدسكم بان الرعية عرفت راعيها . والبطريرك المذكور مراده يخسر جميع كنوزه ولا تطلع هذه البلاد من يده . ونحن خايفين من بطشه وجبروته لئلا يتقوى علينا بالاموره (الفرمانات) السلطانية ويخلص تلك البلاد والكرسي المزبور من يدنا . فان جاز أمر سيادتكم تدركونا عاجلاً بمكاتيب الى حضرة الجي فرنسا الذي في القسطنطينية لكي يكون محامياً عنا في جميع ما يحدث علينا من ضرر المشاقين ويمنع حضرة بطرك القدس عنا لانه ارسل سعاة بخصوص هذه القضية الى القسطنطينية يستعين بالمشاقين في اخراج امورة فينا لان البطرك المزبور

---

(١) المراد بذلك الاشارة الى الحرب العوان الطاحنة التي وقعت بسبب الخلافة على عرش ملك اسبانيا بعد موت كرلوس الثاني بين ملك فرنسا لويس الرابع عشر وبين قيصر جرمانيا . وقد استمرت من سنة ١٧٠١ الى سنة ١٧١٣ وامتد اوارها الى معظم دول اوربا الغربية واشترك بها رسمياً وعلناً ملوكها واعظم قوادها في ذلك العهد وهي مشهورة في تاريخ ذلك العهد باسم La guerre de la succession d'Espagne وهي لا محالة امثولة زاجرة لرجال سياسة هذه الايام تمنعهم عن الاشتراك علنياً في حرب اسبانيا الخالية بها الاهلية الطاحنة .

والبطرك اثناسيوس (الدباس) متفقين برأي واحد ضدنا . ولولا عناية الله وبركة الايمان المقدس لكانوا قلعوا وجودنا من الارض .

فالمرجو من قدسكم ان لاتخرجونا من خاطركم وتلاحظونا لعل وعسى في زمانكم يتربى لله شعب مقدس . بعد (تكرار) تقبيل اقدامكم ثانياً وثالثاً .

مسطر في ٢٠ ايار سنة ١٧٢٢ عبدكم افثيميوس مطران صور وصيدا وعكا
ابن الكنيسة الرومانية

ونثبت فيما يلي قطعة من رسالة من المطران الى مجمع انتشار الايمان بهذا الشان بتاريخ ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٢٢

نخبر سيادتكم بسبب اننا طلعنا من ملتنا واتحدنا مع ابنآء الكنيسة الرومانية ما بقي لنا مشير ولا كبير نشتكي اليه ونخبره باحوالنا غير سيادتكم ولو اننا كاتبناكم مرات عديدة وما رديتم لنا جواباً ملزومين نخبركم بالشي الصاير (عندنا) من حيث انه (حتى) يصير معلوماً ومفهوماً في محفوظ سيادتكم كما ذكرنا لكم عن بطرك القدس بانه اتفق مع توماز قنصل الانكليز في عكا علينا . وبعد خروجنا من عكا ارسل البطرك مطراناً من عنده ليكون في عكا . وفي حال اقامة المطران في عكا عمل هذه الشريعة : « كل من بده (يريد) يحضر عندي ويقيم في طاعتي لازم له بان يلعن البابا ومطران صيدا وكل من يتبعه » . فالذين طاعوا رأيه وكفروا كما أمرهم عفى عنهم من الضرر . والذين خالفوا رأيه وما وافقوه على النفاق صاروا تحت غيظه وغيظ قنصل الانكليز المذكور اعلاه ولحق الكاثوليك المذكورين ضيق وشدة وضرب وحبوس وعوان[1]

---

(١) مال يأخذه الحاكم من الناس على سبيل المعونة .

وجرائم [1] وختموا بيوت الكهنة والعوام وسجبوا عليهم السلاح في وسط الكنيسة وضربوهم بالبوابيج . وقوم منهم هربوا الى القرايا . وقوم آخرين اجوا لعندي . وواحد منهم حطوا في رقبته الحبل ودوروه في المدينة لكي يشنقوه . وما عدا (تجاوز) عنه المطران والقنصل المذكوران الا حتى قدمت للحاكم اربعمئة قرش . وهم في كل احد في صلواتهم ما فيه الا سب وحرومات ولعنات وشتائم في نص الكنيسة الى جميع الكاثوليكيين .

وان راحوا (الكاثوليكيين) الى عندهم في الكنيسة هذه عمائلهم معهم . وان راحوا صلوا في (كنيسة) الخان يسلموهم بيد الحكام . واستقاموا في ضيق عظيم وهم صابرين مثل الشهدآء لاجل انتصار الايمان . وفي غضون هذه الاشيآء الخواجا موسى بلان (Blanc) (وكيل قنصل) الفرنساوية في عكا غار غيرة عظيمة ونزل الى صيدا واشتكى الى الباشا ورفع عن المؤمنين الذل الذي كانوا فيه ودفع الى الباشا الف وستماية قرش حتى قدر رفع يد قنصل الانكليز من الكاثوليك خادمين الاله العلي وتابعين الكنيسة المقدسة . وقد كمل بنعمة يسوع فينا دعوة بولس الرسول : قوتي بالضعف تكمل ...

ويطابق هذا ويحققه ما جاء في بلاغ محافظ الارض المقدسة رئيس الرهبان الفرنسيسكان العام في سوريا وفلسطين ومصر واسمه Giuseppe Maria di Perugia مما كتبه في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٧١٧ وارسله الى رومية . وقد نشر هذا البلاغ بالطبع في مدينة ميلانو سنة ١٩٢٢ احد الآباء الفرنسيسكان Leonardo Lemmens O. F. M. في تاليف عنوانه

Acta S. Congregationis de Propaganda Fide pro Terra Sancta. Parte I (1622 — 1720)

---

(١) مال يأخذه عقاباً على جريمة نسبت اليهم حقاً او زوراً .

قال فيه عما يخص الروم الكاثوليك الذين كانوا يتردّدون الى كنيسة الفرنسيسكان في عكا صفحة ٤٠٠ :

« واما الروم الكاثوليك فلم يبلغني عددهم بالدقة كما بلغني ان عدد كهنتهم ثمانية فقط . منهم اثنان اصلهما من الجبل (من القرى) قد ارتدوا من زمن وجيز . واثنان من هؤلاء الخوري صالح والخوري فراج بذلا كل جهدهما ليجتذبا المؤمنين الى حضور قداسهما عندما يكون كهنة الروم المنفصلين يحتفلون بالقداس الالهي . وهذا سبّب لهما منذ ثلاثة عشر شهراً اضطهاداً شديداً حتى ان مطران الروم المنفصلين رشقهما بالحرم فالتزما ان يفرا الى صيدا . وبعد هذا الاضطهاد لم يعد رهباننا يذهبون الى بيوت الروم ولو كانوا كاثوليكيين . والكاثوليك من كهنة وعوام لم يعودوا يتباحثون في امور الديانة (قضايا الخلاف) الا سراً او خارج المدينة بين الخراب بالخفية . وما اتى منهم سوى ثلاثة عشر شخصاً ليعترفوا لكن نقدر ان كثيرين غيرهم كانوا يعترفون الى كهنتهم الروم الكاثوليك خصوصاً الرجال لان النساء ليس لهن الحرية التامة كالرجال بالخروج من البيت والكهنة المذكورون لا يذهبون الى البيوت الا ما ندر لئلا يتجدّد الاضطهاد . والذين ارتدوا على يد خورينا في سنة ١٧١٥ فهم ثلاثة . لكن الخير العظيم (من هذا القبيل) كان يقوم به الكاهنان المذكوران اعلاه بكل غيرة وعلانية حتى وقع عليهما هذا الاضطهاد » .

وفي المجلد الثاني من التأليف المذكور في صفحة ٣٣٨ بلاغ ارسله الى رومية سالفه الاب لورنسيوس (Lorenzo) في ٦ نيسان سنة ١٧١٥ يقول فيه عن الروم الكاثوليك الذين في عكا ما يلي :

« وفيها روم ارتدوا من جديد وتصالحوا مع الكنيسة بسعي السيد اثيميوس مطران صور وصيدا بقدر ٣٥ بيتاً فيهم بعض الكهنة . . .

ونثبت بختام هذا الفصل قطعة من رسالة للخوري ساروفيم طاناس ارسلها الى رئيس مجمع انتشار الايمان بدون تاريخ ونظن انه كتبها بين سنة ١٧٢٢ وسنة ١٧٢٣ .

المعروض انه في السنة الماضية تألف علينا ناس كثيرون من عكا وبلاد صفد وعلّمناهم حقائق الايمان فتكاثروا جداً . ولما عرفوا الحق ما عادوا يرضوا بالباطل وقاموا كتبوا مكتوب الى باشا صيدا وطلبوا منه ان يازم مطران صيدا بحضوره الى عكا ليرسم لهم مطران كاثوليكي . وحطوا عيونهم علي . فالباشا اخذ من المطران الف قرش وسلمه عكا (لذلك) . ولاجل بعض امور كانت لازمة للمطران ما قدر ان يتوجّه الى عكا فارسلني عوضه . وهناك كنت اعلم واكرز مقدار ثلاثة اشهر . وبنعمة الله اكثر البلاد استناروا (بنور الايمان المقدس) لكن تغالبوا علينا الحكام (في عكا) بسبب البرطيل اذ طلع قنصل الانكليز دفع سبعة اكياس وخلص الموضع من يدنا . وحتى تخلصت من الحكام خسرت مايةٍ وخمسة قروش تديّنتها من رجل بزركان (تاجر) فرنساوي يقال له بلان Blanc .

تنبيه – نقلنا من نحو ثلاثين سنة هذه الرسائل عن سجلات مجمع انتشار الايمان من مجموعة خاصة في عشرات من المجلدات تخص طائفة الروم الملكيين مرتبة على ترتيب السنين وقد فاتنا حينئذٍ ان ننقل في دفاترنا فيما نقلنا رقم كل مجلد نقلنا عنه شيئًا مع رقم كل صفحة او ورقة نقلنا عنها كل رسالة من هذه الرسائل الشائقة التي صارت وثائق تاريخية نفيسة . وقد استنسخنا بواسطة آلة الكتابة ترجمة كثير منها بلغتهم الايطالية او اللاتينية على يد كاتب مأجور ثقة يباح له الدخول والعمل في خزانة السجلات المذكورة .

﴿ الفصل الحادي والاربعون ﴾

اهتمام الطرابة بالنصارى اهل حوران

بلاد حوران بلاد واسعة الاطراف مشهورة بخصب تربتها مجاورة لبلاد فلسطين وبلاد الشام وبلاد العرب او بادية الشام . وقد كان — ولم يزل الى اليوم — اكثر سكانها من العرب اهل الحضر واهل المدر واهل الخيام من الوبر . وقد دخلت في مملكة الروم من اول عهد الروم في هذه البلاد فكانوا يطلقون عليها اسم بلاد العرب (Arabie romaine) . وجعلوا مدينة بصرى عاصمة لها . وقد دخل بين اهلها دين المسيح من اول ظهوره في القرن الاول بعد الميلاد . ولما ظهر الاسلام في اوائل القرن السابع كان معظم قبائل العرب واشرفهم في حوران على دين المسيح وفيهم بنو غسان ملوكهم عمال قياصرة الروم فيها .

وكان فيها حينئذٍ عدا الخوارنة عدد وافر من المطارنة والاساقفة لخدمة نفوس اهلها في مدنها وحواضرها وامهات القرى حتى لم تكن واحدة منها تخلو من اسقف او مطران . بل كان لبعض القبائل اصحاب الخيام الذين لم يتحضروا اساقفة منهم

وفيهم يقيمون معهم في الخيام ويرحلون معهم اينما رحلوا لانتجاع العيش لهم ولمواشيهم .

ولا يخفى ان العرب المسلمين استولوا على حوران في صدر الاسلام باول الفتح العربي وبذلك تسهّل لهم فتح بلاد الشام وفلسطين وما يليها من بلاد الروم . واضطر حينئذٍ كثيرون من اهل حوران على الدخول في الاسلام وآثروا ذلك على دفع الجزية للمسلمين عن يدٍ صاغرين اذ لم يكونوا يدفعونها قبل ذلك الى ملوك الروم . بل كان لهم من الروم الاعطيات الواسعة الكثيرة ليقفوا على تخوم مملكتهم في وجه عرب البادية ليمنعوا غاراتهم عن اطراف مملكتهم . ولا بد ان رحل حينئذٍ كثيرون منهم عنها ودخلوا بلاد الروم ضناً بحياتهم ودينهم وناموسهم . ولذلك صار البقية الباقية فيها من اهلها النصارى في قلة وضعف وعرضة لكل غارة من قبل عربان البادية ولكل جور من قبل الحكام الظلام لموقع بلادهم في اطراف العمران ولاعتبارهم عندهم انهم امة مستضعفة لاقوة لها على اخذ الثار . ولولا شجاعتهم وتعوّدهم حمل الضيم وصبرهم الجميل في سبيل دين المسيح لما كان اليوم في حوران كلها نصراني يذكر اسم المسيح او من يرسم على وجهه اشارة الصليب المقدس . وكم من الاسر المسيحية والاسلامية في لبنان وغيره ترجع بتاريخها واصلها الى حوران على ما يروي الاجداد

للاولاد والاحفاد بانهم هاجروا من حوران لحيفٍ نزل بهم من جيرانهم او من حكامهم تعدياً على حياتهم او عرضهم او ناموسهم حتى ضاقت بهم سهول حوران وجبالها ووهادها وأصفى عدد مطارنتها وأساقفتها واحداً يقيم في دمشق غالباً ويتخذ لقب مطران بصرى حوران او مطران بصرى وحوران يهتم بهم بعض الاهتمام بقدر ما يستطيع الى ذلك سبيلاً ويفتقدهم اذا امن على حياته من تعدي شرار العربان . وقد لا يكون لهم اسقف ولا مطران لا في دمشق ولا في حوران ويصبحون والحالة هذه كالرعية التي لا راعي لها او يكون امرهم حينئذٍ بيد البطريرك الانطاكي المقيم في دمشق . وقلما كان يهتم بهم البطريرك اذ كان غالباً في شغل شاغل له عنهم بمشاغل ابرشيته الخاصة واشغال البطريركية العامة المهمة . ولذلك كان يفوّض امر الاهتمام بهم الى احد الكهنة يختاره منهم يكون ذا خبرة وتقوى وكلمة نافذة مسموعة بوجاهة اهله وعشيرته وبعقله واستقامته فيقوم فيهم مقام المطران بتدبير امورهم بما يقدر عليه ويعود بما تعذر عليه منها الى البطريرك في دمشق كما يظهر من الرسالة التي نثبتها هنا بامضاء الوكيل البطريركي في حوران جواباً على رسالة وردت له من المطران افثيميوس لم تصل الينا . ولعل المطران كتب اليه غيرها ارسلها مع كتاب الدلالة اللامعة كما تشير الى ذلك رسالة الخوري حنا المذكور . وهي تدل على غيرة المطران وشمول ابنآء هذه

الابرشية بعنايته كما تستوجب ذلك وان بعدوا عنه وعن ابرشيته .

وهذا نصها نقلاً عن الاصل المحفوظ في سجلات مجمع انتشار الايمان في رومية[1] وقد ارسلها الى هناك المطران افثيميوس كما يذكر ذلك صريحاً في رسالة كتبها في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٢٢ الى رئيس المجمع المشار اليه يوضح له رغبة الناس بطلب المرسلين من رهبان دير المخلص وشدة الحاجة اليهم .

تقبيل ايادي حضرة الاب المكرَّم الروحاني وكاهن الله الطوباني الكلي النباهة والشرف المطران افثيميوس الكبير المحترم ادام الله حياته آمين .

اولاً مزيد كثرة الاشواق وعظيم الاشتياق الى تلك الطلعة البهية اللامعة النورانية اجاره الله تعالى من الاسوا في السر والنجوى وحفظه كما حفظ الشمس من اللمس . وجعل ما يُؤمّله اقرب من غد وما يكره ابعد من امس . فخر العلما والمؤرخين ترجمان الايمان وموضح الحق بالبرهان . معلمنا وشرفنا وبركتنا المشار اليه . دام رضى الباري عليه وأسبغ جزيل انعامه عليه وكلاَّه ولا يكون عليه بشفاعة من ترمي القلوب اليه (اليها) ذات الشفاعة الدائمة البتولية مريم القديسة البتول وماري بطرس الرسول مع جميع القديسين امين .

ومن بعد تقبيل اياديكم المباركة ان جاز السوال عن كيفية الاحوال (احوالنا) فاننا لله الحمد في بركة قداساتكم الطاهرة طيبين ولله شاكرين بكل خير وعافية . والمعروض بعد الواجب المفروض على الحضرة المأنوسة جعلها الله من كل سوء محروسة . من خصوص قلة المعلمين الفاحصين الذين في كتب الله دارسين الذين يردُّون نفوس المسيحيين الى قرار الايمان المستقيم الراي الكاثوليكي ان معلوم حضرتكم ان بلادنا بلاد عرب ولا احد يجينا

---

(1) Greci - Melchiti, Scritture originali riferite, nelle Cong. Particolari dell' anno 1722.

كما ذكرنا[1] ولا عندنا كتب علوم توصلنا الى هذا المنهج النقي . ونحن معلوم حضرتكم ملتزمين (ملازمين) رئيس ابرشيتنا حضرة سيدنا البطريرك صاحب الكرسي الانطاكي . لكن يا سيدي (البطريرك كيرلس) الذي تقدَّم ما فتَّش على هذه الرعية في كرز وتعليم الايمان الحقيقي . والذي الان الله تعالى ينفعنا ببركة صلاته ويديم رياسته ما صار له قرار ولا مقام بمدينة الشام حتى يجتهد في اصلاح رعاياه . ونحن نسمع بتعليمكم وعلومكم السارة المرضية قائدة الضالين من الرعية الى حسن شعاع نور الامانة المضية . وكلما زادت تعاليم كرزكم الشائعة الذكر تزيد بذلك سروراً ونتنومس ونبتهج ونقول الحمد لله الذي ما اهمل رعيته بل دبَّرَ لها مثل فضلكم معلمين مرشدين يقودونهم الى مرضاته وحفظ شرائعه ونواميسه .

والذي نبديه بين ايادي حضرتكم من صوب حقارتنا نحن الحقيرين المساكين معترفين ومصدّقين في رياسة سيدنا البابا بانه هو الحبر الاعظم راعي الرعاة ورئيس الروساء . وفي وحدة الكنيسة وانها جامعة مقدسة رسولية . وفي سعادة القديسين في الملكوت . وفي نار المطهر . وفي تقدمة الفطير كالخمير مقبول امام سيدنا يسوع المسيح . وفي انبثاق الروح القدس من الاب والابن . في هذه الاشياء الخمسة معتقدين انها حقٌ وصدق . ونُؤمن ونعترف في ايمان كنيسة رومية الجامعة المقدسة الرسولية . ونعترف في سر (قانون) الايمان الكاثوليكي . لكن نشتكي الى الله تعالى يا معلمنا من قلة المعلمين الكواريز الذين يردُّون التائهين الذين هم على الغلط ماشين وضالين .

وسبب تحرير المحة الى قدسكم المرحوم من الله وهمتكم ان يسمح لنا فضلكم في معلم فاحص دارس في جميع العلوم رسول تعرفونه انه كامل علماً وعقلاً ترسلونه الى عندنا لعله ببركة الله ومساعدته وسعيكم المبارك تصطلح

---

(١) الاشارة بذلك الى مراسلة سابقة بين المطران افثيمبوس والخوري حنا .

احوال النصارى ببلادنا لانه يكون معلومكم ان في بلادنا اكثر من الفين نفس نصارى مساكين غشم لم يعرفوا شيأ من امر خلاص نفوسهم . لعل ان شاء الله يكون اصلاحهم عن يد الله ويدكم وتكسبوا في اصلاح احوالهم الاجر الذي لا يضيع قدام سيدنا يسوع المسيح كما قال في انجيله الطاهر : اكرزوا في جميع الامم ونادوا ببشارة الملكوت (متى ٢٨ : ١٩) وتكونوا متشبهين بتلاميذ ربنا في السعي بتخليص النفوس . لان سابقاً كانوا هم وتلاميذهم وخلفاؤهم يكرزوا على جميع الامم من سائر الاجناس وعلى عباد الاصنام وغيرهم . وكانوا يضربوهم ويجرّحوهم ويخرجوهم . وكان في زمانهم ضيق عليهم . ولهذا نسوم (نعرض ونلتمس) ونهجم على فضلكم نحن الغنم المساكين . ونحن في زماننا هذا قدر ما نكون نجتهد في ترشيد اخوتنا المسيحيين وهم اذا لقّينا (غرنا) عليهم يكرمونا غاية الاكرام ولا نشوف امراً مكروهاً منهم[1] . والمحصول (الحاصل) نؤكد عليكم في اتمام ذلك في الرسالة المذكورة لان نحن قصدناك لانك انت صاحب غيرة مسيحية حارة لا تتباطئ ولا تزاوي (تختبي في زاوية) في شهر الايمان النقي

والمرجو من عواطفك وقدسك المكرم ان تبعثوا لنا من عندكم كتاب يكون فيه كرز وتعليم يفرح ويسر الانفس فيكون لكم بذلك الثواب لاننا نحن جاءنا من عندكم كتاب الدلالة اللامعة . وهو عند ابن اختنا ناصر ابن ابولمع . وهو قوي متنومس فيه وفي تعليمه . ولا نعتاز ان تزيدك تحشيم (تحميس) لكونكم انتم اهل حشومة (حماسة وغيرة) وفي همتكم كفاية كل امر . ولا تنسونا من الدعاء والاستذكار في طلباتكم وقداساتكم . وابعثوا لنا بركة نقنع بها في الرد على معروضنا هذا وعمركم باقي ودمتم .

---

(١) لعله يريد ان يقول : نحن في زماننا هذا قلما نجتهد بارشاد اخوتنا المسيحيين . وربما اراد ان يقول : بقدر ما نكون مجتهدين بارشاد اخوتنا المسيحيين في زماننا وبقدر ما نغار عليهم يزيدون في اكرامنا

وكاتب هذا السطور المعروضة لقدسكم الحقير الذميم الغشيم الذي ليس مستحق ان يدعى لكم تلميذ ناصر ابن حنا ابو لمع يقبّل ايديكم واقدامكم ويعترف لقدسكم اني انا الغشيم المسكين كنت سابقاً اذا سمعت عنكم بعض كلام احط فيكم كلام الفشل والمسبة . وانا اليوم طريح اقدامكم وطالب السماح من الله ومنكم مع البركة . لاني بغير معرفة فعلت ذلك . واليوم بنعمة الله تعالى في رسالة جواب كتابكم الذي وصل الينا من فضلكم انا مقرّ ومعترف في الاشيا الخمسة كاثوليكي .

ويا معلمي انا قلبي متوالع في اجتماع قدسكم لاستفيد واسترشد منكم . وان شآء الله تعالى يجمع شملنا بحضرتكم . وانا يا ابونا وبركتنا راجي من الله تعالى انك لا تنساني من قداساتكم والسماح عن الغلط الذي صدر من عبدك وانا يامعلمي اعرض واجسر واطلب منك ان تبعث لي كتاب يكون فيه كرز وتعليم غير الذي تبعته الى خالنا الخوري حنا . وابعث لنا بركة حتى نبتهج بذلك وفضلكم يسمح .

ولا تؤاخذونا في التهجم وكثرة الكلام والغلط وعمركم باقي ودمتم .

ومن بعد ذلك نقبل ايادي اخوتنا الكهنة الورعين الذين هم عندكم ونهدي لحضرتهم السلام الخوري نعمة (زيادة) والخوري ابرهيم (الطوطو) والخوري اسطفان (عطا الله) وجميع الكهنة والرهبان الذين في جناب قدسكم الشريف ونرجو انك ترسل ردّ هذا المكتوب ولا تقطع عنا اخباركم السارة ولا تؤاخذونا في هذه (الكتابة) لان ساعة عجلة بالليل ودمتم . الداعي لقدسكم

حُرّر في ١١ ايلول — الخوري حنا ابن ابو كامل

تلميذكم وكيل بلاد حوران

ويسوغ لنا ان نستدل باستقامة وصحة من مضمون هذه الرسالة بشأن قضايا الخلاف التي أقر بصحتها والايمان بها الوكيل البطريركي الحوراني بصراحة وسهولة بدون تردُّد انها كانت تعتبر عنده وعند ذويه من اصول العقائد المسيحية المعروفة منهم المقرَّرة في نفوسهم بتقليد قديم لم يفسدها شقاق الروم الى ذلك العهد اذ لم يصل اليهم ذلك وهم بعزلة في حوران عن الشقاق واصحابه وعن كل خصام وجدال بشأن هذا الخلاف بين ارواء القسطنطينية وبطاركتهم واتباعهم من جهة وبين احبار رومية والكنيسة الكاثوليكية من جهة ثانية. ولم يكن لهم شان ولا غرض من هذا الخلاف والشقاق الذي يرجع اصله الى التعصُّب اليوناني او الشرقي بفرط حب الاستقلال في امر الدين ولو كان هذا ضد جوهر وحقيقة الدين المسيحي الذي هو حسب قصد الله ان يكون بالسواء لخلاص الجميع ولسعادة كل الامم والشعوب والافراد بلا فرق بين بلاد وبلاد ولا بين قطر وقطر ولا بين عبد وحر ولا بين اليهود واليونانيين وغيرهم.

ولا بد ان يلاحظ معنا القاري النجيب ما في هذه المراسلة مما يخص شهرة المطران افثيميوس وتلاميذه بالوعظ والتعليم حتى انها بلغت حوران وعرفوا البعض منهم باسمائهم التي ذكرها النائب البطريركي العام في هذه المراسلة وجل قصده من كتابتها طلب احد المرسلين المذكورين للوعظ والتعليم في حوران.

﴿ الفصل الثاني والاربعون ﴾

البطريرك كيرلس الطلبي في آخر حياته

لا شك بان هذه الدنيا غرور ومن غرورها محبة الانسان للرياسة على الانسان ولا يسلم من هذا الغرور اصحاب الرياسة الدينية اذا لم يكونوا على نور سماوي من الله تعالى او لم يكن الله دعاهم اليها كما دعا موسى وهرون . بل هي اكثر من سواها عرضة لذلك ولاسيما اذا كانت ذات مقام عظيم كالبطريركية التي ليس عندنا في الشرق سلطة فوقها الا سلطة الحبر الاعظم بابا رومية . لان ما يلازمها من رفعة الشان ونفوذ الكلمة في امور الدين والدنيا يجعل صاحبها ذا منزلة جليلة في نفوس الجميع توجب له الطاعة التامة والاحترام الفائق حتى يُعتبر فوق كل عيب ولوم كانه مشارك لله تعالى بقداسته كما انه مشارك له بشيء من رياسته وسلطانه في الناس .

ومن غرورهم بهذا الشان طمعهم بالاستئثار بامر الرياسة حتى يتمنّون المحال بان لا يكون لهم فيها شريك ولا رقيب وان لا يكون فوقهم صاحب امر وسلطان غير الله .

واذ كان هذا لا يكون في هذا الكون تضطرهم الحيلة ان يجعلوا امر رياستهم في يد من هم دونهم وفي ذمة من ليس لهم

ذلك ليعتصموا بهم من امر من سلّطه الله تعالى بارادته التي لا مردَّ لها ولا عاصم منها . ويخدعون انفسهم ويخدعون ذويهم بحق اهم عقائد الدين والايمان التي ما على الانسان اياً كان الا ان يخضع لها بارادته وعقله بتمام الرضى طاعة لامر الله مصدر كل ترتيب ونظام ومرجع كل ذي سلطان .

فلا غرابة اذن ان اهملهم الله تعالى في هذا الغرور المهلك الى النهاية فيموتون فيه كما عاشوا ولا يعود لهم حينئذٍ سبيل الى اصلاح غرورهم وغوايتهم لان في موت الانسان ينطبق دفتر قيد حساب اعماله في هذه الدنيا ليُفتح في الآخرة حيث لا بد من الحساب بكل دقة وبدون محاباة .

الا ان لاصحاب الشان في المجتمع البشري سجلًّا آخر في هذه الدنيا تقيَّد فيه اعمالهم الاجتماعية وتجعل امانة في ذمة التاريخ لينشرها على الملا لافادة الخلف باعمال السلف اذ لا تخلو اعمالهم من العبر المفيدة . فان في الحسنة منها قدوة واسوة مفيدة وفيها تذكارات مجيدة للسلف والخلف معاً . وفي القبيحة منها موعظة زاجرة بليغة لكل عاقل اذا اعتبر بها كما ينبغي له وكما يجب عليه .

وكذلك لا غرابة ان قضى البطريرك كيرلس حياته بهذا الغرور المهلك حتى خدع نفسه وخدع الحبر الاعظم ومجمع انتشار الايمان والمطران افثيميوس وتلاميذه وقنصل فرنسا في صيدا وغيرهم

من الكاثوليك في دمشق وغيرها بهذا الاتحاد الذي عقده ظاهراً معهم شفاهياً وكتابة وهو يضمر في نفسه خلاف ما قرّره واقرّ به امامهم . وانما فعل ذلك حرصاً على بقاء امر البطريركية في يده وخوفاً عليها من ان ينزعها من يده اثناسيوس الدباس بمساعدة الكاثوليك في دمشق وحلب . او خوفاً من ان يسلبها منه بطاركة الاروام بقوة السلطان العثماني لشدة طمعه بها ولفرط غوايته بها بعد ان نَشَأَ في ظلها صغيراً حتى شب وشاب على عرشها فازداد غروراً وغواية بها حتى استحل ان يداري الطرفين وان يجمع النقيضين كما وهم ولم يحسب حساباً لغير ذلك من واجبات الصدق والاخلاص في الدين والايمان واستقامة الاعمال التي يقتضيها الدين القويم . فانه بعد كل المكاتبات التي اثبتناها سابقاً بشأن اتحاده ومراجعته بذلك لامتحان صدق ايمانه وبعد تزكية الشهود الثقات له بذلك كان يواصل بمخاتلة بطاركة الاروام المشاقين ويعمل بأمرهم لاكتساب رضاهم برسامة مطارنة مشاقين على شاكلتهم لكراسي اساقفة الابرشية الانطاكية بدون انتخاب قانوني وهم غرباء البلاد واللسان عن رعيتهم لا يعرفونها ولا تعرفهم ولا يصلحون لرعايتها بكلام الله والوعظ لهم بلغتهم وكانوا يغرونه بالمال الذي كان ياخذه منهم برسم الشرطونية او الرسامة واذ كانت السيمونية حينئذ الوباء الجارف العام في الكنائس الشرقية ولا سيما كنيسة القسطنطينية . وقد كان له قدوة بهذا السلوك

الاعوج جده البطريرك مكاريوس ومعاصره ومزاحمه على عرش البطريركية اثناسيوس الدباس كما تقدم ايضاح ذلك سابقاً وكما يتحقَّق اكثر من سياق هذا التاريخ بمكاتبات المعاصرين المختلفة المصادر مما لا سبيل الى الشك بذلك .

رسالة الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر[1]

... افرح بالرب يا وكيل المسيح لان في زمانكم صار خلاص منذ زمان لم ننظر مثله ولا اخبر المؤرخون عنه . وهذا كله مصدَّق انه صادر من رحمة ربنا يسوع المسيح ومن حسن نيتكم الصادقة ومن اهتمامكم بالرعية التي قلَّدكم الله رعايتها . فالمراد تطلبوا من حضرة سلطان فرنسا لكي يخرج من سلطان المسلمين امراً الى جميع الحكام ان لا يقبلوا دعوى على نصراني يصلي عند الافرنج لان كيرلس بطريرك طائفتنا سالك مع الغالبين . وما كتب اقراره بالطاعة الا خوفاً على الرياسة لان الكاثوليكيين نموا بقوة الله تعالى . لكن متى صار لهم حقارة وانغلبوا فحينئذٍ يدوسوهم بغير رحمة . لاني اختبرته مقدار اربعة اشهر . ايضاً شرفوا دير يسوع المخلص بذخيرة مقدسة وامنحوا غفراناً بالهام الله لكم . وارسلوا للمرسلين ماية نسخة من التعليم المسيحي . وان كان (الكتاب) الذي طلبته لما كنت في رومية تم ارسلوا منه مائتين نسخة كي تستفيد النفوس (لاجل) خلاصها قبل موتنا . ويكون مجد الله ظاهراً في اتحاد الكنائس جميعها ليصير معروفاً حق الام الحنونة عند الجميع ويتمجد اسم يسوع عريسها الى الابد

احقر المرسلين الخوري

حرر في دمشق في ١٥ شباط سنة ١٧١٧ اسطفان عطاالله

---

(1) Greci-Melchiti, Scritture originali riferite nelle Gong. degli 11 Maggi, 1717

رسالة ثانية من الخوري المذكور كتبها وارسلها في اليوم ذاته الى مجمع انتشار الايمان في الموضوع نفسه وجدناها في السجلّات المذكورة مع الرسالة السابق ذكرها وفيها ايضاح عدة امور عن البطريرك لم يذكرها في رسالته السابقة . وهذا نصها بعد حذف الترجمة :

... المعروض على مسامعكم الشريفة بعد تقبيل ايادیكم المقدسة وهو اني في ابتدآء تشرين الاول ذهبت الى دمشق الشام ولم ازل باكياً على بني المعمودية منذ اربعة اشهر واكثر ولم اجد من حضرة بطريرك طائفتنا كيرلس ولا وجه ولا نوع من الكاثوليكيين اصلاً . وكل اعماله خوف على الرياسة لان اولاد الكنيسة (الكاثوليكية) نموا وتضاعفوا بصلواتها . فالمراد لا تصدقوا فيه (بكلامه) ان كان لا يُعينه على الدنيا وثبات الرياسة . ولاكمال هذا يريد امراً قاطعاً من سلطان المسلمين ان الحكام لا تقبل شكاوة من نصراني على اخيه يريد ان يتعلّم دين وقول الافرنج . فهذا النوع من اكرام الدنياوات يمكن ثباته ويزيده . وبغيره ما له ثبات والتعب باطل بهذا الامر . واذا ارسلتم له تعليمكم المقدس ربما انه يقبله ويبطل خطية السيمونية ورسامة الاراطقة وطلاق المزوج من الله وما اشبه من الضلال . وهذا ما يلزم ذمتي اخبرتكم به وانتم اخبر بالذي يرضى به الله الذي له المجد الى الابد آمين . اصغر المرسلين

سطر في دمشق في ١٥ شباط سنة ١٧١٧ الخوري اسطفان عطا الله

رسالة الى كاتم اسرار مجمع انتشار الايمان من القس غفرائيل فينان

جناب حضرة سيدي مونسنيور ٠

٠٠٠ واخبر سيادتكم اني وصلت مع الخوري سارافيم الى صيدا في ٩ كانون الاول سنة ١٧١٨ بحساب الشرق وهناك مكثنا حين بعث طلبنا البطريرك كيرلس من دمشق وكان ذلك في جمعة الفصح سنة ١٧١٩ بحساب الشرق ايضاً وسبق اولاً الخوري سارافيم وحده ومعه مكاتيب سيدنا (البابا) والمجمع المقدس ٠ وبعده رجعت انا (الى دمشق) واخذت معي الصندوق الذي فيه البدلة والكاس (هدية من البابا) بشور حضرة قنصل صيدا ٠ ولما وصلت الى دمشق سلمت للبطريرك الصندوق وفتحه قدامي وقدام الخوري سارافيم المكرم وقبل الذي فيه بكل فرح ٠ وسكنت انا والخوري سارافيم عنده في بيته ٠ وكنا كل يوم ناكل معه على مائدته مرتين ٠ وكان يحبني ويركن لي بالقول اكثر من غيري ٠ وانا تكلمت معه كلام كثير ينفعه ويمكنه في الايمان المقدس الروماني ٠ فكان تارةً يذعن لي ويصدّق قولي ونصيحتي وبعض الاحيان كان يجادلني جدال خفيف ٠ وكان يشتكي لي من خصوص عدم تكميل الكنيسة (الرومانية) طلبته في طبع الكتاب (الاخولوجي) ورفع ضرر القرصان واتفاق التابعين للكنيسة الرومانية في هذه البلاد في تعييد الفصح على الحساب الشرقي ٠ وكان بعض المرار يعتذر لما ألومه على عدم المجاهرة بامور الايمان الكاثوليكي ويقول اننا نحن تحت حكم الترك ٠ وبيان انه خائف من بطريرك القسطنطينية وبطرك القدس ٠ والراي المقبول انه جاهل في امور الايمان الكاثوليكي الروماني وان مكاتيبه للكنيسة الرومانية اما انها عن طمع منه في اشياء عالمية او مداراة لخوفه من الكاثوليكيين الذين في ابرشيته لئلا يتعبوه في الكرسي ٠ وقصده ان يثبت مستريح لسبب انه صار رجل ختيار ٠ ولهذا انا

اظن انه لولا ان الترك في هذا الزمان مغلوبين من النصارى (قيصر جرمانيا والبندقية) والروم المشاقين مخذولين مع الترك لكان ظهر منه اضطهاد للشعب الكاثوليكي في هذه البلاد اشر مما عمل (سابقاً) .

وعلى هذا اقول لو يصير له كرامة في ما ينفع الشعب المسيحي كطبع الكتاب الذي طلب طبعه من المجمع المقدس ورفع ضرر القرصان لكان يكون منه شي صالح ولاسيما اذا صار له شوية تهديد من الكنيسة بواسطة الحبي (سفير) فرنسا الذي في القسطنطينية بقوله له ساحطك من الكرسي الانطاكي ان كنت لا تمشي على نية الكنيسة الرومانية التي قدّمت لها طاعتك واقرارك . فاظن ظناً حقيقياً (راجحاً) انه لاجل الخوف يصطلح ولو لم يكن في الباطن (كذلك) فيكفينا منه الظاهر لانه الآن ولو اقر بالحق في الباطن قدام الكاثوليكيين فانه ينكره بافعاله المذمومة في الظاهر لانه قبلما وصلنا لعنده لما كنا في صيدا رسم مطران روم مشاق على كرسي بايّاس لما ترجّى عنده بهذا بطرك القدس المشاق . وهذا المطران ضد الكاثوليكيين ومعه امر سلطاني من الترك ان يصير بطرك بعد موت كيرلس . وهذا بموازرة بطريرك القسطنطينية وبطرك القدس المشاقين وقصدهم ان لا يصير بطرك من اولاد العرب على كرسي انطاكية بعد كيرلس . بل من اولاد الروم المشاقين حتى يبيدوا الايمان الكاثوليكي من الابرشية المذكورة كما سمعت ذلك .

وايضاً اخبرني كاتبه (البطريرك) ان مراده يرسم مطراناً آخر على حمص وهذا الآخر مشاق .

وقد اخبرت سيادتكم بالاختصار ولكن انا كتبت لحضرة قنصل صيدا كل شي . تكلمته مع البطرك المذكور وكل شي . جاوبني به وكل شي . بان لي منه بكلام واسع . وذكرت له ان يخبر به المجمع المقدس وشرفكم ايضاً .

ويوم تاريخه انا عند المطران جراسيموس في صيدنايا كي اتمم الخدمة التي رسمها علي المجمع المقدس وسيادتكم في ابرشية المطران المذكور لانه بنعمة الله

ثابت في الايمان الكاثوليكي بكل قوته . وقد فرح بحضوري عنده لاجل منفعة شعبه . ولذا اذن لي ان اتكلم بمجاهرة في الايمان المقدس مع كهنته وشعبه واخدم سر التوبة واعلم بقدر ما يمكنني في الشعب وبقية الرعية .

واما عن حضرة كير اثناسيوس البطريرك سابقاً فاني اخبر سيادتكم على موجب الذمة من غير غرض باني فحصت عنه بكل جهدي فاخبرني ناس كهنة كاثوليكيين وشمامسة وعوام كلهم كاثوليكيين من الذين تكلموا معه ونظروا اموره انه اوحش من كيرلس البطريرك حالاً في امور الايمان المقدس وانه مخاتل غير صحيح الايمان . وانه غاشش الكنيسة الرومانية المقدسة . وهذا سمعته من اناس اصحاب ذمة صالحة من اولاد الكنيسة الرومانية الذين عاشروه وقشعوه (شاهدوه) مراراً كثيرة . وانا اخبرتكم بهذا كما تحقق عندي وفي ذمتي بما ان سيادتكم مؤتمن وحافظ اسرار المجمع المقدس حتى تخبروا بهذا الكنيسة المقدسة لكي لا يأتيها من يغشها وحتى تفحص عن هذه الامور .

بعد تقبيل ايادیكم ثانياً وثالثاً . اصغر تلاميذكم

سطر في ١١ تموز سنة ١٧١٩ القسيس غبرئيل فينان

رسالة من الخوري اسطفان عطا الله الى مجمع انتشار الايمان[1].

حضرة مجمع انتشار الايمان المقدس ...

المعروض على مسامعكم العالية الشان بان الذمة تازمني في كل سنة اكاتب عظمتكم ان اردتم ترسلو لي جواباً او لا . لاني مازوم اخبر عظمتكم عن المضر والنافع للانفس في هذه البلاد . اولاً عن البطريرك كيرلس فانه على حالته الاولى كما ذكرت سابقاً لعلو شانكم لانه كل يوم على قد قوته يضر

---

(1) Greci-Melchiti, Scritture Originali riferite in Cong. Generali, 1720

الكنيسة المقدسة الرومانية في كل ابرشياته خارجاً عن مدينة (دمشق) الشام لكثرة الكاثوليكيين فيها من جماعة الروم . ومن خوفه منهم تارك المضرة في مدينتهم .

ثانياً رأيت امراً نافعاً جداً لخلاص النفوس ان اردتم ترسلوا لهذه البلاد رهبان مرسلين من رهبان الكرملطان الحفاة لانهم ناقصونا في هذه البلاد كثيراً والطوائف مائلة اليهم لكون طقس رهبنتهم قريب لعوايد هذه البلاد . وظهر نفعهم عياناً بواسطة واحد منهم الاب يوحنا الدمشقي الذي في زمان قليل جلب نفوس كثيرة الى الايمان الكاثوليكي لانه ابن البلاد وساير الطوائف مايلة اليه وهو عارف يجلبهم الى الحق بحيث انه في كل مملكة آل عثمان ليس موجود من الرهبان المذكورين سوى اربعة مرسلين الواحد منهم مات في هذه السنة في الطاعون . فلاجل ذلك جميع الطوائف الكاثوليكيين الموجودين في صيدا وبيروت والشوف وكسروان وبعلبك ووادي التيم ومرج عيون والبقاع وحمص وحماة ومدينة (دمشق) الشام وتوابعهم طالبون الرهبان المذكورين يعمروا لهم قلما يكون ديراً واحداً في اي مكان ارادوا في هذه البلدان المذكورة حتى يطوفوا فيها ويعلموا الايمان الكاثوليكي . فلاجل هذا النفع العظيم اتوسّل بين ايادي علو شانكم ان اردتم تامروا ريس الرهبان المذكورين لكي يرضى بهذا الشان ويبعث من رهبانهم ثلاثة او اربعة مرسلين ويكون احدهم الاب يوحنا الدمشقي المذكور لكي يعلمهم لغة البلاد ويكرز معهم . ومن المعلوم ان هذا الامر راجع اليكم فلذلك التجئت الى مجمعكم المقدس .

وايضاً منذ اتيت من رومية طلبت السيرة الرهبانية وطريقة الكرز الرسولية في دير ما . فحينئذٍ معلمنا المطران افثيميوس عمّر ديراً واقامني فيه رئيساً وانا قبلت الرياسة منه لانها كانت منه فقط بدون انتخاب . ولما اتى الزمان وصار في الدير رهبان خدام الله عملوا القرعة (الانتخاب) حسب راي المجمع المقدس التريدنتيني

فوقع وقتئذٍ الاقتراع علي فقبلت ذلك كأنه من الله . فان رسمتم تشرفونا ببركة علو شانكم لكي اعطى ببركة سيادتكم (نعمة) للقيام بما يلزم ذمتي وتطلبوا من وكيل ربنا يسوع المسيح اكليمنضوس الحادي عشر ان يمنحني بركة خصوصية وغفراناً لنوال الخلاص وتمجيد الآب والابن والروح القدس آمين [1]

سطر في ١٥ ايلول سنة ١٧١٩ في دير المخلص قرب صيدا

العبد الحقير المقبل ايادیكم
خادم علو شانكم
اصطفان عطا الله

رسالة البطريرك كيرلس الحلبي بحق المطران افثيميوس الى قنصل فرنسا في مدينة صيدا Boullard صديق الاثنين جواباً على مكتوب له من القنصل المذكور لم يصل الينا

ولا يخفى ان كلام البطريرك في هذه الرسالة هو كلام خصم مخاصم جد المخاصمة بحق المطران الى القنصل الذي يحاول ان يتخذه بمقام الحكم بين الاثنين . وهي لا تخلو من بهتان . ومع كل ذلك تفيدنا اموراً جمة عن المطران لا باس بها كما انها تفيدنا عن مبلغ معرفة البطريرك بالحق القانوني وبقدر نفسه فهي تدلنا على مبلغ جهله في تاريخ الكنيسة وقوانين المجامع لانه يجهل ان البطريركية الانطاكية رسولية وان لا حق ولا سلطان للبطريرك القسطنطيني ولا لسواه من بطاركة الاروام ان يجروا فيها حكماً ولا امراً وان لا يتجاوز سلطان الواحد منهم حدود ابرشيته

(1) Scritture Originali. Cong. general, 1720

البطريركية ويجهل ايضاً ان البطريركية الانطاكية اشرف اصلاً واقدم عهداً اذ تعود باصلها الى هامة الرسل القديس بطرس فهي الاولى والاقدم بين البطريركيات كلها . وما كانت ولا قامت بطريركية القسطنطينية الا بعد ما صارت هذه المدينة تختاً لملوك الروم المسيحيين وانها ما قامت الا اكراماً لهم كما لا يجهل هذا الامر من له اقل الملم بتاريخ الكنيسة .

وهذه الرسالة من منسوخات سيادة الحبر الجليل مطران صيدا كيريوس نقولاوس نبعة نقلها عن سجلّات مجمع انتشار الايمان مع ما سبقنا فنشرناه منها فله الشكر الجزيل منا على ذلك .

. . . وبعده[1] نخبر محبتكم بان وصل مكتوبكم وقرييناه وفهمنا ما ذكرتم وحمدنا الباري على سلامتكم

وبعده ارسلتم تسألونا بان نرسل نعرفكم عن الاخبار الصحيحة والواقع عن مطران صيدا .

فيا عزيزنا هذا تلميذنا ونحن عملناه مطران . وهذا القدر سنين اكل محصولنا كله . وما نقشع منه مصرية الفرد . ونحن علينا هذا القدر كلف ومظالم . ان كان الانجق في كل سنة نقشع منه ممكة بحرية يا (او) اربعين قالب جبن قبرصي ثمنهم قرشين[2] (كذا) . هذه هي معظم خدمة منه لنا .

---

(١) حذفنا مقدمة هذه الرسالة التي تتضمن الترجمة المعتادة وقد تقدم نشر نظيرها سابقاً .

(٢) يظهر من هذا ان البطريرك كان يطمع ان يأخذ من المطران كل سنة مبلغاً من المال برسم النورية كما كان يأخذ ذلك من سائر مطارنة الابرشية الانطاكية وهو يعد اخلاف المطران بذلك ذنباً يحق له المواخذة عليه .

وبعد ان يقع خطبة او جازة (زواج) حرام مخالفة للناموس يرسلوا يشاورونا عليها نرسل نمنعها فيروحوا الى عنده بياكل بلعتها ويجوّزها (كذا)

ثانياً مات مطران بيروت سابقاً طلع هو لعنده الامير حيدر (شهاب) شاوره حتى يخلط (يضم) بيروت مع صيدا وياخذ مطرانيتها وجعل له خدمة مبلغ دراهم فطلعنا نحن عرّفنا حضرة الامير وقلنا له هذه ما هي قوانين ولا جرت هذه الطريقة قبل الان . فمسك خاطرنا[1] . والله يعرف قدر ما تكلفنا حتى منعنا ذلك . حتى ان اغلب المطارنة عمالين يعطلوا علينا بسببه ويقولوا لنا ليش (لماذا) مطران صيدا لا يعطيك نورية ؟ وهذا القدر يجوّز زيجات حرام في ديننا . وانت ساكت عنه لا تقارشه . ونحن صامتين عن هذا القدر من الامور وتخلينا (هنها) ونحن نرسل نردعه وننصحه بان ما له مقارشة في غير ابرشيته ويخلينا مستورين . وهو ما كان يكنّ ولا يسكت ولا يهدا . بل يظل يرسل الى ابرشية القدس مكاتيب ومراسلات ويتخطى عليهم . وهم ارسلوا نصحوه بان يعدل . وما امتنع . واخيراً البابين انهم اشكوا حالهم الى بطركهم وبما انه كان سابقاً بلغته اموره بعث حرمه . وما اقتنع . ولزم ان بطركهم رفع امره للسادة البطاركة واخبرهم باموره واعرض عليهم مكاتيبه ومراسلاته وهم وقفوا عليها فارسلوا لنا مكاتيب يخبرونا بان ننصحه ولا يبقى يقارش ابرشية القدس وبعثوا يقولوا لنا نحن ماسكين خاطرك .

فقرينا المكاتيب المذكورة وبعثناها له بذاتها وقراها هو وفهم معناها ونصحناه بان يعدي عن هذه الامور ولا يبقى يقارشهم والكل ما اقتنع . وزاد عما

---

(١) كانت بيروت تابعة للبنان وخاضعة لحكم الامير حيدر شهاب الحاكم العام على لبنان وقد تقدم ذكره بانه كان صديقاً للمطران . فلا يبعد ان يكون المطران سعى لديه برسامة مطران كاثوليكي على كرسي بيروت لا يريده البطريرك بما له من الحق على كرسي بيروت بصفة كونه مطران صور . واخيراً انتهى الخلاف بهذا الشأن فيما نعلم برسامة البطريرك كيرلس للخوري نعمة بن جبير الحلبي الكاثوليكي مطرانًا على بيروت ودعي ناوفيطس .

هو فيه . فلما نظروا ذلك طلعوا عماوا عليه مجمع مسكوني بسيندوس مقدس (كذا) بحضور السادة البطاركة والمطارنة وحكموا عليه بسبعة قضايا خارجة عن الناموس المقدَّس وفصَّلوها سبعة ابواب الاول انه حلَّل الزيجة (بدرجة) الرابعة وزوَّج اختين لاخين . الثاني شرطن ناس من غير ابرشيته . الثالث ابطل (قراءة) تفاسير يوحنا فم الذهب من كنيسته وقال : هو ريس كهنة كان مثلي بشراً وانا مثله [1] . رابعاً حلَّل اكل السمك يوم الاربعا والجمعة وفي الصيام الكبير المقدس وباقي الصيامات . (القطاعات) ويلعن الذي لا ياكل معه السمك في الصيامات كلها [2] . خامساً انه ابطل تراتيب الكنيسة وزاد في قوانينها . سادساً أبطل من القداس الالهي وضع الزاون بالمآء الحار ورفعه من الوسط . سابعاً ابتدع له مترا (Mitra) [3] ولبسها بغير اذن ولا دستور مع انه ما لبسها غيره من المطارنة الذين سلفوا قبله بهذا الكرسي وخالف قوانين الكنيسة المقدسة .

---

(١) كانت العادة جارية الى ذلك العهد بان يتلى بعد قراءة فصل الانجيل في القداس تفسير له من اقوال القديس يوحنا فم الذهب بمقام وعظ للشعب . واليوم قد زالت هذه العادة تماماً من كل الكنائس عندنا وعند الروم . الا ان المطران كان يعظ رعيته بدل ذلك بكلامه الحي الذي هو لا محالة اقرب الى فهم رعيته من كلام القديس المذكور الذي لم يكن معرباً تعريباً حسناً يليق بفصاحة فم الذهب . ولا ملامة على المطران بقوله عن هذا القديس بانه كان بشراً نظيره مع صرف النظر عن قداسة القديس فان كلًّا منهما يعتبر في كنيسة المسيح رئيس كهنة بالحقوق والواجبات .

(٢) هذا كذب وبهتان محض على ما نعلم لان المطران افثيميوس ما اعتاد اللعن وسفاهة الكلام وقد اباح لرعيته اكل السمك في الصيام الكبير واللحم في ايام القطاعات من باب المحبة لهم والشفقة عليهم اذ لم يكن يتيسر لهم غالباً مأكولات صيامية . لكن لم يكن يلزمهم بذلك الزاماً .

(٣) المراد بقوله مترا Mitra التاج اللاتيني . ونظن ان ابن اخته الخوري سارافيم طاناس جلبه له من رومية هدية من احد المطارنة او جلبه لنفسه اذ كان يومل ان يصير مطراناً لعكا . وبعدما خاب امله من ذلك رأى ان يقدم هذا التاج الى خاله وهو على يقين بانه اذا لبسه لا يكون لبسه له ذنباً .

وانه في القديم في المجمع الثامن المقدس حين اجتمعوا لاجل المحبة (الاتحاد) في فرار (Ferrara) وظلوا ثلاث سنين (كذا) في جدال . والفريقين لم يغلبوا بعضهم واخيراً عادوا اتفقوا بالمحبة وحدوا قانوناً بان الكنيستين طريقتهما مقدسة وحكموا بان كل طريقة تظل تابعة طريقتها على ما تسلمته من الاباء القديسين . ومن غيَّر ذلك يكون محروماً [1]

وهذا فقد غيَّر الطريقتين . فلاجل ذلك حكموا عليه وحرموه وقطعوه من سائر درجات الكهنوت . وطلبوا فيه فرمان في نفيه وارساوه مع المكاتيب الى القدس حتى يرسلوهم لنا بان نشهر حرمه في الابرشية وفسروهم (عربوهم) في القدس وبعثوهم لنا قريناهم نحن ونظرناهم طبق ما فسروهم . فاخذنا الفرمان وعاودناه راجعاً اليهم وقلنا لهم لا يلزم كل هكذا امور . وعدنا بالحال ارسلنا له صورة حرمه وبعثنا له مكتوب اخبرناه وقلنا له بان يروح لعندهم ياخذ خاطرهم ام يرسل احداً من طرفه يعتذر لهم ويقضي مصلحته ويعمل طاعة الدين . فما اقتنع من كلامنا ونحن اخفينا المكاتيب مدة سبعة اشهر . واخيراً لما نظروا ذلك وبلغهم اننا اخفينا نحن المكاتيب تصعَّب عليهم (ذلك) وارسلوا لنا مكاتيب يتلوَّموا علينا ويقرّعونا بالكلام ويحطونا تحت تهمة بان كل الذنب منا وان من شان مطرانك هذا بدك تخرب اربع ابرشيات البطاركة (كذا) . وارسلوا يلزمونا بان لازم نفرّق (ننشر) المكاتيب (التي فيها) صورة الحرم في سائر الابرشيات .

وما كفانا مستترين كل هذه السنين على هذا المطران والا جانا حضرة الخوري سارافيم علَّم علينا الترزي باشي (منصور صيني) حتى اشتكى علينا لحضرة

---

(١) ليس في صك الاتحاد الذي اصدره المجمع الفلورنتيني ولا في احد قوانينه ما يدل على ان ارباب هذا المجمع اوجبوا الحرم على احد اذا خالف شيئاً من احكامه لانهم جميعهم اتفقوا على ذلك برضاهم . فكلام البطريرك المذكور يدل لا محالة على جهله باحكام هذا المجمع وان معرفته به سطحية .

الوزير الله يحفظه ودعانا حتى نعطيه امر السركلة الذي بالمطران . ونحن احكينا له الصحيح وقلنا له جانا فرمان حقاً . ولكن رديناه الى اصحابه وما عاد بقي علينا حق . قال روح أعطي للمباشر خدمة ماية قرش فطلعنا حطينا ماية قرش وخدمة الباب ثلاثين قرش . هذا ما عمله معنا وهذه مجازاته لنا بعد اكرامنا له وجلوسه معنا على المايدة . وفي حال وصوله لعندنا عملنا له كسوة جديدة كاملة ونحن في الطابق[1] الخوري سارافيم ما نعرفه ولا حطينا يدنا معه في البازار . ولكن انت بسلامتك الزمتنا وقلت لازم تحط اسمه بالمكاتيب . وراح الى هناك يحمل لهم امور واحوال وطلب منهم مطرانية عكا وغير ذلك وجرحنا هناك . وظن ان الجماعة هناك جهلة لا يعرفوا الامور واخر الكل طلب منهم حسنة . ونحن ما اذنا له بشي. من هذا . واعطوه ثلثماية وخمسين سكوت Scudi[2] وطلع اشترى فيهم متزا ومسكوهم في الكمرك وانفقس . ودعوته مع البادري بلاسيوس من جهة ثلاث اربع قروش خبرها مع حضرتكم . وانت تعرف نحن ما طلبنا منهم شيئاً ولا اذنا له بطلب شي. قطعاً . لكن ارسلنا بلغناهم سؤالات وردوا لنا جوابات . لكن نحن اولاد العرب هكذا طبعنا قوام منفكر في حالنا ونعود ننفقس اخيراً .

واما عن قولهم بان المطران بسبب انه كاثوليكي بعثوا حرموه فهذا كلام باطل ما له اصل[3] . وصورة حرمه ما فيها مذكور شي من هذا ولا غيره . لكن مبني على سبب تطاوله على غير ابرشيته وتعديه الشريعة لزمه الحرم وقطعوه

---

(١) الاشارة الى امر توكيل البطريرك للخوري سارافيم وارساله الى رومية بايعاز قنصل صيدا المذكور .

(٢) تقدم الكلام سابقاً بان هذا المبلغ أعطي الى الخوري سارافيم باسم خاله المطران الذي وصل له وقبله بشكر . لكن البدلة ارسلت هدية الى البطريرك وقد وصلت اليه على يد الاب غرائيل فينان .

(٣) هذا الكلام لا يخلو من مخاتلة كما سيتضح من نص منشور البطاركة

من الكهنوت . وان كان لا يصدق كلامنا نرسل لك صورة حرمه ونرسل لك تمسكه بختمه وخط يده يوم عملناه مطران بان لا يتعدى ولا يخالف الناموس ولا يجوز زيجة حرام . لكن يا عزيزنا اذا كان عندكم ببلادكم واحد كاثوليكي عمل مخالفة في امور الدين وحكموا عليه بالحرم فما يتمكنوا حرمه[1]؟ حتى ينظروا ايش يضمر من طاعته وتوبته وندامته . وفي فهمكم كفاية كل امر .

ورقة الكتب واصلة اليكم من عند الخوري سارافيم فان كان معقول ارسلوهم والبركة عليكم وعلى ترجمانكم . . . كيرلس

سطر في ٩ تشرين الثاني سنة ١٧١٩ البطريرك الانطاكي

وينبغي لنا بعد هذا ان نورد هنا رسالة من المطران افثيميوس بتمامها الى مجمع انتشار الايمان وفيها يخبره عن وفاة البطريرك كيرلس وعما كان من كيرلس في آخر حياته بحق المطران وبحق الايمان الكاثوليكي وانحرافه عنه بمخاتلة شائنة قبيحة وبموافقته لبطاركة الاروام اليونان على خفض شان المطران واضطهاده بواسطة رجال الحكومة بقوة الفرامين السلطانية التي نالوها لعزله عن كرسيه ونفيه الى جزيرة رودوس .

الى جناب نيافة ساداتنا مجمع انتشار الايمان المقدس . . .

. . . والذي نبديه هو كثرة الاشواق الى التماس البركة من مجمعكم المقدس .

وبعده نخبركم من جهة البطريرك كيرلس الذي ارسلتم لنا سابقاً تأمرونا لكي نلاحظ اموره واستقامته في الايمان الحقيقي . فنحن ما امكنا نترك رعيتنا . بل ارسلنا تلاميذنا الخوري سارافيم والقس جبرائيل لكي يستقيموا في الشام ويخبرونا عن احواله جميعها فكتبوا لنا مرتين بان شغله كله مخاتلة . وعند ذلك خجلنا من

---

(١) لعله يريد ان يقول افما يمكن حرمه .

خيانته (احتياله) على الله وعلى نيافتكم وعلى حقارتنا . خصوصاً لما بلغنا انه عمال يكاتب بطرك القدس وبطرك اسطنبول ضدنا . وبعد قليل ظهر القول الى الفعل واخرجوا فينا امورة (فرامين) سلطانية مرتين كي يمسكونا وينفونا الى بلاد الاناضول الى قلعة عتيقة ما حواليها ساكن اسمها رودوس (Rhodes) . وعملوا ديوان في القسطنطينية واثبتوا علينا الحرم وارساوهم الى حضرة كيرلس والمذكور عمل عليهم نسخ وارسلهم الى كل البلاد . فجميع الناس لاموا البطريرك المذكور على هذا الفعل الشنيع . ومن كثرة اللوم والخزي الذي حدث له من الناس بسبب الاهانة التي عملها معنا توسّل الى حضرة البادري توما (Thomas di Campaya) الذي كنا ارسلنا الى سيادتكم سابقاً لكي تقيموه في الشام دائماً حتى يمضي خلفنا في صيدا ويجيبنا لعنده لكي يعمل معنا صلح قبل ما تكثر عليه الفتن . فامتنعنا عن الحضور . فتهدّدنا البادري المذكور بقوله ان كان ما تنزل الى الشام معنا تنظر ايش يصير فيك لاني انا وكل رهبنتي نصير ضدك .

فمن طمعي بالصلح ولاجل حسم مواد الفتن شاورنا حضرة عزيزنا القنصل حتى يكون نظره علينا اينما كنا . ونزلنا وكان نزولنا الى الشام في شدة البرد والمطر وما وصلنا الا في حالة يرثى لها حتى تمينا (بقينا) مقدار جمعتين عادمين الحركة ما نقدر نقوم ابداً . وبعد ذلك بدأت الطبيعة تنتاش (تنتعش) ولما تعافينا مضينا لعند البطرك وقبّلنا يده وعملنا له طاعة فرحّب بنا بكلام لطيف .

وبعد ثلاثة ايام ارسل اربع اوراق الى حاصبيا وعكا وبيروت وطرابلس يتضمنوا انه بارکنا . فقلنا له هذه الاوراق ما تنفعنا سوى شهرين ثلاثة ويرساوا (البطاركة) غيرهم . وانما مرادنا من قدسكم تعطونا الفرمان السلطاني الذي جاء فينا . فارسل يقول لنا مع البادري توما المراد يطلع الى الجبل في الشوف ولا يدخل المدينة . وان كان يدخل المدينة فلا يسلم من اذيتهم . فنحن صرفنا في طريقنا ميتين قرش واكثر ما عدا مقاساة الاهوال في سفرنا بالطريق وتاوعنا بالامراض العسرة البرء . وما استفدنا سوى قوله روح تخبى في الجبل الله يبارك عليك .

ومعلوم سيادتكم اني اهتم في بركتكم اكثر من فرحي بها لان بركاتهم لا تفرحني ولا حروماتهم تغيظني .

وفي اثناء ذلك رجل السلماني عمل دعوى باطلة على كيرلس وخسره سبعة اكياس[1] فحضر لعندنا البادري المذكور يقول لي انت تعاونت على البطريرك وخسرته هذه الاكياس . المراد اعطيني الذي خسره حتى يوفي عنه (المبلغ) وصار يدور في المدينة في البيوت والدكاكين يقول افثيميوس تعاون على البطرك وخسّره هذه الخسارة

ثم نخبر سيادتكم من جهة البطريرك المذكور بانه طلع له آكلة في رجليه ومات[2] . فاحتشد النصارى حولنا لكي يقيمونا عليهم بطرك عوضه فاتفق البادري

---

(١) وتحقيق ذلك ان البطريرك كيرلس ارسل كتاب القداس ليجلده له احد المسلمين وعرف به احد اخصام البطريرك من الروم كان من عهد قريب ترك الدين المسيحي ودخل في دين الاسلام . فوشى بالبطريرك بانه يدعو المسلمين الى دين النصرانية وهو يرسل لهم الكتب بذلك فاذ تحقق الباشا وجود الكتاب عند المجلد استقدم البطريرك اليه وعزره . وبعد ان اعتذر اليه البطريرك كفه دفع مبلغ من المال الى مباشر المحكمة .

(٢) مات البطريرك كيرلس نهار الثلثا في ٥ كانون الثاني من سنة ١٧٢٠ يوم بارمون الغطاس ودفن في اليوم التالي الذي هو عيد الغطاس في مغارة البطاركة المعروفة في دمشق على التل وقد حفر تاريخ وفاته على حجر وضع على قبره نظرناه في بحثنا هناك على قبر المطران افثيميوس وهذا نصه « انتقل من دار الفنآء الى دار البقآء كيرلس البطريرك الانطاكي نهار الثلثا خامس كانون الثاني سنة ١٧٢٠ مسيحية وسنة ١١٣٣ هجرية . »

وحفر ايضاً تاريخ وفاته على حجر آخر محفوظ في دار الكنيسة المريمية في دمشق . وهذا نصه « باسم الله الحي الازلي الابدي السرمدي به ثقتي وعليه اعتمادي وبه نستعين

لما كان بتاريخ نهار الثلثا خامس يوم مضى من شهر كانون الثاني سنة ٧٢٢٨ لابينا آدم عليه السلام انتقل الى رحمته تعالى الاب السيد كيرلس الانطاكي الحلبي ابن ابن البطريرك مكاريوس . ودفن نهار عيد العماد الشريف المقدس خارج دمشق الشام (في التل) مع بقية البطاركة الكلي الغبطة المرحومين . وكانت مدة اقامته في البطريركية سبعاً واربعين سنة وستة اشهر واربعة ايام (بالتاريخ) الموافق سنة ١٧٢٠ لتجسد المسيح الهنا . »

توما مع البادري بطرس (فروماج) وصاروا يقولوا هذا محروم من الاربع بطاركة فلا يجوز له ان يصير بطرك . وخصوصاً لان اثناسيوس ركب على الكرسي سابقاً فلا يسوغ ان يعمل بطرك عليه دخيل . فلما رأيت مقارمة الناس كثرت مضيت الى الكنيسة اقمت لهم اسم اثناسيوس وقلت لهم كونوا مطمئنين القلب والخاطر .

وبعد هذا لم يكف هؤلاء البادرية من النميمة في حقنا وصاروا يلوموا كل من يدخل لعندنا بقولهم هذا ارطوقي لان مراده يغير طقوسكم وعوايدكم ويخرب نظام كنيستكم . اولاً بدّه يبطل الماء الحار من القداس ثانياً يلزمكم في اكل السمك ويطعم رهبانكم لحم حتى يحقر كنيستهم التي هي اشرف الكنائس كلها في طقوسها ورتبها . وكل من يزيد او يغير حرف واحد من طقوسها فهو محروم .

فانظروا يا ساداتنا المكرمين وسبحوا الله على هذه الافعال العجائب الغرايب لاننا هربنا من طرد (اضطهاد) الروم وقعنا في الطرد من اهلنا وملتنا . واثبتوا علينا الحرم وصاروا يشوشوا البلد علينا . ونحن يوم تاريخه في غاية الخجل وكمل فينا القول النبوي صرت منفياً من اخوتي والباقي . فيا لهذه البلادة ويا لهذه القساوة وعدم الحيا . وقلة خوف الله . انا عمال اخاطر بدمي وضيقة خبزي ومالي لاجل نصرة الدين الكاثوليكي وحقرت كنيستي واقمت شرف الكنيسة الرومانية ووسعت الطرق للمرسلين . والمرسلون انتصروا للباطل واقاموا الشرور علينا . وهذا ما اخبرنا نيافتكم به الجزء اليسير من الكثير .

فيا للعجب ان كان احد يتأمل بهذه القضايا الصادرة من هؤلاء المرسلين ويقبل الدين الكاثوليكي ما عدا بعض قضايا لا يليق بنا ان نتكلم بها او ندونها في مكاتيب ! فلتبتهج الكنيسة بتلاميذها الكبوشيين الذين في حياتنا ما سمعنا عنهم خبر نجاسة ولا فتن ولا اقامة احزاب . بل دائماً مزهرين بالفضيلة وخوف

الله بالتعب في كرم الرب الذي نسأله ان ينفعنا ببركاتهم . فهذا ما انهيناه لسيادتكم ليكون ذلك معلومكم ونحن نرغب لسيدنا يسوع المسيح ان يساعدكم على تدبير جماهير اغنامه التي قلدها لكم لكي ترجعوا الضالين عن ضلالهم بحسن تدبيركم الصالح بنعمة ربنا يسوع المسيح آمين . عبدكم افثيميوس مطران صور وصيدا

سطر في ختام كانون الثاني سنة ١٧٢٠ ابن الكنيسة الرومانية

الفصل الثالث والاربعون

المطران افثيميوس وبطاركة اليونان

سنة ١٤٥٣ استولى محمد الفاتح على جميع مملكة الروم اليونان باستيلائه على مدينة القسطنطينية بعد حرب هائلة مشهورة في تاريخ الامم بها زالت مملكة الروم وانقرضت دولة ملوكهم . وبموجب سنّة الفتح استولى الاتراك عليهم وعلى جميع املاكهم افراداً واجمالاً . ولم يجد الروم لهم حينئذٍ خلاصاً الا بمهاجرتهم عن بلادهم الى ممالك اوروبا افراداً وجماعات اذ كانوا يرون ان لا طاقة لهم على الاقامة تحت حكم اجلاف الاتراك بذلٍ وقهر ليس بعده غاية ولا نهاية بعد ما شاهدوا عياناً ما نالهم من فظائعهم في الحرب وبعد الحرب اذ اباح السلطان لجنده ان يفعلوا ما ارادوا في المدينة واهلها نهباً وسلباً وقتلاً وسبياً وخراباً وقد وضع يده

على مبانيهم الفخمة ولا سيما كنائسهم واديرتهم حتى هال السلطان امر كثرة المهاجرين منهم اذا تركهم على هذه الحال فانها تخلو البلاد والعاصمة من السكان وتعود الى الخراب . ومن ثم عزم ان يوقف تيار هذه المهاجرة واستدعى اليه من اتفق له من اكابر الروم وأمنهم على نفوسهم وعلى عرضهم واموالهم ومنع عنهم السلب والنهب والقتل بعد ما صاروا امة مستضعفة لا حول لها ولا طول . ثم فوّض امر تدبيرهم الى بطريرك القسطنطينية الذي قدموه له فاوعز اليه السلطان ان يهتم بامور الروم وان يجري معهم على سُنَّة من تقدمه في عهد ملوك الروم بعد ما اكرمه وخلع عليه خلعة نفيسة تليق به .

فاتخذ بطاركة القسطنطينية من ذلك العهد محلًا لاقامتهم حيًّا واسعاً من احياء المدينة على البحر يقال له حي الفانار واجتمع حواليه اكابر ابناء ملته وصاروا معه يداً واحدة . وبفضل عقولهم وحكمتهم وادابهم وبسعة معارفهم في العلوم ولا سيما علم الطب وبسعة معارفهم بعدة لغات صار اشراف الفانار اصحاب شأن عظيم في دولة بني عثمان واضحوا في القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر بتقربهم الى السلاطين والى كبار رجال الدولة العمدة في كل الامور التي تجري للدولة العثمانية مع سفراء دول اوروبا المسيحيين . فكان منهم تراجمة الباب العالي وكان الاول فيهم يعتبر حينئذٍ بمقام مدير وزارة الاشغال الخارجية في هذه الايام فما كان

يقابل سفير منهم السلطان او يقابل الوزير الاعظم الا كان الترجمان الوسط بينهم . وكان منهم كذلك الحكام للبلاد التي كانت خاضعة للاتراك او تابعة لهم او تحت حمايتهم من البلدان التي كان كل سكانها او معظمهم مسيحيين نظير بلاد الفلاخ والبغضان والسرب وغيرها وقد تقلبت الاحوال والايام باهلها حتى صاروا اليوم دولاً مستقلة استقلالاً تاماً بعد اللتيا والتي .

وقصارى الكلام ان رجال الفانار كانوا يحتفظون في القرن السابع عشر بمناصب كثيرة ومهمة عالية من مناصب الدولة العثمانية تكاد تكون محبوسة عليهم دائماً لكونها تقتضي معارفهم مما يعجز عنها الاتراك او يانفوا منها اذ كانوا يعدون نفوسهم اصحاب السيف والحكم في الدولة ويعدون اليونان اصحاب القلم والخدام عندهم .

وبواسطة رجال الفانار عظم شأن بطاركة القسطنطينية لدى الباب العالي حتى توصلوا وبلغوا ان يضعوا يدهم على معظم واهم الكراسي الاسقفية في جميع البلاد التي كانت خاضعة للدولة او موالية لها ولا سيما الكراسي البطريركية فاحتكروها واستبدوا بامرها . ومن ثم صاروا ينتخبون ويرسمون بطاركة الاسكندرية وبطاركة اورشليم منهم وفيهم لضعف شان الروم في بلاد مصر وفلسطين وصار بطاركة الاسكندرية واورشليم يؤثرون الاقامة دائماً في القسطنطينية ليظلوا بحماية بطاركة القسطنطينية ويظل

الفانار وكانوا يحسبون انفسهم باقامتهم هناك اعز مقاماً وانفذ امراً في ابرشياتهم الخاصة ولو كانوا بعيدين عنها ولم يكونوا يجدون بأساً مقابل ذلك من خفض جناحهم وتاجهم لبطاركة القسطنطينية ولرجال الفانار الذين كانوا يعتبرونهم حماة الارثوذكسية اليونانية الخاصة . ومن ثم كانوا يسودون جميع الروم الذين ضمن الممالك العثمانية على اختلاف اصولهم وعناصرهم ولغاتهم وبلادهم .

واذ كان رجال الفانار طوع ارادة بطاركة القسطنطينية فيما يخص الدين او فيما يخص ارثوذكسية الروم كان يسهل عليهم استحصال الفرمان السلطاني لعزل ونفي المطران الذي يحاول الخروج على ارادة البطاركة المذكورين وعلى ارثوذكسيتهم الخاصة ضد ارثوذكسية الكنيسة الكاثوليكية . وكذلك كان يسهل عليهم نيل الفرمان السلطاني باسم من ارادوا تنصيبه في محله ضد كل قانون ونظام . وما كان السلاطين ولا الوزراء يأنفون من ذلك ولهم على الفرمان مبلغ من المال لا بأس به . ولم يكن شيء احب اليهم من ان يروا الانقسام والشقاق بين الرعية ولا سيما بين المسيحيين . ولذلك تركوهم وشانهم بناء على هذه القاعدة المشهورة عند ايمتهم «يجب ان يترك اهل الكفر او اهل الذمة وما يعبدون» ولذلك تهيأ وسهل على بطاركة القسطنطينية ان يستبدوا بامر الروم وبكراسي البطريركية والاسقفية حرصاً على ارثوذكسيتهم الخاصة حسبما يرومون لا على ما تقتضيه المحبة المسيحية الحقة ولا

على ما يقتضيه الايمان الارثوذكسي الصحيح كما يظهر من نص الرسالة المجمعية التي ارسلوها الى البطريرك كيرلس الانطاكي بحق المطران افثيميوس التي سننشرها بتمامها في هذا الفصل كما هي مصدرة باسم ارميا بطريرك القسطنطينية حينئذٍ ومذيلة باسماء وامضاوات بطاركة القسطنطينية المعزولين الذين كانوا قبله في كرسيه وباسم وامضاء خريسندوس بطريرك اورشليم وباسماء بعض مطارنة البطريركية القسطنطينية الذين كانوا يقيمون لذلك العهد في مدينة القسطنطينية. وقد خلت هذه الرسالة من اسم بطريرك كرسي الاسكندرية الذي كان يشغله حينئذٍ صوماثيل كباسيلا الكاثوليكي.

وقد نقلنا هذه الرسالة عن نسخة مخطوطة ـ ربما تكون الوحيدة ـ بخط يد البطريرك كيرلس الحلبي محفوظة في كتاب مصون في المكتبة الشرقية في بيروت برقم ٥٥٠ ادرجناها كما هي بدون زيادة ولا تغيير الا وضع النقط في محلها لفصل كل جملة عن اختها تسهيلاً لفهم العبارة التي هي كما لا يخفى لا تخلو من ابهام.

ولا باس بنشرنا هذه الرسالة بتمامها معما فيها من الحرومات اذ جل قصدنا بذلك استيفاء البحث التاريخي حتى لا نؤاخذ بقصور ولا بتقصير اذا اهملنا اقوال الاخصام المخالفين. على ان هذه الحرومات التي فيها بما انها ليست من ذي سلطة قانونية صالحة فلا اعتبار لها ولا سيما لكونها صادرة عن ثورة غضب للارثوذكسية اليونانية

وما هي الا فشة خلق عصبية تجاوز اصحابها حدود العدل والاعتدال وقوانين الكنيسة وخالفوا ايضاً وصية الله بالمحبة المسيحية التي هي من اجل اركان الديانة النصرانية ولم يراعوا حق الغائب في حكمهم على مطران جليل بدون فحص ولا شهود. فنحن نقصد بنشر هذه الرسالة ان نوقف القراء على ما يقوله اخصام المطران اليونان بحقه. وبمطالعتها يتحققون ما فيها وما في حكمهم من الزور والبطلان اذ نسب اصحابها الى المطران اموراً لم تصدر منه اصلاً ونسبوا اليه مقاصد لم تخطر في باله واستعظموا شرها واستعظموا ايضاً شر ما ليس فيه ادنى شر من اعماله مثل لبس التاج الروماني او اللاتيني مما يدل دلالة واضحة على شدة بغضهم له وعلى سرعة تهورهم بالحرم له ولم يبالوا بمجاوزتهم حدود العدل وحدود بطركيتهم بدون مشاركة احد من مطارنة الابرشية الانطاكية كأن البطريرك الانطاكي وكل مطارنته عدم او لا حق لهم بالنظر في الحكم على مطران صور وصيدا الذي كان يعتبر دائماً انه اول واكبر مطارنة الابرشية الانطاكية. وهذا الافراط في التطرف يجعل هذه الحرومات لا قيمة لها مهما بالغ اصحابها بفظاعة اللعنات وفاحش المسبات. بل هي بعكس ذلك تدل لا محالة على ان الذين اطلقت عليهم بدون حق هم مظلومون لا محالة ويستحقون كل بركة وكرامة من الله تعالى وكنيسته الحقيقية.

ارميا[1] برحمة الله رئيس اساقفة القسطنطينية رومية الجديدة البطريرك الايكومينيكوس المسكوني

الى حضرة اب الآباء المتقدس ورئيس الرؤساء كير كيرلس بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق

والى المطارنة ورؤساء الاساقفة المحبين لله الذين هم تحت طاعة قداستكم موجودين محبينا واخوة لنا بالروح منتخبين وشركائنا في الخدمة والاسرار الالهية .

والى الكهنة الورعين والى اولادنا الاحباء والاراخنة المكرمين والاعيان المبجلين مع بقية النصارى الارثوذكسيين الذين هم في ابرشية انطاكية قاطنين وموجودين اولادنا المحبوبين بالرب

فرحاً لكم وسلامة تشتمل كافتكم ورحمة من الله الضابط الكل ومن حقارتنا . نعم لكم بركة وغفراناً كاملاً يشتمل كافتكم آمين .

والذي نعلم محبتكم انه من باب الواجب يكون عند كل انسان منكم حفظ امانته غير منصدع ولا متزعزع عن تقليدات آبائنا الحسنين العبادة المستقيمين الراي وتحفظوها وتصونوها حفظاً وثيقاً حكم ما شرعت به شريعة الرسل القديسين والآباء الالهيين المتفوهين بالهام الروح القدس . التي هي شرائع الكنيسة ونواميسها . وحسب ما هو مسطَّر في الكتب الالهية . لاجل ذلك يجب علينا ان نحفظ اعتقادنا بكل حرص واجتهاد نقيين ومن الدرن سالمين ومن

---

(١) ارميا الثالث تولى البطريركية في ٢٣ اذار سنة ١٧١٦ الى أن عزل في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٧٢٦ وخلفه كالينيكوس الثالث الذي مات من شدة فرحه عند ما بلغه خبر انتخابه بطريركاً وخلفه بائيسوس الثاني وعزل في ايلول سنة ١٧٣٢ فعاد ارميا المذكور الى البطريركية مكانه الى ان عزل سنة ١٧٣٣ . وهو من اشهر بطاركة القسطنطينية بعداوته واعناته للروم الكاثوليك . وهو الذي رسم سنة ١٧٢٤ في القسطنطينية سفستروس القبرصي بطريركاً لانطاكية بدون انتخاب وارسله الى دمشق مسلحاً بسيف الحكومة وفرمان السلطان ضد البطريرك كيرلس طاناس الذي كان قد ارتسم قبل ذلك بطريركاً في دمشق بانتخاب قانوني من الرعية والاكليروس كما سيأتي بيانه

الافكار الردية هاربين والى جميع خرافات العالم راذلين (وان نحفظ) الامانة الارثوذكسية لامعة بكل شهادة وتثبيت لان الانسان اذا كان مائلاً عن اعتقاده ويتمجد بذاته ويقول كلام مخالف غير لائق الذي هو كلام بدع وتجديف في التسليم السابق فذلك من الاباطيل . والكلام غير مسموع وطازه[1] ومخالفته فيه . وتحققه لتلاف الناس وتشويش القلب اذ يقول لا تغيّروا التقليدات الابوية . والقلب المشوش ليس فيه راحة . وهو بوق ظاهر وردي جداً (كذا) . ومن يكون عنده مثل هذا التشويش فمن كل بد هو فعل شيطاني واحادة عن المعرفة بمساعدة وطغيان باغض الحق الذي دائماً يسعى في المضادة فرحاناً ولا يسعى للذين مطابقين رايه (معهم) . لكن دائماً يجاهد في ضد المستقيمين الراي ويضع لهم الشكوك وهو مبغوض ومردود ومبعود مع من يتبع افعاله الشيطانية ومطرود من كنيسة الله لان الباري في البار يكون . والذي يريد ان يطرد عنه الخيالات الشيطانية فليفتكر في ذاته ويعرف الحق من الباطل . واما الذي يكون متعوج وكذوب ومماحك وكلامه غير لائق ويدين غيره يضاد الحق ويبذر افكاره الشريرة ويلومها حتى لا يسع عقل احد معنى كلامه[2] (كذا)

فمثل هذه هي تباين وظهر عندنا طغيانه وتجديفه وتحقق عندنا ذلك من مكاتيبه ورسائله[3] ومن اناس شهود ثقات صادقين والمكاتيب المشهورات باسمه وختمه الذين ظهروا في مجمعنا هذا المقدس الذي بتخلي من الله صار رئيس كهنة . الذي هو الشقي الشرير افتيميوس المطران بالاسم لا بالفعل وهو مطران صور وصيدا هذا الكاذب الطاغي المجدف على الروح القدس الخافي الغش في قلبه وفي نفسه الذي الان ظهر كذبه وطغيانه المشوش على رعية المسيح واغنامه

---

(١) طازه كلمة تركية بمعنى جديد .

(٢) كذا في الاصل . وهو كلام سخيف التركيب لا يفهم منه المقصود . ربما سقط منه في التعريب شيء حتى اختل هذا الاختلال وضاع المعنى .

(٣) ضمير الغائب في طغيانه وتجديفه ومكاتيبه ورسائله يعود الى المطران افتيميوس وهو تركيب سخيف .

الناطقة والدائس لها والمضل لها في الكذب والافتراء . وكل ذلك قصد منه السبح الباطل والارآء المزخرفة تابعاً لهم وضلال رأيهم مقتفياً وماسكاً لتفسحه في طرائق المؤمنين .

ولم يكفاه ذلك . بل انه يسمي ذاته ارثوذكسي وينشر حاله انه في اعتقاد الكنيسة الشرقية ثابتاً ، وكل ذلك خدعة منه للحسنين العبادة وضلالاً شنيعاً لسقوطهم وتهورهم في غوطة (حفرة) الافكار . وانشأ كتباً من ذاته ويجتذب شهادات كما يريد وينسبهم الى الكنيسة المقدسة الشرقية الارثوذكسية . ومن استفحصهم على ما ينبغي يفهمهم ويعرف معناهم[1]

ثم بلغنا الخبر ايضاً انه صنف بغير معرفة كتباً ضد الدائم الذكر الشيخ كير ضوستاوس البطريرك الاورشليمي الذي كان غيوراً للدين الارثوذكسي الذي حسن عبادته وديانته وعلمه قد انبثت في سائر المسكونة وفي كل الارض خرج صيت تقويماته وهو مشابه الرسل القديسين كما تشهد كتبه المصنفة منه بالهام الروح القدس وبكل كد وتعب في الرأي المستقيم الذي كان عاملاً بها ومعلماً نهاراً وليلاً وكارزاً فيها في جميع المسكونة .

فاما هذا الشقي الحظ يظهر خارجه على النواميس المقدسة[2] ويدل بهم انهم مثبتين على الحق والاستقامة . وبالحقيقة ليسوا هم كما يظن . بل انهم مصنفات الى الطغيان . ولم يفهم معانيهم كما يجب بل يضل بهم اناساً كثيرين من قليلين المعرفة السذج في قلة فهمهم وغلاظة ذهنهم وافتخارهم بعلمهم . وهم لم يعرفوا شيئاً ولا يدرون الطريق المؤدية الى الخلاص لاجل انها ضيقة وليس رحبة .

---

(١) ضمير الجمع الغائب في ينسبهم واستفحصهم ومعناهم يعود الى الشهادات . وهو من سقط التعريب

(٢) لعله يريد ان يقول ان كتب المطران تظهر انها مستندة ومبنية على النواميس المقدسة .

ولهذا يقبلوا قول هذا الطاغي بتفسحه لهم في الامور التي لا تحدي نفعاً . ويدخل صيرة الغنم كراعي بالخارج ومن داخل ذيب خاطف يذبح ويشتت بقدر مقدرته الباطلة [1] ويشتد الى الوسط طغياناً فاسداً وكذباً مبهرجاً لعلمه انهم سذج اميون ولا يفهمون شيئاً . ويبدع بدعاً ويظن بها انها من الكتب المقدسة . وكل ذلك من عظمته وغروره وافتخاره .

ويقول في اثناء ذلك في امضاء مكاتيبه من الحقير ميتربوليتس اي من الغير مستحق ولم يفهم ان هذه القضية لم تعطى له [2] بل هي اعطيت الى البطاركة والى رؤساء الاساقفة القائمين بذاتهم لا غير كما هي مرتبة من المعلمين الالهيين

ولم يكفاه ذلك بل انه لعظمة غباوته وجهله يتجاسر على غير ابرشيات ويوعظ فيهم من غير اذن ولا دستور صاحب الابرشية . ويبان ذلك ليس هو من باب طريق الناموس ولا هو لائقاً ومرتباً بين رؤساء الكهنة ان يطأ كراسي غيرهم من غير اذنهم كما هو مشروح في القانون العشرين في طوراً [3]

---

(١) هذا كلام جنان وزور محض

(٢) اي لا حق للمطران افثيميوس بلقب متروبوليتس . وهذا ايضاً سخافة وكذب ينقضه التقليد القديم الجاري بالاستعمال الى اليوم عند الروم اليونان والعرب بان اسقف صور له لقب متروبوليتس ومعربه مطران . ومن يجهل او ينكر ان صور كانت ام مدن فينيقية قديماً وان اسقفها له لقب متروبوليتس او مطران

(٣) طورا تعريب سخيف ساقط Trullo وهي اسم القصر الذي اجتمع فيه اساقفة الروم اليونان في القسطنطينية سنة ٦٩٢ بامر الملك يوستينيانوس الاخرم لسن بعض قوانين تهذيبية الحاقاً بالمجمع الخامس والسادس . والقانون العشرون منها يمنع الاساقفة ان يعلموا ويعظوا جهراً في كنيسة ليست من ابرشيتهم بدون رضى اسقفها . وان الاسقف المعتدي يستحق الحط من رتبته . لكن اصحاب هذه الرسالة اوجبوا على المطران افثيميوس حكم الحرم بالاستناد على تهمة مبهمة بدون فحص ولا تحقيق ولا تعين الكنيسة التي وعظ فيها ولا زمان ذلك ولا ذكر شهود . وتجاهلوا اتهم بموجب قوانين المجمع المذكور ليسوا قضاة صالحين للحكم على مطران ابرشية ليس لهم عليه ولا على ابرشيته ادنى سلطة . لكونه في ابرشية خارجة عن حدود ابرشياتهم . بل لا يسوغ ولا تصح ان يحكم عليه بطريركه الانطاكي الا اذا اشترك على الحكم معه عليه مجمع اساقفة

المقدسة في المجمع الخامس والسادس المقدسين الذي يذكر فيهم بان ليس لائق لرئيس كهنة يتقدم بغير ابرشيته او يعلم بها . وكل من يتجاسر على ذلك يكون مقطوعاً من كهنوته .

وايضاً في قانون التاسع عشر والتاسع والعشرين من مجمع انطاكية العظمى يشرع بالقول ان كل رئيس كهنة يشرطن بغير ابرشيته او يوعظ بغير اذن صاحب الابرشية او من غير مكاتبة له فتلك الشرطونية باطلة وذلك المشرطن يكون مقطوعاً من سائر درجات الكهنوت . لاجل ذلك لما ثبت عندنا اقوال وافعال وتصريح هذا الشقي الحظ افثيميوس وتعويجه وتجديفه على الحسنين العبادة وعلى القوانين المقدسة وتحريمهم مثل ذلك من غير جزع ولا خوف ولا احتشام لكونه خالف شروط القوانين المقدسة لانه :

اولاً حل زواج الزيجة الرابعة وزوّج اختين الى اخين .

ثانياً شرطن اناساً من غير ابرشيته[1] .

ثالثاً ابطل تفاسير يوحنا ذم الذهب وقال هؤلاء كانوا رؤساء كهنة وانا رئيس كهنة مثلهم .

رابعاً حلل اكل السمك في يومي الاربعا والجمعة وفي الصيام الكبير المقدس وبقيات الصيامات المقدسة ويلعن الذي ما ياكل في الصيام سمك .

خامساً انه ابطل تراتيب الكنيسة وزاد ونقص في قوانينها .

سادساً ابطل من القداس الالهي حط الزاون الماء الحار ورفعه من الوسط .

البطريركية الانطاكية لان حكمه يعتبر كالعدم . واذا كان لايسوغ لرئيس الكهنة ان يرسم كاهناً خارج ابرشيته فالاولى انه لا يسوغ له ان يحكم على مطران بالحرم ليس من ابرشيته والحرم باطل . بل هو شتم كريه لا يكون باسم المسيح و لا في دين المسيح

(١) بل لا مانع من ذلك اذا كانت قد تمت الشرطونية او الرسامة في ابرشيته كما فعل المطران برسامة تلاميذه رهبان دير المخلص بعد ان مكثوا فيه مدة طويلة

سابقاً بتجبره وكبريائه وافتخاره بنفسه تجرأ وابتدع له مترا (mitra) ولبسها من غير ان سبق الى المطارنة الذين قبله لبسوها بهل الكرسي ومع ذلك من غير اذن ومشورة معلمه ومن غير دستوره . وصار قائم بذاته وخالف القوانين المقدسة واموراً غيرها قبيح ان نذكر تعاويدها (تكراراً) فلاجل ذلك حكم مجمعنا هذا المقدس بالحق انه مستحق القطع وهو مقطوع من سائر درجات الكهنوت العظيمة والملايكية .

فمن حيث انه لم يثبت مستقيماً بل قد تعظم في معرفته وشابه طغمة الملائكة التي سقطت من السما . وماثلها . ومن الواجب لكل رئيس كهنة ان يكون نقي طاهر ليس بالقول فقط بل بالفعل حتى لا يشكو منه رعاياه ولو بكلمة واحدة صغيرة ولا يُفترى على الاسم القدوس بل يكون كواحد من الرسل بالقول والفعل والشيط (الصيت) وكل من يصنع خلاف هذا الرأي ويعلم الناس بخلاف ذلك ويطغي عقول السدج فمثل هذه (هذا) فليسقط من درجته . ويجب ان يطرد هذا الطاغي من بيننا ويحذف كما يحذف الحجر بالمقلاع كما معين في شريعة الرسل . فليعلم الان كل واقف عليه وسامع رسالتنا هذه فليعتقد بانه بعد فحص بليغ واستيثاق حريز بهذا المجمع المقدس بحضور البطاركة الدائمين الذكر اخوتنا كير اثناسيوس وكير كيرلس بطاركة القسطنطينية سابقاً وبحضور اخونا الاب الامجد كريسانطوس البطريرك الاورشليمي وبحضور من وجد معنا من رؤساء كهنتنا المطارنة والاساقفة المحبين لله وشركائنا في الخدمة الالهية الذين سنذكر اساميهم ادناه باننا شرعنا جميعنا وحكمنا وحتمنا بان هذا الشرير افثيميوس مطران صور وصيدا يكون محروم مفروز مقطوع من سائر درجات الكهنوت ومعرًى من سائر مواهب الروح القدس وليكن مسقوطاً وخارج من درجة المطرانية ويكون جزواً ساقطاً ومطروداً من سائر ابرشته واما كتبه المصنفات من قبله فليكونوا مرذولين وبطالين وليس مع احد دستور من جميع الحسني العبادة ان يعتني بهم او يفعل بما فيهم . وكل من تعدى ذلك

من المسيحيين وتبع هـذا المذكور الكاذب المشوش على كنيسة المسيح الارثوذكسية الاغنام الناطقة الذي هو متشبه بالشيطان كايناً من كان يكون مفروزاً .

وهذا الشقي المنكود حظه ليس له معارضة في ابرشيته (كذا) ولم يبقى معه دستور بوضع يده على كنيسته ولا يقارش محصولها من المسيحيين وليس له سلطان ان يتزيا بزي رؤساء الكهنة ولا يتصرف ان يخدم خدمتهم لانه مقطوع ومسقوط ومنتزعة عنه النعمة وسائر درجات الكهنوت . ومن الآن يسمى افثيميوس فقط لا غير ويكون كواحد من المطروحين . وكل كاهن يقدس معه ويحتسبه كباقي رؤساء الكهنة بمعرفة يكون مقطوع من كهنوته مفروزاً . وكل واحد من العلمانيين يكرمه اكرام رئيس كهنة ويقبل تلك اليد النجسة المملوءة غشاً قاصداً بذلك اخذ بركة فلتكن خطاياه غير متروكة ولا مغفورة اذ كان بمعرفة منه . وكايناً من كان منكم او من غيركم يساعده ويقبله في بيته او في اوضته او في حاصله او يشاركه في مصالحه وفي افعاله او يسعى معه او يساعده كايناً من كان ذلك الشخص يكون محروم كبير كان او زغير . ومن الان كلمن يتشرطن من يده يكون مقطوع . والذين يتفقون معه وهم يعلمون انهم يتفقون ضد الحق فليكونوا محرومين معه ويكون حظهم مع المعوجين كما يقول النبي داود . وكل الذين يضادون وينشقون مائلين الى طغيانه وتجديفه فليكونوا مغضوبين ومحرومين في هذا الدهر ويرثون برصاً لا يبرأ دائماً وفي حياتهم يهتزون مثل قاين ويهلكون ولا يشبعون القوت الضروري ويمحقون من مصحف الحياة [1] ويكون لهم وعليهم غضب الآباء المتوشحين بالله الثلثماية وثمانية عشر وبقية المجامع المقدسة . واما جميع المسيحيين الارثوذكسيين الذين هم لاوامر كنيستهم سامعين وبها عاملين ومن ما يضادها هاربين ولتقليدات الآباء القديسين

---

(١) لم يكن شيء من كل هذا ولم ينفذ منه شيء وكله لا يخرج عن الشتم القبيح .

ورسومهم فيها تابعين وفي كل عمل صالح ناجحين فليكونوا لملكوت السما وارثين امين امين امين .

حرر في شهر تشرين الاول سنة ١٧١٨ انديكتون الثاني .

برحمة الله اثناسيوس بطريرك القسطنطينية سابقاً أمر بذلك

برحمة الله كيرلس بطريرك القسطنطينية سابقاً امر بذلك

برحمة الله جريسندوس بطريرك اورشليم امر بذلك

في طاعة قدسكم اكليمنضوس (مطران) ايراكلية ورودوستوس
Heraclée et Rodosto

في طاعة قدسكم افكسنتيوس (مطران) كيزيكو Cysique

في طاعة قدسكم بانسيوس (مطران) نيكومدية Nicomédie

جراسيموس (مطران) نيكيا Nicée

اثناسيوس (مطران) ادرنة

ديونيسيوس (مطران) اماسيا Amasia

برثانيوس (مطران) لاريصوس Larissa

نيكوميدس (مطران) ميلتني Mélitène

ابروفنوس (مطران) متليني Métélin

اثناسيوس (مطران) ايلاصونوس Elassone

نسخ من اللغة الرومية (اليونانية) الى العربية في دمشق على يد أب الآباء ورئيس الرؤساء وراعي الرعاة كير كيرلس بطريرك انطاكية وسائر المشرق .

﴿ الفصل الرابع والاربعون ﴾

عودة البطريرك اثناسيوس

بعد موت البطريرك كيرلس الحلبي اشرأبت اعناق بعض المطارنة من الابرشية الانطاكية وغيرها كالعادة الى الكرسي البطريركي السامي عند ما يفرغ من صاحبه وهو على ما لا يخفى اعظم مقام عند المسيحيين في الشرق في بلاد الاسلام. واذ لم نعلم من المطارنة الذين ترشحوا لهذا المقام حينئذٍ سوى ثلاثة يجب ان نقول كلمة عن كل واحد منهم لبيان اهليته لذلك

ولا بد ان يكون قد وقع حينئذٍ فيما بينهم شي من التنازع على ذلك.

الاول فيهم البطريرك اثناسيوس الدباس السابق ذكره وكان في يده الفرمان السلطاني بالبطريركية مع صك الصلح على البطريركية بامضاء البطريرك كيرلس وكل المطارنة واعيان الطائفة الذي يضمن له الكرسي البطريركي بعد موت كيرلس بدون انتخاب كما تقدم بيان ذلك. وكان يعضده ويسنده بذلك اهل حلب بالاجمال مع فريق لا باس به من اهل دمشق من الروم الكاثوليك بصرف النظر عن بطاركة الاروام اليونان الذين كان لهم دائماً شان لدى السلطان فيما يخص

بطاركة انطاكية وبصرف النظر عن مطارنة الابرشية الانطاكية الذين كان اكثرهم حينئذ من الاروام او غير كاثوليك كما تقدمت الاشارة الى ذلك سابقاً .

والثاني من المطارنة المرشحين للبطريركية بعده المطران افثيميوس الصيفي . وقد ذكرنا فيما سلف صك انتخابه للبطريركية من بعض المطارنة في حياة البطريرك كيرلس بعد عقد الصلح على البطريركية بينه وبين البطريرك اثناسيوس الدباس لكونه اكثر اهلية واستحقاقاً لها من كليهما . وكان بلا شك يعضده فريق منهم ومن اهل دمشق اهل وطنه الذين كان لهم حسب العادة والتقليد القديم الحق بانتخاب البطريرك الانطاكي كما كان ينتخبه قديماً اهل انطاكية بصرف النظر عن مطارنة الروم الكاثوليك من الابرشية الانطاكية وبصرف النظر عن اصحابه وزراء الدولة ولاة صيدا والشام الذين كان لهم شان عظيم فعمل في هذا الامر ونصرف النظر ايضاً عن ذكر قنصل فرنسا في صيدا والمرسلين الذين في صيدا ودمشق من الذين لم يغتروا بظاهر كلام البطريرك اثناسيوس بانه كاثوليكي وخاضع لرومية . على انه يظهر لنا بان الروم الكاثوليك اصحاب المطران افثيميوس في دمشق انحاز فريق منهم الى البطريرك اثناسيوس في اخر الامر خوفاً من ان تقوم فتنة في الطائفة من جديد لسبب البطريركية ولا سيما بعد ما شاهدوا المطران افثيميوس يقدس في نفس

الكنيسة البطريركية في دمشق قداس يوحنا فم الذهب في الصيام الكبير يوم عيد الاربعين شهيداً فاثار عليه اخصامه فتنة في نفس الكنيسة بحجة انه يريد ان يلاشي طقوس الروم الشريفة اذ كانت العادة جارية الى ذلك العهد بموجب تقليد قديم بان لا يحتفل بقداس يوحنا فم الذهب في مدة الصيام الا في السبوت ونهار عيد البشارة فقط بل كان يجري فيها القداس السابق تقديسه المعروف بالقداس البروجيازمانا . ولما ابصر هذا المطران افثيميوس بادر في اول قداس اقامه في دمشق ونوّه باسم البطريرك اثناسيوس الدباس وبذلك اعلن اعترافه به بطريركاً وقطع كل جدال وخصام بشأن البطريركية .

المطران الثالث الذي رشح نفسه لمقام البطريركية هو مطران حمص الرومي كما يظهر من رسالة الاب جبرائيل فينان السابق ايرادها وهو كان يعلل اماله بذلك بناء على وعد بطاركة الاروام له بذلك كما يتحقق ذلك من الخوف الذي قد استحوذ على اعيان الروم في دمشق وحلب من هذا القبيل مما يتضح من المراسلات التي دارت حينئذ بهذا الشان بين الفريقين . ولم يصل لنا منها سوى صورة رسالة واحدة كتبها نعمة بن توما الخوري الحلبي بانشائه المعهود باسم اعيان حلب اطلعنا عليها في كتابه المعروف بعجالة « راكب الطريق لمن يرضى بتقليد التلفيق »

صورة المكتوب الذي حررناه الى اراخنة نصارى الشام جواباً لمكتوبهم الوارد بخبر توفي المرحوم كير كيرلس وهمتهم برفع اسم حضرة كير اثناسيوس بموجب الخط الشريف

غب التحيات الزكية والتسليمات الوفية الذي نبديه لديكم هو ان سبب تحرير حروف المودة افراط الشوق اليكم على كل خير . ثم نخبركم انه قد وصلت مكاتيبكم الينا صحبة السعاة اولاً وثانياً وحمدناه جل شانه على صحة سلامتكم المأمولة . وفهمنا من نصهم انتقال سيدنا البطريرك كيرلس الى رحمة الله تعالى جمع الله روحه مع ارواح الآباء القديسين رؤساء الكهنة الطوبانيين . فتأسفنا لذلك واكتئبنا في الغاية القصوى لكن لا مرد لامر من اراد وحكم بالموت على العباد واليه مرجع كل واحد منا والمعاد . فلكم البقاء الجميل والعمر المستطيل .

ثم استوضحنا من فحواهم ما تصدرتم له من اثبات الخط الخاقاني الشريف المحرر باسم سيدنا البطريرك اثناسيوس المحترم فحمدنا غيرتكم التي اظهرتموها وشكرنا همتكم العالية التي قدمتموها حيث انكم انتصرتم للحق ورجوعه لاهله وتصديتم لتوطيد صاحب الكرسي الرسولي في كرسيه ومحله . فلله درکم من رجال ارباب همة عالية ومحبين محقين بصداقة سامية . ونحن فاننا متحدون معكم برأي واحد وعزم متفق في كلما ترومون منا من هذا الوجه . وغير ممكن ان نقبل علينا راعياً في هذا الكرسي الرسولي طالما قدس سيدنا المشار اليه الكلي الطوبى في قيد الحياة . وكيف يمكننا ان نقبل غيره وهو كوكب هذا العصر الذي ضاء نور فضله في المشرق والمغرب ؟ فليتقرر عندكم ان هذا اكبر المستحيلات .

من جهة مكاتيبكم المرسلة على يدنا لكي نرسلها الى قدسه مع المكاتيب المخصوصة (من قبلنا) الى اسلامبول ففي حال وصولها بذلنا ما يجب علينا من الهمة في اتمام هذا الامر وباشرنا تحرير مكاتيب خصوصية وعمومية ووضعنا الجميع في مغلف واحد وارسلناهم ضمن مكتوب بولسة صحبة جوقدار حضرة

محصل آغا[1] مضمونات الوصول بوجه السرعة ليد المقدسي فرج الله القاري واكدنا عليه في مكاتيبنا انه حال وصولهم الى يده يمسك ولاق[2] على كيسنا ويرسلهم صحبته لحضرة سيدنا المومي اليه الى الولاه (Valachie) واكدنا على قدسه ان يكون حضوره الى اسلانبول قبل بيوم وساعة[3] ليقضي شغله على مراده . واوضحنا لجنابه ما يجب ايضاحه من المحذورات اللازم ملافاتها وكيفية التزامه بالحضور بسرعة حذراً من الغوائل الممكن صدورها . ورجاؤنا بالله تعالى وبهمة قدسه انه مع اطلاعه على مكاتيبكم ومكاتيبنا يلبي دعوتنا ويحضر حالاً ويقضي شغله على خاطره من غير عائق بمنه تعالى وكثرة محبيه في ذلك الجانب سهل الله طريقه لما يرضاه وخذل مضاديه واعداه .

ثم اننا حذراً من ان يظهر احد المخربطين ارسلنا وكلنا اخوينا المقدسي فرج الله القاري والخواجا مانولي ومعهما بابا ناوفيطوس تلميذ حضرة سيدنا المشار اليه ليكونوا ملاحظين بمراقبة الاحوال دقيقة فدقيقة في كافة الحوادث الى حينما يحضر جنابه . وان ظهر قبل حضوره احد او حدث حادث يمانعوه بكل جهدهم ومهما يصرفونه على ذلك فقد تعهدنا لهم فيه بموجب سند وثيق من يدنا انه علينا وعندنا بوجه الدين الشرعي .

هذا وقد بلغنا ان المرحوم قدّس الله روحه ونوّر ضريحه قبل توفيه قد اوقف جميع الموجودات (في القلاية البطريركية) . فعاد الواجب عليكم ان تكمّلوا سعيكم وتبذلوا الجهد في ضبطها لئلا ينثلم منها شيء . ومفهومكم ان نفعها عائد الى كنيستكم فيكون كانه لكم . وبهذا ما عدا النفع المذكور تغنموا جزيل الثواب . وفي عالي همتكم كفاية كل امر .

الداعي

---

(١) والمراد بالجوقدار او الجوخدار عسكري مكلف بنقل البريد السلطاني له ثوب من الجوخ . والمحصل اكبر موظف مالي في ايالة حلب ويقابله في غير حلب الدفتردار

(٢) الولاق بلغة الاتراك الساعي الخاص لحمل رسالة من بلد الى بلد .

(٣) اي قبل سفر قفل المسافرين من اسلانبول الى حلب

﴿ الفصل الخامس والاربعون ﴾

اهتمام المطران باصلاح بعض العادات المضرة والقبائح القديمة

أثبتنا سابقاً في الفصل الخامس والثلاثين رسالة من المطران افثيميوس ارسلها الى مجمع انتشار الايمان يخبره فيها انه وجد بعض امور اعتاد الروم ابناء طائفته ان يمارسوها وقد ادخلها اهل الشقاق واوجبوها على الرعية ذمة كانها من جوهر الدين لا بد منها للخلاص . وهو يعتبرها ثقيلة على الذمة ومضرة للنفوس وانها لم تكن في الكنيسة الشرقية حينما كانت كنيسة الروم الشرقية مع كنيسة رومية كنيسة واحدة وانه عازم على الغائها وتركها تخفيفاً لثقلها عن نفوس رعيته شفقة عليهم لتكون عبادتهم لله تعالى اختيارية بتمام الحرية بدون اكراه . وهو يشكو من معارضة المرسلين له بهذا الشان لعدم خبرتهم بهذه الامور وقد ذكر المطران هناك بعض هذه الامور وشرح رأيه فيها وابان اصلها وما يلحق نفوس الرعية من ضررها . فثار عليه بسبب ذلك غضب اخصامه بطاركة الاروام اليونان واتباعهم ورموه بانه يريد ملاشاة كل طقوس الروم ومخالفة كل تقاليدها وكل رسومها كما يظهر ذلك من رسالة البطريرك القسطنطيني ارميا الثالث واصحابه التي اوردناها بتمامها في الفصل السابق وشايعهم بهذا الامر كثيرون من الروم

المحافظين على العادات والتقاليد القديمة من اهل حلب ودمشق وطنه من الاكليروس والشعب وفي مقدمتهم البطريرك اثناسيوس الدباس من المجاهرين باتباع الايمان الكاثوليكي .

ويظهر من رسالة المطران التي نشرناها بتاريخ ١٣ تشرين الثاني سنة ١٧١٧ ان قد اتاه الجواب من المجمع بشأن هذه الامور انها بسلطانه لكونها قضايا صغيرة غير مهمة لكنه ابى ان يعمل برأي نفسه . بل كرر مجدداً طلب الاجازة الصريحة بشأنها من المجمع ليوضح بذلك كمال خضوعه للكرسي الرسولي الروماني وليدفع اعتراض من رام معارضته بذلك من الكاثوليكيين ولا سيما المرسلين الذين يحتج الى المجمع على معارضتهم له بان كنيسته رسولية لا يحق لهم التصرف بحقوقه في ابرشيته بدون اذنه ومخالفة اوامره فيها ومعارضتهم لها كما يظهر من نص الرسالة التالية بهذا الشأن منقولة عن سجل مجمع انتشار الايمان

والذي نخبر حضرتكم بانه متى طال جوابكم وخطابكم عنا يصير لنا وجع خاطر لانه لا يوجد شيء يفرحنا في محبة الله تعالى مثل اتصال مخاطبتكم . فلاجل ذلك نحن ملزومين نخاطبكم في كل زمان ولو اهملتمونا . فنحن لا نمل ولا ناخذ على خاطرنا لان اشغالكم كثيرة وتدبير العالم مطلوب منكم

سابقاً طلبنا منكم تأييد رأينا في اهانة (انكار) العوائد المحدثة التي بعضها يؤول الى شرف الكنيسة المقدس . والبعض بمعنى الشقاق واثباته . واما العوايد التي لا تضر فما نعتني بها وبالغائها .

وايضاً معلوم سيادتكم ان كرسينا قديم من زمان الرسل . ونحن طلبنا

من عظمتكم ان اموالنا الروحانية لا يتصرف فيها اخوتنا المرسلون بدون اذننا كما هو العدل والواجب . وما اعطيتمونا الجواب عن جميع ما ذكرنا . فان رأيتموه قابلاً (مقبولاً) وهو شي مرضي لله فكملوه لان ما لنا قصد سوى مجد الله وانتشار الايمان

والان واصل لكم قداس يوحنا فم الذهب منسوخ عن نسخة قديمة وكتاب قداس باسيليوس مكتوب على رق بدرج رومي (يوناني) خط يد قديم[1] . فمن هذا تفهموا زود التغيير الذي دخل على الروم بعد الانفصال عن الكنيسة الرومانية .

ثم ذكر لنا ابن اختنا بان مرادكم تطبعوا كتاب قداس رتبتنا وكتاب خدمة الاسرار الاخولوجيون . فيكون محققاً عندكم انه لا يوجد طريق مفيد لرجوع هذه الطائفة الى امها مثل هذا الفعل المقدس لان العقول تتقرب بفعل الرحمة والكرم . ويرفع الزوان الذي زرعه ابليس اعني حرم البابا انوريوس وثاوذوروس اسقف

---

(١) قنداق القداس المذكور وجدنا منه نسخة في مجموعة خطية كانت تخص المطران فيها بعض رسائل له بخط يده ومنها ما هو بخط تلاميذه . وقد نشرنا منها بالطبع سنة ١٩٠٧ قداس يوحنا فم الذهب مع ترجمته الى الفرنساوية بمناسبة الاعياد التي اقيمت في رومية اكراماً له بعد مرور خمسة عشر قرناً على وفاته . وتعريبها قديم لكنه غير فصيح . ومما يجب ملاحظته هنا ما جاء فيها بعد الكلام الجوهري بقوله : يرفع الكاهن رأسه ويصلب على القربان قائلاً « اما هذا الخبز فهو جسد ربنا والهنا يسوع المسيح .

ويقول الشماس آمين . »

وايضاً يصلب الكاهن على الكاس قائلاً

« اما هذا الكاس فدم ربنا والهنا يسوع المسيح المهراق من اجل حياة العالم . »

ولا ذكر في هذه المخطوطة للزاون مطلقاً . وهذا ما حمل المطران على القول بان استعمال الزاون غير قديم

فرّان من بين المحرومين كما تشهد بصحة ايمانهم قديسو كنيستنا وكتبها[1] . ويرفع ايضاً الماء السخن من القداس . وكلمة اصنع هذا الخبز جسد مسيحك بعد كمال التقديس . ومع هذه الكتب ينتشر اسم المجمع المقدس واسم سيدنا البابا في كنائس الشرق وبين كهنتها . وهذا هو الطعم في سنارة مار بطرس بل في شبكته لصيد النفوس التائهة

وايضاً نطلب من فضلكم ترسلوا لنا ثلثماية مجلد من كتاب الدلالة اللامعة لانه مرغوب ونافع جداً وكل كتاب يغني عن رسول . وتفهمون نفعه من شكاوة المطوب خريسندوس البطريرك الاورشليمي بمكتوبه الواصل اليكم ونحن بالخوف دائماً من اعداء الكنيسة . المراد منكم الدعا والمشورة في الذي يرضاه الله لان الفرار حرام علينا والثبات خطر على ضعفنا

وايضاً حضرة سيدنا البطرك كيرلس ارسل طلب منكم ان اخوتنا الموارنة يتركوا الحساب الجديد ويتبعوا الحساب القديم فهذا على حسب ظني غير صواب لاننا نترجى من الله ان ساعدنا وطال زماننا وسلك امرنا سنرذل (نترك) الحساب القديم المغلوط ونمسك الحساب الجديد القويم[2] وانتم اخبر بالجواب الى سيدنا البطريرك كيرلس لئلا يندقر خاطره من طرفكم . هذا ما انهيناه لعظمتكم بعد تقديم الطاعة لمجمعكم ثانياً وثالثاً .

افثيميوس بنعمة المسيح
مطران صور وصيدا
وابن البيعة الرومانية

سطر في دار المطرانية في ختام ايار سنة ١٧١٧

---

(١) التبس على المطران افثيميوس اسم ثاوذوروس اسقف فران من اصحاب بدعة المشيئة الواحدة مع اسم ثاوذروس اسقف حران المعروف بابي قرة من اشهر اخصام هذه البدعة الذي نشرنا مياميره النفيسة . ويرى المطران ان هذا مظلوم بهذه التهمة مع البابا اونوريوس اعتمادًا على ما وقف عليه في المخطوطات العربية من ميامر ورسائل .

(٢) يظهر من هذا بعد نظر المطران افثيميوس واهتمامه بابدال الحساب القديم الغلط بالحساب الصحيح الذي ادخله في طائفتنا سنة ١٨٥٧ الطيب الذكر البطريرك اكليمنضوس يوسف .

ويطول بنا الكلام كثيراً ان اردنا ان نورد في هذا الفصل كلما وقفنا عليه من المراسلات الى رومية وغيرها بهذا الشأن لان الجدال في هذه القضايا طال كثيراً وامتد واشتد بين الفريقين وانتقل بعد موت المطران افثيميوس الى تلاميذه واتباعه من الاكليروس والشعب وعلى رأسهم واولهم البطريرك كيرلس طاناس ومطارنته المخلصيون . وكذلك انتقل من جهة ثانية الى الروم الكاثوليك من الشعب والاكليروس ولاسيما اهل حلب . وما سكن فوران هذا الجدال وما خمد اواره الا بامر رومية المسموع من الكاثوليك في كل زمان ومكان حتى انه بعد ان تبدّلت الاحوال والاشخاص اصحاب الجدال اضطر الحلبيون من الروم الكاثوليك قبل سواهم ان يطلبوا من رومية الاجازة بحل بعض هذه القضايا والتفسيح منها ونذكر منها ما يعرفه القراء مثل اجازة تقديم قداسين في اليوم على مذبح واحد واختصار قطاعة صوم الرسل الى اثنتي عشر يوماً والسماح للرهبان بأكل اللحم وقداس يوحنا فم الذهب ايام الصيام الكبير وغير ذلك مما لا يسعنا ذكره .

والسبب لهذا الجدال معما تقدّم من ذكر حسن نيّة المطران بشأن ذلك شدة تمسُّك الشرقيين بعوايدهم وتقاليدهم القديمة التي يعدُّونها مقدسة . ولم يكن يخلو الامر من عناد ومنافسة بين الحزبين . والعناد في الجدال لا يخلو من الجهل وقلة الخبرة وبساطة طبع وعقل في أتباعه مما لا يسعنا التوسع بشرحه في هذا الفصل .

ولذلك نكتفي الان بايراد منشور البطريرك اثناسيوس الدباس بشأن اختصار ايام صيام الرسل فان فيه مقنعاً لصواب هذا الاختصار وضرورته مع ايضاح تاريخي مفصل لذلك بذكر البطاركة والمطارنة الذين سعوا به سابقاً مع ذكر البطاركة اليونان الذين وافقوا عليه قبل ان تقوم قيامتهم على المطران افثيميوس بغضة وعدواناً . ويظهر ان هذا الامر شاع وذاع بين عامة الناس في كل الابرشية الانطاكية وجرى عليه كثيرون كعادة الناس باتباع السهل والمحبوب والتجنب عن كل صعب او مكروه .

نقلنا هذا المنشور عن كتاب عجالة راكب الطريق السابق ذكره مراراً هنا .

المجد لله دائماً

اثناسيوس

برحمة الله تعالى بطريرك انطاكية وسائر المشرق .

النعمة والبركة والسلام من الاله الاب ابي ربنا يسوع المسيح الى كل من اخوتنا المطارنة الموقرين والكهنة المكرمين واولادنا المسيحيين المحبوبين بالرب المطلعين على هذا الصك الراسم الحل والاطلاق لمن رام ذلك بنعمة الروح القدس الذي منحنا برأفته ان يكون ما حللناه على الارض محلولاً في السماء .

المنهي اليكم انه في تاريخ سنة كذا[1] قد اطلعنا على الفساد (التراخي) الروحي الواقع ما بين المسيحيين من اطالة صيام الرسل القديسين في الابرشية

(١) لا تاريخ لهذا المنشور في الاصل الذي نقلناه عنه لأن كاتبه ذكره في كتابه مثال نموذج لحسن انشائه العربي . ومن ثم يعتبر ذكر تاريخ صدوره وتواقيع البطريرك والمطارنة الذين امضوه فضلة زائدة

الانطاكية واخصهم (اهل) مدينة حلب . وعرفنا بعض هذا مما شاهدناه بالعيان وبعضه انهاه الينا معلمو الاعتراف الورعون الغيورون على خلاص نفوس تلاميذهم. ورأينا ان ذلك يؤدي الى ضرر عظيم روحي يشين تقوى الابرشية الانطاكية من جهة انه يورّط ابناءها في خطر باهظ يستدرجهم الى الهلاك الابدي من انحاء كثيرة يطول شرحها لكن نذكر البعض منها بالاختصار حذراً من الملل والاطالة .

الاول منها ان الذي كان ورعاً ديّناً من المسيحيين وكان يصوم هذا الصيام كان يصومه بتذمر وضجر عظيم . والخير المقرون بالضجر والتذمر هو شر جسيم

ثانياً . ان البعض منهم كانوا يتصلون من هذا الضجر الى التجديف الشنيع على رسل المسيح وقديسيه وعلى الذين رتبوا هذا الصيام. وهاتين الخصلتان كان يستعملها المشهورون بالتقوى والورع الذين لم يكونوا يستحلون التعدي على الصيام من ذواتهم بغير اذن شرعي

ثالثاً . ان البعض كانوا يتعدونه بالخفاء والسرقة بدون اذن .

رابعاً . ان البعض كانوا يأكلون (الزفر) ظاهراً من غير حياء ولا اعتبار (لوصية الصيام) ويهينون المذهب المسيحي والعبادات المقدسة ويصيرونها هزءاً وسخرية بين الامم الغريبة من جهة ان من كان يشاهدهم من الامم على هذه الحال كان يزدري المذهب المسيحي متوهماً ان ترتيب (طقوس) المسيحيين وعوائدهم لا طائل تحتها . وانها اصطلاحات يستعملها كل واحد منهم على شاكلته وهواه

خامساً . ان اغلب اهل القرى والبر كانوا يعدلون (يتركون) عن المذهب المسيحي وينحازون الى اتباع مذهب الامم (الاسلامية) من وجه ان فصل السنة في هذا الصيام مقفر من الخضر والفواكه ومن المآكل الصيامية ومخصب بالحليب واللبن والجبن والبيض وامثال ذلك . واهل البر المذكورين لا يوجد عندهم غير هذه المذكورات . فكانوا اذ ذاك يلتزمون بطرحها على المزابل وان يقتاتوا بالخبز والماء في ذلك الحر والهجير . وهكذا كان اولادهم الصغار ينفرون عنهم وينتمون

الى مجاوريهم من الامم (الاسلامية) حتى العيال (النسوان) ايضاً . فضلاً عن ان نقول ان بعض القرى لم يبقَ احد فيها من المسيحيين كما اخبر بذلك ثقات الناقلين .

ولا محالة ان هذا شر لا يحتمل وخطر لا يجوز ان يهمل من قبل ان الراعي الصالح الامين لا بد له من صيانة خرافه من طروق الذياب ان كان راعياً محقاً لا مستأجراً . ولا سبيل له الى ذلك الا بحسم مواد هذه الشرور من بينهم ورفع اسباب الردى والخطأ عنهم خاصة الاسباب التي تورّطهم في وهدة الهلاك وتصدهم عن مناهج الخلاص اتباعاً لامر من قلّده رعايتهم على مياه الراحة ورفع اثقال الاغلال عن اعناقهم لان نيره عز شأنه طيب وحمله خفيف . ولم يمنحه تعالى سلطان الحل والربط الا لتخفيف الاثقال عنهم وشفآء ما يؤذيهم من المرض العضال حتى صرنا في قلق الافكار لكي نخلّص ذمتنا معهم ونخلّصهم من هذه المخاطر المهلكة

وفيما نحن نتردّد في هذا اذ منّ علينا مدبر راعاياه وبراياه بان فشت هذه الافكار بين اخوتنا المحترمين مساهمينا في الاسرار ومساعدينا على امر القيام بحقوق الرعاية المسيحية . وهما اخونا اثناسيوس المرحوم البطريرك القسطنطيني وخريسنطوس البطريرك الاورشليمي المحترم لان اخينا البطريرك كيرلس (الحلبي) المطوّب الذكر كان قد ارسل اعلمهم بذلك وافهمهم اغلب الاسباب المذكورة واستأذن منهم في حله . فألهموا من الروح القدس وارسلوا سينديكون (قرار مجمع) يتضمن ان حل هذا الثقل مفوّض الينا كما يقتضيه الزمان والمكان وكما حتمت القوانين المقدسة ان البطريرك له التصرّف في ابرشيته حسبما يراه ويقتضيه الرأي الصائب الخالي من الغرض والخالص لوجه الله تعالى ونفع رعاياه روحياً . غير انهم زعموا بانه يلزم ان يصير هذا بدون سجس يوجب قلق الافكار والاضطراب بين المسيحيين .

واذ شاع هذا الامر بين الرعايا صارت هذه الاشاعة سبب السجس اذ قاموا

جميعهم على قدم وساق يطلبون منا الحل والاطلاق المفوَّض الينا . وكان ذلك بتدبير من الله تعالى حتى اننا عند ذلك لم نجد سبيلاً لتهميد هذا السجس وخلاص الرعايا من القلق والاضطراب الا باختصارنا الصيام المذكور وصيَّرناه اثني عشر يوماً بعدد الاثني عشر رسولاً . ولم نختم بهذا الحل ونلزم كل واحد من المسيحيين ان شاء الصيام بقصد التقشف والعبادة الخالصة . ولا قصدنا الاباحة بحله لمن يروم العفاف والتنسك بقصد مخلص لوجه الله ولرسله القدسين . بل لاجل حل هذا الثقل عمن يروم حله . ولكي لا يكون من اتبع اختصار الصيام المذكور ملاماً او مذنباً بل مباركاً لكوننا قد حللنا ذلك بالسلطان المطلق الممنوح لنا من سيدنا يسوع المسيح رئيس الاحبار العظيم ونعمة روحه الكلي قدسه لكي من يصوم لا يدين من لا يصوم . ومن لا يأكل لا يدين من يأكل حسب النص الرسولي

وان اعترض محاج ان الصيام المذكور مختوم من الرسل الاطهار ومن المجامع المقدسة . فهذا خلاف (حقيقة الواقع) لان الرسل القديسين صاموا سبعة ايام بعد حلول الروح القدس . ومع التمادي استحسن اهل النسك والورع ان يبتدوا به كما ابتدا فيه الرسل القديسون (بعد عيد حلول الروح القدس) ويمتدوا فيه الى عيد الرسل . ومن هنا نشأت الزيادة والنقصان . والان اذ تغيرت الاحوال ووقعت المحاذير لزم تغيير ذلك لانه مفوَّض لسلطاننا الكنائسي المطلق . ولتأكيد ذلك ايضاحه قد حرَّرنا هذا المنشور المثبت بامضائنا وختمنا وبامضاوات وختوم اخوتنا ومساهيمنا في الاسرار الالهية السادة المطارنة المحترمين المحرَّرة اساميهم في ذيله فعلى كل الذين يطلعون عليه ان يذعنوا له لانهم ملزومين بطاعة الرؤسآء . وان يعتمدوا عليه حق الاعتماد والله المرشد الهادي الى حسن السداد تحريراً في كذا .

ونختم هذا الفصل بايراد رسالة من المطران افثيميوس الى الحبر الاعظم يذكر له الحوادث التي وقعت له حينئذٍ مع البطريرك كيرلس وخلفه البطريرك اثناسيوس الدباس وغيرهما منقولة عن

سجلات مجمع انتشار الايمان بما يخص الروم الكاثوليك .

قدس قداسة سيدي الكلي الطوبى الحبر الاعظم البابا اكليمنضوس الحادي عشر دام قدسه امين

اولاً مزيد كثرة الاشواق الى تقبيل اقدامكم . وبعده نخبركم طوبانيتكم باننا سابقاً ارسلنا الى السادة الكردينالية مكاتيب وصحبتهم رسالتان يتضمنان غلطات في كنيسة الروم . ومرادنا ابطال تلك الغلطات بمشورة قدسكم لان اولاد الشرق لا يكفيهم الاتفاق بالايمان فقط . بل يجب عليهم ان يتركوا العوائد المبتدعة من الاراطقة لاجل غرضهم المنحرف عن الحق وتستير الكذب بردآء الحق . وبالخصوص الاشياء المختصة بالاسرار الالهية لان بنعمة ربنا يسوع المسيح اسمكم الان مكرَّم في جميع الشرق بين كل الطوائف . وامركم مقبول بغاية القبول . فأمروا بالذي يلايم خلاص النفوس بمحبة الرب واخصوا الرسالات المذكورة لان لي رجاء بانهم يفيدوا بلادنا جميعها لان الروم شربوا السموم من الاراطقة الاولين . ولذلك اذا رجعوا الى امهم الكنيسة المقدسة الواحدة يغايرهم كل الطوائف الشرقيين اجمعين .

وايضاً نخبر سيادتكم اننا قبل تاريخه من مدة تسعة اشهر مضينا الى الشام حسب وصيتكم لنا في مكتوبكم وذلك لاجل مراعاة خاطر (حال) البطريرك كيرلس . والقصد الكلي حتى نفحص عن حقيقة ايمانه فرأيناه مع الكاثوليكيين كاثوليكياً ومع المشاقين مشاقاً . وبعد ذلك بمقدار نصف شهر مرض مرضاً عظيماً جداً حتى مات به .

فجاء اخبرني بذلك معلم اعترافه وهو يدعى الخوري عبد المسيح كاثوليكي[1] فسألته ان كان عرَّفه ام لا . قال لي لا . لاني مضيت لعنده فنظرته في حالة التلف لان الآكلة التي طلعت له ضامته . فقلت له يا سيدنا تريد تعترف ؟ فقال لي اي

---

(١) كان حينئذٍ كاهنان في دمشق بهذا الاسم احدهما من بيت بولاد والثاني من بيت الزبال وكلاهما من الروم الكاثوليك

شيء عملت حتى اعترف عليه ؟ لا قتلت ولا زنيت ولا سرقت . بل مرادي تصلي عليَّ افشين (المنازعين) وبعد ما صلّى عليه الافشين ومضى من عنده في تلك الليلة مات بلا اعتراف ولا قربان.

وبعد موته استقمت في الشام الى الصوم الكبير فحكم عيد الشهدا. (الاربعين)في ٩ اذار وانا هناك فبعض الكاثوليكيين ارسلوا دعونا حتى نقدس لهم . فمضينا الى الكنيسة حتى نقدّس في احد الهياكل الصغار . فبعد الانجيل ونحن في حال (الاستعداد) للتقديس انوجد خوري في الكنيسة الكبيرة يدعى خليل (خبية).— والمذكور قدوة الكاثوليكيين — صرخ بصوت عظيم قائلًا: يا نصارى لا يجوز القداس في الصوم لانه حرام وخطية . اذهبوا الى مطران صيدا وبطلوه القداس لئلّا يخرب ديننا وعوائد ابائنا واجدادنا . ففي الحال اتى خمسة رجال حاملين السلاح رائدين قتلي داخل الهيكل وقت التقديس فوافى اكثر من نصف النصارى وخلصوني من تلك الشدة وضربوا اصحاب السلاح وردوهم خائبين . وصارت فتنة عظيمة لان اكثر من النصف كانوا معي والباقي علي .

والخوري صاحب هذا الشر قديس الكاثوليكيين الشوام . وانا ما قصدت ملامته ولا استقبحت خطيته لانه من نسل المشاقين وتربى بحليب المعاندين . لكن ملامتي على البعض من المرسلين الذين نزهوه عن الخطية في تثبيتهم للعوائد المفسدة الاسرار المقدسة . وبهذا الفعل صاروا يتفلسفوا بالطقوس الرومية التي لم يعرفوها ولا فحصوا عمن تسلمتها كنيستنا . بل جعلوا ذواتهم كقصبة يحركها الريح ويهزها المعاندون حسب هواهم وشهواتهم . وبقولهم لهم هكذا اباحوا لهم ذلك . ولولا التجربة لما ظهرت القلوب ولا كنا عرفنا الاشخاص المحقين من الكاذبين . يكون ذلك معلومكم

وايضاً نخبركم بان نهار تاريخه أخبرونا عن البطريرك كير اثناسيوس انه دخل

الى الشام . واكثر الناس لاغين عنه انه كاثوليكي . واما نحن فانا مشككين بذلك لاننا ما رأينا له ثمار . وانما مع ارادة الله بلكي (ربما) نمضي لعنده ونفحص عن احواله واستقامته بالايمان ونخبر سيادتكم بعد تقبيل اقدامكم ثانياً وثالثاً

عبدكم المقيم بطاعتكم

افثيميوس مطران صور وصيدا

سطر في اول شهر آب سنة ١٧٢٠

﴿ الفصل السادس والاربعون ﴾

فتاوي وامكام رومية

تقدَّم الكلام ان المطران افثيميوس كتب مراراً الى مجمع انتشار الايمان والى الحبر الاعظم البابا اكليمنضوس الحادي عشر يطلب اجازة صريحة لاثبات ما اراد اصلاحه من الامور السابق ذكرها . الا ان محاكم رومية على ما هو معلوم لا تعجل في ابراز احكامها في امرٍ الا بعد تمام التثبُّت من صحته وصوابه ونفعه ولا سيما اذا كان في الامر خلاف وجدال بين فريقين يرى كل فريق انه على حق وصواب او مقرَّر بالتقليد القديم .

وعلى ما نعلم انه قد كثر الاخذ والرد بشان هذه القضايا بين المطران واتباعه واخصامه وبين رومية حتى صدر اخيراً الحكم النهائي بشانها كلها في ٣١ تموز سنة ١٧٢٩ من الحبر الاعظم البابا بناد كتوس الثالث عشر مثبِّتاً قرار مجمع انتشار الايمان وقرار مجمع التفتيش (S. Cong. du Saint Office) وارسل هذا الحكم الى

البطريرك الانطاكي كيرلس طاناس حينئذٍ ليجري عليه في ابرشيات البطريركية ولا يحيد عنه احد وهذا تعريب الحكم[1]

يجب ان يعلن لكيرلس المنتخب بطريركاً انه منذ سنة ١٧١٦ في سادس شباط بناء على طلب المرحوم نسيبه افثيميوس مطران صور وصيدا طُرحت لعهد المقدس الذكر البابا اكليمنضوس الحادي عشر المسائل الآتية في شأن بعض عادات الروم الآتية :

١ً ان الاستحالة في الذبيحة لا تتوقّف على كلام التقديس العادي . بل على صلوة معيّنة يتلوها الروم المشاقون للروح القدس وهي « اجعل هذا الخبز جسد مسيحك الموقر » . وهكذا يقال في شأن الدم

٢ً انه بعد التقديس يُصب ماء سخن على الدم الالهي مصحوباً بالقول : « ليسخن بحرارة وايمان الروح القدس »

٣ً انه لا يجوز ان تتعدّد القداديس في النهار على مذبح واحد

٤ً ان اساقفة الروم عند مناولتهم الكهنة يضعون الجزء بيد الكاهن

٥ً انه يُحرَّم اكل السمك في الصوم الاربعيني وفي يومي الاربعاء والجمعة تحريماً يوجب الاثم المميت

٦ً انه يُحرَّم عقد الزيجة في الدرجة الرابعة

فصدر مرسوم الجواب على هذه المسائل بالوجه الآتي

يجب ان يُنصح بعاطفة المحبة المطران المذكور في شأن تغيير الطقوس الذي أجراه بسلطانه وان يُحرَّض ليرعى ويحفظ الطقوس والاحتفالات المرعية بالعمل في عامة كنيسة الروم الكاثوليك كالتي نحن بصددها

وانفاذاً لهذا المرسوم كتب هذا المجمع المقدس الى المطران أفثيميوس المذكور الرسالة الآتية وهذا نصها :

---

(١) نقلنا هذه الاسئلة والجواب عليها من ملحق كتاب المجمع اللبناني بالاصل وتعريبه

« ان هذا المجمع المقدس وان كان معتقداً بان ما حمل سيادتك على التغييرات والتجديدات المشروحة في المسائل الست التي بعثت بها انما هي الغيرة الخالصة على طهارة وقداسة الايمان الكاثوليكي والتهذيب البيعي مع هذا لا يرى بُدًّا من ان يعالنك بما اتصل به من التأثر من جراء عملك هذا اذ لم تَرَ سيادتك قبل اقدامك على هذا العمل ان تستفتي الكرسي الرسولي لاجل الحصول على ضابط أمين واكيد تجري عليه في حل هذه المسائل حذراً من الخطإ والضلال . فاعتمد اذاً هذا التنبيه في ما عساه ان يعرض لك من الحوادث ليحمد اجتهاد خطتك الرعائية من غير ان يلحق باعمالك لوم

ثم الحق بهذه الرسالة التعليم الآتي ايرادهُ :

« ان مادَّة المسائل الآنفة الذكر تلامس طقوس واصطلاحات الروم التي احترمتها وعملت بها حتى اليوم وعليه فلا نقصد ان تُحذف وتُرفع من ليتورجيات الروم هذه الصلوات التي عمَّ استعمالها بعد صورة التقديس المرسومة من يسوع المسيح لان الصلوات المذكورة قد فُحصت وفُسرت بمعنى كاثوليكي في المجمع الفلورنسي العام ولم ينبذها الكرسي الرسولي . اما اذا كان البعض يفتكرون عن جهل او عن سوء قصد ان الاستحالة السريَّة تتم بهذه الصلوات فيجب على سيادتك ان تثقف الجهلة وتعلمهم ان قوَّة التقديس انما تتوقف على الالفاظ الموضوعة لها من يسوع المسيح وليس على الصلوات التي لا واضع لها الا الاناس الذين ألَّفوها

واما من حيث المسألة الثانية فكذلك لا يقصد رفع طقس قد تقادم عهده وعم استعماله في كنيسة الروم بان يصب الماء السخن في الكأس المقدسة لان هذا الطقس قدعرفته ايضاً السدة المقدسة واغتفرته في جنب كهنة الروم حتى في رومية ولا سيا لانه بدلالته الواضحة على ما يجب ان يضطرم من حرارة الايمان نحو هذا السر الجليل القدر يسهل ايجاد طريقة لتفقيه المؤمنين وكبح مكابرة الاعداء المعاندين

وايضاً لا يُقصد من المسألتين الثالثة والرابعة معاكسة اصطلاح قديم وحديث في كنيسة الروم بادخال عوائد حديثة مضرة بالاتحاد الحميد الذي يجب ان يكون الرابط بين كنائس الروم الكاثوليك لان المحدثات من عادتها ان تسبب في الغالب تشويش النظام والمنازعات فعليك ان تعنى بعدم السماح بها لئلا تكون سبب معثرة وشحناء.

وفي المسألة الخامسة لايثبت الاذن المعطى من سيادتك باكل الاسماك حتى ولا في عموم الايام والازمنة التي لم تستعمل فيها بحسب حميد عادة كنيسة الروم اذ لا يخفى سيادتك ان مثل هذا الاذن يجلب لا محالة معثرة اعداً. ايماننا المقدس وسخريتهم به على حين ينبغي ان نقتنصهم ونغريهم باحترامه واعتناقه لحقيقته وقداسته لا بالتراخي في حفظ الانقطاع عن الاطعمة المحرمة

واما في المسألة السادسة وهي الاخيرة فلا يسدّد هذا المجمع المقدس رأيك الذي به تلوم تحريم الزيجة بين المتعاقدين في ضمن الدرجة الرابعة من القرابتين الدموية والاهلية المرسوم في المجمع اللاتراني العام والمختوم به من الكرسي المقدس على الروم انفسهم . وليس في وسع هذه الكرسي المقدس ان يشذ عن القواعد والتعليمات التي ما برح يسنها لعامة الطوائف المسيحية والشرقية ايضاً حتى هذا العهد . وعليه كان من الواجب على سيادتك ان تعمل بها بالدقة وترعى بغيرتك سنة بالغة في القداسة والتعميم كالسنة القاضية بتحريم الزيجات بين ذوي القرابة الدموية والاهلية في الدرجة الرابعة المعلومة عند سيادتك حق العلم »

ولما كان المطران افثيميوس المذكور قد التمس ايضاً حل الاسئلة الثلاثة التالية :

١ في ما اذا كان يسوغ لكاهن ان يقدّس عقيب كاهن آخر على مذبح واحد في يوم واحد

٢ في ما اذا كان يسوغ للمثبتين من كاهن عادي سواء كان هرطوقياً او كاثوليكياً ان يقبلوا التثبيت ثانية من الاسقف ولو تحت شرط

٣ في ما اذا كان يسوغ لرجل بعد موت زوجه الاولى والثانية والثالثة ان يتزوج برابعة اذا شاء.

صدر القرار في اول حزيران والتاسع منه سنة ١٧١٨ بان يفتى على السؤال الاول بحسب الفتوى الصادرة في تاسع شباط سنة ١٧١٦ اي بان لا يحدث شيء جديد . بل ينصح الطالب ويُنبَّه ليرعى ويحفظ الطقوس والاحتفالات التي ترعاها وتعمل بها في الحال عامة كنيسة الروم

اما على السؤال الثاني فاجيب بان تستأنف الكتابة الى الطالب بان المثبتين من يد كاهن عادي يجب ان يُعاد تثبيتهم من الاسقف احتياطاً بمقتضى التعليم المبرز من المقدس الذكر اكليمنضوس الثامن للروم . الا ان يحتجوا بانعام من الكرسي الرسولي المقدس لكن بشرط ان المثبتين على هذا الوجه لا يكرهون على اعادة هذا السر ولا سيما اذا نشأ عن هذا الاكراه معثرة لان سر التثبيت ليس بضروري

وعلى الثالث بان يعلم الشعب عدم تحريم الزيجات الثانية والثالثة والرابعة وهلمَّ جراً بالتعاقب على من يسوغ لهم الزواج شرعاً

ثم بمقتضى نص هذه الاحكام والتعليمات والكتابات أُرسلت رسالة عامة اعلاناً بكل ما ذكر الى رؤساء رسالات القدس ودمشق وطرابلس وصيدا

واذ كان ذلك على هذه الحال فعملاً به يجب ان يكلف كيرلس الآنف الذكر المنتخب بطريركاً ان يرعى ويسترعي الفتاوي والتعليمات المذكورة بوجه الدقة ولا يغير ولا يسمح بتغيير طقوس الكنيسة الشرقية الكاثوليكية من دون الوقوف على رأي الكرسي المقدس من قبل بواسطة هذا المجمع المقدس

على انه لما كانت طقوس الاصوام وغيرها قد تبدل كثير منها من المطران أفثيميوس المذكور وربما من كيرلس نفسه وجب ان ينبَّه كيرلس هذا بعاطفة المحبة الابوية الى ان هذه التغييرات يتعذر اقرارها . ولهذا يجب عليه ان يعنى بما استطاع من الرقة واللين بارجاع الاصوام القديمة وما سواها من العادات الحميدة

التي طالما عملت بها كنيسة الروم الكاثوليكية ولم ترفضها السدَّة الرسولية . اما اذا كان قد تطرَّق اليها بعض الخلل عن جهل البعض او عن سوء قصد منهم كما يزعم أفثيميوس المذكور فيجب ان يجتهد في تثقيف الجهلة وارجاع الضالين لان الخلل المذكور ليس من شأنه ان يسوّغ تبديل الطقوس المذكورة بل انما يفسح مجالاً للتلافي . ومن ثمة فعليه ان يجتهد مثلاً في الاستعاضة عن صب الماء السخن في الكأس باستعمال الآنية النظيفة وعن تلاوة القداس باستخدام ملابس لائقة في كل مكان وليعلم ان لا حاجة الى تبديلها في كل ذبيحة وان الاستحالة الجوهرية لا تتم باستدعاء الروح القدس بل بالفاظ التقديس وقس على ذلك

ثم طرحت بعض قضايا كانت جارية في تلك الاطراف وكان المطران أفثيميوس المذكور قد قدَّمها منذ سنة ١٧٢٢ وسنة ١٧٢٣ وهي كما يأتي :

١ً ان الروم يضعون يوم السبت المقدس مصباحاً وراء المذبح وبعد ان يتلو البطريرك او الاسقف بعض صلوات يلج الى قدس الاقداس فيشعل شمعة من ذلك المصباح ويقول للشعب ان ذلك نور الهي منبعث من قبر المسيح

٢ً ان من العادة ان يُقدَّس يوم خميس العشاء السيدي رغيف كبير (قربانة) من الخبز ثم يُحرق ويُسحق سحقاً ناعماً حتى يصير دقيقاً ثم يوزع بين الكهنة فيحفظه كل منهم بطريقة غير لائقة فيناولون منه المؤمنين في خلال السنة

٣ً انهم يعتقدون ان سر القربان المصنوع في يوم خميس العشاء السيدي المذكور أشرف منه مصنوعاً في سائر ايام السنة

٤ً وايضاً يعتقدون انه لا يسوغ تعدُّد القداديس في يوم واحد على مذبح واحد متوهمين ان ما يستخدم في القداس الاول من المذبح والكأس والبدلة وما سواها من الملابس المقدسة تنقض الصوم

٥ً انهم يحرمون ويرذلون القائلين بتقديس الخبز والخمر بقوة كلام التقديس

٦ً انهم في بدء الليتورجيا يضيفون الى الخبز اجزاء متعددة يسمونها Mérides ويلفظون كلام التقديس عليها جملة . ثم في آخر القداس يميزون جزءاً من

آخر . وهم يقولون هذا صار جسد المسيح . وهذا جسد العذرآء الكلية الطوبى . وتلك اجساد القديسين التي قُدمت تذكاراً لهم

٧ وايضاً يعتقدون أن الخبز والخمر يصيران بقوة كلام التقديس الى اقنوم الآب . وبقوة استدعاء الروح الى اقنوم الابن . وبقوة صب المآء السخن في الكاس الى اقنوم الروح القدس وهكذا يكمل السر

٨ وايضاً يعتقدون انه لا يجوز ان يتلى القداس في ايام الصوم الاربعيني الا يومي السبت والاحد

فكتب الجواب كما يأتي :

على الاول بانه يجب افهام المؤمنين ان معجزة النور هي اختراع المشاقين فلا تستحق شيئاً من الثقة والتصديق . وان الايمان الكاثوليكي المقدس لا يفتقر في اثبات صدقه وحقيقته الى المعجزات الباطلة والاكاذيب

وعلى الثاني والثالث بانه يجب ان يراعى ما أمر به اينوشنسيوس الرابع في رسالته الرسولية بشأن طقوس الروم المفتتحة Sub Cotholicoe عدد ٩ حيث يقول ما نصه « لا يدَّخروا القربان الذي تقدَّس يوم العشآء الرباني الى سنة بحجة المرضى ليناولوهم منه . على انه يجوز لهم ان يقدسوا جسد المسيح لاجل مناولة المرضى ويدَّخروه مدة خمسة عشر يوماً لا اكثر احترازاً من ان طول مدة حفظه ربما أفضى الى تغير أعراضه فيصير أقل صلاحية للتناول وان بقي دائماً على نفس صحته وقوته ولم يقوَ طول المدة على افنائه وملاشاته بالمرة » . وكذلك يجب ان يراعى تعليم البابا اكليمنضوس الثامن الصادر في ٣١ آب سنة ١٥٩٥ اذ جاء فيه ما نصه « يجب ان يجدَّد سر القربان الاقدس الذى يُدَّخر للمرضى كل ثمانية ايام او خمسة عشر يوماً على القليل (الى ان يقول) يجب نسخ العادة الذميمة عادة سحق أعراض سر القربان المقدس في يوم خميس العشآء الرباني او خلطها بالزيت المقدس واعادة طبخها او تجفيفها بطريقة أخرى ليحفظوها بعد ذلك » . وعليه فان كان هناك عادات أخرى ذميمة يجب نسخها بالكلية او كان ثمة سوء اعتقاد وجب تبصير المؤمنين به

وعلى الرابع بانه مستدرك بنا في تعليم المجمع المقدس الآنف الذكر الصادر في سادس شباط سنة ١٧١٦ . فعلى كيرلس المنتخب بطريركاً ان يعنى بجعل الاساقفة على نصب مذابح متعددة في مكان لائق او ان تقدس الكهنة معاً على مذبح واحد بحسب العادة. وعليه ايضاً ان يجتهد في نسخ الاعتقاد الكاذب بأن ليس لكاهن ان يستعمل الملابس والادوات المقدسة التي استخدمها كاهن آخر في اليوم نفسه دون ان يمسّ سلامة الصوم

وعلى الخامس بأنه مستدرك بنا في تعليم ٦ شباط سنة ١٧١٦ الآنف الذكر .

وعلى السادس والسابع بأنه يجب رعاية الطقس ونسخ الاعتقاد الباطل .

وعلى الثامن بأنه يجب رعاية طقس تلاوة القداس في زمن الصوم الاربعيني يومي السبت والاحد فقط كما حكم غير مرة مجمع السنتوفيش المقدس في ١٣ نيسان سنة ١٦٩٥

ويظهر من نصوص هذه الاحكام المختلفة ان منها ما هو مطابق لراي المطران وطلبه . ومنها ما هو بعكس ذلك مخالف له . ومن هذه الاحكام التي لم تكن مطابقة لطلب المطران ورأيه قد استأنف تلاميذه الطلب بالبحث عنها بعد موته . وبعد ما تحققت محاكم رومية ما فيها من الصواب والصحة عدّلت احكامها فيها فاباحت مثلاً اكل السمك في كل ايام الصيام والقطاعات واكل اللحم للرهبان واقامة قداسين في اليوم على مذبح واحد وغير ذلك كما هو معروف من الجميع بالاستعمال والعادة الجاري عليها الروم الكاثوليك دون غير الكاثوليك

﴿ الفصل السابع والاربعون ﴾

في الخلاف بين المطران والمرسلين الافرنج

تقدّم الكلام بان المطران افثيميوس قبل ان صار مطراناً كان على احسن حال من تمام الاتفاق والمحبة مع المرسلين الافرنج الذين كانوا مقيمين في دمشق او كانوا يتردّدون اليها من الفرنسيسكان والكبوشيين واليسوعيين . ولم يكن فيها باوائل القرن الثامن عشر من المرسلين سواهم . وقد اتوا اليها في منتصف القرن السابع عشر . وبالتالي كانوا باول عهدهم فيها بحاجة الى موالاة اكليروس طائفة الروم التي كانت حينئذٍ في دمشق اكثر عدداً واعز شأناً من سائر الطوائف النصرانية التي كانت لهذا السبب تحتاج ان تعيش بكنفها وبحماية بطريركها الانطاكي الذي لم يكن فيها رئيس كهنة سواه . ومن ثم كان افثيميوس وهو كاهن محترم في دمشق خير دليل لهؤلاء المرسلين الغرباء واكرم وسيط لهم عند الروم اذ كان يقرّب اليهم قلوب الاكليروس والشعب بكلامه الطيب بحقهم وحسن سلوكه معهم ومعاشرته لهم

وهكذا كان شانه مع المرسلين الذين وجدهم في صيدا حينما صار مطراناً لها وان كانوا احسن حالاً واعز شأناً حينئذٍ فيها مما كانوا في دمشق لانهم كانوا في صيدا بحماية قنصل ملك

فرنسا وتحت رايته المرفوعة فوق خان الافرنج الذي كان حمى حصيناً وحرماً لهم لا يباح الدخول اليه لرجال الحكومة مهما كان مقامهم ولو كان احدهم الباشا نائب السلطان . ونحن نعلم العلم اليقين من مراسلات هؤلاء المرسلين الى ذويهم في اوروبا ان المطران افثيميوس اباح لهم حرية العمل في كنيسته الكاتدرائية في صيدا وفي القرى المجاورة لها بالوعظ وسماع الاعتراف بلا قيد ولا شرط كانهم في كنيستهم الخاصة في خان الافرنج لحسن ثقته بصلاحهم وتقواهم . وبقي معهم على هذه الحال الى آخر ايامه

ولكن في اخر الامر اذ وجدوا نفوسهم بمقام جليل عند الروم الكاثوليك على ما هم عليه من عزة النفس المعهودة فيهم لما كانوا يرون من فضلهم وسعة معارفهم غرّ كثيرين منهم هذا الاعتبار حتى صار الواحد منهم يعدُّ نفسه اوفر عقلاً واوسع علماً واكثر خبرة بامور الشرقيين وسننهم وتقاليدهم وطقوسهم الخاصة من مطارنتهم ولم يكن يحاشي منهم المطران قفة العلم . وربما اغراهم بذلك ما كانوا يرون من الخلاف البارز بين طوائف الشرقيين في عاداتهم وعقائدهم وطقوسهم حتى دخلت عدوى الخلاف والنزاع الى المرسلين وصارت كل طغمة او جمعية رهبانية تخالف صاحبتها وتنافسها فكان اليسوعي منهم ضد الفرنسيسكاني والكبوشي وكذلك بالتبادل كان الفرنسيسكاني ضد اليسوعي والكبوشي كانه خصمه اذ كانت كل رهبانية منهم مستقلة بامرها واعمالها

وتدبير افرادها لا يخضع احدهم الا لرئيسه الخاص . ولم يكونوا يراعون في اعمالهم ورسالتهم الا صالح رهبانيتهم غالباً اذ لم يكن لهم حينئذٍ رئيس عام في الشرق يخضعون كلهم لامره كما يجري الحال اليوم بوجود القاصد الرسولي الذي يرجعون كلهم اليه بما انه ممثل الكرسي الروماني مصدر كل سلطة في الكنيسة الكاثوليكية ومركز وحدتها الجوهرية على ما هو معلوم

وقد بدا هذا اللغط بانتقاد ما فعل المطران افيثميوس بالغاء وابطال بعض العادات القديمة الباطلة بقصد اصلاحها اولاً من قبل الرهبان الفرنسيسكان محاباة او تحزباً للبطريرك اثناسيوس الدباس الذي كان من اول امره موالياً لهم حتى كانوا يعدونه صنيعتهم ولذلك كانوا دائماً لا يذكرونه الا بالخير في رومية وفي كل البلاد الشرقية اذ يعود ذلك عليهم بالفخر الجزيل لانهم يعتبرونه تلميذهم . وقد زاد هذا اللغط وفشا بين المرسلين والروم الذين كان لهم علاقة معهم بعد شيوع رسالة بطاركة اليونان ضد المطران في البطركية الانطاكية بمواطئة البطريرك اثناسيوس الدباس على ذلك بمخاتلة قبيحة بارزة لا تليق باحبار الكنيسة . فاتخذ المرسلون حينئذٍ موقفاً واضحاً ضد المطران مجاراة للبطريرك واشياعه المتعصبين للعادات والتقاليد القديمة ولسلوك حالهم معهم فصار احبار المطران يتخذون كلام المرسلين بحقه كانه صادر من رومية وقلّ اعتباره عند ذويه وفتّ من عضده فاضطره الحال ان

يشكو بحقٍ عن مرارة نفس الى رومية من سلوك هؤلاء المرسلين الذين انقلبوا عليه واخذوا على نفوسهم مقاومته ومخالفته بشان ما يريد اصلاحه . وجلّ ما يشكو منه انهم كانوا يفرّقون ما جمعه الله على يده الى كنيسته الواحدة الكاثوليكية كما يظهر ذلك جلياً من رسائله التي كتبها بهذا الشأن الى الحبر الاعظم ومجمع انتشار الايمان وقد نشرنا بعضها فيما سلف ونورد منها الرسالة التالية في هذا الفصل . وهو لا يلتمس من الكرسي الرسولي قصاصهم وانما يطلب منه ان يمنعهم ان يعلّموا في ابرشيته تعليماً مخالفاً لتعليمه لكونه مقلداً رعاية ابرشيته من قبل الكنيسة الكاثوليكية وهو رئيس كهنتها فليس لاحد من الكهنة المرسلين حق بان يخالفه بتعليمه فيها ما لم يثبت عليه انه يخادع الكنيسة الكاثوليكية او يغشها وهو لذلك يلتمس الفحص المدقق لهذه القضايا التي يريد اصلاح ما فيها من الضرر لنفوس رعيته وابرشيته مما كان يعتبر انه علامة الشقاق والخلاف .

رسالة الى مجمع انتشار الايمان

نخبر نيافتكم بان نعمة الله حلت في هذه البلاد وجدّدت الكنيسة المقدسة التي من هذا القدر زمان قد استحوذ عليها الجهل والعناد حتى لما صرت بنعمة المسيح مطران صور وصيدا ما كان يوجد في كل بلاد الشرق عشرة كاثوليكيين على الايمان الكاثوليكي مع انه كان في هذه البلاد رهبان مرسلون وما كان يطلع من يدهم شيء . ومن خوفهم ما كانوا يسترجوا ان يكلموا احداً في طريقة الايمان . وطريقة الله كانت مسدودة عن طريق معرفة الامانة . ولما انعم الله علي بالغيرة

تجرّدت بساعد العزم وقدّمت ذاتي ومالي ورجالي في مجاهرة الايمان المقدس وخالفت بطاركة ومطارنة معاندين للكنيسة المقدسة . وعديت (تجاوزت) عن (كل) مكسب دنياني وجاهرت مجاهرة كلية . وسلكت طريقة المرسلين في الكرز والانذار ونقّيت بنعمة المسيح كنيسة الشرق من جميع زوان الاراطقة الذي دخل عليها . وبسبب رفع زوان الاراطقة نما الايمان في هذه البلاد حتى صار ما ينيف عن عشرين الف نفس كاثوليكية . ومع ذلك تصدقوا الغشّاشين علينا . مع ان لنا واحداً واربعين سنة في المطرانية ما غشينا المجمع المقدس بدقيقة . وانما قصدنا هدم بنيان الاراطقة واقامة حقائق دين الله . فنحن يا ساداتنا لسبب توبيخنا بعض المرسلين على بعض اشياء كانت تسد طرق الله كتبوا الى سيادتكم ينهوا اليكم بخلاف الواقع حتى يخربوا ما بناه المسيح في هذه البلاد (على يدنا) ويرموا الاضطراب والشكوك لان قصدهم ليس فيما ينفع المسيح . بل قصدهم نفع ذواتهم وسلوك حالهم معهم لان رهبنة مع رهبنة ما تتفق حتى الذين من فرد رهبنة منفسخين على ذواتهم وكل واحد رأيه شكل حتى انهم حطوا سجس عظيم . والمؤمنون الذين في ديرة الشرق وقعوا في بلبلة وما عادوا يعرفوا لمن يتبعوا . وانتم اخبر منا فيهم . فلو شرحنا لكم كل شيء لكنتم تتعجبوا . لكن قصدنا اعلام سيادتكم بالاختصار عن ذلك حتى يكون الذي عندنا عندكم

فقد ورد الى هذا الجانب امر من نيافتكم بان اولاد هذه البلاد الذين صاروا كاثوليك ان يتمسكوا في عوائدهم الحميدة . فهذا حق يا سادتي بان جميع العوائد المرتبة من القديسين الروم ومن كنيسة الروم قبل الانشقاق فهذه مسطرة عندنا في كتب قديمة ونحن سالكين بها . واما العوائد المحدثة من بعد الانشقاق لتثبيت الانشقاق فهذا باجابتكم (باذنكم) لا يسوغ لنا اتباعها لانها علامة ظاهرة تفصل الكاثوليكي عن الارطوقي . وان تمسكنا بها تعلمنا بارطقاتهم وتصير الضلالة الاخيرة اشر من الاولى

ونحن عندنا صورة فرمانكم الذي ارسلتموه الى حلب بان لا يسوغ للكاثوليكيين ان يخالطوا الاراطقة لا في سماع قداديسهم ولا في اتباع عوائدهم الردية التي تسبب الانشقاق . ونحن على ذلك سلكنا . وانتم على قدر ما ينهوا اليكم المرسلون الغشماء بعوائدنا وطقوسنا تعطوهم على قدر مرادهم . ونحن وقعنا في حيرة ان سلكنا على ما في ناموسنا وكتبنا القديمة يغلطونا . وان تمسكنا في عوائد الاراطقة المشاقين تذمونا . فالمرجو من نيافتكم اما ان تركنوا الينا وتقلدونا (الامر) حسب ذمتنا بان نسلك فيما تقتضيه الذمة وهو مسطر عندنا . واما ان ترسلوا واحداً من قبلكم يكون صاحب ذمة ومعرفة وخالي من الغرض لكي يفحص ويفرق الصالح من الطالح ويخبر نيافتكم لكي ترتفع الآرآء المغشوشة وتسلك العوائد المقدسة التي بها يرضى الله ويتمجّد اسمه القدوس ويرتفع شان الايمان الكاثوليكي المقدس .

هذا ما انهيناه لنيافتكم مما تقتضيه ذمتنا في الواجب علينا من بعد تقديم الطاعة والخضوع لمجمعكم المقدس مقبلًا برفيركم المقدس .

عبدكم الحقير افثيميوس

مسطر في ٢٥ تشرين سنة ١٧٢٢ رئيس اساقفة صور وصيدا .

﴿ الفصل الثامن والاربعون ﴾

تفاقم الخلاف والبلاء على المطرانة

كان البطريرك اثناسيوس في بلاد الفلاخ حينما بلغه خبر موت البطريرك كيرلس في دمشق اذ دعي اليها ليستلم البطركية مكانه باسرع ما يكون كما كان قد وقع الاتفاق على ذلك بعد النزاع الطويل عليها كما تقدم الكلام . فلبى اثناسيوس الدعوة بسرعة وبلغ دمشق اوائل شهر آب سنة ١٧٢٠ . وقد جعل طريقه على القسطنطينية وليس له غير هذه الطريق الى حلب ودمشق . ولا بد ان يكون قد قابل البطريرك القسطنطيني وبعض مطارنته مع بطريرك اورشليم الذي كان يقيم هناك وجرى الحديث معه على احوال البطريركية الانطاكية ورغبوا اليه ان يظهر غيرته في سبيل الارثوذكسية مع شيء من التشديد والتهديد له ولكل من يروم الخروج على رؤسائها واتباع الكنيسة الباباوية كما انه لابد ان يكون قد وعدهم وعداً جميلاً ببذل جهده في سبيل ذلك . ولعله كان يضمر في نفسه ويحاول ان يجمع بدهائه وحسن سياسته نظير السابق بين الاتحاد والشقاق في البطركية الانطاكية ولو بالظاهر بتركه الامور تجري في اعنتها الى حين . لكن فاته الامر بان المحاباة في الدين لا تستقيم طويلاً . ولا بد ان يفتضح الرياء

وصاحبه اذ كان بمقامه السامي بالبطركية عرضة لكل ناظر ناقد من افراد الفريقين المتخاصمين . ولا بد ان ينقطع الحبل المعقود الطرفين اذا اشتد النزاع عليه . وما اشد النزاع على البطركية في الكنيسة الشرقية .

وبعد ما استولى اثناسيوس على البطركية وتمكن قدمه في دمشق رام ان يقوم بما تعهّد به الى بطاركة الروم في القسطنطينية لكنه رأى نفسه انه لا يتم له ذلك ولا يستطيع ان يقوم به ما دام على رأس الروم الكاثوليك المطران افثيميوس الذي يعرفه حق المعرفة بانه لا يخشى في الدين لومة انسان مهما كان مقامه كما انه لا يجهل قدر علو منزلته في دمشق وفي اكثر ابرشيات البطركية الانطاكية . ويعلم ايضاً انه لايقوى عليه ان رام المجاهرة له بالعداوة بل يخاف ان تعود عداوته له وبالاً عليه . ومن ثم حاول ان يخفض شأنه اولاً في رومية لدى الحبر الاعظم وبجمع انتشار الايمان ثم لدى المرسلين والروم الكاثوليك بان يظهره لهم بكثرة شكاويه ضده بانه خارج عليه وعلى سنن الكنيسة الشرقية وقوانينها وطقوسها وانه يريد ابطالها وملاشتها وهي اعظم ما يفتخر به الروم على سواهم . وهو يظن انه متى تم له ذلك قطع المطران عن الاتصال برومية والمرسلين والروم الكاثوليك وقطع الكلام عليه ثم هان عليه بعد ذلك امره وامر تلاميذه واتباعه الروم الكاثوليك وسهل عليه ان يجعلهم طوع ارادته اذ لا يستطيعون مخالفته في شيء .

ومن ثم كتب منذ وصوله الى دمشق الى مجمع انتشار الايمان رسالة كلها شكاوي بحق المطران بقضايا شتى منها طقسية ومنها مالية ومنها ما هو افتراء محض . وهو يجعل نفسه في هذه الرسالة كما ترى لا بمقام المشتكي بل بمقام الناصح والوسيط بين المطران وبطاركة الروم اليونان وانه لا يقصد بذلك الا سلوك الحال معهم حتى لا يضروا الايمان الكاثوليكي ولا اصحابه الروم الكاثوليك . وهذا نص الرسالة المشار اليها نقلاً عن سجلات مجمع انتشار الايمان

بعد تزايد المحبة لاخوتكم نعرفكم عرفكم الله خيراً ان قبل تاريخه حضرنا الى محروسة دمشق ونحن بغاية الصحة والعافية . نشكر الله تعالى . لكن وجدنا الشعب متبلبل من امور كثيرة صدرت من اخينا كير افثيميوس مطران صيدا وصار مضرات وفتن لانه خرق العوائد التي هي مقبولة وممدوحة من اول الزمان وبالمجمع الثامن . والشعب جميعه يصعب عليه ابطال عوائد الكنيسة كما تفهم اخوتكم لانه اولاً ابطل الزاون . ثانياً امر باكل السمك في الصوم الكبير . ثالثاً امر الرهبان باكل اللحم[1] . وهو ايضاً ياكل اللحم مجاهرة قدام الامم الغريبة[2] . فهذه الاشياء سبّبت شكوك وفتن وعوّقت كثيرين عن جوهر الايمان (كذا) .

ثم انه امر[3] بابطال قداس البروجيازمانا في الصوم الكبير وعمل قداس يوحنا فم الذهب ضد عوائد الروم . ووقع اليوم الذي قدس قداس يوحنا في الشام فتنة

---

(١) سمح به سماحاً ولم يأمر به حتماً

(٢) هذا افتراء لا اصل له فيما نعلم

(٣) لم يأمر بذلك غير انه قدس مرة في عيد الاربعين شهيداً في دمشق فهاج عليه بعضهم

كبيرة وصلت الى الحكام وراح خسارة دراهم الى المسيحيين

ثم انه في انتقال اخونا المرحوم البطريرك كيرلس حصل مضرة في مخلفاته . وسببه ان اخونا المطران كان مراده اخذ البطريركية بقوة الحاكم (عثمان باشا ابو طوق) لانه كان محبه . واراد ان يوقف بطريركاً غصب عن الرعية . فما ارادت الرعية فلزم الامر ان ارضوا خاطر الحاكم في مبلغ دراهم فائدة حتى صدّوا المطران عن البطريركية . وسبب قلة اراداتهم له خرقه العوائد . وكان قبله جاءه استاطيكون (اعلام) من بطريرك القسطنطينية وبطريرك اورشليم بالرباط وحرومات واخرجوا فرمان فيه . فنحن بنعمة الله اكراماً للمحبة الاخوية ولكونه ابن الكنيسة ما نريد اهانته . وبذلنا مجهودنا لكي نصلح بينهم [1] . وان شاء الله تعالى ببركة دعاكم يصير كل خير . لكن اخونا المطران يزيد الامور ومن طلب الزيادة وقع بالنقصان . ونحن في بلاد اسلام ما نقدر نفعل كل شي نريده . فمرادنا منه المداراة حتى نتم سالكين .

ثم نعرف اخوتكم ان اخونا المطران له ثمانية وثلاثون سنة لم يدفع الى البطريرك المرحوم كيرلس نورية . وما كفاه ذلك . بل انه قال ان (البطريرك كيرلس) عند ما شرطنه مطراناً اخذ منه خمسماية قرش اعطوني اياها من مخلفاته فبعد الجهد حتى رضى منهم بماية ذهب بندقلي وستة عشر كتاباً كنائسية وبعض اشياء ما يجب ذكرها . فمرادنا يا اخوتنا ان تنظروا هذا الشي هل هو موافق . ونحن بواسطة فعله هذا تعطل علينا الابرشية . وبقية المطارنة يعصوا في نورياتهم . فهذا غير صالح . ولا نظن ان اخوتكم ترضى به .

فنرجو من اخوتكم ان ترسلوا له من عندكم مكتوب وتذكروا له بان يسكت عن الكلام الذي ما يقع منه منفعة بل مضرة لان قبل تاريخه كان مطران ارمن في حلب كاثوليكي كان كثير الحكي حكم اخونا المطران

---

(١) يا حبذا لو صدق بل بعكس ذلك وافقهم على اضطهاده

افثيميوس . ففي تاريخه ارسلوا له امر السلطان مع قبجي وانفوه الى جزيرة رواد[1] واخذوا خمسة انفار ارمن منهم قسوس وعلمانيين الى القسطنطينية ، بكل اهانة ولم يقدر احد ان يخلصهم . ونحن نخاف على المطران من بطريرك القسطنطينية وبطريرك اورشليم لئلا بعاداته لهم يحصل له اهانة . فالمأمول من اخوتكم تدبير هذه الامور بما يقتضي رأيكم السعيد لكي يحصل الخير للجميع .

ثم نعرف اخوتكم بان في دخولنا الى دمشق امرنا الخوري سارافيم ان يتوجه لعند خاله المطران يتكلم معه لكي يصلح اموره مع البطاركة . وكل جهدنا حتى نحسم مواد الشرور لانه قوي مقرطين (مضيقين ومشددين) علينا ان لا نصرّف احداً من تلاميذ مطران صيدا (رهبان دير المخلص) فخفنا ان نبقي سارافيم ونصرّفه يحصل الضرر له ولنا من البطاركة ويصير انقطاع خير زائد في جوهر الايمان . ونحن كل جهدنا وسعينا لكي نرفع شأن الكنيسة المقدسة . والله الشاهد ما لنا غير هذه النية . فقصدنا اعلام محبتكم بذلك حتى تكونوا مساعدين لنا بهذه الامور ودمتم في حفظ الله تعالى . ونرجو من اخوتكم ان تذكروا للمطران في مكتوبكم ان يدفع النورية كما هو ملزوم المطران لبطركه كما تفيدون . ولا زلتم في امن الله وحفظه . اخوكم بالمسيح

سطر في سنة ١٧٢٠ اثناسيوس
البطريرك الانطاكي

---

(١) المراد به المطران ابرهيم ارزيفيان . ولد في عين ناب سنة ١٦٧٩ وارتسم كاهناً سنة ١٧٠٦ من يد بطرك سيس بطرس بساغ . ثم رسمه مطرانًا لحلب سنة ١٧١٠ فاخذ المطران ينشر الايمان الكاثوليكي بنشاط حتى اغاظ نجاحه بطريرك الارمن المقيم في القسطنطينية فسعى ونال فرمان بنفيه الى جزيرة رواد سنة ١٧٢٠ فاعانه الله حتى فر من منفاه الى لبنان واقام في كسروان . واذ كثر حواليه تلاميذه انشأ لهم ديرا على اسم المخلص في قرية غوسطا . وسنة ١٧٤٠ انتخب بطريركًا على سيس . وكان على ولاء مع المطران افثيميوس وتلاميذه . وقد اشترك برسامة القس جبرائيل فينان مطرانًا على بانياس في كنيسة دير المخلص في ٢ شباط سنة ١٧٢٤

على ان المطران افثيميوس عرف حالاً وتحقَّق ان البطريرك اثناسيوس ازداد جرأة بعد توليه عرش البطركية مستقلاً بامرها اذ صار يجاهر باقواله او اعماله او سلوكه باتباع بطاركة الروم اليونان بشقاقهم بدون حياء ولا خوف من احد . وانه صار كذلك موافقاً لهم على خفض شأن المطران وعزله عن كرسيه وحرمه ونزع حياته بسيف السلطان او الفرمان وان كان يعتذر عن ذلك الى اكابر الكاثوليك بقوله انه يفعل ذلك مسايرة لبطاركة اليونان من باب حسن السياسة وانه في بلاد الاسلام لا يستطيع ان يجاهر امام الملا باتباع البابا ودين الافرنج خوفاً من ان بطاركة القسطنطينية اليونان واعيانهم يسعون به الى السلطان ورجال الدولة فيكون البلاء عليه وعلى رعيته عظيماً وجسيماً .

وهو مع ذلك يتهم المطران بانه يتجاوز الحد باتباع البابا بزيادة افراط لا خير فيها بل تضره وتضر الايمان الكاثوليكي وكل الروم الكاثوليك اذ تثير غضب بطاركة الروم واعيانهم ضده لسبب ابطاله وملاشاته طقوس كنيسة الروم .

ويتحقَّق هذا للقاري النجيب مما تقدم ذكره في سياق هذا التاريخ وبما جاء في رسالة من المطران افتيميوس الى مجمع انتشار الايمان التي نجتزيء منها بما له شان بالبطريرك اثناسيوس قال

وان سألتم عن البطريرك اثناسيوس فانه بسبب بغضته لنا لاجل اننا ما نوافقه على العوائد التي احدثها اولاد القسطنطينية من بعد الافتراق بزمان خصوصاً لاني في الابتدآء ظننت انه قريب من الكاثوليكيين فارسلت لمته على اباحته الطلاق لانه طلّق ثلاث نساء من رجالهم في الشام وازوجهم غيرهم. ولذلك زادت بغضته لنا . ولعمري ليس هذا عاراً عليه لانه مثل أجير الكري أخذ من رهبان القدس ستة عشر كيساً حتى صادق الكرسي الروماني ولنا لما وقف بطريركاً اول مرة

واما انا عبدكم الذي اضعت حياتي في الاحزان والاضطهادات وخسارة الرزق ومخاطرة الدم فكل ما استنار مكان من تعليمنا يرسل يخربه علينا في مكاتيبه التي فيها يحرم ويلعن كل من يقبل تعليمنا او احد تلاميذنا . لكن في بركة مجمعكم المقدس وامانتكم التي نحن بها واثقين هو من النادمين الخاسرين دنيا وآخرة. لان مخاتلته انكشفت في بلاد العرب اجمع عند الكاثوليك والمشاقين. واما حقارتنا فنتوسل الى نيافتكم بان تكونوا راضين علينا وهو مكسبنا وغنيمتنا رضاكم حتى بموافقة نيتنا لنيتكم يزيدنا المسيح نعمة ورحمة ودمتم في امان الله وحفظه الذي يليق له السبح الى دهر الداهرين . افثيميوس مطران صور وصيدا وعكا

سطر في ٢٠ ايار سنة ١٧٢٢

ابن الكنيسة الرومانية

﴿ الفصل التاسع والاربعون ﴾

اشتداد الاضطهاد على المطران

ما اكتفى بطاركة الروم اليونان بما تقدّم ذكره ضد المطران افثيميوس . بل انهم استدعوا الى القسطنطينية البطريرك اثناسيوس سنة ١٧٢٢ وعقدوا معه مجمعاً من مطارنتهم الذين يقيمون عادة في القسطنطينية واوجبوا عليه ان يمضي معهم رسالة مطولة انفذوها الى ابرشيات البطريركية الانطاكية بعد ان نقلوها الى اللسان العربي . حاولوا ان يوضحوا في هذه الرسالة صحة قضايا الخلاف الخمس المعروفة على مذهب الروم ضد معتقد الكنيسة الكاثوليكية على ما هو معروف في كتب الجدل بشأن هذه القضايا . وهي مؤرخة سنة ١٧٢٣ وقد امضاها اولاً ارميا بطريرك القسطنطينية ثم اثناسيوس بطريرك انطاكية ثم خريسندوس بطريرك اورشليم ثم سبع مطارنة من ابرشية القسطنطينية فقط .

---

(١) كان عندي نسخة من هذه الرسالة انتقلت الى مكتبة المرحوم البطريرك غريغوريوس حداد . ولا اعلم اين تكون اليوم . وقد امضاها من المطارنة الذين امضوا سنة ١٧١٨ رسالة البطريرك ارميا ضد المطران افثيميوس ثلاثة فقط وهم افكستيوس مطران كيزيكو وبائيسيوس مطران نيكوميدية وجراسيموس مطران نيقية . وقد خلت من امضاوات بطاركة القسطنطينية المعزولين كما انها خلت ايضاً من امضاء بطريرك الاسكندرية

ولا يخفى ان قد قام حينئذ الشماس عبدالله زاخر الحلبي العالم المشهور ونقض كل ما جاء في هذه الرسالة من الادلة الواهية وفسّر على حقيقة المعنى ما ذكروا فيها من ايات الكتاب المقدس واقوال الآباء القديسين كما يوجب العقل السليم . ثم اختصر تأليفه هذا في كتاب صغير دعاه مختصر التفنيد للمجمع العنيد طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٦٥

في مكتبة دير المخلص نسختان من كتاب مخطوط عنوانه الحصن العظيم مقابل المجمع الاثيم في نحو ٤٠٠ صفحة من قياس هذه الرسالة يتضمّن تفنيداً تاماً لرسالة هذا المجمع بعبارة عربية صحيحة . الا انه لم يذكر فيه اسم مؤلفه . ويظن البعض انه بقلم الخوري نقولا الصائغ وقد اخفى اسمه خوفاً من اضرار بطاركة اليونان له بسبب ذلك . وفي مقدمته يذكر ان المجمع انعقد سنة ١٧٢٣ (١)

وقد سعى حينئذٍ بطاركة اليونان بمواطئة البطريرك اثناسيوس الدباس ونالوا ثلاث فرمانات سلطانية الاول بنفي المطران افثيميوس الى مدينة ادنة من بر الاناضول والثاني بان تسلم مطرانية صور وصيدا ودير المخلص الى المطران اليوناني

---

(١) ذكر المرحوم الاب لويس شيخو في كتابه المخطوطات العربية صفحة ١٠٨ ان هذا المجمع انعقد سنة ١٧١٨ . وفي مختصر تاريخ الطائفة انه كان سنة ١٧٢٧ والصحيح انه انعقد سنة ١٧٢٣ كما جاء في النص اعلاه وفي تاريخ رسالة المجمع المذكور المشار اليها في النص وفي كتاب الحصن العظيم

والفرمان الثالث منها بنفي بعض الكهنة مع نخبة من اعيان الروم الكاثوليك من صيدا وعكا، ودمشق . وجدير بالقاري، النجيب ان لا يستغرب صدور هذا الامر من بطاركة الروم بعد وقوفه على رسالتهم السابق ايرادها بما فيها من الحرومات واللعنات بحق المطران مما هو لا محالة نتيجة تعصب اعمى وبغضة دينية . هي بدون شك شر العدآء اذ تفسد الدين على اصحابه وتنزع من نفوسهم كل محمدة انسانية وتحملهم على ظلم اخوانهم والتعدي عليهم بأعزّ ما لهم في هذه الدنيا والآخرة وهو حياتهم وحريتهم الدينية فيما يعتقدون بحق الله تعالى . وجدير بنا ان نعلم بان ما فعلوه بحق المطران وتلاميذه واتباعه من الروم الكاثوليك فعلوه ايضاً بحق البلغار ومطارنتهم حينما ارادوا سنة ١٨٧٠ الاستقلال بادارة كنائسهم واديرتهم واوقافها . فكم من الحرومات والمظالم اوقعوها حينئذٍ بهم وبمطارنتهم و كهنتهم مع انهم كانوا مثلهم على ارثوذكسيتهم التي كانوا عليها هم والروس .

ويحسن بنا ان نورد هنا قسماً من رسالة كتبها المطران في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٢٢ وارسلها الى مجمع انتشار الايمان يخبره فيها بالاضطهاد الواقع عليه من بطار كة الروم بموافقة اثناسيوس الدباس . وقد نشرنا سابقاً قسماً من هذه الرسالة في الفصل الاربعين بما يخص الاضطهاد الذي جرى على الروم الكاثوليك في عكا .

واما من جهة رسل الكنيسة المقدسة فان البادري منصور (الكبوشي) في صيدا اشاع بين رعيتنا بان حرم البطريرك اثناسيوس جاثر علينا حتى البعض من النصارى الذين عندنا وكانوا متزعزعين لما سمعوا قوله صاروا يقاتلونا بسلاح البادري المذكور . ومن هذه الفتنة التي صارت من كلام المذكور هربت من الرعية (مدة) ثلاثة اشهر الى الجبال . وما رجعت حتى باشا البلد شفق عليّ وبعث طلبني . ولما حضرت الى صيدا ما ذكرت لاحد الخطية التي صدرت منه . بل اخذنا الجميع بالمسالمة والسماح . . .

وقد صار عليّ الاضطهاد من كل جانب وانا بنعمة يسوع ما انا هارب منه . بل مقيم به لكوني من اول حياتي الى الآن انا مضطهد من بطاركة الروم ورؤسائها ما عدا الامم الغربية . وما احد عمل علي اضطهاد مخلوط بعناد (بخبث) مثل حضرة البطريرك اثناسيوس الذي يسمي روحه كاثوليكي (لكن) بالاسم لا بالحقيقة . وبالحيلة والمكر يغش عقول بعض بادرية سدج غشماء في عوائدنا الصالحة والطالحة . وصاروا يشهدوا الى العوائد الطالحة كأنها صالحة . وانا بنعمة المسيح ما غيّرت شيئاً الا الذي هو (لاجل) هدم كفر المعاندين . واما العوائد الصالحة التي من آباء كنيستنا فانا مقيم عليها . ومن (اجل) هذه الغيرة والرغبة يشملنا الاضطهاد من المعاندين (ضد) الحق . ومن (اجل) هذا صار اكثر البلاد يقيموا اسم البابا في كنائسهم من غير خوف ولا جزع .

ويكون معلوماً في حفظ محبتكم انه بنعمة المسيح صار علينا الطلب لاجل الكرز والانذار في كل هذه البلاد . والدليل على ذلك انه واصل لكم مكتوب الخوري الذي هو من بلاد العرب[1] . وهم طالبين من بعض تلاميذنا لكي يوضحوا لهم حقائق الايمان لكون خميرة التعليم امتدت الى قلوب الجميع . . .

---

(١) الاشارة الى مكتوب خوري حوران المنشور في الفصل الحادي والاربعين .

ثم كتب رسالة بهذا الشأن بتاريخ ٢٣ كانون الثاني سنة ١٧٢٣ الى رئيس مجمع انتشار الايمان الكردينال (Sacripanti) ألحقها بالرسالة السابق ايرادها في الفصل السابع والاربعين . ويطلب الاذن منه لرسامة اساقفة من تلاميذه بمعاونة خوارنة اذا لم يتيسر له مطارنة من تلاميذه . وهذا نصها .

نخبر نيافتكم بانه من بعد ما كتبنا لكم جواب مكتوبكم بثانية ايام تواردت مكاتيب حضرة البطريرك اثناسيوس لكافة بلادنا الى المدن والقرايا مخبراً لهم بقوله انه وهب الى بطريرك القدس مطرانية صيدا وابرشيتنا وديرنا الذين انشيناه ليكونوا في تصرفه ونحن ينفونا . ومن هذه الاخبار حصل للكاثوليك حزن عظيم جداً لاجل انه ليس يوجد غيرنا في بلادنا كلها رئيس كهنة كاثوليكي حتى يلتجيوا اليه في دينهم وديانتهم . ونحن الآن صرنا في سن الشيخوخة وتراكمت علينا الامراض وضعفت قوانا . ومع ذلك بطرك القدس وبطرك الشام مرادهم ينفونا ويقيموا مكاننا مطراناً من قبلهم على هواهم ومذهبهم . ونحن لنا مقدار سنة بهذا الفكر وهو ان نقيم روساء كهنة في ابرشيتنا على حياتنا لكي يكونوا خلفاءنا في الدين الكاثوليكي . وما قدرنا نرسم احداً لاننا ارسلنا طلبنا مطارنة من طائفتنا لكي يحضروا لعندنا يرسموا معنا فأبوا الحضور خوفاً من (البطريرك) اثناسيوس .

وان جينا احداً من مطارنة اخوتنا الموارنة لكي يرسموا معنا اساقفة يصير لاثناسيوس علينا درب ليقول ان مطران صيدا قصده ونيته ان يعمل طائفته موارنة .

وان كنا نأخذ خوارنة رؤساء ابرشيات نوضعهم معنا في الرسامة مكان

الاساقفة نخاف من ملامتكم . ولاجل هذه الاسباب صرنا بوجل عظيم خوفاً من حكم الباري علينا بالانتقال من هذه الدنيا قبلما نكون اقمنا في مكاننا احداً من تلاميذنا . ويكون محققاً عندكم انه اذا اقمنا في ابرشيتنا واراضينا عشرة رؤساء كهنة (يمكن) ان يعيشوا في الامن والامان ونصرة الدين الكاثوليكي . ونحن بما انكم ساداتنا وجب علينا ان نفهمكم مقصودنا بانه اذا ألم بنا ضرر عظيم وضاق بنا الزمان وما قدرنا نلزم احداً من مطارنة طائفتنا في الرسامة معنا للاساقفة كما اخبرناكم سوف نقيم مكانهم خوارنة رؤساء ابرشيات ونرسم اساقفة لكي يكونوا خلفاءنا ونصرة للدين الكاثوليكي لئلا ينهدم ما بنيناه . يكون ذلك معلومكم . فالمراد من نيافتكم تمدونا ببركتكم وصلواتكم .

عبدكم افثيميوس
مطران صور وصيدا
ابن البيعة الرومانية

سطر في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٧٢٣

والرسالة التالية من المطران مصدَّرة بعتاب يدل على شدة مرارة نفسه اذ يشكو الى رئيس مجمع انتشار الايمان اهمال رومية لاجابة مطاليبه والجواب على مكاتيبه. ثم يخبره بعد ذلك بما يقاسيه من اضطهاد بطاركة الروم لاجل انضوائه الى كنيسة رومية بايمانها وبطاعته لراسها الحبر الروماني كما انه يشكو من موافقة المرسلين لاخصامه ضده بدون قصد او بجهل يعذرهم عليه . ولا يريد قصاصاً لهم عن ذلك . وهذا نصها :

المعروض لنيافتكم بان من هل القدر زمان لم نظرنا من عندكم مكتوب جعل المانع خيراً . ونحن ارسلنا لكم كم مكتوب ولم جانا جواب . هل ذلك حقارة بحقنا ؟ ما نعرف . (او) ما جينا في بالكم ما نعرف . لكن ولو نسيتمونا نحن ما ننساكم .

كنا اخبرنا نيافتكم بما جرى في هذا الطرف ولم جانا جواب الا الجواب الذي قصدتم اصلاح بلاد الشرق في رد الكاثوليكيين الى عوائد الروم الوخيمة التي سببت شراً عظيماً عند الاراطقة ضد الكاثوليكيين . ونحن شرحنا هذا مفصلاً في مكتوب المجمع ان شآء الله تقفوا عليه (وانتم) بخير وتعرفوا نيتنا الصالحة ونية غيرنا الخبيثة التي صدقتموها على كلامنا .

ومن المعلوم عند نيافتكم بان لي في المطرانية واحدة واربعين سنة وبنعمة الله ما زعزعتني عن ايمان الكنيسة المقدسة لا الخسائر ولا الضرر ولا النفي ولا التهديد بالقتل . بل (انا) ثابت بنعمة الله الى اخر حياتي على ايمان الكنيسة المقدسة الذي عليه احيى واموت . لكن اتعجب من نيافتكم كيف تصدقوا الغيوم التي تكذبها الرياح التي لا ماء فيها الذين هم ساعة مع الله وساعة مع الشيطان . هل غركم كلام الزور بقولهم يصير فتن وقلاقل . وهذا الكلام يكون معلوم نيافتكم مبني على رمل غير ثابت لانه غير ممكن الذي عرف الله ان يرجع الى خلف .

المرجو من نيافتكم لا تخرجونا من خاطركم العالي لان رجانا في الله وفيكم .

ثم نخبركم من جهة بطرك الشام (اثناسيوس) بانه عمل علينا مجمع في اسلامبول مع بطاركة الروم وارسل يعامل في نفينا من صيدا الى ادنه[1] .

---

(١) ادنة مدينة قديمة من كليكية كان فيها لذلك العهد من السكان نحو عشرة الاف نفس من اليونان والاتراك والارمن وكانوا يدعونها خالية في فصل الصيف من شدة الحر وفساد الهواء

وارسل مطران روم هرطوقي يحطه عوضنا . لكن قوة الايمان (ساعدتنا) ولو انهم حطونا ثلاثة اشهر في القلعة محبوسين[1] . والمطران الهرطوقي ما قدر يمد يده في رعيتي مع ان معه من البطرك ثلاثة فرمانات سلطانية . وجميع هذه الامور حاكم البلاد ما نفذها ولا خلى احداً غيرنا يضبط موضعنا حتى ارسل الى اسلامبول وجاب لنا عفونامه وطالعنا من القلعة وحطنا في كرسيتا ورذل (رفض) الارطوقي . فهذه علامة قوة الله وقوة ايمان الكنيسة . وانا بهذا الرجاء لا اخاف من احد لان الله معنا . يكون معلومكم . ولا تنسونا من رد الجواب لكي ينسر خاطرنا عن الاحزان التي صادفتنا من الاراطقة في هذه السنة . ودمتم في امان الله وحفظه .

وراسلين لكم غلطات الروم في كتاب صغير . فمن هنا تعرفون المضمون[2] . والان ساعة تاريخه انا موجود في دير المخلص شارع في تربية اولاد لكي اهدم بمساعدة الله من هذه البلاد رأي الاراطقة . . .

يكون معلومكم باني شاكر الله الذي لاجل هـذه النية انا مضطهد من الشرقيين ومحتقر من الغربيين . . .

سطر في ١٠ تموز سنة ١٧٢٣

افثيميوس مطران
صور وصيدا
ابن الكنيسة الرومانية

---

(١) كان السجن في اغلب مدن تركيا عادة في القلعة التي كانت فيها اقامة جند الايالة بالاجمال . وكان فيها غالباً مقام الباشا مع كبار رجال حكومته الا اذا كان له سراي خاصة خارج القلعة يقال لها سراي الحريم

(٢) عندنا نسخة منها نقلناها عن سجلات مجمع انتشار الايمان حينما نقلنا هذه الرسائل لا يسعنا نشرها هنا بعد ما اشبعنا الكلام في هذا الموضوع في الفصل الخامس والاربعين والسادس والاربعين . وربما نشرناها فيما بعد في ملحق

ويجب علينا ان نختم هذا الفصل وقد طال كثيراً برسالة من المطران الى رئيس مجمع انتشار الايمان استوفى الكلام فيها عن الاضطهاد الذي ناله من بطاركة الروم وكيف نجاه الله من السجن والنفي والموت على يد عثمان باشا وزير الدولة في صيدا باكثر اسهاب مما سبق ويخبره بعزمه على رسامة مطران من تلاميذه في حياته ليكون راساً للروم الكاثوليك في مكانه بعد موته ويطلب الاذن بان يكون معاونين له برسامته خوارنة اذا لم يتيسر له وجود اساقفة من الروم الكاثوليك الذين كانوا يخافون بطش بطاركة الروم واضطهادهم اذا فعلوا ذلك . وهذا يدلنا على بعد نظر المطران وعلى عظم غيرته في سبيل نشر الايمان الكاثوليكي وحفظه في طائفته الى ما شاء الله تعالى وقد صرف عنايته الى الاهتمام بمستقبلها .

المعروض على نيافتكم اخبرناكم سابقاً بالاختصار ان بطاركة الروم لهم منذ عشرين سنة متعصبين علينا ومحاولين ابادتنا تارة بالحرومات واخرى بالامور (الفرامانات) السلطانية التي تتضمّن نفينا ووضعنا في الحبس المؤبد . لكن عناية الله تعالى كانت تخلصنا من شرهم بواسطة كيرلس البطريرك المتنيح لانه كان يكره الشر . ولما بعد موت كيرلس المذكور ركب الكرسي اثناسيوس وحضر الى الشام اظهر المكر الذي كان مخفي في قلبه . وشرع ينادي ضدنا باننا محرومين من مجمع الروم الاراطقة الذي صار علينا في القسطنطينية نحن وكل من قبل الكهنوت على يدنا . وما كفاه ذلك . بل مضى الى القسطنطينية واتفق

مع البطاركة على ازالتنا وارشوا بماية وخمسين كيساً [1] واخرجوا فرمان سلطاني بنفينا من كرسينا وارساوه مع قبجي [2] الى حكام هذه البلاد فسكونا ومسكوا معنا ستة انفار من الشام وصيدا وعكا . ووضعونا في قلعة صيدا في الجنزير . وكان مذكور في الفرمان انهم ينفونا الى قلعة ادنه . لكن قوة الله منعته بواسطة عثمان باشا (ابي طوق) الذي كان سابقاً في صيدا والآن هو في الشام لانه كان يحبنا تحنن علينا وحطنا في القلعة في صيدا وبعث اعطى عنا جواب وجاب لنا فرمان في اطلاقنا جميعنا من قلعة صيدا ورجعونا كلنا الى مواضعنا .

وكان لما حطونا في القلعة حضر الى صيدا مطران روم ارطوقي مرسل من عند البطاركة يضبط ابرشية صيدا عوضنا ومعه ثلاثة اوامر سلطانية الواحد في ضبط كرسينا والثاني في تأديب (قصاص) رعيتنا الكاثوليكيين . والثالث في ضبط املاكنا . وكذلك ربنا بطّل رأيهم حتى ان المطران المذكور بمقدار (كل مدة) ما قعد في صيدا كان مرذولاً من المسلمين والنصارى واليهود [3] . وبالجهد حتى تركوه يقدّس مرتين في عيد الفصح . وما احد حضر قداسه . وقد حضر لعندي الى السجن ثلاث مرات يخدعني لاصالح البطاركة واوافقهم على رأيهم ووعدني اني سأنال منهم كل خير وكل كرامة اذا اكملت مرادهم . فرددته

---

(١) الكيس كناية عن خمسماية قرش في تركيا . وكانت قيمة القرش حينئذ تعادل قيمة ثلاثة فرنكات ذهب . ولا ينبغي ان نستغرب ولا نستعظم هذا المبلغ لان السلطان العثماني لم يكن يمنح برآءة او فرماناً للبطاركة الا مقابل مبلغ عظيم من المال يذكر قدره في نص البرآءة والفرمان باسم هدية علاوة على ما يقدم الى الوزير الاعظم الذي هو وزير الاختام السلطانية لا تخرج الا بواسطته وعلى يده .

(٢) القبجي كلمة تركية الاصل يراد بها رسول السلطان ومعتمده .

(٣) يدلنا هذا على عظم اعتبار منزلة المطران عند جميع اهل صيدا كما يدلنا ايضاً على ان الروم فيها كانوا كلهم كاثوليكيين .

واظهرت له الحق بقولي له ان انا ارضيت الناس فلا اكون عبداً للمسيح . وكان حاضراً معه شماس البطريرك القسطنطيني الموكل من البطاركة على هذه الامور فابيت كراماتهم التي وعدوني بها واحتسبت عار المسيح افضل من كنوز العالم . وكانت مدة اقامتنا في الحبس ثمانية وتسعين يوماً . وانفضت الامور بمعونة الله لان خلاص نفوسنا وذخيرة الايمان لا تغلى لا بالمال ولا بالدم . . . واظن ان نيران غضبهم علينا ليس باقل من نار اتون بابل . لكن الذي خلص من ذلك الاتون الثلاثة الفتية هو الذي خلصنا من يد الاراطقة الآن . والذي صار لا نستطيع ان نوضحه لكم بالكتابة لان ليس الخبر كالعيان .

والآن انا في ديري الى حين . لان مرادي ان اشرع في رسم اساقفة لكي اذا اراد الرب ان ينقلنا من هذا العالم يوجد عوضنا رؤساء كهنة يحفظوا هذا الشعب العظيم في الايمان المقدس الروماني لان الكاثوليكيين يعلنوا لنا من كل مكان وطلبوا ان نعمل هذا الامر . وعلى ما ارى يا سادتي ان هذا الامر ضروري جداً لحفظ الايمان المقدس في الشرق وهو مفيد ولازم ذمتي خصوصاً لاني بقيت في آخر عمري . والاراطقة منتظرين موتي ليرسلوا عوضي مطران ارطوقي ويلزموا الكاثوليكيين ان يطيعوهم ويتبعوهم ويقبلوا الاسرار منهم ليطفوا نور الايمان المقدس في الشرق . لاجل هذه الاسباب وغيرها لا بد اني بمعونة الله ونظركم اتمم هذا الفعل عن قليل من الزمان حتى ولو ما حضر معي في الرسم اثنان من الاساقفة . والا فاقل ما يكون احضر اثنين اباتيه (abbés) عوضهم . لان من شدة غيرة رعيتنا في الايمان المقدس ما عادوا يخافوا لا من البطاركة ولا من غيرهم . ومع ذلك هذا الحرص ليس فيه كفاية كلية لحفظ الايمان المقدس في هذه البلاد بغير تنقية كتب الروم من الغلط ونزع السموم التي فيها من رؤساء كهنة القسطنطينية الذين غيروا وبدلوا حسب اهوائهم الهرطوقية . ولذلك

شرعت في اصلاح بعض كتب مختصة في خدمة الاسرار والصلوات اللازمة للكهنة . وبعد تنقيتهم من الزوان مرادي ابعثهم الى نيافتكم لتفحصوهم عندكم وتطبعوهم كي نوزعهم على الكنائس والكهنة . ونشتت الكتب المسمومة المستعملة الآن في كنائسنا [1] وعند رعيتنا لان هذه القضية لازمة ذمتنا وذمتكم . وانا في انتظار الجواب . وحاشا نيافتكم ان تهملوا الجواب عن مثل هذا . . .

الحقير الراعي اقليميوس

مطران صور وصيدا

ابن البيعة الرومانية المقدسة

حُرّر في ١٠ تموز سنة ١٧٢٣

---

(١) لم يتحقق بالفعل هذا العزم لان الاجل المحتوم لم يسمح للمطران بتحقيقه لانه مات في ٢٧ تشرين الثاني من هذه السنة سنة ١٧٢٣ فضلاً عن ان رومية رفضت صريحاً اجابة طلبه بهذا الشأن في حياته وكررت ذلك بعد مماته مراراً .

﴿ الفصل الخمسون ﴾

في نجاة المطران من السجن والنفي
واعلان براءته بحكم شرعي

لقد شاع وذاع في جميع نواحي ابرشية البطريركية الانطاكية حتى بين الموارنة في لبنان امر سفر البطريرك اثناسيوس الدباس الى اسلامبول وموافقته بكل ما اراد بطاركة الروم منه بحق المطران افثيميوس وبحق الروم الكاثوليك واكليرسهم اذ ارسل منشوراً عاماً على يد وكيله في دمشق لاونديوس مطران حماة يكلفهم فيه ان يوقعوه بخطوط ايديهم ويتعهدوا به انهم قد قبلوا ايمان الكنيسة الشرقية وانهم يرفضون ويحرمون ايمان الافرنج اي ايمان الكنيسة الكاثوليكية الرومانية . وتهدّدهم بكل شر اذا ابوا ذلك .

وخليق بنا ان ننشر هنا رسالة من الخوري سيرافيم طاناس ارسلها بهذا الصدد الى مجمع انتشار الايمان نقلاً عن سجلات المجمع المشار اليه . قال :

« اخبرتمونا بان نرسل لكم ولدين من طائفة الملكية . فها نحن مرسلين واحداً من اعيان نصارى الشام ابن خوري معلم اعتراف البلد[1] وجده الخوري خليل

---

(١) كان بيت خبية في القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر من اكبر اعيان النصارى في دمشق . والولد المذكور هو ابن الخوري حنا خبية وحفيد الخوري خليل خبية كاروز البطريركية الرسمي . وكلهم من اجل الروم الكاثوليك

كاروز كنيسة الشام . والصبي قاري عربي ورومي ذو فهم وعقل وعمره ١٥ سنة وسبعة اشهر . والثاني ما قدرنا ان نرسله لان رئيس الشيطة (السفينة) ما قبل ان يأخذ معه اثنين . ان شآء الله عن قريب نرسله لكم .

ثم ذكرتم بان افثيميوس يتصالح مع البطريرك اثناسيوس . فيا سادتي اي صلح ممكن يصير مع البطريرك اثناسيوس وافثيميوس ؟ لان اثناسيوس يكون معلومكم صار مفهوم عند كل بلاد الشرق انه هرطوقي . وهو الآن في اسلامبول وارسل امانة الى كهنة الشام وذكر لهم بان كل من يعتقد بغير السبعة مجامع محروم وصار ذلك مفهوم عند البطريرك يعقوب (عواد الماروني) والمطران سمعان (عواد) والقس جبرائيل ابن فرحات (الذي صار فيما بعد مطراناً على حلب باسم جرمانوس) . وان ما صدقتموني ارسلوا اسألوهم .

فان كان الامر كذلك فماذا يكون هذا الصلح ؟

وما يمكن اثناسيوس يصالح افثيميوس ما لم ينكر افثيميوس الايمان الكاثوليكي ويرسل يقدم الطاعة لبطريرك اسلامبول لان هكذا جاء المطران خبر من البطريرك . لاجل ذلك لما عرف المطران بان الجميع تحققوا هرطقة اثناسيوس جمع اساقفة (الروم الكاثوليك) حتى يرسم (معهم) اساقفة لانه بقي (صار) رجل كبير حتى لا يضيع بعده الايمان ولا يتلف لان في بلادنا ولا مطران كاثوليكي صحيح . الا (من كان) مع الاراطقة ارطوقي ومع كاثوليكي . اجارنا الله .

الخوري سارافيم طاناس

في ٢٠ شباط سنة ١٧٢٣

وبموجب مضمون الفرمان السلطاني المشار اليه كان على عثمان باشا نائب السلطان في صيدا ان يرسل المطران وابن اخته الخوري

سارافيم طاناس وأخاه او ابن عمه منصور صيفي والخوري خليل خبية والقس الياس فرعون من دمشق والخوري فرج الله نصر العكاوي والخوري سليمان سالم من اللاذقية مقيدين بالحديد الى منفاهم في ادنه بعد ان جمعهم في صيدا التي كانت حينئذ الميناء المهم لسوريا كلها . الا ان الباشا المذكور لصداقته السابقة للمطران وشفقة عليه من ان يموت بالطريق الى منفاه او ان يموت هناك وقد تجاوز الثمانين من عمره وقد عرف الباشا ان المطران بريء من كل ما نسب اليه من التهم وان الفرمان السلطاني مبني على وشاية كاذبة بحقه من قبل بطاركة الروم صادرة عن بغضة دينية امر لاجل ذلك بوضع المطران ورفاقه مقيدين بالحديد في سجن قلعة صيدا موقتاً وعرض على المطران وجماعته بواسطة رجاله ليعلم المبلغ الذي يرومون ان يدفعوه له فدى ارواحهم حتى يطلب لهم براءة العفو من رجال الدولة في اسلامبول . ولما نال مراده منهم ارسل الى هناك شهادة بحسن حال المطران ورفاقه وفنّد ما اتهمهم به اخصامهم فرجع اليه الجواب بالايجاب واطلق حينئذٍ سبيل المطران ورفاقه وعاد كل واحد منهم الى محله بعد ان قضوا في السجن مدة ثلاثة اشهر ونيف .

الا ان المطران لم تطل اقامته في صيدا بل قام منها بعد قليل الى دير المخلص للراحة مما قاساه في السجن كل هذه المدة وحذراً

من ان تنقلب الحال عليه باشر مما سبق بعد عزل عثمان باشا من ايالة صيدا وتعيينه والياً لدمشق[1] في اواخر سنة ١٧٢٢ . ومن ثم طلب ان تكون في يده حجة شرعية في برآءة ساحته مما اتهم به ليعتمد عليها لدى الوزير الذي يخلف عثمان باشا في صيدا اذا اقتضى الحال . وبموجب طلبه سلمه قاضي صيدا حجة شرعية . وقد نشرت هذه الحجة في القائد الامين والنبذة التاريخية وكلاهما من تأليف البطريرك مكسيموس مظلوم وعندنا منها نسخة مخطوطة قديمة كاملة بشهادات الشهود الشرعيين المعروفين من القاضي قابلناها على بعضها ونشرناها هنا تقريراً لما جاء من هذا القبيل في رسائل المطران . الا انه تعذّر علينا قرآءة اسم احد الشهود قرآءة صحيحة فاهملنا ذكره اكتفآء بذكر اصحابه الخمسة هناك . وقد تضمن حكم القاضي في هذه الحجة الامور التي أتهم بها المطران كما جاء في نص الفرمان السلطاني

---

(١) تولى عثمان باشا ايالة دمشق بعد توليه صيدا مرتين فأنه تولاها اول مرة سنة ١١٣١هـ (سنة ١٧١٨م) بعد صيدا والبصرة . وثاني مرة سنة ١١٣٥هـ (سنة ١١٢٢ م) وبقي فيها الى سنة ١١٣٧ اذ كان في دمشق لما مات فيها المطراي افثيميوس في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٧٢٣ وحينما ارتسم بطريركاً الخوري سيرافيم طاناس في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ كما سيأتي بيانه ان شآء الله .

(مكان الختم) الامر كما ذكر فيه
عفه الفقير اليه عز شانه
احمد القاضي بمدينة صيدا
عفي عنه

بمجلس الشريعة الغرآء بمدينة صيدا حماها الله تعالى لدى سيدنا ومولانا الحاكم الشرعي الحنفي الموقع خطه وختمه اعلاه دام علاه حضر افثيميوس الذمي المطران بمدينة صيدا على طايفة النصارى الروم القاطنين بالمدينة المزبورة . واحضر معه ابن اخته سيرافيم وترزى منصور وخوري خليل وفراج وايليا وخوري سليمان . وقرروا انه قبل تاريخه انهى بطريق الروم المتمكن في محروسة اسلامبول والبطريق القاطن بالقدس الشريف الى الدولة العلية والسدة الخاقانية صانها رب البرية من كل آفة ارضية وسماوية ان المذكورين انتحلوا ملة الافرنج وتركوا مذهب الروم . لاجل ذلك فر كثيرون من النصارى من الممالك الاسلامية الى غير ديار وترتب من ذلك نقصان في الجزية . وبعد انهآء البطريقين المذكورين الى الدولة العلية هذا الانهآء صدر فرمان عالي شأن في حبس المذكورين وتعزيرهم وتأديبهم .

ثم صدر العفو والرحمة بالاطلاق لهم لان الانهاء المذكور لا اصل له وغير واقع في محله لانه لم يفر احد من النصارى الروم الى غير ديار ولا وجب نقصان في الجزية ولا في الاموال الميرية . وان افثيميوس قائم على مذهب النصارى الروم عامل بالانجيل الذي بيدهم وبطرايقهم القديمة . وجميع الرعايا القاطنين بالشام وصيدا وعكا راضون منه متمكنون في اماكنهم وانه ساع في عماره وجمع نصارى ولم يتبع احد مذهب الافرنج . وانما هذا الانهآء زور وبهتان واسناد كذب . وان سبب البغضة والعداوة وهذه المنازعات التي هي صادرة بين الفريقين فهي من خصوص نيران يوقدونها

اولئك الفريق المجددون هذا القول في القيامة المقدسة ويزعمون انها نور الله تعالى عن ذلك . ويحرمون للرجل بعد موت ثلث زوجاته انه يتزوج برابعة . وينكرون السجود في صلاتهم . ويكفرون من يسجد منهم .

وان افثيميوس المذكور ومن هو على قاعدة الروم القديمة المتمسكين بالانجيل ينكرون كون النيران التي توقد انها نور الله تعالى عن ذلك . ويجيزون للرجل ان يتزوج بالرابعة اذا مات له ثلاث نسوة . ويقرون بالسجود في الصلاة كما هو مصرح في انجيلهم . فهذا هو سبب العداوة والبغضة والمنازعات فقط .

فلما آل الحال الى هذا المنوال تفحص الحاكم الشرعي وتدقق واستخبر من ثقات المسلمين واعيان الموحدين القاطنين في صيدا وغيرها عن طايفة النصارى الذمية بالتدقيق الكلي والفحص الشديد فأخبر ان افثيميوس قائم باصلاح (امور) النصارى ساع في نظام مصالحهم وتمكينهم وتحصيل جزية روسهم والخدمة التامة في اموال ميريهم ولم يتبع مذهب الافرنج ولا طوايفهم . وانما الخلاف الواقع بين الفريقين من هذه القضايا المسطرة . وبعد وقوف الحاكم الشرعي على جلية الحال وصحة المقال باخبار الثقات التمس المطران افثيميوس على موجب الاخبار المشروحة حجة شرعية لنفي ما اتهموه به للدولة العلية واظهاراً لكذب البطركين المذكورين فكتب ما وقع وحرر بالطلب في اواسط شهر رمضان المبارك سنة خمس وثلاثين ومائة والف (في نصف حزيران سنة ١٧٢٣ م)

شــــــهود الحــــــال

علي دبوس (محضر باشي)	علي (حافظ) الكاتب	مولانا الشيخ محمد المفتي بصيدا عفي عنه	مولانا الشيخ عبد الرحمان القطب	مولانا الشيخ مصطفى الانصاري

ويجب علينا ان نوضح هنا المراد بالشهود الشرعيين في ذلك العهد . فانه بموجب شرع الاسلام او بموجب راي القضاة في ذلك العهد لا تصح شرعاً ولا تقوم عندهم شهادة النصارى واليهود بالاجمال . اذ كانوا يعتبرونهم كفاراً . وكذلك لا تصح عندهم شهادة الدروز لانهم كانوا يعتبرونهم ملاحدة ليسوا على شيء من الاسلام . ولا تقوم ايضاً شهادة المسلم اذا كان مسكيناً فقيراً اذ كانوا يعتبرون شهادته عن رشوة اذا كانت بحق الذميين النصارى واليهود . فهذا كان جارياً في مجالس القضاء في المدن الاسلامية لا في لبنان حيث كان القضاة من الدروز والنصارى والمسلمين .

ومن ثم كان اصحاب الصكوك الشرعية المهمة يرغبون ان تكون معززة بشهادة المفتي وشهادة احد قضاة المذاهب الاسلامية الاربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي او بشهاداتهم جميعاً مع شهادة كاتب القاضي المولّى القضاء حينئذٍ وشهادة المحضرباشي الذي عليه تحضير الشهود كالعادة المألوفة حينئذٍ ووظيفته تقابل وظيفة المباشر في المحاكم في هذه الايام .

ولا يخفى ان شهادة مثل هؤلاء الشهود العدول لا تكون الا مأجورة باجرة تليق باصحابها .

﴿ الفصل الحادي والخمسون ﴾

افتقار المطران الاخير لدير المخلص

اعتاد الناس ان يقولوا لاصحابهم الذين قاسوا محنة السجن من باب العزآء لهم «الحبس للرجال» . وهي لا محالة كلمة حق وعزآء مع ما فيها من الشمول والابهام . الا ان المسيحيين قد يقولون في مثل هذا المقام قول المسيح لتلاميذه « طوبى للمضطهدين من اجل البر فان لهم ملكوت السماوات » (مت ٥ : ١٠) . وهي لا محالة احق واجل واعظم . على ان الاضطهاد الصادر حقيقة بامر الحكومة وسلطانها على المسيحيين لسبب الدين قد يزعزع طبعاً النفوس الصغيرة في ايمانها اذا كانت ذات ايمان ضعيف . لكنه قد يشدّد ويعزّز النفوس الكبيرة ذوي الايمان القوي فان السجن الذي قاساه المطران مدة ثلاثة اشهر في قلعة صيدا مع ما رافقه من خسارة الاموال والذل في نظر الناس لم يزعزعه في ايمانه كما ان حروم بطاركة اليونان الباطلة لم تزعزعه . بل خرج من السجن اعز واقوى مما كان سابقاً في نفسه ولدى الله والناس

الا ان الذي ازعجه اكثر من كل شيء انما هو الخوف الذي استحوذ على نفوس كثيرين من تلاميذه واتباعه من الروم الكاثوليك بسبب هذا الاضطهاد اذ خافوا ان ينالهم من بطش

بطاركة اليونان وسيف السلطان اكثر مما ناله وهو الشيخ الجليل الجدير بكل احترام . ومن خوفهم هذا حاول قوم منهم الرجوع الى الورآء . لكن هذا الراعي الصالح رأى والحالة هذه انه يجب عليه اكثر مما سلف ان يبذل نفسه عن خرافه وان يرجع الى دير المخلص ليفتقد اولاده فيه وفي ابرشيته ليثبتهم في ايمانهم الكاثوليكي بعد ان غربلهم شيطان الخوف والاضطهاد وقد هز نفوسهم هزة عنيفة . ومن ثم عزم عزم الشباب — ولو كان قد تجاوز حينئذٍ الثمانين من عمره — ان يفتقد اولاً تلاميذه رهبان دير المخلص ثم باقي ابنآء ابرشيته ليثبّتهم في ايمانهم ويعزيهم في هذه المحنة العامة الشاملة بحضوره معهم وبكلامه الحي لهم ويزيل كل قلق وخوف من نفوسهم وليرتب ما يجب ترتيبه في الدير وسائر الابرشية بوجه راهن للمستقبل لانه قدّس الله روحه اخذ يشعر حينئذٍ بدنو اجله اكثر من ذي قبل . وكان جل اهتمامه منصرفاً الى ان يجعل له خليفة في ابرشيته ايمانه على ايمانه ويكون رأساً وزعيماً لكل الروم الكاثوليك بعده كما كان هو ولا سيما بعد ما شاع وذاع امر البطريرك الانطاكي اثناسيوس الدباس

وكان يرغب ان يخلفه في كرسيه ابن اخته الخوري سيرافيم طاناس الذي رباه منذ كان فتى صغيراً ورسمه بوضع يده شماساً وكاهناً لخدمة مذبح كنيسة القديس نقولاوس الكاتدرائية في صيدا . وقد كاتب بهذا الشأن رئيس مجمع انتشار الايمان واعيان

ابرشية صور وصيدا وبعض المطارنة اصحابه من الروم الكاثوليك المجاورين لابرشيته وكلفهم ان يأتوا الى دير المخلص ليعاونوه برسامة المذكور مطراناً خليفة له . الا ان هؤلاء ابوا الحضور اليه واجابة طلبه خوفاً من ان البطريرك اثناسيوس واصحابه بطاركة اليونان يعدون هذه الرسامة من اعظم الذنوب منهم لكونها رسامة مطران كاثوليكي لكرسي صور وصيدا من يد المطران افثيميوس خصمهم الالد لابن اخته تلميذ رومية بدون اذن البطريرك الانطاكي ... فانها عندهم ذنب عظيم لا يغتفر . فاضطر المطران ان يصبر على ذلك الى ان ياتيه الله بالفرج بورود اذن من رومية يسمح له برسامة من اراد مطراناً بمعاونة كهنة من رهبان دير المخلص ذوي الايمان الكاثوليكي . وبالتالي سلم هذا الامر لعناية الله وتدبيره .

وفي مدة اقامته في السجن عاد الى دير المخلص تلميذه الخوري جبرائيل فينان من صيدنايا حيث كان بأذن وامر رئيس مجمع انتشار الايمان وكيلاً لاسقفها المطران جراسيموس السابق ذكره وفي يده اعلام قانوني من خلفه المطران ناوفيطوس نصري الحلبي يشهد له فيه بحسن سلوكه وتقواه وغيرته بما يخص وظيفته الكهنوتية يجدر بنا ان نورده بتمامه بياناً لفضل هذا الكاهن الغيور في رسالته في صيدنايا وجوارها نقلناه عن سجلات مجمع انتشار الايمان وقد نشره سابقاً في تاريخ صيدنايا السيد حبيب الزيات في صفحة ٢٠٠ وما يليها

وكان قد ارسله الى رومية ضمن رسالة منه الى رئيس مجمع انتشار الايمان نثبتها باثر هذا الاعلام

المجد لله دائماً

الحقير في رؤساء الكهنة ناوفيطوس

مطران صيدنايا المقدسة وما يليها

الذي نعلم كل واقف على هذه الاسطر انه لما حقارتنا تقلدنا رعاية ابرشية صيدنايا ودرجة مطرانيتها واتينا اليها وجدنا ولدنا الروحاني الخوري جبرائيل فينان هناك متصرفاً بالشعب بسر الاعتراف والقداس والكرز والتعليم وخدمة الاسرار التي تختص في درجته منذ زمان كيرلس البطريرك الانطاكي المتنيح ومنذ سالفنا المطران جراسيموس المتنيح . وذلك لتكميل رسالته من نيافة المجمع المقدس وحفظاً لوصية ساداتنا الكردينالية في مساعدة مطران ابرشية صيدنايا في الامور الروحانية . ولما جاء البطريرك كير اثناسيوس الى الشام منع الخوري جبرائيل من ان يقدس او يخدم سر الاعتراف بكنيسة الشام . وبعده اتى الى الشام وكيله المطران لاونديوس (مطران حماه) منع الخوري المذكور ايضاً ليس فقط من كنيسة الشام بل من كل كنائس البر والقرايا . ولم يأذن له ان يسكن ويقدس الا في فرد قرية صغيرة بقرب صيدنايا (المعرة) فقط .

ولما ضاقت مسالك الخوري المذكور في الشام وبلادها وفي كل موضع طلب منا بطريق الشور والاذن ان يروح من هذه البلاد الى غيرها لحين ما يريد الله ويصير له سبيل للرجوع الى هذه البلاد ليعمل الخير والكرازة التي كان يعملها سابقاً . ولما تفحصنا في أمره رأيناه مطروداً ومضطهداً من المذكورين بغير سبب شرعي يوجب اضطهاده وممنوعاً عن التصرف بغير علة توجب منعه سوى

انه مجاهر في الامانة الكاثوليكية المقدسة وغيور على انتشارها . وقد صار منه خير كثير في بلادنا والبلاد التي تقربنا (من جبل القلمون) وبلاد بعلبك ايضاً ونحوها (نواحيها). ولما تحقق الامر عندي على هذا المنوال هكذا اعطيته هذا الورقة لتنبي. عن ذلك وانه خرج من عندي غير ملوم بذنب وانه مصرّف في كهنوته وفي خدمة الاسرار التي تخص درجته . الحقير في رؤسآء الكنة

حرر يوم الجمعة ١٤ من كانون الاول سنة ١٧٢٢ ناوفيطس مطران صيدنايا وما يليها

وفيما يلي رسالة الاب المذكور الى رئيس مجمع انتشار الايمان يخبره بما ناله من اضطهاد البطريرك اثناسيوس ووكيله في دمشق مطران حماه وبما اصاب معلمه المطران افثيميوس من السجن وخسارة الاموال

بعد تقبيل برفيرتكم المقدسة اعرض بين ايديكم اني سابقاً كتبت لكم من صيدنايا والشام مكاتيب وفيها ما يغني عن الاعادة . ان شاء الله تعالى يكونوا وصلوا وانعرضوا على مجمعكم المقدس . وقد اخبرت نيافتكم عن الاضطهاد الذي عمله البطريرك اثناسيوس على الكاثوليكيين وخصوصاً على عبدكم لولا رهبان القدس الذين حموني منه بالشام . . . ولما طلع من الشام ارسل عوضه مطران روم ارطوقي كان مثل معلمه لانه عمل كل جهده حتى طردني ليس من الشام فقط . بل من كل بلاد البر التي كنت اكرز فيها وكانت ما دخل عليها مرسلين ابداً من حد الشام الى بلاد بعلبك وحمص . ولما صار فيها خير عظيم بعث ضيّق علي في كل البلاد وارسل اضطهدني وطردني كما ينبي. بهذا منشور مطران صيدنايا الذي كتبه لي . وهو واصل داخل هذا المكتوب لتطلعوا عليه .

ولما نزلت للشام اتى فرمان سلطاني بان انتني مع حضرة سيدنا المطران كير افثيميوس مع ستة انفار اخر . وصار علي تفتيش في الشام خمسة ايام وانا كنت مختفياً فيها . واخيراً هربوني الكاثوليكيين واتيت لابرشية صيدا في جبل لبنان . فبعث حضرة المطران افثيميوس وهو في الحبس طلبني وصرفني في رعيته التي في الجبل . واما هو والذين كانوا معه في الحبس فانهم انطلقوا منه بعد مقدار ماية يوم . والله خلصهم من هذه الشدة بواسطة عثمان باشا والي الشام الذي كان والي صيدا والذي كان يحب المطران . وحط المطران مبلغ دراهم عن نفسه وعن الذين كانوا معه في الحبس . وهو الان طلع للجبل في ديره وابرشيته . وهو خائف من الروم لئلا يرسلوا الى صيدا مطران روم ارطوذي بقوة البرطيل وبقوة الترك . ولو كان بعد مماته لان هذا الفعل غاية قصد البطاركة الروم .

فهذه الشدائد سببها كلها ارتباط اثناسيوس بطريرك الشام مع بطريرك القدس وبطريرك اسطنبول واتفاقهم جميعاً على طفي نور الايمان الكاثوليكي من الشرق . لان اثناسيوس لما راح لاسطنبول بعث (رسالة) يقول انا لست اؤمن الا بالسبع مجامع القديمة . وطلب من كهنة دمشق واعيانها ان يكتبوا خطوط ايديهم بهذه الامانة ويكفرهم بايمان الكنيسة الرومانية . وهذا الامر كنت حاضره في الشام وربط اربعة كهنة كاثوليكيين في الشام عن القداس

وكنا نحن الكاثوليكيين غالبين المعاندين والايمان في كل يوم بزيادة (نمو) قبل مجي اثناسيوس للشام . ولولا هذه الامور والاضطهادات لكان ما بقي الا القليل مشاقين . والآن ان كان ما يحصل نظركم الشريف علينا في هذه البلاد وخصوصاً على مطران صيدا المحترم فربما يصير ضرر اعظم للكاثوليكيين من البطاركة ويضعفوا الامانة الكاثوليكية المقدسة . والامر امركم ودمتم محفوظين آمين .

عبدكم الخوري

حرر في ٢٥ حزيران حساب شرقي سنة ١٧٢٣ جبرائيل فينان

وفي مدة اقامة المطران في الدير سلّم لرهبانه ما كان في يده من الاوراق والصكوك او الحجج التي تخص الدير وارزاقه . وهي لم تزل محفوظة في خزانة الصكوك فيه . ثم اوقف الكتب التي كانت لديه باسم الدير ورهبانه و كتب عليها في اولها حاشية توضح هذه الوقفية وتاريخها . ولا يزال البعض منها محفوظاً الى اليوم على ما وقفنا عليه عدا ما ذهب بعوادي الايام

وقبل ان يبارح المطران دير المخلص ليعود الى صيدا جمع تلاميذه الرهبان لوداعهم وألقى عليهم خطاباً مؤثراً تمام التأثير ختمه بقرآءة صك كان قد كتبه بخط يده المبارك يتفرغ فيه عن حقه بالدير وبكل ما له علاقة به الى الرهبان تلاميذه . وقد وقف الاب كيرلس حداد رحمه الله على نسخة قديمة من هذا الخطاب ومن الصك التفرغ في اوراق قديمة بخط يد المطران باسيليوس فينان يحسن بنا ان نوردهما بتمامهما فيما يلي لانهما يتضمنان وصية المطران الاخيرة لتلاميذه الرهبان .

يا اولادي افرحوا ولا تغتموا فهذه مشيئة الرب . فانا أستكم وصيتكم قربانة رهبانية مقدسة وجئت بكم من اماكن مختلفة وبلاد بعيدة متفرقة و كملتكم بالوسم الكهنوتي المقدس ووضعت البعض منكم في خدمة الرعية الكاثوليكية ليس لكي امكث هنا بطالاً مستريحاً بل لكي اجدّ بواسطتكم في فلاحة كرم المسيح في رعيتي وفي كل مكان وانا اجول اثبت المسيحيين وان ما حصل لي من المكروه او سوف يحصل ليس هو الا نزراً يسيراً بالنسبة الى ما

قاسته رسل المسيح الكرام والاساقفة العظام وكل مبشر صالح تابع الكنيسة الرومانية . فاذاً هذا لا يكون مني ابداً ولا اريد ان يكون منكم[1] واني ما دمت حيًّا مستعد لان اضحي حياتي لسيدي يسوع المسيح الذي ضحى حياته لاجلنا واني راغب ان ابشر بالايمان الكاثوليكي في كل آنٍ واينٍ تيسر لي الانذار فيه . وما رغبت قط في عمار هذا الدير لراحتي ولا لراحتكم . ولا صيرتكم رهباناً متدرجين لكي تخدموا ديركم وذواتكم فقط . ولا قصدت ان اجعل سكان هذا الدير عقيمين من كل ثمرة نظراً للقريب . ولا اعتنيت في قيامه لكي املكه واعتاش بمداخيل ارزاقه ويكون خاصتي وخاصة ورثاني في الاسقفية . معاذ الله . بل اقول الان حيث اتجه لي الكلام كما قلت قبلاً .

ثم قرأ صك التفرغ . وهذه صورته :

اني اريد ان اظهر لدى الملا من عالٍ ودون ورئيس ومرؤوس ان هذا الدير وكل ما له من رزق ثابت ومنتقل الآن وما سيكون هو خاصة الرهبان المنتمين اليه وباسمه وليس حق لاحد من خلفائي المزمعين ان يصيروا أساقفة على الابرشيتين المتولي عليهما ان يداعي الرهبان بشيء مما هو في حوزتهم وتحت تصرفهم لا من عمار ولا من خلافه مطلقاً . ولا يطلب منهم مدخولاً . ولا لاحدٍ ايضاً حق التملك عليه لا بطريرك ولا مطران ولا اي كان . وها اني اقر اقراراً تاماً واشهد على نفسي امام الله الضابط الكل وانا بتمام عقلي وارادتي الحرة ووعيي الكامل ان ما لي حق التسلط على هذا الدير بسبب تملك لا داخلاً ولا خارجاً على ارزاقه وعلى ما فيه . ولا لخلفائي حق تملك فيه بقبض او صرف . بل هو دير مشاع لابناء الطائفة الملكية الكاثوليكية الموجودين فيه والمزمعين ان ينضموا اليهم للترهب

---

(١) اشارة الى طلب الرهبان منه ان يبقى في الدير ولا يعرض نفسه للاخطار .

فيه . وقد بايعت الرهبان بتفريغ تام الان وما سيأتي الى الابد . وما قصدي من انشائه الا لكي اجمعهم فيه وان يتملكوه احراراً وان يشتروا ارزاقاً ويوسعوا حدوده ويغرسوا ويبنوا ويؤسسوا غيره ويصرفوا ويبيعوا ويجمعوا بحريتهم المطلقة قدر ما يستطيعون وان يستعينوا به على معاشهم وقيام مدارسهم وزينة معابدهم وصفة حالهم وتوزيع حسناتهم على الفقراء. ويكونوا قدوة صالحة للرعية . حيث اني بكل خاطري وأقصى رضاي ارغب ان يكون منهم الكهنة المصرفون في خدمة الانفس في ابرشيتي وغيرها اينما يوجد روم متحدون مع السدة الرسولية و(ان يكون) كذلك الشمامسة معلمو الاحداث منهم واني اطلقت عليهم تسمية مرسلين لخدمة الرعايا حسبما حررت للاب الاقدس والمجمع الرسولي المقدس وحسبما وقفت على خاطر بطركي كيرلس الكاثوليكي . وعلى ذلك صدر أمره مراراً لاجل مجد الله الاعظم وخير النفوس للجهاد برد من يروم ان ينتمي لوحدة الايمان المقدس والنمو باكتساب الفضائل الالهية والادبية وتحسين السيرة والطاعة اولاً للحبر الروماني ولباقي الرؤساء الكنسيين والقانونيين .

﴿ الفصل الثاني والخمسون ﴾

في افتقاد المطران لابرشيته آخر مرة

. . . . . .

كان لا محالة لخبر سجن المطران وقع اليم وجسيم جداً في قلوب جميع ابناء ابرشيته ولا سيما تلاميذه الرهبان . بل في قلوب جميع الكاثوليكيين الذين في هذه البلاد الشرقية على اختلاف طوائفهم حتى انه بلغ بعد قليل من الزمان عواصم الممالك المسيحية وقد علمنا مما تقدم ان المطران نفسه كتب الى رومية بهذا الشأن .

وكذلك بلغ لويس الخامس عشر ملك فرنسا ووزراء دولته من سفيره في استانبول ومن القناصل والمرسلين الذين كانوا في مدن سوريا اذ كتبوا الى رومية والى باريس الكتابات الوافية الضافية بهذا الشأن لان معظمهم كان من الفرنساويين . وكان هؤلاء مع سواهم في الشرق كلهم تحت حماية ملك فرنسا كما انه كان ينفق عليهم الاموال الطائلة لمعاشهم لاتمام عمل رسالتهم الدينية في جميع الممالك الشرقية . وقد ارسل اليه السفير ترجمة الفرمان السلطاني الصادر خصوصاً بحق المرسلين بتاريخ ١٤ ايلول سنة ١٧٢٣ بطلب البطريرك القسطنطيني ارميا السابق ذكره وطلب البطريرك الانطاكي اثناسيوس الدباس كما يصرح بذلك الفرمان نفسه الذي به يمنع المرسلين منعاً باتاً من كل مداخلة مع النصارى رعايا السلطان لاي سبب او حجة تحت اشد العقاب .

وقد كثرت المراسلات المتبادلة بهذا الشأن بين قناصل فرنسا الذين كانوا في صيدا وطرابلس وحلب والسفير الذي كان حينئذٍ في اسلامبول (de Bonnac) . وبين هذا السفير ومولاه ملك فرنسا ووزير الخارجية او البحرية (de Morville) والحبر الاعظم البابا اينوشنسيوس الثالث عشر وكبير وزرائه الكردينال (Gualterio) مما لا يسعنا ترجمته ونشره في هذا الفصل . وقد نشر الاب انطون رباط اليسوعي في المجلد الاول من مجموعته التي ذكرناها سابقاً غير مرة عدداً وافراً من هذه المراسلات في نحو

اربعين صفحة.[1] وقد اقتصر على ما كان منها صادراً من رجال السياسة ولهم بشان هذا الاضطهاد العام ضد الكاثوليكيين ومنها رسالة من الملك لويس الخامس عشر الى سفيره في اسلامبول السابق ذكره بتاريخ ٣٠ تشرين الاول سنة ١٧٢٣ يحضّه ويامره ان يبذل طاقته لالغاء هذا الفرمان السلطاني او يمنع تنفيذه وقد ختمه بقوله. « لا تقدر ان تكمل سفارتك بشيء اكثر قبولاً عندي من اتمام هذا الامر الذي آمرك به »

Vous ne sauriez accomplir votre ambassade par rien qui me soit plus agréable que par le succès de l'ordre que je vous donne.

ويظهر من رسائل السفير المذكور بانه اجتمع بالبطريرك اثناسيوس في اسلامبول وجرى الحديث بينهما بشأن الفرمان السلطاني وبشأن المطران افثيميوس وقال له البطريرك ان الفرمان صدر بغير ارادته وان بطاركة اليونان كان مرادهم ان يرسلوه صحبة شاويش خاص الى الباشا في صيدا ليجري مضمونه بسرعة بحق المطران افثيميوس. الا ان البطريرك (كما يقول) ابقاه معه الى حين رجوعه الى سوريا وهو لا يريد تنفيذه اذ وعد وعداً صريحاً بانه سيمنع تنفيذه بتاتاً. . . و صدّق السفير كلامه

---

(1) Documents inédits pour servir à l'histoire du christianisme en Orient. t. 1, p. 545.

مغتراً بهذا الوعد . وكان كلام البطريرك لا محالة خدعة للسفير كما كان هذا دأبه دائماً مع سفراء فرنسا وقناصلها ورؤساء المرسلين اذ كان يتظاهر لهم انه من صميم الكاثوليكيين ويتنصل امامهم من كل اذى واضطهاد يقع عليهم .

واما ابناء ابرشية صور وصيدا فلم يكن حزنهم بسبب سجنه يوازيه شيء الا فرحهم بخبر نجاته . ومن ثم كثرت زياراتهم له في دير المخلص وكذلك كثرت عليه منهم مكاتيب التهاني بالنجاة من هذه الشدة وقد ضمّنوها اعلان طاعتهم له طاعة تامة لحد الموت ورغبتهم الى مشاهدته فيما بينهم لينالوا بركته لهم ولعيالهم التي هي بركة مطران قديس وبركة شهيد الايمان الكاثوليكي[1] ومن ثم لم يجد المطران بداً من اجابة طلبهم فترك دير المخلص الى صيدا ولم يلبث فيها طويلاً حتى غادرها الى صور حيث استقبله اولاده بكل ترحاب وسرور . وبعد ان قضى فيما بينهم بضعة ايام بارك قطعة الارض التي قدّمها احدهم لتكون فيها كنيسة على

---

(١) ليس لنا سند تاريخي قديم بشأن زيارة المطران لابرشيته آخر مرة الا ما نقله الاب كيرلس حداد عن اوراق قديمة في كراس وجدها في دير المخلص بخط يد المطران باسيليوس فينان الذي تقدم ذكره مراراً باسم جبرائيل . وليس في مجمل ما ذكره عنه بزيارته لصور وعكا والناصرة وقرى جبل عامل ما يوجب الشك في ذلك . ولا محالة انه يستبعد ان يزور هذا الراعي الصالح المدن والقرى البعيدة عن ابرشيته ويترك ابرشيته واولاده بدون افتقاد .

اسم القديس توما . ولعله هو الذي اختار لهم هذا الرسول المشهور بايمانه العجيب بعد الشك ليكون صاحب كنيستهم وشفيعاً لهم.

ومن صور سافر الى مدينة عكا وكانت حينئذ شبه خراب او قرية صغيرة نظير مدينة صور تابعة حكماً لايالة صيدا وكان يلتزمها معاً من الباشا في صيدا بوظيفة متسلم علي اغا من آل حمود من اشراف صيدا الذي كان مجاوراً للمطران بداره في صيدا . ومن عكا سافر الى الناصرة وزار مقام العذراء فيها ثم عاد الى صيدا زائراً بطريقه النصارى الذين في قرى جبل عامل

وما طالت اقامته في صيدا كثيراً اذ سافر الى بيروت وزار مطرانها ناوفيطوس الحلبي وخاطبه بما يخص وجوب الثبات في الايمان الكاثوليكي والمجاهرة به علناً بدون خوف . ومن بيروت سافر الى مدينة بعلبك. وكانت حينئذ بدون مطران بوفاة مطرانها ناوفيطوس . ثم زار الفرزل بطريقه الى صيدنايا والمعرة . وربما زار معلولا . وعاد الى دمشق وطنه المحبوب . فكانت دمشق غاية اسفاره التي فيها نشأ وفيها مات منتقلاً الى مقام الرعاة الصالحين

﴿ الفصل الثالث والخمسون ﴾

في مرض المطران الاخير وموته في دمشق

انتهى الامر بالمطران افثيميوس في اسفاره هذه الشاقة الى دمشق وطنه المحبوب اذ قصد ان يعزي اولاده الروحيين واقاربه من الروم الكاثوليك فيها ولاسيما الذين اشتركوا معه بالسجن واحتمال الاضطهاد وخاصة الكهنة الذين بلغه ان البطريرك اثناسيوس الدباس ربطهم عن التصرف باعمال وظيفتهم الكهنوتية لمجرد كونهم تابعين الايمان الكاثوليكي ولكونهم من اخص الدعاة اليه لكي يثبتهم في ايمانهم الكاثوليكي بدون خوف

وكان البطريرك المذكور حينئذٍ في حلب لانه كان يحب الاقامة فيها ايثاراً لها على دمشق مقام البطاركة حيث كرسيهم مع كونه دمشقي الاصل وقلما كان الدمشقي تطيب له الاقامة في حلب ومعاشرة اهلها . واما البطريرك المذكور فقد كان على خلاف هذا وله عذر وحجة بذلك لان النصارى الروم في حلب كانوا اكثر عدداً واحسن حالاً ممن كانوا في دمشق الشام وقد عرف منذ اول امره بالبطريركية ان يستميلهم اليه والى حبه بسحر كلامه وتدليسه وان يصرف قلوبهم عن ابن وطنهم البطريرك كيرلس حتى اتخذهم له حزباً دون كيرلس وضده فتعصبوا له

رغبة في منافسة اهل دمشق على البطريركية لتكون كرسيها عندهم في حلب دون دمشق .

ويظهر ان وكيل البطريرك المذكور في دمشق المطران لاونديوس الكلزي كان حينئذٍ غائباً عن دمشق . وربما كان قد استدعاه البطريرك اليه الى حلب بعد عودته من اسلامبول لمشاورته او لمحادثته بشأن ما تم له في اسلامبول مع بطاركة اليونان بشأن الروم الكاثوليك . او ربما دعاه اليه لاجل مشاورته ومعاونته برسامة بعض الكهنة مطارنة للكراسي الفارغة حينئذٍ من رعاتها .

وكيفما كان الامر بذلك لا نعلم شيئاً كثيراً عما كان من المطران افثيميوس في دمشق حينئذٍ ولا نعلم سبباً قريباً لموته الا العياء الذي استولى عليه من مشقة الطريق في هذا السفر الطويل مع ما كان عليه من الشيخوخة المتناهية اذ كان قد تجاوز الثمانين من عمره بالعمل والتعب في كرم الرب . ولذلك لم تطل ايامه في دمشق . اذ انتقل الى رحمة ربه المنان في ٢٧ تشرين الثاني على الحساب الشرقي القديم سنة ١٧٢٣ بعد ان تناول الزاد الاخير وسر المسحة وبعد ان اعترف لدى احد الاباء المرسلين وتلا صورة الاعتراف بالايمان الكاثوليكي المنسوبة للبابا اوربانوس الثامن امام جميع المرسلين الذين حضروا وفاته . وكلهم ساروا بجنازته من الدار التي مات فيها الى الكنيسة البطريركية

ثم الى التربة المعروفة في دمشق بتل العظام حيث دُفن في المغارة التي كان يُدفن فيها البطاركة بأمر عثمان باشا ابي طوق السابق ذكره اذ أمر ان تكون جنازته ودفنه بكرامة فائقة نظير البطاركة . ولذلك ارسل البعض من رجال حاشيته فساروا امام الجنازة الى الكنيسة ومنها الى التربة . ثم وُضع على باب المغارة حيث دفن حجر صلب من الجنس المعروف في دمشق بالمزاوي وقد حُفرت عليه هذه الكتابة [1] :

« انتقل من دار الفنا الى دار البقا مطران صور وصيدا كير كير افثيميوس المكرم الدمشقي يوم الاربعا سابع وعشرين تشرين الثاني سنة ١٧٢٣ مسيحية »

واذ كان الموت هو الحد الاخير للانسان في هذه الدنيا بسيرته واعماله التي يستحق بها الذكر الجميل او الذميم امام الله والناس على صفحات التاريخ يجب علينا اذاً ان نقف قليلاً

---

(١) يد أثيمة نقلت هذا الحجر من محله بعد أن شوهت فيه اسم المطران مع بعض كلمات حتى صارت هذه الكتابة لا تقرأ الا بصعوبة بعد امعان النظر ولذلك حاولنا مراراً البحث على هذا الحجر في مقبرة التل فلم نجده الا بمعاونة بعض اخواننا الرهبان الدمشقيين . وبعد الحرب العامة أوعز الاب العام باسيليوس شحادة رحمه الله الى حضرة الارشمندريت جبرائيل بيطار ب م بنقله الى دير المخلص حفظاً له فقام بذلك رغماً عن معارضة كانت فاشلة من قبل غير الكاثوليك . وهو اليوم موضوع امام كنيسة الدير حيث راجعنا بامعان ودقة هذه الكتابة التي نشرناها اعلاه . واما اعضاء المطران فقد امتزجت واختلطت مع عظام البطاركة الذين دفنوا في هذه المغارة .

بتاريخنا هذا عند موت هذا المطران الهمام العظيم الذي ملأ بذكر اعماله وغيرته عدة صفحات مجيدة من تاريخ كنيسة الروم الكاثوليكية في هذه البلاد الشرقية كما تحققنا ذلك بالبينات الواضحة التي لا شك بصحتها وصدقها . اذ بفضل علمه وغيرته الرسولية سطع فيها نور الايمان المسيحي الكاثوليكي ببهاء جديد كما كان سابقاً في عهد الرسل والاباء القديسين بعد ما خبا واختبى مدة طويلة بما غشيه من نوب الايام وظلم الحكام وجهل رعاة هذه الاغنام الناطقة باتباعهم اصحاب الشقاق .

فعلينا اذاً ان نختم الجزء الاول من هذا التاريخ الذي نتوخى به تحرير تاريخ مفصّل مدقّق كامل لطائفتنا العزيزة على هذا النسق بقدر ما يسمح لنا الله تعالى من الوقت والقوة لذلك . وفي الجزء التالي سنبسط ان شاء الله تعالى ذكر الحوادث المهمة التي جرت في الطائفة بعد موت المطران افثيميوس وذكر من خلفه في كرسي مطرانية صور وصيدا وذكر من خلفه ايضاً بالرياسة على الروم الكاثوليك في ابرشيات البطريركية الانطاكية حتى افضى الامر الى انفصال الروم الكاثوليك عن غير الكاثوليك وقيام لكل طائفة بطريرك خاص يخضع له فريق من المطارنة والاكليروس والشعب . وسنرى اياً منهما احق بالخلافة والولاية على البطريركية . ومن هذا يظهر لكل ذي بصيرة ان الجزء التالي سيكون تتمة الجزء الاول اذ يتضمّن كل ما يجب ايضاحه بهذا الشأن من

اعمال السلف الصالح من ابائنا في سبيل الايمان الكاثوليكي الذي نهجه لهم المطران افثيميوس . وبالتالي لا يكون الجزء التالي دون الاول اهمية بموضوعه وحوادثه وسنداته الخاصة وتحقيقاته اذا لم نقل انه سيكون اهم من السابق. الا انه لا بد لنا من ذكر بعض ملاحظات بدت لنا من سيرة المطران افثيميوس التي بسطناها في هذا الجزء سنجعلها ختاماً له وخلاصة نقتطفها مما تقدم للعبرة والافادة مثل ثمرة يانعة حان وطاب قطافها

﴿ الفصل الرابع والخمسون ﴾

خلاصة واعتبار فيما تقدم

بدا لنا وتحققنا بما تقدم سابقاً من سيرة المطران افثيميوس صيني واعماله واخلاقه انه كان قدّس الله روحه اولاً عظيماً وممتازاً على سواه بعقله وعلمه . ثانياً كان عظيماً باعماله الخالدة المفيدة مجداً لله وخلاصاً للناس . ثالثاً كان عظيماً في ايمانه بالله وبرجائه به تعالى . رابعاً كان عظيماً بغيرته الدينية لوجه الله على خلاص النفوس غيرة رسولية تامة . خامساً كان عظيماً بصبره الجميل واحتماله الاضطهاد في سبيل الدين من قبل السلطان والحكام بايعاز بطاركة اليونان . ولا نكتفي بهذا التعداد الموجز . بل يجب علينا بسط الكلام فيه بعض البسط

قلنا اولا انه كان عظيماً بعقله وعلمه . ودليلنا على ذلك ما استودعه من ثمار عقله وعلمه وخبرته في كتبه التي طُبعت والتي لم تُطبع بعد وفي رسائله الكثيرة التي اسعدنا الحظ بالوقوف على البعض منها مما نشرناه في سيرته . فانها تدلنا دلالة واضحة على عقله الراجح وعلمه الواسع بامور الدين وعقائد الايمان الكاثوليكي وطقوس الكنيسة وتاريخها وقوانينها ونواميسها . على ان ما نشرناه من هذه الرسائل التي نقلناها عن سجلات رومية نظن انه دون العشر من مجموع رسائله التي كتبها في مواضيع مهمة الى تلاميذه واصحابه واخصامه من البطاركة والمطارنة والكهنة والاعيان من الروم واليونان والسريان والموارنة والافرنج الذين كانوا على اتصال معه في هذه البلاد الشرقية . فلو كانت حُفظت رسائله كلها في سجلاتها كما حُفظت في رومية لكانت تعد لا محالة بالمئات . ومن هذه الرسائل ما هو مطول في عدة صفحات . وعندنا منها ما هو بخط يده في عشرات من الصفحات لا يسعنا نشرها في هذا التاريخ . فهي تشهد شهادة لا شك فيها بانه كان ذا علم واسع ولذلك دعي بلغة اهل عصره قفة العلم

قلنا ثانياً انه كان عظيماً باعماله الخالدة المفيدة مجداً لله وصلاحاً للناس . فقد يعتبر العلماء ان اعظم اعمال الانسان تكون باستنباطه اموراً نافعة لم تكن معروفة او بانشائه اشياء مفيدة لم تكن موجودة . واما رجال القوة والبطش فانهم يعدون الرجل

عظيماً بفعاله اذا كان سفاكاً او رجل حرب يحسن البلاء في القتال . لكن رجال الله الصالحين لا يعتبرون اعمال الانسان عظيمة الا اذا كانت مثل اعمال الله بقدر الطاقة البشرية وحسب مشيئته تعالى . وبقدر اخلاص قصده فيها وبقدر نفع الناس بها لاجله تعالى يعظم قدرها عند الله والناس

ومن اعمال المطران افثيميوس التي تستحق الذكر من هذا القبيل قيام هذا الدير العظيم باسم المخلص و كنيسته وسعة مبانيه وعمرانه برهبانه الذين تربوا فيه كما شاء منشيه على الايمان الكاثوليكي الصريح وفيهم بطاركة ومطارنة وخوارنة فضلاء وعلماء ساروا سيرته فيه وبالرعية كما يتحقّق ذلك من سياق هذا التاريخ (لا من باب مديح الانسان لنفسه بذويه .) و كأننا بمنشئه اراد ان يحقّق به رمز شبكة مار بطرس التي القاها باسم المخلص وجذبت سمكاً كثيراً من كل صنف اذ اراد ان يصيد طائفة كبيرة من بحر الروم ليجعلها في سفينة مار بطرس و كنيسته المقدسة باسم المخلص ونعمته مما لا يقدر عليه الانسان الا بقوة الله ونعمته

قلنا ثالثاً انه كان ايضاً عظيماً بايمانه ورجائه بالله . وبالحقيقة انه كان ذا ايمان حي ورجاء صادق . وبهذا الايمان وبهذا الرجاء عمل ما عمل من الاعمال العظيمة الخالدة . وصبر صبراً جميلاً على ما اصابه في سبيل ذلك من المحن والاضطهاد حتى الدم ولم

يكن يبالي بكثرة الاتعاب ومخاطر الاسفار وخسارة الاموال مع ما كان عليه هو وابرشيته من الفقر . ومعلوم ان النصراني ولاسيما المطران لم يكن ينال امراً من حكام الاتراك الا بالمال. ومن يبذل المال بسخاء في سبيل خير القريب لاجل الله فهو لا محالة ذو ايمان حي بالله ولا يرجو عن ذلك ثواباً واجراً الا من ربه رب المحسنين

قلنا رابعاً انه كان عظيماً بغيرته الدينية على خلاص النفوس غيرة رسولية تامة . على ان الغيرة الدينية الخالصة لوجه الله تعالى تتولد حتماً عن ايمان حي ورجاء مكين بالله تعالى وعن محبة صادقة فعالة له وللقريب حباً له تعالى . وهي ملازمة لهذه الفضائل الالهية حتى لا تكون بدونها وهي الدليل على وجودها في الانسان اذ تجعل هذه الفضائل مجسَّمة بارزة للعيان باعمال الغيرة الدينية لوجه الله وخير النفوس كما نظرنا في سياق حياة هذا المطران الغيور. فلو كان في الشرق لذلك العهد في ملة الروم اثنا عشر اسقفاً نظيره في غيرته الدينية لعاد الشرق الى ما كان عليه سابقاً في عهد الرسل والاباء القديسين وضعف او زال كل شقاق والحاد

ومن اثار غيرته واعماله الرسولية الباقية الى اليوم والى ما شاء الله تعالى انه جعل جميع الروم في ابرشية صور وصيدا الواسعة يجاهرون كلهم بالايمان الكاثوليكي بدون

استثناء. ولا شذوذ علاوة على ما له من الفضل من هذا القبيل في ابرشية عكا وبيروت وحوران وجبل القلمون ودمشق كرسي البطريركية حتى تألف من مجموع هؤلاء الروم الكاثوليك واولادهم واحفادهم طائفة جليلة وافرة العدد معروفة في شرق الارض ومغربها بانها طائفة الروم الكاثوليك

قلنا خامساً انه كان عظيماً كذلك بصبره واحتماله الاضطهاد من السلطان والحكام الظالمين بايعاز بطاركة اليونان لاجل الدين وخاصة لاجل الايمان الكاثوليكي الذي كان عليه ولكونه من اكبر دعاته ورسله في الشرق بين الروم. فان الانسان لا يتحقَّق للناس انه عظيم الا اذا ثبت في مذهبه الديني حتى الموت بعد ما بان له انه حق من الله. فان الاتعاب والالام والذل والعار وخسارة الاموال مهما كانت حتى فقد الحياة لا قيمة لها في نظر الانسان الكريم النفس العظيم الايمان. بل ان احتماله لذلك بصبر جميل يزيد قدره ويرفع شأنه امام الله والناس لانه يصبر وهو على حق من الله.

ويحسن بنا اخيراً ان نختم هذا الفصل الاخير من سيرة المطران بالصلاة التي اعتاد ان يصليها في اخر حياته. وهي ترسم لنا صورة صادقة لنفسه امام الله تعالى وقد ضمَّنها ملخص حياته وذكر ما ناله من نعم الله الغزيرة منذ شبابه وما ناله من البلايا الكثيرة من قبل اعداء الدين المسيحي ومن الاخوة الكذبة الكاثوليكيين وقد نجاه الله منها كلها. وفي هذه الصلاة اقتباسات كثيرة من الاسفار

المقدسة احسن وضعها في محلها اللائق بها وقد اراد ان يجاري بها صلاة ابن سيراخ المذكورة في اخر سفره . وقد نقلنا هذه الصلاة من مجموعة خطية عندنا تضمنت بعض رسائل المطران بخط يده مع بعض اشعار زجلية من نظمه على نسق مراثي ارميا يصف بها انحطاط ملة الروم عن سابق مجدهم بسبب شقاقهم وخروجهم على راس كنيسة الله الجامعة . وهذا نصها :

صلاة

ايها الرب الهي وسيدي يسوع المسيح ابن الله الوحيد اشكرك لانك صرت لي معيناً وناصراً ونجّيتني من المضطهدين لي الطالبين نفسي المستعدين ليبتلعوني . ومن اللسان الخبيث الغادر (سير ٥١ : ١ ــ ٣) . ونجيتني من الموت برحمتك بقوة فائقة الطبيعة لانك انت هو الله الصانع العظائم (مز ٧٧ : ١٥) . احتاطوا بي اعداء صليبك واعداء كنيستك والاخوة الكذبة ولم يكن لي معين (مز ٢٢ : ١٢ و١٣) وكنت منتظراً معونة الناس فلم اجد (مز ٦٩ : ٢١) فتذكرت رحمتك التي منذ الدهر لانك تنجّي الصابرين لاجلك وتنقذهم من الهلاك في الزمان الخبيث . وتمنح معونة للمتكلين عليك . لاني منذ كنت شاباً طلبت صدق الامانة قدام مذابحك بصلاتي من صميم القلب فوجدتها بنعمتك . وزدتني معها خوفك ومحبتك . وفرح

قلبي بها وبمعونتك سلكت فيها رجلي في طريق مستقيم . ومحبتك قادت لي محبة شعبي . ولثقتي بشوقك الى خلاص الكل اتوسل اليك انا الخاطي بامك الطاهرة ان تفيض نعمتك على شعبك المسكين وتتحنن عليه باستحقاقات دمك الكريم الذي سفكه على عود الصليب . اذكر يا الهي دمآء شهدائك من هذه الملة التي سفكوها لاجل محبتك . اذكر يا الهي رؤسآء كهنتها الذين عاشوا بالاضطهادات لاجل اسمك القدوس . اذكر يا الهي اعراق واتعاب الابرار الذين من هذه الملة قضوا حياتهم امامك بالبر والصدوقية . اذكر يا الهي عفة زمرة المعترفين وغيرتهم في محبتك ولا تنتقم منا يارب عن خطايانا ولا عن خطايا آبائنا لانك انت قلت اسالوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم (متى ٧ : ٧) فلا ترفض طلبتي انا عبدك الخاطي . بل تعطف وانظر الى هذه الكرمة واصلحها لان يمينك غرستها (مز ٨٠ : ١٤) لان لك العظمة والمجد والمديح والاكرام الى الابد آمين .

ملحق

تقدمت الاشارة في صفحة ٤٧٠ من الفصل التاسع والاربعين من هذا الكتاب بان المطران افثيميوس ارسل سنة ١٧٢٣ الى مجمع انتشار الايمان رسالة مطولة بشكل كتاب صغير في العادات المضرة التي كانت - ولم تزل - جارية عند الروم بعد الشقاق التي يريد اصلاحها وقد ذكر فيها ايضاح الاسباب الموجبة ذمة لاصلاحها. واذ لم يكن يسعنا نشرها هناك نرى انه يجب علينا نشرها بتمامها في هذا الملحق لما فيها من الفوائد التاريخية التي تنبئنا بجلاء عن سوء حال المسيحيين لذلك العهد والجهل الذي كان حينئذ مستحوذاً على الشعب والاكليروس فيما يخص الدين المسيحي وحقائق الايمان حتى انهم كانوا يعدونه بالاجمال قائماً بحفظ الاصوام والقطاعات وبعض عادات مضرة يحسبونها تقاليد مقدسة من جوهر الدين لا بد منها لكل مسيحي ولو افضى به الحال ان يجحد ظاهراً دين المسيح. وفي هذه الرسالة بيان عذر المطران باقدامه على اصلاح ذلك بسلطان الكنيسة المعطى له في ابرشيته بقوة الرسامة الاسقفية الواصلة اليه بالتسلسل والتقليد من الرسل القديسين وبأذن الحبر الاعظم الذي يلتمسه منه لذلك بوجه خاص. وهي تتضمن تبريره من كل ذنب اتهمه به اخصامه من الروم الكاثوليك وغير الكاثوليك. بل ان عمله هذا برهان ساطع على عظم غيرته الدينية وصواب احكامه واعماله في هذا السبيل.

ولا يخفى ان هذه العادات تم اصلاحها عندنا نحن الروم الكاثوليك في جميع الابرشيات والخورنيات حتى لم يعد لها اثر او ذكر عندنا بالاجمال.

الملحق

قد بلغنا مرسومكم بان يتبع الكاثوليكيون جميع عوائد الروم الحميدة . فيا سادتي مرسومكم مطاع . ولكن بعد ما تفهموا القضايا احكموا بها على خاطركم . لان العوائد الصالحة التي وضعها الاباء القديسين هي غاية مرادنا . واما العوائد الطالحة الموضوعة من المشاقين لاقامة الانشقاق ذمتنا لا تحتملها ولا الله يقبلها ولا انتم اذا تعقلتموها ترضوها . بل كنتم ضحكتم عليها .

اولاً عادة مجدَّدة عند الروم ان يوم السبت الكبير يوضعوا قنديل مضوي تحت المائدة ويصلوا عليه . ويدخل البطريرك او المطران ويشعل منه الشمع ويقول للشعب هذا هو نور الله بالحقيقة خارج من قبر المسيح .

ثانياً يوم الخميس الكبير يقدسوا على رغيف خبز كبير (قربان) . وبعد التقديس يقسموه شقف شقف ويوضعوه في صينية ويحمصوه على النار . وبعد التحميص يسحقوه بالحجر حتى يصير مثل الطحين ويشياوه في اكياس . وكل خوري يأخذ كيسه الى بيته ويقربوا النصارى مطال السنة من ذلك الكيس .

ثالثاً يعتقدوا ان القربان الذي يصير يوم الخميس الكبير اشرف من بقية القرابين التي تصير في مدار السنة .

رابعاً يعتقدوا ان المائدة التي يصير عليها قداس اول لا يجوز يصير عليها قداس ثاني . والبدلة والكاس الذي تقدس فيهم مرة لا يجوز ان يقدس فيهم ثانياً لانه باعتقادهم ان البدلة والمائدة والكاس يفطروا مثل ما يفطر الكاهن

خامساً يحرموا ويلعنوا كل من يعتقد في صورة التقديس (هذا هو جسدي وهذا هو دمي) انها تقدس الخبز والخمر .

سادساً في ابتداء التقديس يحطوا مع الشيلة برتيكولي (اجزاء صغيرة)

كثيرة ويقولوا ويلفظوا على الجميع صورة التقديس . وفي اخر القداس يميزوا شيئاً من شيء بقولهم شيء تقدس وصار جسد المسيح وشيء صار جسد العذرآء وشيء صار جسد القديسين

سابعاً يعتقدوا ان في صورة التقديس يستحيل (القربان الى) اقنوم الاب . وفي كلمة اصنع يستحيل (القربان الى) اقنوم الابن . وفي وضع الماء السخن يستحيل (القربان الى) اقنوم الروح القدس

ثامناً يعتقدوا انه لا يجوز في الصيام الكبير القداس اصلاً سوى السبت والاحد

تاسعاً يحرموا في الصيام الكبير اعطاء الدرجات الكهنوتية

عاشراً اذا تزوج رجل بامرأة وماتت وأخذ ثانية وماتت وثالثة وماتت . وهو لم يزل شاب يقولوا له ازني ولا بقيت تأخذ الرابعة . والذين ما لهم صبر على الاحتمال يتزوجوا على شريعة المسلمين (لدى القاضي) والاغلب يدخلوا في دين الاسلام من خوفهم من حرومات الروم وخسائرهم .

هذه العوائد التي مقتتها نفسي والمرسلون يريدوا تثبيتها . فان قبلتموها اخبرونا حتى نسلكها على ذمتكم . واذا رفضتموها اخبرونا .

معلوم نيافتكم بان ما احد من رؤسآء الكهنة صار له غيرة وتفتيش على خراف المسيح مثلي انا عبدكم الحقير لاني فحصت وفتشت كثيراً في الخلل الصاير في هذه البلاد وكيف النصارى يدخلوا بسهولة في دين الاسلام فوجدت سبب ذلك ضيقة الوقت (الاحوال) وفقر الناس وقلة المعاش او بسبب مخالطتهم للاسلام وكثرة الصيامات الموضوعة عليهم . لان عليهم صيامات اكثر من ثلاثة ارباع السنة . والحال انهم لا يصوموها الا بالغصب والكره اولاً الاربعا والجمعة مدار السنة . ثانياً الصيام الكبير المقدس . ثالثاً صوم الرسل الاربعين يوماً . رابعاً خمسة عشر يوماً (قبل عيد) العذرآء . خامساً اربعين يوماً (قبل عيد) الميلاد .

سادساً خمسة عشر يوماً للصليب . سابعاً ثمانية ايام للقديس ديمتريوس . ثامناً ثمانية ايام للقديس مخائيل رئيس الاجناد تاسعاً كل نسكيات سكان البراري والرهبان الزموا فيهم العوام واصحاب الصنائع الثقيلة . لاجل ذلك ما عاد الناس احتملوا . بل منهم ناس كثير دخلوا في دين محمد حتى ان اناس من بلاد كيليكيا اخبروني لما كنت عندهم بان الوف الوف دخلوا دين الاسلام بسبب كثرة الصيامات .

عاشراً في بر مدينة حماة طائفة نصارى كثيرين جداً ومعاشهم من تربية الجاموس اي من الحليب والسمن[1] . فهؤلاء في زمان والدي كانوا مقدار عشرة الاف نفس تركوا دين المسيح ودخلوا في دين محمد واناس منهم اخبروني بسبب هذه الصيامات .

حادي عشر من مدة خمسة وخمسين سنة وانا في الشام صار غلا عظيم في الشام وبرها وقرية يقال لها عين التينة بقرب الشام كان فيها مقدار خمسماية نفس مسيحين . فمن شدة الغلا ومن فقرهم طلبوا من البطريرك مكاريوس جد البطريرك كيرلس ان يطلق لهم اكل الالبان في زمان الصيام وراجعوه في ذلك فما امكن يسمح لهم . وكان مد القمح بقرش (ثمن باهظ جداً في ذلك الوقت) . فمن اجل هذه الضيقة العظيمة والقساوة الظالمة مضت كهنة الضيعة الاربعة مع رعاياهم كلها ودخلوا في دين محمد فالكهنة صاروا خطبا وعملوا كنيستهم جامعاً . وكان ذلك لسبب الصيامات . وهذا نظرته بعيني ما عدا الذين دخلوا في دين محمد

---

(١) غلب عليهم اسم الصُلَيب . وهم قبيلة من قبائل العرب الرحل ذات عدة عشائر مستضعفة يعيشون من تربية الدواب لا يغزون ولا يغزوهم احد . وعلى ما نعلم ان الطيب الذكر البطريرك اغناطيوس رحماني ارسل اليهم بعض المرشدين من الرجال والبنات ليعنوا بأمر رجوعهم الى النصرانية وابثوا معهم عدة سنوات . لكن لسبب ترحالهم بين الشام والعراق لم يتوفقوا الى ما ارادوا . راجع مقالة عنهم في مجلة المشرق بالمجلد الاول صفحة ٦٧٣

بالتدريج من ضيقة العيشة ومعاشرة الاسلام[1] .

ثاني عشر من مدة اربعين سنة كان في مدينة غزة من بلاد القدس يوجد فيها ما ينيف عن ثلاثة الف نفس مسيحية الجميع دخلوا في دين الاسلام وما فضل منهم الا خمسين نفساً . وكل هذا (من) سبب ضيقة المعاش وكثرة الصيامات ويسر المسلمين على النصارى

ثالث عشر ان قرية تدعى الدوير بقرب مدينة غزة كان فيها مقدار الف وخمسماية مسيحيين . وهؤلاء ايضاً هم وكهنتهم ثلاثة دخلوا في دين محمد وعملوا كنيستهم جامعاً بسبب هذه الصيامات

رابع عشر ذكر لنا مسلمون تلك البلاد بان في فلسطين بر متسع يدعى وادي الصرار كان يوجد فيه اكثر من ستين الف نصراني . فجميعهم هم وكهنتهم دخلوا في دين محمد وعملوا كنائسهم جوامع وسبب ذلك كثرة هذه الصيامات وقساوة الرؤسا (بمنع تحليل الصيام)

خامس عشر بزمان نيكوفوروس الكنسطوبولي ويوحنا الصوام وضعوا قوانين على الذين وقعوا في الخطايا الصادومية والدفلقة بانهم في الصيام الكبير يمتنعوا عن الزيت والخمر والسمك الاثنين والاربعا والجمعة فقط . واما بقية ايام الصوم

---

(١) من القرى التي اسلم اهلها النصارى من جبل القلمون قرية قارة من امهات القرى الكبيرة وقدشاهدنا فيها جامعاً كبيراً كان كنيسة كاتدرائية عظيمة . اسلم اهلها في اوائل القرن السابع عشر في عهد مطرانها يواسف اللبناني حتى انتقل بعد ذلك الى صيدنايا . وفي اوائل القرن الثامن عشر اسلم اهل قرية بخعة وجبعدين بجوار عين التينة ومعلولا ولم يزل الى اليوم اهل هذه القرى الاربع يتكلمون السريانية . وفي بخعة لم تزل الكنيسة قائمة باوقافها الى اليوم على اسم القديس اندراوس الرسول . ومن هذه القرى قرية جبعة عسال وقد زارها البطريرك مكاريوس في منتصف القرن السابع عشر . وفي دوما البترون اسرة تعرف ببيت الجباوي هاجر جدهم من جبعة عسال الى بعلبك وبسبب خراب بعلبك سنة ١٧٥٩ هاجروا الى دوما البترون

الكبير فطلق لهم اكل السمك والزيت وشرب الخمر . هكذا موجود في كتبنا وناموسنا وشريعتنا . وكل من خالف ناموسه وشريعته وقديسيه يكون ملعون . ونحن ما تمسكنا في العوائد التي تنشيء الشقاق والكفر . بل اطلقنا ما تسلمناه من كنيستنا وابائنا القديسين . وعلى ذلك فحصت فحصاً بليغاً لكي ازيل عن المسيحيين الاثقال التي لا يطيقون حملها ولا هي موجودة في كتبنا . فوجدت في مؤرخين كنيستنا بان الذين وضعوها على طائفتنا كانوا اراطقة كما يذكر سعيد بن بطريق بطريرك الاسكندرية في اخر المجلد الاول (من تاريخه[1]) بان المانيّة كانوا صنفين منهم سماكون ومنهم صديقيون . فالسماكون يصومون في كل شهر ايام معلومة . والصديقيون يصومون الدهر كله ولا يأكلون الا ماتنبته الارض . فلما تنصروا خافوا ان تركوا اكل اللحم يدري بهم فيقتلون فصيروا لانفسهم صياماً وصاموا الميلاد اربعين يوماً وتركوا في هذه الصيامات اكل اللحم وانما ارادوا بهذا ان يقطعوا ايام السنة بالصوم ويتركوا في ذلك الصوم اكل اللحم لئلا يعرف بهم انهم مانيون . فلما طال بهم الزمان تبعهم على ذلك النسطوريون واليعقوبيون والمارونيون . وصارت لهم سنة واستحسنه الملكيون فتابعوهم عليه وخاصة المقيمون في ارض الاسلام . فاما الروم (اليونان) فانما يتركون اكل اللحم في اليوم الذي يصومونه قبل الميلاد والذي يصومونه قبل الغطاس . وانما يصومونها ولا يأكلون فيها لحماً لانهم يحسبون هذين اليومين كمثل الصيام الكبير . فمن احب ان يصوم للميلاد والرسل والسيدة فيصوم ويأكل السمك . واما ان يصوم ولا يأكل السمك فليس هذا بواجب وليس لاحد ان يصوم ويترك اكل السمك الا في الصوم الكبير فقط . ومن قال غير هذا فهو

---

(١) راجع صفحة ١٤٨ من التاريخ المذكور طبعة بيروت ويظهر ان نسخة المطران تختلف بعض الاختلاف عن المبوعة . والمانيّة تباع ماني الكافر

خطي وقد خالف الشريعة وناقض الفريضة وتعدى الوصايا

فهذا كلام افتيشيوس بطريرك الاسكندرية . واما عن الاربعا والجمعة فهي سنة قديمة يمتنع فيها المؤمنون عن اكل اللحم . فهذا الذي وجدناه وغيره كثير لو ذكرناه فرداً فرداً لطال بنا الشرح كثيراً

وانا الحقير لما سمعت وتحققت عن اولاد طائفتي وملتي ما بقي منها الا القليل بسبب هذه الصيامات التي خربت كنيسة الله في بلاد الشرق فمن شفقتي عليها اطلقت لها بسلطان الكنيسة المقدسة ان تتبع الصيامات المرتبة من كنيستنا المقدسة وعوائدها المقدسة . ونشكر الله على ان من زمان الذي اطلقنا لهم في العوائد المقدسة الحميدة عوض ما كانوا يدخلوا في دين محمد صاروا يدخلوا في الايمان الكاثوليكي حتى المسلمين يصيروا مسيحيين . والشفقة واجبة يا سادتي على خراف المسيح التي اشتراها بدمه الكريم . ولا يسوغ لنا من شأن الاكل والشرب نعطي رعايانا الى غيرنا . ومعلومكم لا يشفق على الاغنام الا راعيها وما يشفق على الابن الا ابوه . فنحن نعرف روساء هذه البلاد اي بطاركتها ومطارنتها بانه لما يطلب احد دين محمد يقولوا له روح اسلم ونحن نشتري لك شاش . ومتى اسلموا يقولوا بالفرح الحمد لله الذي خلصنا من دين النصارى ودخلنا في دين الاسلام . وسبب ذلك الاثقال والصيامات وهذه العوائد التي يمسكها الروم ويعتقدوا انها هي الدين والايمان . ونحن قصدنا اعلام نيافتكم بذلك بعد تقبيل برفيرتكم المقدسة

استدراك

نبّه خاطرنا احد الاصدقاء من ذوي النظر الثاقب الى ما ورد في صفحة ١٠١ عن المطران يواصف الحلبي بانه ان كان مطراناً لعكا وصور سنة ١٦٩٧ على ما في المخطوطات اليونانية فلا يتفق مع ما قد قرّرناه في صفحة ٩٨ بانه تنازل عن مطرانية صور سنة ١٦٩٦ اذ لا يخلو هذا من تناقض ظاهر . على ان الذي نراه لا تناقض في ذلك اذا لاحظنا الى العادة الجارية بان يهمل غالباً الكتّاب كلمة « سابقاً » بعد ذكرهم لاسماء المطارنة والبطاركة الذين اعتزلوا كراسيهم . ومن ثم نقدّر ان نص الحاشية الاولى الواردة في صفحة ١٠١ لو تحرّى كاتبها الدقة يجب ان يكون هكذا « الحقير يواصف مطران عكا سابقاً » ونص الحاشية الثانية يجب ان يكون هكذا « مطران صور سابقاً » باثبات لفظة « سابقاً » في كليهما . وربما يكون قد وقع هناك غلط بنقل الارقام الاولى سنة ١٦٩٧ مقلوبة . والصواب فيها سنة ١٦٧٩ . وفي كلا الحالين لا يكون في ذلك تناقض .

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١٧	caveliere	cavaliere
٥	١٨	cavelier	chevalier
٥٤	١٤	اذا	اذ
٥٥	٤	وجل	وجعل
״	٢٠	وبق	وبقي
٥٨	٢	الهام	الهمام
٥٩	١٣	وسواهم	وسواهما
٦٢	٦١	اليجيب	النجيب
٦٧	٧	لينظروا ويقرّروا	ينظروا في دعواه ويقرّروا
٧٠	١٢	nomme ment	nommément
״	٧	menè	mené
״	١٥	المعررف	المعروف
٨٣	٢٢	Baudillard	Baudrillars
١٢٩	١	تتمضن	تتضمن
١٤٤	١٤	ينهضهم	ينهضم
١٤٨	١٤	ولا تواطي	ولا تواطو
١٥٢	٨	شىٔ	شي

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٥٣	١٢	ومن وزير الشام	ومن ثم قبض وزير الشام
١٦٠	٣	ألف له	وألف
١٦٥	١		الفصل الثاني والعشرون
١٦٨	٩	بدعوى انه	بدعوى انها
١٧١	١٨	كان من	كانا من
٢١١	٧	كلاهما رهبان	كلاهما راهبان
٢٢١	٢٠	بمقابلة	بمقابلته
٢٣٣	١٤	افندى	افندي
٢٣٥	١٢	امضاه وختمه	وأمضاه وختمه
٢٣٦	١١	بر	برًا
٢٤٣	٢١	منى	مني
٢٤٧	٣	الشمالية	الجنوبية
١١	٢١	وتحولت	تحولت
٢٤٨	١	الفصل الواحد والثلاثون	الفصل الثاني والثلاثون
٢٧٨	٩	يلى	يلي
٢٨٩	١٥	منقولاً	منقولاً
٢٩٥	٣	رئس	رئيس
٢٩٧	١٠	بطريركاً واحداً منهم	واحداً منهم بطريركاً
٢٩٨	٤	بطاعه قهرية	بطاعة قهرية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠٣	١٨	سنة ١٨١١	سنة ١٩١١
٣٠٨	١٠	هذا السبيل اقتنع	هذا السبيل حتى اقتنع
»	١٩	مما لا بد لنا	التي لا بد لنا
٣١١	٦	جبفالا	جيغالا
٣٢٦	٥	Boullard	Poullard
٣٢٥	١٠	Boullard	Poullard
٣٧٤	١٦	نعد	بعد
٣٧٤	١٧	نه ض	نعرض
٣٧٤	١٧	ذي كا هرطوقي	الذي كان هرطوقي
٣٧٥	١١	سلوها	سلبوها
٣٧٥	١٢	انتخناه	انتخبناه
٣٧٥	١٦	في كل	في كل
٣٧٥	٧	باسم	باسم
٣٩٥	١٨	حنس	جنس
٣٧٥	١٩	محرّك	يحرك
٣٧٥	٢١	تبع الكرسي	تبع الكرسي
٣٧٥	٢١	بشرفه	بشرفة
٣٧٨	١٠	جريسندوس	خريسندوس
٣٧٨	١٣	جريسندوس	خريسندوس
٣٧٩	١٠	باتم البركات	باتم البركات
٣٧٩	١٣	لان	لان
٣٧٩	١٧	كنور	كنوز

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٧٩	١٨	اخبار	اخبار
٣٨٢	١٥	ويطابق	ويطابق
٣٨٩	٧	كوركم	كوزكم
٣٨٩	٨	نتهج	نبتهج
٣٨٩	١٠	الحقيرين	الحقيرين
٤٠٢		Boullard	Poullard
٤٢٥	٦	جريسندوس	خريسندوس
٤٣٨	٤	يجمل	يهمل
٤٣٩	١٢	بد	بعد
٤٣٩	١٨	ايضاحه	وايضاحه
٤٣٩	١٩	ومساهمينا	مساهمينا
٤٦٥	٥	هي بدون شك	وهي بدون شك
٤٧٢	١٦	الكنس	الكنيس
٤٧٢	٢٠	السلطانية لا تخرج	السلطانية التي لا تخرج
٤٨٨	١٢	الصك التفرغ	صك التفرغ
٥٠٨	٢٠	ارباع	ارباع
٥١١	١٩	يدري بهم	لئلا يدري بهم

فهرس

صفحة		
	المقدمة	ورسائل الاستحسان
٣	الفصل الاول	اسرة الصيني اصلها وفروعها ومشاهير رجالها
١٢	« الثاني	في ميلاد صاحب الترجمة ونشأته
١٧	« الثالث	في المدارس وطريقة التعليم في القرن السابع عشر
٢٣	« الرابع	هل كان صاحب الترجمة كاثوليكياً منذ صغره
٣٠	« الخامس	في ترشيح الاكليروس في ذلك العهد
٣٥	« السادس	اطراد للفصل السابق في ترشيح الاكليروس
٤٠	« السابع	في ترشيح مخائيل صيني للكهنوت
٤٥	« الثامن	احوال النصرانية في لبنان في القرن السابع عشر
٥٧	« التاسع	احوال البطريركية الانطاكية في القرن السابع عشر
٦٥	« العاشر	في بطاركة انطاكية في القرن السابع عشر
٨٤	« الحادي عشر	في مطارنة صور وصيدا في القرن السابع عشر
١٠١	« الثاني عشر	في رسامة افثيميوس مطراناً على صور وصيدا
١٠٧	« الثالث عشر	في ابرشية صور وصيدا
١١٣	« الرابع عشر	في مباشرة المطران باعماله في الابرشية
١١٨	« الخامس عشر	تمام اتفاقه مع اعيان صيدا
١٢١	« السادس عشر	تجديد بناء كنيسة صيدا
١٢٦	« السابع عشر	البطريرك اثناسيوس الدباس
١٣٢	« الثامن عشر	في تفصيل وتحقيق ما تقدم
١٤٧	« التاسع عشر	في اطراد ما تقدم
١٥٢	« العشرون	في الصلح والاتفاق على البطريركية

صفحة

١٥٨ الفصل الحادي والعشرون فيما جرى بعد الصلح

١٦٥ » الثاني والعشرون . في اثار غيرة المطران افثيميوس في ابرشيته

١٧٨ » الثالث والعشرون في اعمال غيرته خارج ابرشيته

١٨٠ » الرابع والعشرون في كتاب الدلالة اللامعة

١٩٣ » الخامس والعشرون مناظرة حول كتاب الدلالة اللامعة

٢٠٥ » السادس والعشرون في اديرة الرهبان في سوريا ولبنان

٢١٠ » السابع والعشرون في نشأة الرهبانية المخلصية واصلها

٢١٦ » الثامن والعشرون في قصد المطران بانشاء الرهبانية المخلصية

٢٢٠ » التاسع والعشرون في اعجوبة المخلص

٢٢٥ » الثلاثون في قيام دير المخلص

٢٤٠ » الحادي والثلاثون في اطراد ما سبق

٢٤٨ » الثاني والثلاثون . في احوال تلك الايام السياسية

٢٥٧ » الثالث والثلاثون في كنيسة الدير الكبرى

٢٦٨ » الرابع والثلاثون . في غيرة المطران واهتمامه بالكنائس

٢٨١ » الخامس والثلاثون . سندات تاريخية قديمة

٢٩٣ » السادس والثلاثون في مقدمات واسباب اتحاد البطريرك كيرلس

٣٠٦ » السابع والثلاثون السعي لانجاز اتحاد البطريرك ومطران صيدنايا

٣٢٥ » الثامن والثلاثون انجاز واتحاد البطريرك كيرلس ومطران صيدنايا

٣٤٢ » التاسع والثلاثون في نشأة الرهبانية الحناوية الشويرية

٣٦٩ » الاربعون الروم الكاثوليك في ابرشية عكا

٣٨٥ » الحادي والاربعون . اهتمام المطران بالنصارى اهل حوران

صفحة

٣٩٣ الفصل الثاني والاربعون البطريرك كيرلس الحلبي في اخر حياته
٤١٢ » الثالث والاربعون المطران افثيميوس وبطاركة اليونان
٤٢٦ » الرابع والاربعون عودة البطريرك اثناسيوس
٤٣١ » الخامس والاربعون اهتمام المطران باصلاح بعض العادات والتقاليد المضرة
٤٤٢ » السادس والاربعون فتاوي واحكام رومية
٤٥٠ » السابع والاربعون الخلاف بين المطران والمرسلين
٤٥٦ » الثامن والاربعون تفاقم الخلاف والبلا على المطران
٤٦٣ » التاسع والاربعون اشتداد الاضطهاد على المطران
٤٧٥ » الخمسون في نجاة المطران من السجن والنفي واعلان براءته
٤٨٢ » الحادي والخمسون افتقاد المطران الاخير لدير المخلص
٤٩٠ » الثاني والخمسون افتقاد المطران لابرشيته اخر مرة
٤٩٥ » الثالث والخمسون في مرض المطران الاخير وموته في دمشق
٥٠٦ ملحق
٥١٣ استدراك
٥١٤ اصلاح غلط

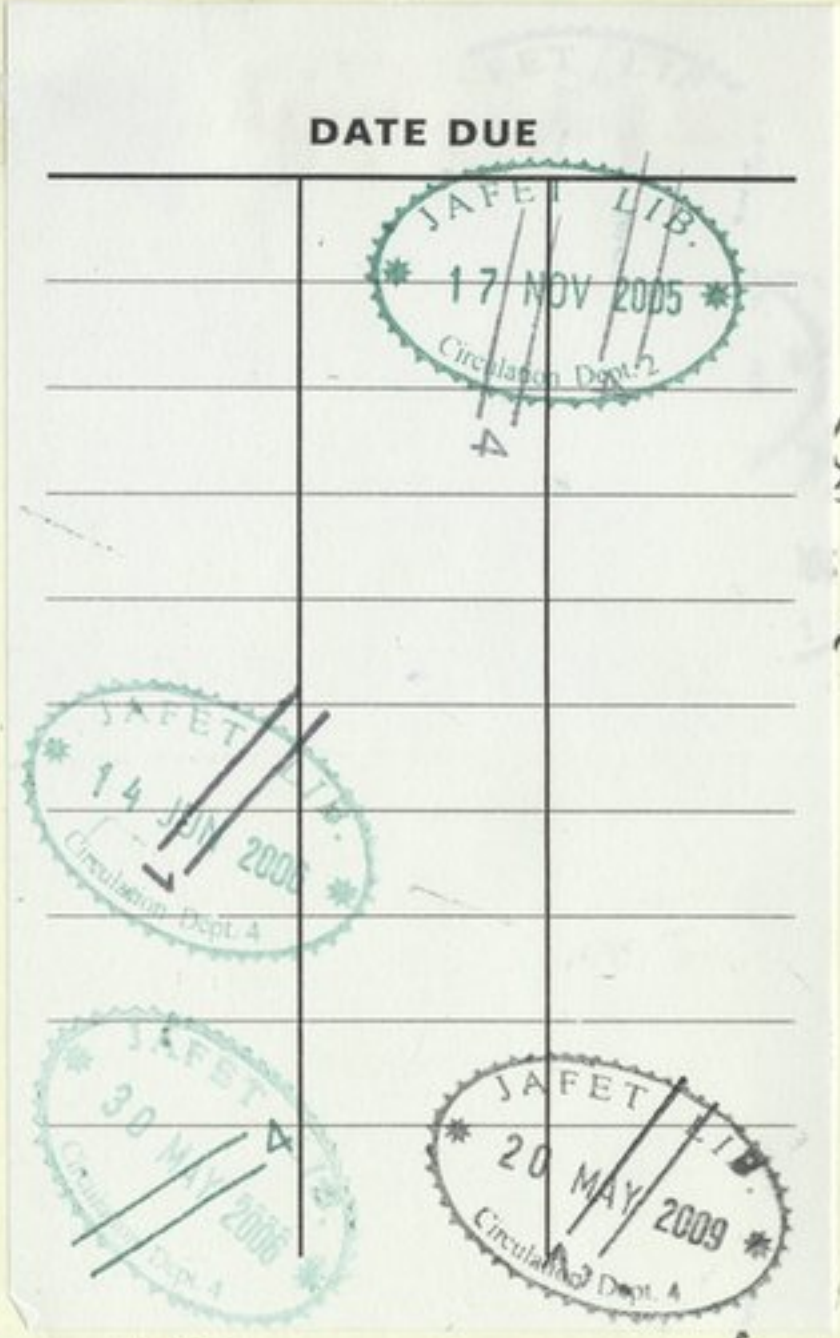

DATE DUE

JAFET LIB.
17 NOV 2005
Circulation Dept. 2

JAFET LIB.
14 JUN 2006
Circulation Dept. 4

JAFET LIB.
30 MAY 2006
Circulation Dept. 4

JAFET LIB.
20 MAY 2009
Circulation Dept. 4

Circulation

282:B29tA:v.1:c.1
الباشا ،قسطنطين
طائفة الروم الملكية والرهبانية المخلص
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01001660

282
B29tA
v.1